

د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي

جامعة الملك سعود - كلية التربية

قسم الدراسات الإسلامية

الإنشائك

وجوده وخلافته في الأرض

في ضوء القرآن الكريم

الناشر

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤١ هـ - ١٩٩ م

جميع الحقوق محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ،
الذى لا ينطق عن هوى ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْإِلَهُ وَحْدَى يُوحَى ﴾ (١) .

ويعد ..

يشهد أهل العقول الراجعة أن الإنسان خُلِقَ لغاية سامية ، تتناسب مع ما له
من خصائص التكوين ، وما سُخِّرَ له فى الكون ، مما يجعله فى قمة المخلوقات
فى التكريم .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنَى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ
مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٢) .

ولذلك يندفع الإنسان إلى معرفة وجوده ، وغايته ، وتقييم ذاته وحياته ،
ليضع ذلك فى الميزان لتتفاعل مع خصائصه وما سُخِّرَ له ، بحثاً عن أمنه
واستقراره بمنهج علمى يتناسب معه .

وإن تلك المعارف والمناهج الإنسانية تتفاعل مع الذات والحياة لتتشعب إلى
شُعَب ، ولكل شُعبة ميزانها ومنهجها .

فهناك الاتجاهات المادية التى تصل إلى تأليه الإنسان ، وغروره بما يمتلكه أو
تذهب به إلى احتقار الذات والحياة ، وأنه لا يتعدى كونه آلة فى مصنع الحياة مما
يجعله عبداً لعنصر من عناصر الكون .

(٢) الإسراء : ٧٠ .

(١) النجم : ٤ .

كما أن هناك اتجاهات دينية مُحرّفة ومنسوخة ، أو موضوعة ، فاسدة أفسدت كيان الإنسان ، وأفسدت حياته .

وفى مقابل ذلك نجد القرآن الكريم والسُّنة النبوية الصحيحة لهما نظرتهما للذات والحياة ، والتي تتميز بواقعيتها فى التعامل معهما بمنهج علمى يرفع القوى ، ويشد أزر الضعيف .

ولعل ما دفعنى إلى القيام بهذا البحث تلك الدوافع ، والاتجاهات المختلفة والمتداخلة ، وما للبيئة من أثر خفى وجلى فى بناء الذات الإنسانية ، وما للإسلام من نظرة تجاه الذات والحياة ، ومنهج علمى يتناسب معهما .

وذلك لنتعرف عن قرب على نظرة القرآن الكريم فى تقييم الذات ، وتقويم الإنسان ، وهدايته بما يوافقه ، وهذه النظرة تسمو على أى نظرة أخرى .

وإن هناك الكثير من الدراسات الإنسانية التى تدور حول هذا الموضوع من جوانب متعددة ، ولكن نجد أنها لا تتفق على منهجية واحدة أو معالجة واحدة .

فنجد مثلاً الدراسات المبنية على الثنائية فى التكوين مع التركيز على الجانب الروحى أكثر من الجانب المادى ، ومحاولة دراسته على أساس عنصرين منفصلين لكل عنصر خصائصه التى تخصه .

كما نجد محاولة دراسته على أساس مادى ، وأنه لا يتعدى كونه تفاعلاً كيميائياً وكهربائياً للجسد .

ولذلك نجد فى كل من الاتجاهين معضلتين يصعب حلها وهما : معرفة خصائص التكوين لكل من العنصرين المنفصلين ككيانين . وكيف يصدر الوعى من الجسد الذى يتصف به ، ويُحيرُّ العقول ، ولا يمكن تفسيره على أساس مادى؟ وفى النتيجة نصل إلى كلام يحوى فى طياته البلبلة والتخبط والبُعد عن المنهجية فيما يخص الإنسان كياناً وسلوكاً وتفسيراً للحياة ، بل الوجود كله .

كما أن الدراسات الإسلامية اللامنهجية لتقييم الذات تجد نفسها فى المشكلة

الأولى لتأثير الجانب الفلسفى للفكر اليونانى الذى ظل على ما هو عليه منذ سقراط وأفلاطون فى الغالب .

بينما نجد أن أسلوب القرآن الكريم فى معالجته لهذا الموضوع يجعل الشائبة فى التكوين منطلقاً لكيثونة واحدة ، ذات طبيعة مزدوجة فى كيان واحد ، له خصائصه فى التكوين .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (١) .

وكذلك نجد أن الدراسات فى علم النفس وعلم الاجتماع عن خصائص التكوين أقرب كمدخل إلى المنهجية ، وإن كان لهما انحرافاتهما لعوامل كثيرة كتقييم الذات ، وتقييم الحياة ، وغاية كل منهما ، ولما تُوحى به البيئة الخارجية ... وهى عوامل يقرون بها .

ولذلك أجد نفسى أمام مراجع كثيرة تطرقت إلى جوانب من الموضوع ، لأن جوانبه كثيرة ، ومختلفة ، ومتداخلة سواء فيما يتعلق بالذات أو مناهج الحياة ، وأن الباحث كثيراً ما يجد الاضطراب عند الباحثين بل إن الاضطراب كثيراً ما يقع فيه الباحث الواحد مما يجعلنى فى حيرة من أمرى فى الخروج بنتيجة إلا بعد تأمل وتفكير .

ولذلك ركزت فى معالجة بعض المواضع على بعض الجوانب العلمية ، لأنها تعمل على التوضيح للعقل البشرى فى مسار التأمل والتفكير فى الموضوع ، ولتكون أقوى وسيلة لتقويم العقل والعاطفة .

ولقد عمدتُ فى دراسة هذا الموضوع إلى تقسيمه إلى الأبواب والفصول التالية :

(١) الشمس : ٧ - ١٠ .

● الباب الأول : التكوين .

- الفصل الأول : آدم عليه السلام والتكوين .
- الفصل الثاني : خلق ذرية آدم عليه السلام .
- الفصل الثالث : فرضية التطور والتكوين .

● الباب الثاني : عناصر التكوين .

- الفصل الأول : الجسد .
- الفصل الثاني : الروح .
- الفصل الثالث : العلاقة بين الروح والجسد .

● الباب الثالث : خصائص التكوين .

- الفصل الأول : خصائص الحياة النفسية .
- الفصل الثاني : خصائص الحياة القلبية .
- الفصل الثالث : خصائص الحياة العقلية .

● الباب الرابع : الإنسان والدوافع .

- الفصل الأول : الدوافع الفطرية .
- الفصل الثاني : الدوافع المكتسبة .
- الفصل الثالث : تعديل الدوافع .

● الباب الخامس : الإنسان والخلافة .

- الفصل الأول : الخلافة .
- الفصل الثاني : الإنسان والخلافة .

ولقد إعتمدتُ فى دراستى على القرآن الكريم والسُّنة النبوية وبعض المؤلفات والدراسات والبحوث التى تدور حولهما ، كما اطلعت على بعض المؤلفات

والدراسات العلمية والنظرية التى لها مساس بهذا الموضوع ، بالاستقراء والاستنباط والتحليل مما يُظهر مدى الإعجاز العلمى والمعرفى للقرآن الكريم فى معالجته له .

ولقد استشهدتُ بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى سياقها دون العمل على تبیین وجه الاستشهاد إلا إذا كان هناك غموض فيه .

وختاماً .. أرجو من الله تعالى أن يتقبل بحشى هذا عملاً صالحاً لوجهه الكريم ، وأن يجزىنى به خير الجزاء ، ويجزى به والدى وأهلى ، وكل من ساعدنى على القيام به ، وكل المسلمين ... إنه سميع مجيب .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عبد الرحمن بن ابراهيم المطرودى

* * *

الباب الأول

التكوين

- آدم عليه السلام والتكوين
- خلق ذرية آدم عليه السلام
- فرضية التطور والتكوين

الفصل الأول

آدم عليه السلام والتكوين

• خلق آدم عليه السلام :

إن الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن خلق الإنسان الأول - آدم عليه السلام - تشير إلى أن الله تعالى خلقه من تراب .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ عَيْسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ (٣) .

وعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود ، وبين ذلك ، والسهل والحزن ، والخبث والطيب » (٤) .

كما جاء في القرآن الكريم أن عناصر التكوين لآدم عليه السلام هي عناصر التكوين لذريته .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ، وَأَجَلٌ مُّسَمًّىٰ عِنْدَهُ ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ (٥) .

(٣) الحج : ٥

(٢) الروم : ٢٠

(١) آل عمران : ٥٩

(٤) رواه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن ، سورة البقرة ، وقال : حديث حسن صحيح . سنن الترمذى ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر العرسى ببيروت - ط ١٤٠٠ هـ -

(٥) الأنعام : ٢

جد ٤ ص ٢٧٣

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (٢) وقد أثبت التحليل المخبري المعاصر ، أن عناصر التكوين للإنسان هي عناصر تكوين التراب (٣) ... وذلك بعد قرون من الزمان على نزول القرآن الكريم ، مما يدل على إعجازه العلمي ، والمعرفى بصفة عامة .

كما يشير القرآن إلى أن التكوين قد مرّ في مرحلة الطين ، الذي يتكوّن من التراب ، مضافاً إليه الماء .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ، قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (٨) .

ولقد جاء وصف الطين بأنه « طين لازب »

(١) المؤمنون : ١٢ (٢) طه : ٥٥

(٣) د. خالص جليبي : الطب محراب الإيمان . مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م)

ج ١ ص ٢ ، ص ٤٧ (٤) سورة ص ٧١ - ٧٢ (٥) الإسراء : ٦١

(٦) المؤمنون : ١٢ - ١٣ (٧) السجدة : ٧ - ٨ (٨) الأعراف : ١٢

قال تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ (١) .
واللازب في اللغة الثابت ، الشديد التماسك بين الأجزاء (٢) .
ومنه قول النابغة (٣) :

لا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب (٤)
ف « طين لازب » بمعنى لزج متماسك ، فهو لا سائل ولا صلب (٥) وقيل :
« طين لازب » بمعنى لاصق ... يقال : لزب يلزب لزوباً إذا لصق (٦) ، وبعد
ذلك يتحوّل الطين اللازب إلى حمأ مسنون .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ
حَمَأٍ مَسْنُونٍ ﴾ (٧) .

ف « حمأ مسنون » أي « طين مصور على هيئة إنسان من سن الوجد أي
صوره وصقله (٨) » .

أو « مسنون » بمعنى متغير (٩) ، فهو طين منتن أسود (١٠) .

(١) الصفات : ١١

(٢) محمد بن علي بن محمد الشوكاني : فتح القدير ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي
الحلبي وأولاده ، مصر ط ٢ ، ١٣٨٣ هـ (١٩٦٢) م ، ج ٤ ص ٣٨٨

(٣) النابغة الذبياني : شاعر جاهلي ، من أصحاب المعلقات ، عُرف بدقة الوصف ، وبراعة
الاعتذار ، وعاش في بلاط اللخمين في الحيرة ثم في بلاط الفساسنة توفي عام ٦٠٤ م .

منير البعلبكي : موسوعة المورد ، دار العلم للملايين ببيروت ، ط ١ (١٩٨٠ م) ج ١ ص ٨٦

(٤) النابغة الذبياني : ديوان النابغة ، جمعه وعلّق عليه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ،
الشركة التونسية للتوزيع ، تونس - والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر ، ١٩٧٦ م ، ص ٥٠ .

(٥) محمد إسماعيل إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية . ملتزم الطباعة والنشر دار
الفكر العربي ، ص ٤١٣

(٦) الشوكاني : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٤ ص ٣٨٨

(٧) الحجو : ٢٨

(٨) محمد إسماعيل إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (مرجع سابق) ص ٢٥٤

(٩) الراغب الأصفهاني (أبي القاسم الحسين محمد) المفردات في غريب القرآن . المعرفة

للطباعة والنشر ، بيروت . لبنان ، تحقيق محمد سيد كيلاني ص ٣٤٥

(١٠) الشوكاني : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٣ ص ١٢٩

كما قال تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ، قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ، قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ، وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ، وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

فمعنى « لم يتسنه » لم يتغير (٢) .

وُصِرَّحَ القرآن الكريم إلى أن الحمأ المسنون يتحول إلى صلصال كالفخار .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ (٣) .

قال تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾ (٤) .

« وأصل الصلصال تردد الصوت من الشيء اليابس ، ومنه قيل : صل السمار » (٥) .

والصلصال : « طين يابس ، يصلصل ؛ أى يُصَوَّتُ إذا نقرته ، ولو طُبِخَ فى النار لصار فخاراً .. » (٦) .

ويتضح أنه فى مرحلة « صلصال كالفخار » بهذه الوصف تنتفى عنه مظاهر الحياة .

فهل يكون المراد بهذه المرحلة - صلصال كالفخار - وما سبقها من مراحل ،

(١) البقرة : ٢٥٩

(٢) الراغب الأصفهاني : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٣٤٥

معجم اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم . دار الشروق بالقاهرة ، ص ٣١٤

(٣) الحجر : ٢٦ (٤) الرحمن : ١٤ - ١٥

(٥) الراغب الأصفهاني : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٢٨٤

(٦) محمد إسماعيل إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (مرجع سابق) ص ٢٩٤

هو المراد بقوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾ (١) .

كما جاء فى الحديث الشريف عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « لما صورَّ الله آدم فى الجنة ، تركه ما شاء الله أن يتركه ، فجعل إبليس يُطيف به ، ينظر ما هو ، فلما رآه أجوف عرف أنه خُلِقَ خلقاً لا يتمالك » (٢) .

« الأجوف صاحب الجوف ، وقيل : هو الذى داخله خال ، ومعنى « لا يتمالك » لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات ، وقيل : لا يملك دفع الوسواس عنه ، وقيل : لا يملك نفسه عند الغضب ، والمراد جنس بنى آدم » (٣) .

وعن أبى هريرة قال : قالوا : يا رسول الله ! متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » (٤) .

« فإن الله بعد خلق جسد آدم ، وقبل نفخ الروح فيه ، كتب وأظهر ما سيكون من ذريته ، فكتب نبوة محمد وأظهرها ، كما ثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ قال : « إن أحدكم يُجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مُضْغَةً مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ويقال له : اكتب عمله ورزقه وأجله وشقى أو سعيد ، ثم يُنفخ فيه الروح » (٥) .

فقد أخبر ﷺ أنه بعد أن يُخلق بدن الجنين فى بطن أمه وقبل نفخ الروح فيه ،

(١) الإنسان : ١

(٢) رواه مسلم فى كتاب البر والصلة - صحيح مسلم - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار التراث العربى ببيروت ط ٢ (١٩٧٢ م) - حديث ١١١ ، ج ٤ ص ١٦ .

(٣) النووى : صحيح مسلم بشرح النووى ، دار الفكر ببيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ج ١٦ ص ١٦٤

(٤) رواه الترمذى فى كتاب المناقب ، باب : ما جاء فى فضل النبى ﷺ ، وقال : حديث حسن

صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه . ج ٥ ص ٢٤٣

(٥) رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،

المكتبة الإسلامية ، استانبول - ج ٤ ص ٧٨

يُكتب رزقه ، وأجله وعمله ، وشقى أم سعيد ؟ فهكذا كتب خبر سيد ولد آدم ،
وآدم منجدل فى طينته ، قبل أن يُنفخ الروح فيه (١) .

وبعد تسوية صورته عليه السلام فى الملا الأعلى . نفخ الله فيه من روحه .
فكانت الحياة التى أهله الله بها لسجود الملائكة تكريماً واحتراماً لا سجود عبادة .
فالعِبادة لله وحده .

كما أن فى ذلك القبول والإذعان لأمره تعالى إظهاراً وإجلالاً للقدرة الإلهية .
قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ
حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ *
فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ * فَإِذَا
سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٣) .

وليس حياته عليه السلام حياة حيوانية بحتة ، بل فيها سر لطيف من سر
النفخة الإلهية ، التى منحها الله إليه عليه السلام وحققت ما يرجع إليه الفضل
فى تقييم الإنسان ، من الصفات والقيم والمثل ، والمعارف ، والقدرات ،
والاستعدادات ، والتى تتكافأ مع ما أسند إليه كخليفة فى هذه الأرض .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله آدم ، ونفخ فيه
الروح عطس ، فقال : الحمد لله ، فحمد الله بإذنه ، فقال له ربه : رحمك الله
يا آدم ، اذهب إلى أولئك الملائكة - إلى ملائمتهم جلوس - فقال : السلام

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مكتبة
المعارف ، الرباط ، ج ١٨ ص ٢٦٩

(٣) سورة ص ٧١ - ٧٢

(٢) الحجر : ٢٨ - ٣٠

عليكم ، فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع إلى ربه ، فقال : إن هذه تحيتك ، وتحية بنيك بينهم « (١) .

كما يشير المؤمنون في مقام الشفاعة يوم القيامة إلى خصوصية آدم عليه السلام في الخلق .

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله الناس يوم القيامة ، فيهتمون لذلك - وقال ابن عبيد : فيلهمون لذلك - فيقولون : لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، قال : فيأتون آدم ﷺ فيقولون : أنت آدم أبو الخلق ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ... » (٢) .

* * *

• خلق حواء :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٣) .

إنه من المتفق عليه أن المراد بـ « نفس واحدة » في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ هو آدم عليه السلام (٤) .

(١) رواه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن سورة المعوذتين ، ج ٥ ص ١٢٣ ، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه .

انظر : موارد الظمان . المطبعة السلفية ، ط ١ ، فى كتاب علامات النبوة ص ٥٨ - ٥٩ .
الإمام الحاكم (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه) : المستدرک على الصحيحين .
حيدر آباد الدکن - الهند ، ١٣٣٤ هـ ، ج ١ ص ٦٤ ، ج ٢ ص ٣٢٥ ، ج ٤ ص ٢٦٣ .

(٢) رواه مسلم فى كتاب الإيمان ، حديث ٣٢٢ ، ج ١ ص ١٨٠ .

(٣) النساء : ١

(٤) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) ج ١ ص ٤١٧

والمأمل فى هذه الآفة قد يظهر له سؤال ، وهو : كيف خلق الله الخلق من نفس واحدة ؟

فكان التعقيب - كجواب - بقوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ .

فأله تعالى خلق حواء من آدم عليه السلام ، وخلق ذريتهما من نسلهما . ولعل مثل ذلك ما هو موجود فى مخلوقات الله تعالى ، مما يلتقى الضوء أو التقريب لفهم المراد .

فالحيون الإسفنجى (١) يتكاثر ويتناسل عن طريق الانقسام ، وذلك بإبداع الذكر أو الأنثى ، ثم التزاوج بينهما ، فيكون له طريقتان فى التكاثر ، وهما الانقسام والتناسل عن طريق التزاوج بين بعضها ، واستمرار الانقسام فى البعض الآخر (٢) ... وهكذا .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خُلِقَتْ من ضِلَعٍ ، وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء » (٣) .

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فإذا شهد أمراً فليتكلم بخير أو ليسكت ، واستوصوا بالنساء ، فإن المرأة خُلِقَتْ

= أبو السعود (محمد بن محمد العمادى) : تفسير أبى السعود . دار إحياء التراث العربى بيروت ، لبنان . ج ٢ ص ١٣٨

الزمخشرى (أبى القاسم جار الله محمود بن عمر) : الكشاف . دار الفكر ، ط ١ ، ١٣٩٧ هـ ، ج ١ ص ٤٩٢

(١) حيوان بحرى شبيه بالإسفننج .

(٢) د. أحمد زكى : مع الله فى الأرض . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ م . ص ١٥٥ ، ١٦٣

(٣) رواه البخارى فى كتاب الأنبياء ، باب : خلق آدم عليه السلام وذريته - صحيح البخارى ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، إستانبول ، ١٩٨١ م - ج ٤ ص ١٠١

من ضلِّع ، وإن أعوج شىء ، فى الضلِّعِ أعلاه ، إن ذهبت تُقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، استوصوا بالنساء خيراً » (١) .

وبهذا يتضح أن حواء خُلِّقَتْ من ضلع آدم عليه السلام ، وأنها فى عواطفها ومشاعرها تُحاكى ذلك الضلع الذى خُلِّقَتْ منه (٢) .

فإنَّه خلق حواء - أم البشر - لملء فراغ وجدانى فى نفس آدم عليه السلام ، فهى مكملة لوجوده المعنوى والحسى ، بعد وحشته ووحدته فى الملا الأعلى ، ولتحيا مع زوجها عليه السلام حياة المعارف والقيم والتشريف (٣) .

فخلَقَ اللهُ تعالى حواء له عليه السلام زوجة ملائمة ، وعناصرها من عناصره ، لها ما يجب أن تكون عليه من خصائص الأنوثة ، خلافاً لما ذهب إليه بعض النصارى ، من أنها خُلِّقَتْ من عنصر خبيث وشيطانى ، وغلب على آرائهم أنها جسم نجس ، وليس لها روح (٤) ، وأن تفكيرها ليس عملية عقلية ، وإنما عملية غريزية (٥) ، وأنها مدخل للشيطان ، ولا يُستثنى من ذلك إلا العذراء أم المسيح عليه السلام (٦) .

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « خلق الله آدم على صورته ، طوله ستون ذراعاً ، فلما خلقه قال : اذهب فسلِّم على أولئك النفر من الملائكة ، جلوس ،

(١) رواه مسلم فى كتاب الرضاع ، حديث ٦٠٦ ، ج ٢ ص ١٠٩١ .

(٢) محمود شلبى : حياة آدم . دار الجليل ، بيروت . ط ٢ ، ص ٦١ .

(٣) البيهى الخولى : آدم عليه السلام . مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) .

ص ١٦٩

(٤) عباس محمود العقاد : المرأة فى القرآن . دار الكتاب العربى - بيروت ، ط ٢ (١٩٦٧ م) .

ص ٧٦ - ٨٠ .

(٥) باسمة كيال : تطور المرأة عبر التاريخ . مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، ١٤٠١ هـ ،

ص ٦٣ - ٦٥ .

محمود الجوهري : الأخت المسلمة . دار الأنصار . القاهرة ، ص ٥٥ - ٥٦ .

(٦) عباس محمود العقاد : المرأة فى القرآن (مرجع سابق) ص ٧٦ .

فاستمع ما يحيونك ، فإنها تمحيتك ، وتحية ذريتك ، فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه ورحمة الله ، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن » (١) .

فالصورة التى يدخل فيها الرجل إلى الجنة هى صورة آدم عليه السلام ، فلا بد أن تكون الصورة التى تدخل فيها المرأة إلى الجنة هى صورة حواء ، لا صورة آدم ، والمرأة التى تدخل الجنة أجمل من حور العين ، فلا بد أيضاً أن تكون حواء أجمل من الحور العين (٢) .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : « لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ غَدَوَةٌ ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلِقَابُ قَوْسٍ أَحَدَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ مَوْضِعٌ قَيْدٍ - يَعْنَى سَوْطَهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتِ مَا بَيْنَهُمَا ، وَلَمَّا لَتْهُ رِيحًا ، وَلَنَصِيفُهَا (٣) عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » (٤) .



• فى الملائكة الأعلی :

إن الله تعالى قد أخبر ملائكته فى الملائكة الأعلی بقراره خلق آدم عليه السلام ، خليفة فى الأرض ، وأنه سيكون له ذرية فيها ، ليكون الاحتفاء بمقدمه عليه السلام ، لا من باب طلب المشورة والرأى .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٥) .

(١) رواه البخارى فى كتاب الاستئذان ، باب : بدء السلام جـ ٧ ص ١٢٥ .

(٢) محمود شلبى : حياة آدم (مرجع سابق) ص ٦٤ - ٦٥ .

(٣) نصيفها : يعنى خمارها .

(٤) رواه البخارى فى كتاب الجهاد ، باب : الحور العين ، جـ ٣ ص ٢٠٣ .

(٥) البقرة : ٣ .

والملائكة بفطرتهم التى خلقها الله تعالى هم عباده المقربون الذين يفعلون ما يؤمرون ، فهم لا يتصورون إلا الخير والنقاء والتسبيح والتقديس لله تعالى ، وأن هذا هو الغاية المطلقة للوجود ، وأن هذه الغاية تتحقق بوجودهم ، فكانت الحيرة والدهشة منهم بأن الخليفة ليس منهم ، لعدم معرفتهم بحكمة خلق هذا المخلوق الجديد (١) .

ولعل مما زاد دهشة الملائكة وحيرتهم ، معرفتهم بمخلوقات الله تعالى على الأرض ، من الجن ، والحيوانات ، وما حدث بينهم من إفساد وسفك للدماء ، أو أن الله تعالى أطلعهم أن هذا الخليفة سيكون له ذرية ، وأنه سيقع بينهم إفساد ، وسفك للدماء (٢) .

قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ (٣) .

فكان الملائكة يزكُّون أنفسهم لشرف الخلافة ، إذا كانت الغاية من وجود الخليفة ، هو التسبيح والتقديس لله تعالى .

قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

فعلمه تعالى محيط بمخلوقاته ، وحكمته بالغة ، وعلم الملائكة قاصر على ما أخبرهم الله تعالى به ، فكان التسليم واليقين من الملائكة .

كما يُشير المؤمنون فى مقام الشفاعة يوم القيامة إلى خصوصية آدم عليه السلام فى الخلق .

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط ٥ ، ١٣٩٧ هـ ، (١٩٧٧ م) ج ١ ص ٥٦-٥٧

القرطبي (أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى) : الجامع لأحكام القرآن . دار الشعب ، القاهرة ، ج ١ ص ٢٣٤ - ٢٣٥

أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) . ج ١ ص ٧٩ - ٨٠

(٢) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) ج ١ ص ٦٣

القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ١ ص ٢٣٥

(٤) البقرة : ٣٠

(٣) البقرة : ٣٠

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك - وقال : ابن عبيد فيلهمون لذلك - فيقولون : لو شفّعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، قال : فيأتون آدم ﷺ فيقولون : أنت آدم أبو الخلق ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ... » (١) .

فكان أمر الله تعالى للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام إجلالاً واحتراماً له ، عند خلقه ، لما منحه الله تعالى من سر النفخة الإلهية .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٣) .

وحينما خلق الله آدم عليه السلام يرى الملائكة ساجدين له ، احتراماً وإجلالاً لمقدمه ، كما يرى في المقابل إبليس - لعنه الله - رافضاً الاستجابة ، لأمر الله تعالى بالسجود ، بل ويحاج ربه ، بكل عناد وغرور بفضله على آدم عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ، قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ... ﴾ (٤) .

قال تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي ،

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان ، حديث ٣٢٢ . ج ١ ص ١٨ .

(٢) الحجر : ٢٨ - ٣٠ (٣) سورة ص : ٧١ - ٧٢ (٤) الأعراف : ١١ - ١٢

أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ
وَحَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١﴾ .

فكان تفضيله عليه السلام على إبليس - لعنه الله - النار التي أحرقت
جوفه ، بالحقد ، والحسد ، وهو يتمتع بالحرية ، والإرادة ، والمسؤولية لتبعيات
عمله ، ولذلك كان عصيانه ، وكان الجزاء .

قال تعالى : ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ
إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ
الْمُنظَرِينَ * قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ
لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ، وَلَا
تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا ، لَمَنْ تَبِعَكَ
مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢﴾ .

فكان الغرور ، والعناد ، والعصيان من إبليس - لعنه الله - فى المبدأ
الأعلى ، والإصرار على رفع لواء العصيان ، وأنه سيستغل كل ما أوتى من
استعداد وقدرة من أجل أن يضم إليه آدم عليه السلام ، وذريته ، عن طريق
الإغواء وتزيين المعصية ، انتقاماً منه بسبب تفضيله عليه ، وما حكم الله تعالى
عليه لعصيان أمره تعالى بسببه (٣) .

فكان من الله تعالى أن حذر آدم عليه السلام من إبليس وعرفه أنه عدوه .

قال تعالى : ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا
مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ
فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴿٤﴾ .

(٢) الأعراف : ١٣ - ١٨

(١) سورة ص : ٧٣ - ٧٦

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٣ ص ٢٦٠٩ - ٢٦١٢

البيضاوى (ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازى) : أنوار التنزيل
وأسرار التأويل . دار الجيل . ص ٢٠١

محمد أحمد جاد المولى وآخرون : قصص القرآن ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ط ١ .

(٤) طه : ١١٧ - ١١٩

(م ١٩٧٩) ص ٣

يتلقى آدم عليه السلام وزوجه أول أمر من الله تعالى ، وهما يتمتعان بالحرية والإرادة والمسؤولية لتبعيات عملهما .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

عاش آدم عليه السلام وزوجه في الجنة ، حلّ لهما جميع أشجارها إلا شجرة واحدة ، عُرفا بها ونُهيّا عنها ، فكانت حياتهما حياة مملوفا السعادة ، والطمأنينة ، والأمان ، والنعيم ، وكان جلساؤهما من الملائكة ، فكانا يريانهم ، ويكلمانهم ، ويخاطبانهم (٣) .

ويحصل آدم عليه السلام على فيض ، ونعمة جديدة من ربه .

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (٤) .

أى مسميات المخلوقات سماوية ، أو أرضية ، مما يلزمه فى حياته ، وخصائصها ، وكيفية الاستفادة منها ، واستغلالها (٥) ، بما وهب من قدرة على التمييز ، وبهذا يحصل آدم عليه السلام على قدرات واستعدادات جديدة ، فكان من الله تعالى أن أظهر لآدم عليه السلام وملائكته سر تكريمه عليه السلام ، وحكمة خلقه ، وأنه خلق جديد يكمن فيه الخير والشر ، وأن لديه الحرية ، والإرادة ، والمسئولية ، وأن لديه القدرة على التعامل مع الأشياء ، والاستفادة منها ، بفضل ما أعلمه الله به ، (٦) وما أودعه فيه .

(١) البقرة : ٣٥ (٢) الأعراف : ١٩

(٣) البهي الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٦٤

(٤) البقرة : ٣١

(٥) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) ج ١ ص ٨٤

(٦) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ١ ص ٥٧

سميح عاطف الزين : آدم والتكوين - دار الكتاب اللبنانى ببيروت . ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) ص ٥٦

محمد إسماعيل إبراهيم : قصص الأنبياء والرسول . دار الفكر العربى بالقاهرة ط ٢ ، ص ٢٦

أحمد بهجت : أنبياء الله . دار الشروق بالقاهرة وبيروت ، ط ٧ ص ٣٩

فكانت المناظرة بين آدم عليه السلام والملائكة ، التي عرفوا فيها أين يكمن سر التكوين ، وكان الفوز فيها لآدم عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (١) .

وإنه إذا كان كل من الملائكة وإبليس يعرفون أن آدم عليه السلام وذريته استخلفهم الله تعالى فى الأرض كما سبق ، وأن مقامه فى الجنة إلى أجل معلوم عند الله تعالى .

فهل آدم عليه السلام عرف ذلك من شمولية قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ؟ (٢)

ومن قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ، قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ، أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (٣) .

وحديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله آدم ، مسح ظهره ، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته ، إلى يوم القيامة ، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً ونوراً ، ثم عرضهم على آدم فقال : أى رب ! مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قال : هَؤُلَاءِ ذريتك ، فرأى رجلاً منهم وبيص ما بين عينيه ، فقال : أى رب ! مَنْ هَذَا ؟ فقال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود ، فقال : رب ! وكم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة ، قال : أى رب ! زده من عمري أربعين سنة ... » (٤) .

(١) البقرة : ٣١ - ٣٣ (٢) البقرة : ٣١ (٣) الأعراف : ١٧٢ - ١٧٣

(٤) رواه الترمذى فى كتاب التفسير ، سورة الأعراف ، ج ٤ ص ٣٣١ - ٣٣٢

من خلال ذلك يتضح أن آدم عليه السلام قد أطلعه ربه على أن مصيره فى الأرض التى استخلفه فيها ، هو وذريته ، وأن بقاءه فى الجنة مؤقت إلى أجل معلوم ، وأن وجوده فى الأرض فيه حياة وموت ، وطاعة ومعصية ، ومعرفته بأنه يملك الحرية ، والإرادة والمسؤولية .

وإن هذه الآيات وهذا الحديث من الآيات والأحاديث التى أشكلت على كثير من العلماء ، مما اضطرهم إلى كثير من التأويل فى النصوص ، ولعله بتوضيح ظواهر طبيعية لمخلوقاته تعالى فى الأرض ما يقرب ذلك للأذهان .

فالحیوان الإسفنجى - كما سبق - يتكاثر عن طريق الانقسام ، بإبداع الذكر أو الأنثى ، ثم التزاوج بينهما ، ومن هنا يكون له طريقتان فى التكاثر ، هما الانقسام أحياناً ، والتزاوج أحياناً أخرى (١) .

والإنسان لا يعدو فى أساس تكوينه خلية واحدة ، تتخلق من اتحاد حيوان منوى للذكر مع بويضة للأنثى .

كما أن ذلك غير متحقق قبل خلق حواء ، وأن ظهور كل نَسمة إنما هو من ظهر آدم عليه السلام .

فمن المحتمل أن خلايا أبناء آدم عليه السلام خرجوا من صلبه ، ثم ظهرت ذريتهم عن طريق التزاوج لقوله تعالى : ﴿ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ ﴾ والله أعلم .

وإن من عجائب خلقه سبحانه أن جرثومة (٢) الكوليرا تستطيع أن تخلف ذرية تغطى الكرة الأرضية فى خلال ثلاثين ساعة ، إذا لم يكن هنالك عائق لتكاثرها (٣) .

(١) د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ١٥٥ - ١٦٣

(٢) الجرثومة كائن حى وحيد الخلية لا يرى بالعين المجردة .

(٣) د . عبد المحسن صالح : الميكروبات والحياة ، دار القلم بالقاهرة ، ١٩٦٢ م ، ص

فكان أمر الله تعالى لآدم عليه السلام وزوجه بالسكن فى الجنة - كما سبق -
وهما يعرفان أن ذلك مؤقت إلى أجل معلوم عند الله تعالى .

وكان حب الخلود والتملك عندهما غريزتين فطرهما الله تعالى عليهما ،
فكانتا طريق إبليس - لعنه الله - للإيقاع بهما ، وذلك بالاقتراب من الشجرة
التي نهاهما الله عنها .

قال تعالى : ﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا
مِنْ سَوَاءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا
مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ *
فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ، فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاءَاتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ، وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ
تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى
شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَاءَاتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ، وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ (٢) .

فكان أمر الله تعالى لهما بالنهى عن الاقتراب من الشجرة ويعرف آدم عليه
السلام وزوجه أن المقصود بالنهى الأكل منها .

ولعل آدم عليه السلام وزوجه لما سمعا مقالة إبليس - لعنه الله - وتأكيده
لهما بأنه من الناصحين ، وتكرار ذلك ، اقتربا من الشجرة يتأملانها ، ويذكران
ما أمرهما الله تعالى به ، ويذكران تحذير الله تعالى لهما بأن إبليس عدوهما ،
ولكن نفسيهما الأمانة بالسوء تذكرهما بما قاله إبليس ، وتردده فى وجدانهما
لحبهما للخلود والتملك .

فكانت لحظة غفلة ونسيان ، وقربهما من الشجرة ، فأكلا منها ، فكانت
المعصية .

(٢) طه : ١٢٠ - ١٢١

(١) الأعراف : ٢٠ - ٢٢

قال تعالى : ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَاءُ اتُّهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ، وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَلَاهُمَا بِغُرُورٍ ، فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاءُ اتُّهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ، وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (٢) .

وهكذا تمت المعصية لأمر الله تعالى ، وتم الإيقاع بهما من قبل الشيطان ووسوسته لهما في نفسيهما .

وذلك لأنهما واجها حياتهما البشرية دون أن يكون لهما رصيد من التجارب ، حيث إنهما لم يزاولا خصائصهما البشرية بعد ، وربما لم يحسا بوجود غرائز لديهما فطرهما الله تعالى عليها كحب الاستطلاع ، فلم يجدا ضرورة لمجاهدة النفس وردع الغرائز ، وتقدير خطر إبليس ، للمحافظة على هذه المنزلة العالوية (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ (٤) .

« فغوى » تفيد معنى آخر غير « فعصى آدم ربه » ، ولعل المقصود بذلك فسد عيشه (٥) في الجنة ، واضطربت نفسه ، ومزاجه ، وتعكر صفوه ، والجنة لا تصلح لمن هذه صفاته ، وإنما الأرض التي سيستخلفه فيها ، هي مقره ، التي هي من طبيعته ، وعناصره من عناصرها ، وأعطى الإمكانيات والاستعدادات

(١) طه : ١٢١ (٢) الأعراف : ٢١ - ٢٢

(٣) البهي الخولي : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٦٣

أحمد بهجت : أنبياء الله (مرجع سابق) ص ٤١

سيد قطب : في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ١٦ ص ٢٣٥٣ - ٢٣٥٥

(٤) طه : ١٢١

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٥ ص ٤٢٩٧

للتعامل معها ، وللقيام بأدوار الحياة فى الأطر المرسومة له فى هذه الأرض ، بعد أن يكون قد أخذ رصيذاً من التجارب التى تؤهله للخلافة ، وهنا ينتهى الأجل المعلوم عند الله تعالى لبقائه عليه السلام وزوجه فى الجنة .

عن أبى أيوب الأنصارى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لو أنكم لم تكن لكم ذنوب يغفرها الله لكم ، لجاء الله بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم » (١) .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده ، لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يُذنبون ، فيستغفرون الله فيغفر لهم » (٢) .

فإن الله تعالى أراد أن يُعطى آدم عليه السلام بابتلائه إياه - امتحاناً لعزيمته - مراحل من التجارب والله يعلم أنه سيعصيه ، ولكن أراد الله تعالى أن يكون نزوله من الجنة بسببه ، من حيث إنه مخلوق مُكَلَّف ، ذو حرية وإرادة ومسئولية ، وليرى هذا الإنسان المكان والمآل الذى يؤول إليه بالمعصية ، ومكان الطائعين ، وقيمة التوبة بالنسبة للتائبين .

فكانت الفتنة ، وكان التردى من آدم عليه السلام وزوجه ، ولكنهما ندما وتابا إلى الله تعالى ، بما تلقياه منه سبحانه .

قال تعالى : ﴿ فَتَلَّوْنِي آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٣) .

ولعل المراد بهذه الكلمات ما ورد فى قوله تعالى : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٤) .

فكانت المعصية والندم ، وكان التعليم من الله تعالى بطريق الخلاص من المعصية ، وكانت الاستجابة والقبول من آدم عليه السلام وزوجه بطلب التوبة . وهنا عرفا أين يكمن الخير ، وأين يكمن الشر .

(١) رواه مسلم فى كتاب التوبة ، حديث ١ ، ج ٤ ص ٢١٠٦

(٢) رواه مسلم فى كتاب التوبة ، حديث ١ ، ج ٤ ص ٢١٠٦

(٣) البقرة : ٣٧ (٤) الأعراف : ٢٣

« لأن مشيئة الله - سبحانه - اقتضت أن يترك الكائن البشرى ، يشق طريقه بما رُكِبَ في فطرته من استعداد للخير والشر ، وبما وهبه من عقل مرجح ، وما أمد به من التذكير ، والتحذير على أيدي الرسل ، ومن الضبط والتقويم بهذا الدين ، كما اقتضت أن يتلقى الهداية والغواية ، وأن يصطرع في كيانه الخير والشر ، وأن ينتهى إلى إحدى النهايتين ، فتحق عليه سُنَّةُ الله ، وتحقق مشيئته بالابتلاء ، سواء اهتدى أو ضلَّ ، فعلى سُنَّةِ الله الجارية وفق مشيئته الطليقة يتحقق الهدى والضلال » (١) .

* * *

• الهبوط إلى الأرض :

هبط آدم عليه السلام وزوجه من الجنة في الملائكة إلى الأرض بعد المعصية ، وقبول توبيتهما بأمره تعالى .

قال تعالى : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا . فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (٣) .

وقد تبدلت حال آدم وزوجه بعد الهبوط عن حالهما وهما في الملائكة الأعلى ، فلم يعد آدم عليه السلام الذي يخالط الملائكة ، ويكلمهم ويكلمونه ، ويخاطبهم ويخاطبونه ، بل ويعلمهم ، وذلك لما يتمتع به من خصائص روحية عالية كما سبق . وإنما صار إلى الحال التي ورثناها عنه عليه السلام (٤) .

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٨ ص ١٢٦٧

(٢) طه : ١٢٣ - ١٢٤

(٣) البقرة : ٣٨ - ٣٩

(٤) البهي الخولي : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٦٤ - ١٨٨

فالقرآن الكريم لم يذكر بعد هبوط آدم عليه السلام أنه يرى الملائكة ، أو يسمعهم ، أو يكلمهم ، ويكلمونه ، أو يرى إبليس الذى أوقعه فى المعصية . وهكذا هبط آدم عليه السلام إلى الأرض ، ولكنه هبط خليفة لله فيها ، حاملاً النبوة لأبنائه ، فنزلت عليه صحف (١) ، لا كتب مقدسة ، ولم يكن من بين أولى العزم من الرسل .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَاهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ (٢) .
وعن أبى ذر قال : قلت : يا رسول الله : أى الأنبياء كان أول ؟ قال : « آدم »
قلت : يا رسول الله : نبي كان ؟ قال : « نعم نبي مكمم » (٣) .

« وقال بعض العلماء ، فى إنزال آدم عليه السلام إلى الأرض ، عقاباً له : إن هذا الإنزال لم يكن إنزال إهانة ، بل إنزال كرامة ، فإن كان آدم يعبد الله فى الجنة بالتعريف والتشريف ، فإنه أنزله إلى الأرض ليعبده بالتكليف ، فلما توفرت العبوديتان ، استحق أن يكون خليفة فى الأرض » (٤) .

ونزل معهما إبليس - لعنه الله - إلى الأرض حاملاً لواء المعصية والشر ، ليضم إليه من استطاع من بنى آدم عن طريق التزيين والإغواء لتكتمل عناصر الابتلاء والامتحان .

قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ، وَكَبَّاسُ الثَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ، ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ * يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتَهُمَا ، إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ، إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥) .

(١) محمد إسماعيل إبراهيم : قصص الأنبياء والرسل (مرجع سابق) ص ٣ .

(٢) طه ١١٥

(٣) رواه أحمد - المسند وبهامشه منتخب كنز العمال ، المكتب الإسلامى للطباعة والنشر - ج ٢

ص ١٧٨ - ١٧٩ ، ٢٦٥

(٤) محمد إسماعيل إبراهيم : قصص الأنبياء والرسل (مرجع سابق) ص ٢٩

(٥) الأعراف : ٢٦ - ٢٧

وكان التكليف الإلهي إبتلاءً وامتحاناً للإنسان ، لما يتمتع به من الحرية والإرادة ، وهو يعنى ترشيد حياة الإنسان عن طريق الرقابة الذاتية (الداخلية) ، والرقابة الخارجية (السلطة) ، وهما لا غنى للإنسان عنهما فى بناء الحياة على مستوى الفرد والمجتمع ، لتحقيق السعادة فى الدارين على أساس العمل الصالح .

قال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (١) .

وهبط آدم عليه السلام إلى الأرض وتصف الأخبار أن طوله ستون ذراعاً وعرضه سبعة أذرع ، ولا شك أن زوجه - حواء - تقارب هذا الطول والعرض (٢) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ، ثم قال : اذهب فسلم على أولئك من الملائكة ، فاستمع ما يحيونك ، تحيتك وتحية ذريتك ، فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله . فزادوه : ورحمة الله ، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن » (٣) .

وعلماء الطبيعة يرون أنه قد حدث قبيل وجود الإنسان انقراض لبعض الحيوانات الكبيرة برية أو بحرية أو برمائية عن وجه الأرض ، ويجعلون ذلك بسبب وجود عصر جليدى أو غيره حين ذاك (٤) ، ونحن نعلم أن الله تعالى قد استعمل عدة طرق فى علمية الإهلاك ، ولا ننكر وجود مثل ذلك .

(١) الملك : ٢

(٢) محمود شلى : حياة آدم (مرجع سابق) ص ٦٣

(٣) رواه البخارى فى كتاب الاستئذان ، باب : بدء السلام ، ج ٧ ص ١٢٥

(٤) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان . سلامة موسى للنشر والتوزيع - القاهرة ط ٣ (١٩٥٧ م) . ص ١٥٤

ولكن ننكر أن يكون له أثر فى عملية وجود الإنسان عن طريق التطور ، بسبب ذلك ، ولنساءل عن مهمتها قبل وجود الإنسان ، وبهذا الحجم ، ثم انقراضها عند ظهور الإنسان ، وهل هنالك مخلوقات مُكَلِّفة على الأرض قبل الإنسان ؟

وإن الجن قد سبقوا الإنسان فى الوجود على الأرض ، وهم مُكَلِّفون بالعبادة لله تعالى .

فهل ذلك يعود إلى طبيعة وخصائص الجن ؟

عن أبى هريرة رضى الله عنه « أنه كان يحمل مع النبى ﷺ إداوة (١) لوضوئه وحاجته ، فبينما هو يتبعه بها فقال : من هذا ؟ فقال : أنا أبو هريرة ، فقال : « ابغنى أحجاراً أستنفض بها ، ولا تأتنى بعظم ولا بروثة » ، فأتيته بأحجار أحملها بطرف ثوبى حتى وضعتها إلى جنبه ثم انصرفت حتى إذا فرغ مشيتُ معه فقلت : ما بال العظم والروثة ، قال : « هما من طعام الجن ... » (٢) .

ومهما يكن من أمر فإن إرادة الله تعالى نافذة فى ملكه .

قال تعالى : ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ (٤) .

وإن كان الله تعالى لم يرد مثل ذلك للإنسان رحمة منه بمشيئته تعالى ، فليس هنالك مانع من أن يكون أراد مثل ذلك لغيره من المخلوقات .

والله سبحانه وتعالى سَخَّرَ الأرض للإنسان . وقد يكون ذلك من التسخير الذى أرادته تعالى تهيئة لآدم عليه السلام ولذريته على الأرض .

(١) إداوة : اداة أى إناء وضوئه .

(٢) رواه البخارى فى كتاب مناقب الأنصار ، باب : ذكر الجن ، ج ٤ ص ٢٤٠ - ٢٤١

(٤) فاطر : ١٦ - ١٧

(٣) الواقعة : ٦٠ - ٦١

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَكَلِّبْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

وإن من المحتمل أن تكون هنالك تغييرات أخرى في الكون غير الأرض مع ظهور الإنسان على سطح الأرض .

قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

* * *

(٣) الجاثية : ١٣

(٢) الجاثية : ١٢

(١) الحج : ٦٥

الفصل الثاني

خلق ذرية آدم عليه السلام

يتبع خلق آدم وزوجه عليهما السلام ، خلق ذريتهما ، ونسلهم من ماء مهين ، ومن عناصر تكوينهم التراب ، لورائتهم الصفات الجسمية والعقلية والنفسية ، واصطفاهم الله تعالى ، ونفخ فيهم من روحه .

قال تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ، قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ، قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ (٥) .

(٣) النساء : ١

(٢) المؤمنون : ١٢ - ١٤

(١) السجدة : ٧ - ٩

(٥) الأعراف : ١٨٩

(٤) الأنعام : ٩٨

وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ (١).

لقد جعل الله تعالى التناسل وسيلة لبقاء النوع الإنساني على الأرض عن طريق التزاوج بين الذكر والأنثى ، وأنشأ بينهما المودة والرحمة .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

ولقد جعل الله الغريزة الجنسية فطرة إنسانية ، لا ترجع إلى إرادة الإنسان نفسه ، بل جعلها غريزة مستمرة مطردة مع الإنسان ، وتتطلب على الدوام إشباعها بعد البلوغ ، على العكس من بعض الحيوانات كالبقرة والخيول ... التي تشعر فى وقت معين بميل جنسى فى حاجة إلى إشباعه (٣) وذلك لما يتمتع به الإنسان من الإرادة فى عملية تنظيم إشباع هذه الغريزة ، بطريقة محددة ومشروعة - النكاح الشرعى - الذى من ثمراته النسل المحبب إلى النفس والمرغَّب فيه .

قال تعالى : ﴿ كَهَيْعَتِمْ * ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً * إِذْ نَادَى رَبُّهُ نَدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ مِنْ وَرَائِى وَكَانَتِ امْرَأَتِى عَاقِراً فَهَبْ لِّى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثْنِى وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ، وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ، وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ (٦) .

(٢) الروم : ٢١

(١) فاطر : ١١

(٣) خالص الحلبي : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ص ٦٨ - ٦٩

(٦) النحل : ٧٢

(٥) الفرقان : ٥٤

(٤) مريم : ١ - ٦

إن لعملية التزاوج بين الذكر والأنثى أهمية كبيرة فى الحياة الإنسانية ، لما يترتب عليه من وجود إنسان يختلف حتى عن والديه وإخوانه فى الصفات الجسمية والعقلية والنفسية فى بناء الحياة الإنسانية وإثرائها (١) .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ الْأَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّوَانِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً ، وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾ (٣) .

كما أن لعملية التزاوج غاية عظيمة فى بناء الحياة الاجتماعية ، لما تقوم به من تقسيم للمجتمع إلى وحدات إدارية صغيرة - الأسرة - تُبنى فى داخلها الكثير من العواطف والقيم والمثل المتوازنة داخل الأسرة من جهة ، وفى علاقة هذه الأسرة بالمجتمع من جهة أخرى .

ونحن نرى الوظائف المختلفة التى يحتاج إليها المجتمع فى شتى جوانبه ، التى تتطلب أن يُوضَعَ الإنسان المناسب فى المكان المناسب ، حسب قدراته واستعداداته .

والتشريع السماوى الصحيح يُطالب بذلك ، ويغمر النفوس بتقوى الله ، لتقتدر على القيام بواجبها ، بل ويُطالب كل فرد على حدة بأن لا يضع نفسه فى غير مكانه المناسب .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٥) .

(١) د . عبد الحافظ محمد حلمى : الوراثة . دار القلم بالقاهرة ، ١٩٦٣ م ، ص ٧٧

(٣) الشورى : ٤٩ - ٥٠ .

(٢) الروم : ٢٢

(٥) النساء : ١

(٤) الحجرات : ١٣

وعن ابن عمر أنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « كلِّمكم راع وكلِّمكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته - والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته - قال : وحسبتُ أن قد قال : والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته - وكلِّمكم راع ومسئول عن رعيته » (١) .

وإن الإنسان يرى في عملية الخلق عن طريق التزاوج الكثير من العبر والمواعظ ، حيث تجعله يرى مراحل خلقه على أطوار متلاحقة ، وبديعة ، الأمر الذي يجعل إعادة هذا الخلق بعد الممات أهون وأيسر من ابتدائه وإنشائه .

قال تعالى : ﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نَظْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ، وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (٦) .

* * *

● مراحل خلق ذرية آدم :

من خلال تتبع الآيات القرآنية المتصلة بهذا الموضوع نجد أن القرآن الكريم حدّد مراحل الخلق الأساسية في ثلاث :

(١) رواه البخارى فى كتاب الجمعة ، باب : الجمعة فى القرى والمدن ، ج ١ ص ٢١٥ .
 (٢) عبس : ١٧ - ٢١ (٣) الواقعة : ٥٨ - ٥٩ (٤) الروم : ٢٧
 (٥) العنكبوت : ١٩ (٦) يونس : ٣٤

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا * ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (١) .

حيث تنص الآية على مرحلة النطفة والعلقة والمضغة .

١ - مرحلة النطفة :

وهي أول مرحلة في خلق ذرية آدم عليه السلام ، والتي تتكون بالتزاوج بين الذكر والأنثى ، عن طريق تلقيح الحيوان المنوي للبويضة . فتتحد الخليتان -الحيوان المنوي والبويضة - في خلية واحدة ، تتكون من (٤٦) من الصبغيات ، أو الجسيمات الملونة ، لكل من الذكر والأنثى (٢٣) من الصبغيات (٢) ، فهذه الخلية هي النطفة والأمشاج ، حيث إنها تتكون من اختلاط الصبغيات لكل من الذكر والأنثى .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (٣) .
ف « أمشاج » بمعنى أخلاط (٤) .

وعن طريق تضاعف المواد المكوّنة للصبغيات في الخلية (النطفة) ، ينشطر كل جسم إلى قسمين متماثلين ، ثم تنقسم الخلية إلى خليتين ، ثم إلى أربع ، ثم إلى ثمان ، ... وهكذا (٥) . دون زيادة في حجم البويضة ، وتسير في البوق إلى الرحم ، بفعل تيارات مصلية (٦) .

(١) المؤمنون : ١٢ - ١٤

(٢) د . خالص جلي : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٦٢

(٣) الإنسان : ٢

(٤) الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن (مرجع سابق) ، ص ٤٦٩

(٥) د . عبد الغنى عبود : الإنسان في الإسلام والإنسان المعاصر . ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي ، ط ١ ، فبراير ١٩٧٨ م ، ص ٢٠

(٦) د . خالص جلي : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٦٢

وتظل هذه النطفة حرة فى الرحم ، حتى نهاية الأسبوع الأول منذ بدء عملية التلقيح ، لتنتهى بمرحلة العلقَة (١) .

قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّينَ لَكُمْ ، وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ (٣) .

وقد كانت العرب ، وبعض الأمم ، تعتقد أن تكوين الجنين إنما يكون من الرجل ، وليس للمرأة إلا الحمل والرعاية ... وليس كذلك ، بل إن الجنين يتكوّن من عملية التلقيح بين الحيوان المنوى للرجل والبويضة للأُنثى ، ليكوّنَا خلية واحدة - كما سبق - تحمل الصفات الوراثية لكل منهما ، وهى النطفة التى جاء وصفها فى القرآن الكريم بـ « نطفة أمشاج » (٤) .

ويحسن أن نقوم بشيء من التوضيح لكل من الحيوان المنوى والبويضة ، قبل أن نواصل الحديث فى مراحل الخلق .

(أ) الحيوان المنوى : إن الرجل يقذف فى القعدة الواحدة فيما بين

(١) عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان . دار المعارف ، القاهرة ، ج ١ ص ١٠٠ .

(٢) القيامة : ٣٦ - ٤٠ (٣) الحج : ٥

(٤) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن . الدار السعودية للنشر والتوزيع ،

ط ٢ ، ١٤٠١ هـ ، (١٩٨١ م) ، ص ٨٦

٢٠٠ - ٣٠٠ مليون حيوان منوى (١) ، وله رأس مُصْفَح مُدْبَّب من الأمام ،
وذيل طويل يُساعده على السباحة ، والحركة ، فى شق طريقه فى السائل المنوى
القلوى إلى أحد قناتى الرحم ، مكان وجود البويضة (٢) .

والحيوان المنوى يبلغ حجمه (٥٥ ميكرون) (٣) ، ويكون التلقيح مع حيوان
منوى واحد غالباً ، ورأسه (٥ ميكرون) ، وهو المهم فى عملية التلقيح (٤) .

وسبب كثرة الحيوانات المنوية ، أنها ليست كلها صالحة للتلقيح ، وما يتعرض
إليه الكثير منها من الموت ، بسبب وجود الإفرازات الحامضية فى مهبل المرأة ،
فلا يصل منها سالمًا معافى إلى قناة الرحم إلا خمسمائة حيوان منوى
تقريباً (٥) .

كما يجب الإشارة إلى أن السائل المنوى للرجل قلوى ، يُغذى الحيوانات
المنوية ، ويحميها من الموت بسبب الإفرازات الحامضية لمهبل المرأة قبل عملية
التلقيح ، كما يساعد على انتقالها من الحُصية إلى الرحم (٦) .

(ب) البويضة : وهى أكبر حجماً من الحيوان المنوى ، لما ستتحمله من
تغذية للجنين فى مرحلة « النطفة الأمشاج » حتى تصل إلى مرحلة العلقة .

وفى كل من الحُصية والمبيض تتكون خلايا تحتوى (٤٦) من الصبغيات ، ثم
تقوم بانقسام اختزالى إلى خليتين ، تحتوى كل خلية على (٢٣) من الصبغيات ،

(١) د . حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة) ط ٢ ، عالم الكتب ،

١٩٧٢ م ، ص ٧٦

(٢) د . خالص جليلى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٦٣

(٣) الميكرون : ١ على ١٠٠٠ من المتر .

(٤) خالص جليلى ، الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٦٣

(٥) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ٧٧

(٦) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ٧٦

بحيث إذا التقى الحيوان المنوى مع البويضة عند التلقيح ، يتكوّن منهما خلية تحتوي على (٤٦) من الصبغيات ، وتحمل الصفات الوراثية لهما بالتساوي (١) .

وإذا لم يكن التلقيح فى مدة أقصاها (٢٤ ساعة) منذ خروج البويضة من المبيض فإنها تموت ، ويبدأ المبيض فى الإعداد لإخراج بويضة أخرى (٢) .

وهذه الصفات الوراثية المختلطة بين الرجل والمرأة ، التى تنتقل إلى الأبناء دون تماثل بين الأصول والفروع ، بل إن كل من الأبناء تجده متميزاً عن الآخر على الرغم من أنهم جميعاً من أب وأم ولو كانوا توأمين (٣) .

وبما أن البويضة واحدة ، والحيوانات المنوية كثيرة جداً ، وهى ذات صفات وراثية مختلفة ، جسماً ، وعقلياً ، ونفسياً ، فإننا نُدرك مدى تدخل القُدرة الإلهية فى الاختيار بين هذه الحيوانات المنوية التى تُعد بالملايين ، ليقع التلقيح مع واحد منها فقط غالباً (٤) .

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « أما إن أحدكم إذا أتى أهله وقال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فرزقنا ولدأ لم يضره الشيطان » (٥) .

(١) د . عبد الحافظ محمد حلمى : الوراثة (مرجع سابق) ص ٧٧

د . فؤاد البهى السيد : الأسس النفسية للنمو (من الطفولة إلى الشيخوخة) . دار الفكر العربى ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٧٥ م ، ص ٣٧

(٢) د . خالص جلى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٧٢

(٣) د . خالص جلى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٧٢

د . عبد الحافظ محمد حلمى : الوراثة (مرجع سابق) ص ٧٧

د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٠٠

(٤) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ٧٨

د . فؤاد البهى السيد : الأسس النفسية للنمو (مرجع سابق) ص ٣٧ - ٣٨

د . عبد الحافظ محمد على : الوراثة (مرجع سابق) ص ٧٧

(٥) رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق ، صفة إبليس وجنوده ، ج ٤ ص ٩١

كما وجد علم الأجنة - أن الحيوان المنوى هو الذى يُحدّد جنس الجنين ، وأن رأس الحيوان المنوى المذكور يتصف باللمعان (١) كما تتصف البويضة بأنها كالبدر ، وذو تاج مُشع (٢) .

فالحيوان المنوى يحتوى على (٢٣) من الصبغيات ، منها (٢٢) من الصبغيات تتعلق بالصفات الجسمية ، و (١) من الصبغيات يتعلق بجنس الجنين ولقد رمز علم الأجنة لصبغة الذكر (ليا) ، والأنثى (X) ، أما البويضة فلا تحمل إلا جنساً واحداً من الصبغيات (X) فإذا اتحد حيوان منوى يحمل صبغة الذكر (ليا) مع بويضة كان الجنين مذكراً ، وإذا اتحد مع البويضة حيوان منوى ذو صبغة (X) كان الجنين مؤنثاً ، فالخلية المكوّنة للمذكر يُرمز لها ب (ليا X) ، والمؤنثة ب (XX) (١) .

قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نَظْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمنَى * ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ فَخْلَقَ قَسَوَى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ (٤) .

ويحسن هنا أن نتساءل عن المراد بـ « مَنِيٍّ يُمنَى » هل المراد به السائل المنوى للرجل الذى يحمل الحيوانات المنوية من الخصية إلى الرحم ، ويغذيها ؟ وهل للمرأة سائل منوى له علاقة فى الحمل ؟ وكما سبق فإن إفرازات المهبل الحامضية ليس لها علاقة فى تكوين الجنين ، وإنما أهميتها تكمن فى حماية المهبل والرحم من الجراثيم وفى تسهيل عملية ولوج قضيب الرجل ، وعلى ذلك فإن تكوين النطفة ليس له علاقة فى إفرازات المهبل ، كما أن إفرازات عنق الرحم القلوية

(١) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ٦٥

(٢) د . خالص جليلى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٦٩

(٣) د . خالص جليلى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٧٧ بتصرف

(٤) القيامة : ٣٦ - ٤٠

ليس لها علاقة فى تكوين الجنين ، وإن كانت تُساعد وتُغذى الحيوانات المنوية بالإضافة إلى إفرازات الرجل القلوية (١) ، حيث لا يلزم وجودها .

ولذلك نستبعد أن تكون مرادة فى نص الآية فى قوله تعالى : ﴿ نُطْقَةٌ مِنْ مِّنَى يُمْنَى ﴾ .

وعلى هذا يكون المراد بها السائل المنوى للرجل فقط ، لأنه هو الذى يحمل ويُغذى الحيوانات المنوية من الخصية إلى الرحم ، والتي سيتحد واحد منها غالباً مع البويضة ، وتكون هنالك إشارة إلى مَنَى الرجل حيث إنه لا يمكن التكوين لواحد منهما دون الآخر ، فاكتفى بذكر ماء الرجل ، ويكون المراد بالمَنَى فى الآية السائل المنوى للرجل والضمير فى قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ . يعود إلى السائل المنوى للذكر ، وعلى هذا فهو الذى يرجع إليه تحديد جنس الجنين ، كما ثبت ذلك فى علم الأجنة .

وقد يقول قائل : إن البويضة تخرج من المبيض بفعل انفجار حويصلة إجراف (٢) ، المليئة بالماء الأصفر ، عند نموها وامتلائها بسائل هرمونى ، يساعد البويضة على الانتقال إلى بوق قناة الرحم ، وهذا السائل يساعدها على الانتقال والحركة ، ويُغذيها ، فمهمته هى مهمة السائل المنوى للرجل (٣) .

وإنه يجب معرفة أن هذا السائل المندفق من المبيض يكون مرة واحدة فى الشهر ، وأن هذا السائل يندفق إلى نسمة البطن ، ويشير الميل الجنسى لدى المرأة (٤) ، وعلى هذا فإن هنالك لكل من الرجل والمرأة ماءً دافقاً يتعلق

(١) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ٣٩ .

د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٦٦

(٢) حويصلة إجراف : كيس يمتلىء بالسائل بين البويضة والخلايا المحيطة بها ، وينمو حتى ينفجر فتخرج منه البويضة . أنظر : د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٧ .

(٣) د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٧٢

د . عبد الوهاب حمودة : القرآن وعلم النفس . دار القلم بالقاهرة ، ١٩٦٢ م ص ٤٩ - ٥٣

(٤) د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٧ .

بالحيوان المنوى والبويضة اللذين منهما يتكوّن الجنين ، ويمكن أن يُستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ (١) .

ولكن فى قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكْ نُطْفَةٌ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عُلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ (٣) .

فإن فى « جعل » المراد بـ « خلق منه الزوجين الذكر والأنثى » ماء الرجل يكون له معنى زائد ، وهو أن الرجل هو الذى يُحدّد جنس الجنين ، وهو ما يتفق مع علم الأجنة .

وإن وصف الماء بـ « مهين » فى قوله تعالى : ﴿ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴾ لا يمكن أن يلحق ماء المرأة الذى يخرج فى كل شهر مرة ، ولا علاقة له بالجماع ، كما أن الإنسان لا يراه ، بحيث يكون مهين أو محتقر عنده ، إنما الذى يراه ، ويحتقره ، ويسكبه بفعله ، هو السائل المنوى للرجل ، أما سائل المهبل الحامضى للمرأة ، والذى يظهر أثناء الجماع فلا علاقة له فى تكوين الجنين .

ومن هنا نُرجّح أن يكون المراد بـ « الماء المهين » ماء الرجل ، وكذلك « مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى » لما يتضمنه من معنى زائد ، وصحيح .

كما يجب الإشارة إلى أن مصدر تكوين الحيوان المنوى والبويضة الخصية والمبيض ، اللذان يرتبط شريانها ، ووريدهما ، وأعصابهما فى موضع بين الصلب (العمود الفقري) والترائب (الأضلاع) ، ومنهما يكون تغذيتهما ،

(١) الطارق : ٥ - ٧ (٢) القيامة : ٣٦ - ٤٠ (٣) المرسلات : ٢٠ - ٢٣

وإدارة شؤونهما (١) ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ (٢) .

وذكر الإمام القرطبي في تفسيره أن الحسن قال : المعنى يخرج من صلب الرجل وترائب الرجل ، ومن صلب المرأة وترائب المرأة (٣) .

وإن بعض المفسرين قد جعلوا المقصود بـ «الصلب» صلب الرجل ، و « الترائب » أضلاع المرأة ، إلا أن هذا سببه يرجع إلى أنهم لم يصلوا إلى ما وصل إليه العلم الحديث في علم وظائف الأعضاء (٤) .

ولكن يظل القرآن في إعجازه لكل زمان ومكان ، فيما ورد فيه من جوانب علمية ، والذي يثبت أنه من لدن حكيم خبير ، ولم يكن من صنع البشر .

٢ - العلقه :

وهكذا تم التلقيح بين الحيوان المنوى والبويضة في خلية واحدة ، وقامت بالانقسام المتتالي ، إلى أن تصبح كثمرة التوتة تسمى بالكرة الجرثومية ، وحجمها لا يزيد عن ربع مم (٥) ، وعندئذ يأتي دور العلقه ، حيث تعمل على العلق والتشبث (٦) ، في جدار الرحم الخلفي ، وبالذات في النصف العلوي منه (٧) ، وذلك في نهاية الأسبوع الأول من عملية التلقيح (٨) .

(١) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ٥٤

(٢) الطارق : ٥ - ٧

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٨ ص ٦٤

(٤) الزمخشري : الكشاف (مرجع سابق) ج ٤ ص ٢٤١

أبو السعود : تفسير أبي السعود (مرجع سابق) ج ٩ ص ١٤١

(٥) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٠٧

(٦) الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٣٤٣

(٧) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٠٣

(٨) عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ج ١ ص ١٠٠

وهنا تتميز الخلايا أو الكرة الجرثومية إلى طبقتين (١) :

(أ) طبقة خارجية : وتتكون من خلايا أكلة ومغذية على شكل زغابات ، لتقوم بعملية قضم الجدار الرحمي الخلفي ، لتصل إلى الدم الغليظ ، لتأمين غذائها وغذاء الجنين ، مما يحتاجان إليه من الماء ، والسكريات والنشويات إلخ ، وينسكب الدم على شكل برك حول هذه العلقة .

(ب) طبقة داخلية : وهى جزء صغير من العلقة ، يتكون منها الجنين .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ ، وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ (٢) .

فإن هناك من علماء التفسير من جعل ﴿ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ صفة للنطفة (٣) أى نطفة مُخَلَّقَةٍ وغير مُخَلَّقَةٍ .

فهل يكون المراد : أن النطفة تتميز عند العلوق بجدار الرحم إلى قسمين ، جزء مُخلَّق ، وهو الطبقة الداخلية ، والتي يكون منها تكوين الجنين ، والجزء الآخر غير مُخلَّق ، وهو الذى يتكون من الخلايا الأكلة والمغذية ، إلا أننى أميل إلى أن ﴿ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ صفة لمُضْغَةٍ كما سيأتى إن شاء الله .

ومن هنا يرى العلم الحديث أن كل خلية ، أو طائفة من الخلايا ، من الطبقة الداخلية ، تختص فى بناء جزء معين فى تكوين الجنين ، والتي كان مجموعها من خلية واحدة (٤) .

(١) د . خالص جلى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٧٥ .

د . محمد على البار : خلق الانسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٠٩ .

(٢) الحج : ٥

(٣) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٣ ص ٤٣٦

(٤) د . حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو (مرجع سابق) ص ٨٢ - ٨٥

ويلارد أولسون : تطور نمو الاطفال ، ترجمة د . إبراهيم حافظ وآخرين ، عالم الكتب ، ١٩٦٢م ، ص ٧٧

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (١) .
 وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) .

« والعَلَقَةُ في اللُّغَةِ : علق الشيء بالشيء : نشب فيه ، واستمسك به ، وعلق فلاناً : تمكن جبه في قلبه ... والمُعلِّقَةُ : التي لا يعاشرها زوجها ولا يُطلقها » (٣) .
 فالمفسرون حينما يُفسرون العَلَقَةَ بالدم الجامد ، أو الدم الغليظ (٤) إنما يعتمدون على التشخيص بالعين المجردة ، والعَلَقَةُ في بداية نموها لا تُرى بالعين المجردة ، وتكون محاطة بالدم الغليظ كما سبق .

والعلم الحديث عندما يكشف الحقيقة ، بما أوتى من وسائل التشخيص الدقيقة ، فإنه لا يستطيع أن يلوم المفسرين على تشخيصهم ، خاصة أنهم لم يبعدوا كثيراً عن الحقيقة ، ولكن يظل الإعجاز للقرآن الكريم (٥) .

٣ - مرحلة المَضْغَةِ :

إن الجنين يواصل نموه ، وكل حلقة تليها حلقة أخرى متواصلة دون انفصال ، والمضغَة تختلف بحسب الماضيين (٦) ، كما أن حجم الجنين في هذه المرحلة يختلف من جنين لآخر ، وذلك للاختلاف في عملية النمو من إنسان لآخر .
 فالجنين حتى بداية الأسبوع السادس - منذ بدء عملية التلقيح - يشبه كثيراً

(١) الانفطار : ٦ - ٨ (٢) آل عمران : ٦

(٣) محمد إسماعيل إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (مرجع سابق) ص ٣٥٢

(٤) الزمخشري : الكشاف (مرجع سابق) ج ٣ ص ٥

البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (مرجع سابق) ص ٤٣٩

(٥) د . محمد علي البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٠٧

(٦) الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٤٦٩

جنين الزواحف والقردة والخنزير والأرانب وغيرها (١) ، وطوله في هذه المرحلة (٥ سم) تقريباً (٢) .

وفي بداية الأسبوع السابع تتضح المعالم الرئيسية للجنين ، الرأس والعينان ، وبزاعم الأطراف (٣) .

وفي الأسبوع السابع والثامن يبدأ ظهور مراكز العظام بطريقتين وهما (٤) :

(أ) عظام غضروفية : وهي تتكوّن في البداية من الغضاريف ، ثم يحل محلها بالتدرج العظام ، عن طريق القيام بامتصاص الغضاريف ، مثل عظام الأطراف ، والعمود الفقري ، وجزء من قاع الجمجمة .

(ب) عظام غشائية : حيث تنمو العظام على رفاق غشائي ، دون أن يسبقه مرحلة ظهور الغضاريف ، مثل عظام الجمجمة .

وهكذا تظهر العظام وتنتشر ، ثم يكسوها اللحم (العضلات) ، وتتصل العضلات بالأعصاب .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ، وَنُقِرَّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ (٥) .

(١) د . خالص جليبي : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٧٦

د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٣٨

سميح عاطف الزين : آدم والتكوين (مرجع سابق) ٤١ - ٤٢

(٢) د . خالص جليبي : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٧٧

(٣) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٤١ .

عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ج ١ ص ١.٢ - ١.٣

(٤) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٤٨ - ١٥٣

د . خالص جليبي : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٧٥

(٥) الحج : ٥

(٤ - الإنسان)

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا * ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

ويتضح من الآية الثانية ، أن بداية مرحلة المضغة تسبق ظهور عظام جسم الجنين ، فهل يكون المراد من وصف المضغة بـ « مُخَلَّقةٌ وَغَيْرُ مُخَلَّقةٌ » ما قبل الأسبوع السابع ؟ والتي يكون فيها الجنين يشبه جنين الزواحف والخنزير ... إلخ بحيث يكون المراد بـ « مُخَلَّقةٌ » أنها مرحلة من مراحل الخلق ، فـ « مُخَلَّقةٌ » فيها معنى الكثرة ، فما تتابع عليه الأطوار فقد خُلِقَ خلقاً بعد خلق ، وإن كان نُطفة فهو مخلوق ، « وغير مُخَلَّقة » من جهة التصوير ووضوحه (٣) .

ولعل في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ (٤) ، ما يشير إلى المرحلة التالية في الأسبوع السابع والثامن ، والتي تتضح فيها المعالم الرئيسية للجنين ، وتميزه عن تلك المرحلة السابقة ، فيما قبل الأسبوع السابع ، وذلك لأن حسن الخلق والتصوير تبدأ وتتحدد من هذه المرحلة إلى خروجه طفلاً (٥) .

فكان في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ إشارة إلى ظهور الصورة المميزة للإنسان عن غيره من الحيوانات والطيور ... وأي صورة أحسن من هذه الصورة ! فالنطفة ، والعلقة ، والمضغة كل منها مُخَلَّقة وطور من أطوار

(٢) البقرة : ٢٥٩

(١) المؤمنون : ١٢ - ١٦

(٣) الشوكاني : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٣ ص ٤٣٦

(٤) المؤمنون : ١٤

(٥) د . خالص حلي : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٧٨

الخلق^(١) . فإن فى ظهور العظام وكسوها باللحم تمييزاً واضحاً للإنسان عن تلك الصورة السابقة ، وإن علم الأجنة - فى العصر الحديث - حينما يكتشف أن بداية التصوير للجنين تقع فى الأسبوع السابع منذ بداية التلقيح ، فإن السنة النبوية قد جاء فيها ما يثبت ذلك .

عن حذيفة بن أسيد الغفارى رضى الله عنه أنه قال : ... سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال : يارب ! ذكر أم أنثى ؟ فيقضى ربك ما يشاء ... » (٢) .

ولقد تعرض القرآن الكريم إلى مراحل خلق الإنسان بأساليب مختلفة ، فمرة يذكر المراحل الثلاث ، وأخرى يذكر مرحلتين ، أو مرحلة واحدة منها ، ومن هذه المراحل إلى مرحلة تمام الخلق ، فالقرآن تناول الخلق فى كل مرة من زاوية لتكتمل الصورة ، وذلك لحكمة بيانية وبلاغية ، لما يحققه هذا الأسلوب من العبرة والموعظة فى إثبات القدرة الإلهية فى مخلوقاته ، والتي يرفضها الملحدون ، لقصور عقلى أو عناد أو غرور .

فالعبرة والموعظة هى هدف القرآن الأول ، إذ ليس هو كتاب أحياء أو طب ، وإنما يذكر شيئاً من ذلك للتحدى .

كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَكِنْ رُدُّدْتُ إِلَى رَبِّي لِأَجْدُنْ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (٣) .

ففى هذه الآيات نقلتان رائعتان فى الخلق ترسم فى الذهن ثلاث مشاهد فى مراحل خلق الإنسان : تراب ، ونطفة ، ورجل .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٢ ص ٤٤٠١

(٢) رواه مسلم فى كتاب القدر ، حديث ٣ ، ج ٤ ص ٣٧ .

(٣) الكهف : ٣٦ - ٣٨

فالتراب - الجماد - الذى يمشى عليه ، ويُباع بأبخس الأثمان .. إنه هو أصل الإنسان ، لأنه يتغذى منه ، عن طريق النباتات والحيوانات ، حيث إن النباتات تمتص عناصرها من التراب . كما أن الحيوانات تتغذى على النباتات ، وبالتالي فإن عناصر الإنسان هى عناصر التراب (١) .

فهذه العناصر المتمثلة فى الغذاء تمتصه المعدة ، والأمعاء ، ثم يتحوّل إلى دم ، ثم غذاء لجميع أجزاء الجسم بما فيه الخصية والمبيض ، والذى فيهما يتكوّن الحيوان المنوى والبويضة ، فانظر إلى هذا التراب كيف تحوّل إلى حيوان منوى وبويضة ، وانظر إلى النطفة التى تتكوّن من اتحاد الحيوان المنوى والبويضة فى خلية واحدة لا تُرى بالعين المجردة ، هذه النطفة التى لم ترس بعد فى مقر لها فى الرحم ، ثم انظر إلى الإنسان التام الخلق .

كيف تحوّلت هذه الخلية الواحدة التى لا تُرى بالعين المجردة إلى إنسان ، ذى خلايا مختلفة ، خلايا عصبية ، وخلايا عظمية ، وخلايا عضلية ... (٢) إلخ ، كيف تميزت هذه الخلايا المختلفة من خلية واحدة ذات صفات جسمية مختلفة .

إن العلم الحديث رغم ما أوتى من وسائل التشخيص لم يصل حتى الآن إلى تعليل علمى دقيق (٣) ، مع أنها أمور تقع عليها الحواس ، وإنما يقفون أمام ذلك مشدوهين ، فهذا الإنسان من جانبه المادى ، فما موقفهم أمام جانبه الروحى ، الذى لا تقع عليه الحواس ؟ إن العبرة والموعظة ستكون أكبر بكثير .

وكقوله تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ، قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٤) .

(١) الكيس كارييل : الإنسان ذلك المجهول - ترجمة شفيق أسعد فريد ، مكتبة المعارف بيروت ، ١٩٧٤ م ، ص ١٠٥ .

(٢) د . حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمر (مرجع سابق) ص ٧٩ .

(٣) عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ج ١ ص ١٠٤ .

(٤) السجدة : ٧ - ٩ .

كما أن فى هذه الآيات نقلة رائعة فى الخلق ، من الماء المهين الذى يسكبه الإنسان ، ويحتقره ، فإذا سوّاه الله تعالى ونفخ فيه من روحه ، فإذا هو بعد ذلك إنسان ، يتصف بالسمع والأبصار والأفئدة ...

فمن الحالة التى كان عليها الإنسان قبل تكون النطفة « ماء مهين » إلى حالة تمام الخلق ، فتأمل ... وستجد الكثير الكثير مما يُحير العقول ، وستجد العبرة والموعظة فى ذلك ، والتى هى هدف القرآن .

كما أن السجع فى « من طين » و « ماء مهين » يودى إلى حسن فى النغم الموسيقى للعبارة ، والذى له أثر فى البيان ، لوقوعها موقعها ، لأن علو الفواصل القرآنية فى البلاغة أنها واقعة فى موقعها .

فالمعنى هى المقصود الأول ، والألفاظ يحسن نغمها وموسيقاها لأنها تابعة لذلك .

وكتوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴿ (١) .

فهذه النطفة الأمشاج أو الأخلاط (٢) ، التى تتكوّن من (٢٣) من الصبغيات من الذكر ، و (٢٣) من الصبغيات من الأنثى ، فأين السمع والبصر وغيرهما قبل التقاء الحيوان المنوى مع البويضة ، هل هى مع الحيوان المنوى أم مع البويضة أو معهما ؟

ولكن من هذه النطفة الأخلاط من الذكر والأنثى نجد الإنسان التام الخلق فى أحسن صورة ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

(١) الإنسان : ١ - ٣

(٢) محمد إسماعيل إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (مرجع سابق) ص ٤٩٨

وكقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ، تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ، لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿ (٢) .

فهذه النطفة لم تستقر بعد في الرحم ، وهي تبدأ من خلية واحدة ، إلى أن تصبح عدة خلايا كالكرة الجرثومية ، وغذاؤها معها ، ولكن سينفد خلال أسبوع من عملية التلقيح ، من ذا الذي هداها إلى أن ترسو في النصف العلوي من جدار الرحم الخلفي ، لتواصل مسيرة النمو ؟ (٣) .

إن في هذا التحول من النطفة إلى رجل يخاصم في أمره بعد أن كمل نموه ، وينكر فضل الله تعالى عليه ، ما يرشده إلى أن يبحث في أصله في مرحلة النطفة ، أين كانت قدراته الجسمية ، والعقلية ، والنفسية ، التي يتمتع بها الآن ؟

وكقوله تعالى : ﴿ أَقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿ (٤) .

فالأيات الكريمة تذكر مرحلة من مراحل الخلق ، وتطوى المراحل الأخرى بهدف إظهار القدرة الإلهية ، وفضل الله تعالى على عباده .

وذلك بأن ينظر الإنسان بين مرحلة تمام الخلق ، ومرحلة العلق ، فالعلق الصغيرة في الحجم (٥ مم) (٥) وتتشبث في جدار الرحم الخلفي لتنمو وتتميز إلى خلايا مختلفة ، خلايا عصبية ، وعضلية ، وعظمية ... (٦) ... إلخ ، من

(١) النحل : ٣ - ٥ (٢) يس : ٧٦ - ٧٨

(٣) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٠٣

(٤) العلق : ١ - ٥

(٥) د . خالص حلي : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ، ص ٧٧

(٦) د . حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو (مرجع سابق) ص ٧٩

ذا الذى هداها إلى هذا ؟ فتخرج إنساناً كاملاً ، ذا إمكانيات هائلة فى الإدراك والتعلم ... وإن ذلك يرجع إلى إمكانيات كامنة فى العَلقة .

وإن الجناس بين « خلق » و « علق » يؤدى إلى حسن فى النغم ، والموسيقى ، مما يكون له زيادة فى البيان فى هز القلوب ، لتحقيق العبرة والموعظة ، فهو يُكَمِّل هدف الآيات .

وليست الموسيقى والنغم هى الهدف ، حيث إن بلاغتها وسموها فيه إنما هو بوقوعها فى موقعها .

* * *

● فى ظلمات ثلاث :

قال تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ، يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾ (١) .

لقد اختلف المفسرون فى تحديد المراد بـ « ظلمات ثلاث » - قديماً وحديثاً - فمنهم من حدّد الظلمات بعد عملية التلقيح بين الحيوان المنوى والبويضة ، ولعل أهمها (٢) :

(أ) ظلمة البطن ، والرحم ، والمشيمة .

(ب) ظلمة المشيمة ، والرحم ، والليل .

(ج) ظلمة غشاء السلى ، والمشيمى ، والساقط (٣) .

(١) الزمر : ٦

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٧ ص ٥٦٨ .

الزمخشري : الكشاف (مرجع سابق) ج ٣ ص ٣٨٨

(٣) د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ، ص ٨٠ .

وإن بعضهم حدّدها من مرحلة ما قبل عملية التلقيح إلى ما بعدها ، ولعل أهمها:

(أ) ظلمة صلب الرجل ، والبطن ، والرحم ^(١) .

(ب) ظلمة المبيض ، وقناة الرحم ، والرحم ^(٢) .

ف « فى بطون » متعلق بـ « يخلقكم » وكذلك الجار والمجرور فى « فى ظلمات ثلاث » ^(٣) ، ومن هنا يكون المعنى المراد بـ « من بعد خلق » أحد الاحتمالات التالية :

(أ) إنه خُلِقَ فى مراحل متتالية بعد عملية التلقيح بين الحيوان المنوى والبويضة : نُطفة ، علقّة ، مُضغة ... فى ظلمات ثلاث ، وهى : ظلمة البطن ، والرحم ، والمشيمة .

والمشيمة فى مرحلة النُطفة وجزء من مرحلة العلقّة تتمثل فى الطبقة الخارجية منهما ، حيث يتكوّن منها الغشاء المشيمى ، والتى سبق وأن أوضحناها فى مرحلة العلقّة .

ويمكن أن يكون المراد : أنه خُلِقَ خلقاً متتالياً فى مراحل قبل وبعد عملية التلقيح فى ظلمات متفرقة ، وهى ظلمة صلب الرجل ، والبطن ، والرحم ، أو القول بأنها ظلمة المبيض ، وقناة الرحم ، والرحم .

(ب) إنه خُلِقَ سابق لمرحلة الخلق فى بطون الأمهات ، وهو خلق الحيوان المنوى والبويضة ، ثم خلق الجنين فى ظلمات ثلاث وهى : ظلمة البطن ، والرحم ، والمشيمة .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٧ ص ٥٦٨ .

(٢) عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ج ٧ ص ٨٥ حاشية .

(٣) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٤ ص ٤٥ .

(ج) أن الخلق فى بطون الأمهات فى ظلمات ثلاث تسبقه مرحلة من الخلق، وهى النطفة ، وجزء من مرحلة العلقة ، قبل ظهور هذه الظلمات ، وهى غشاء السلى ، والغشاء المشيمى ، والغشاء الساقط . وهى تتكون بالتعاون بين الطبقة غير المخلقة فى العلقة والرحم .

بل هل يجوز أن يكون الجار والمجرور « فى ظلمات ثلاث » متعلق به «خلق» فى « من بعد خلق » وتكون الظلمات الثلاث سابقة للخلق فى بطون الأمهات ، وأن يكون الحيوان المنوى والبويضة فى ظلمات ثلاث مع بعضها ، أو متفرقة حيث تكون مراحل للتكوين وكل مرحلة فى ظلمة كالتخصية للرجل ، والمبيض للمرأة ، والصلب والترائب والقلب لهما مثلاً .

والراجع - والله أعلم - أن المراد بالظلمات الثلاث : ظلمة البطن ، والرحم ، والمشيمة ، لأنها ظلمات للجنين من بداية الخلق فى بطون الأمهات ، ولأن بداية خلق الإنسان إنما هو بالتقاء الحيوان المنوى بالبويضة ، ليكونا النطفة ، ثم تتحول إلى علقة ثم مضعفة ... فهو خلق فى مراحل متتالية .

وليس هنالك مانع من أن يكون فى قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ إشارة إلى أن هذه الظلمات يسبقها خلق للحيوان المنوى والبويضة قبل خلق الجنين فى هذه الظلمات .

أما الأقوال الأخرى فمرجوحة لما يأتى :

(أ) إن ظلمة الليل ليست خاصة بالجنين ، وأنها ليست دائمة .

(ب) أما القول بأن الظلمات الثلاث هى ظلمة صلب الرجل ، والرحم ، والبطن ، فإنه يوزع الظلمات بين ما قبل عملية التلقيح وما بعدها .

كما أن صلب الرجل جزء من الخلق ، وماذا عن صلب المرأة
وتراثها ، أو المبيض ؟

وكذلك القول بأن المراد بها ظلمة المبيض ، وقناة الرحم ، والرحم ، فإنه خص
الخلق فى تكوين وخروج البويضة ، وهو جزء من الخلق ، فماذا عن
الحيوان المنوى ؟

ولقد تعرفنا فى الفصلين السابقين على وجهة نظرة القرآن الكريم والعلماء
المخبرين فى تكوين الإنسان .

فما هى وجهة نظر بعض علماء الطبيعة من الماديين ؟

* * *

الفصل الثالث

فرضية التطور والتكوين

إن فرضية التطور ترى أن جميع الأنواع المختلفة من الأحياء ترجع إلى أصل واحد ، أو أصول متعددة (١) .

وإن الأحياء تطوّرت من أحياء بدائية ذات خلية واحدة كالأميبية والجراثيمة إلى أحياء مختلفة ، تحتوى على ملايين من الخلايا .

فالأحياء كلها - النباتات ، الحيوانات - تتكوّن من خلية واحدة ، أو من مجموعة خلايا ، وإن هذه متطورة من الأولى .

والإنسان لا يتعدى فى تكوينه عن مجموعة من الخلايا التى لا تُحصى (٢) .

فالأحياء تطوّرت - عند التطوريين - من خلية إلى أحياء ذات خلايا ، إلى أن وصلت إلى الثدييات ، ثم إلى حيوان شبيه بالإنسان (الحلقة المفقودة) ، ثم إلى الإنسان الحالى (٣) .

فالأحياء تتطوّر من مادة غير عضوية إلى أحياء مائية ، ثم إلى أحياء برمائية، ثم أحياء برية ، ثم إلى الإنسان (٤) .

(١) محمد جعفر شمس الدين : دراسات فى العقيدة الإسلامية - دار الكتاب اللبنانى ، دار الكتاب المصرى ، ط ١ ، ١٩٧٧ م ، ص ١٠٥

(٢) تشارلز داروين : أصل الأنواع ، ترجمة إسماعيل مظهر . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ج ١ ص ٣٩

(٣) د . أنور عبد العليم : قصة التطور . دار القلم ومكتبة النهضة ، ص ٣٤
د . عادل العوا : الإنسان ذلك المعلوم . منشورات عويدات ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٢ م ،

ص ٢٠٤

(٤) د . أحمد العسال : الإسلام وبناء المجتمع ، دار القلم ، الكويت ، ط ٤ ، ١٤٠١ هـ

(١٩٨١ م) ، ص ١٩

وإن هذه الأحياء قد تطوّرت في الحواس ، من ذى حاسة إلى أن وصلت إلى الحيوان ، بما فيه الإنسان ذو الحواس الخمس (١) .

وكذلك الدماغ تطوّر في حجمه إلى أن وصل إلى ما وصل إليه عند الإنسان ، مما ترتب عليه زيادة في القدرات العقلية ... (٢) .

وتعتمد نظرية التطور على قانون أساسى وهو « قانون تنازع البقاء » وثلاثة قوانين ثانوية وهى :

(أ) قانون الملازمة بين الحى والبيئة الخارجية .

(ب) قانون استعمال الأعضاء أو عدم استعمالها تحت تأثير البيئة .

(ج) قانون الوراثة (٣) .

فكانت الأحياء ذات الخلية الواحدة بحجم كبير فى التعداد ، بينما الغذاء قليل بالنسبة إلى عددها ، مما جعلها تتقاتل من أجل البقاء فى الاستحواذ على الغذاء ، وبالتالي فإن الفائز منها هو الأقوى ، وهو الأصلح للبقاء (انتخاب طبيعى) .

كما أن فقر الأرض فى الغذاء جعل الأقوى هو الذى يستطيع أن يتنقل بحثاً عن الغذاء ، فكان هو الأصلح للبقاء .

وكذلك الأسماك فإن جفاف الأنهار فى وقت دون وقت جعل البقاء للأصلح ، وذهب الضعيف ، فمن كانت رئته أكبر كان أصلح للبقاء ، لاختزانه الماء فى رئته حتى عودة المياه إلى الأنهار .

(١) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ١٤٣ - ١٤٥

(٢) د . حسن زينو : التطور والإنسان ، دار الدعوة ، ط ١ ، ١٣٩١ هـ ، ص ١١٥ - ١١٦

(٣) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة . دار المعارف ، القاهرة (ج . م . ع) ، ١٩٥٧ م ،

كما أن السمكة - أو نسلها - التى كبرت رثتها - وتحملت نقصان الماء بنفس الأسلوب يجعلها مع السنين تستطيع أن تخرج تزحف خارج الماء كحيوانات برمائية .

وإن التى خرجت من الماء ، أو جف النهر عنها ، تتنازع فى البقاء ، لمن تستطيع أن تتحمل البقاء فى اليابسة كحيوانات برية (١) .

ف « الحيوانات التى نزلت الماء نشأت لها زعانف ، وذبول ، وخياشيم .
والتي اقتحمت الهواء نشأت لها أجنحة ، وريش ، وأجسام انسيابية خفيفة .
والحيوانات التى اختارت الأرض لتدب عليها نشأت لها أذرع ، وأرجل ،
وأصابع .

وهكذا تعددت الأنواع ، ونشأت تصانيف مختلفة من الحيوانات ، كل منها مجهز ليواجه بيئته ، وتطورت الحياة التى بدأت بخلية واحدة تقوم بكل الوظائف إلى حيوانات عديدة الخلايا راقية متخصصة ، ونشأ الحيوان الذى يستطيع أن يواجه بيئته الصعبة المعقدة ، ويعيش فيها ، ويصارعها .

وفى أثناء هذا الصراع الطويل كانت الأنواع التى تعجز عن التكيف تموت ، وكانت الأنواع التى تثبت صلاحيتها وملاءمتها تعيش ، وبهذا قامت الطبيعة بنفسها بعملية اختيار الأفضل ، والأنسب ، واستبعاد الأضعف ، والأقل ملاءمة « (٢) .

« وبديهي أننا لا ننتظر أن نرى هذه الآثار ظاهرة قوية ، أى بقوة ما نرى من

(١) لهنتر ميد : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ، ترجمة د . فؤاد زكريا ، دار نهضة مصر ، ١٩٦٩ م ، ص ١١٠ .

سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٧ .

روزنتال وآخرون : الموسوعة الفلسفية . دار الطلبة ببيروت ، ط ٤ ، ١٩٨١ م ، ص ١٩٣ ،

(٢) د . مصطفى محمود : لغز الحياة . دار النهضة العربية ، ط ٤ ، ١٩٧٣ م ص ٧٩ - ٨٠ .

الآثار التى يتركها الأب للابن ، فأثار الوراثة تضعف ، وتكاد تتلاشى بنسبة بعد الفرد الذى نرث عنه شيئاً فى جسمنا ، أو ذهننا ، وعلّة هذا الضعف ليست تقادم الزمن ، وإنما طروء الأجيال جيلاً بعد جيل ، وطبع كل جيل سماته فى عقبه ، بحيث تظهر هى ، وتستمر سمات الأجيال السابقة .

فالكفايات الوراثة للإنسان تتمثل فيما ورثه عن أبويه ، ثم تستتر طبقة وراء أخرى ، وتتضاءل هذه الطبقات حتى تصل إلى عهد الخلية الأولى ، التى نشأت منها جميع أنواع الحيوان ، والنبات ، ومنها الإنسان « (١) .

* * *

● أدلة التطوريين :

ولعل أهم أدلة التطور التى يعتمد عليها التطوريون فى أصل الإنسان والأحياء بشكل عام ما يأتى :

١ - الخلية :

إن سائر الأحياء بما فيها الإنسان لا يتعدى من أن يكون ذا خلية أو مجموعة من الخلايا (٢) .

فالإنسان ذو الخلايا التى لا يمكن حصرها ، لا تختلف الخلية عنده عن خلية الجرثومة أو الأميبية (٣) ، أو أى حيوان من جهة التركيب (٤) .

كما أن عناصر المادة فى الحيوان - العضلية ، والعظمية ، والعصبية - هى نفس عناصر التركيب لدى الإنسان (٥) .

(١) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٣ - ٧٤

(٢) تشارلز داروين : أصل الأنواع (مرجع سابق) ج ١ ص ٣٩

(٣) كائن حى وحيد الخلية لا يُرى بالعين المجردة .

(٤) د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٤١ - ٤٢

سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٤٦

(٥) د . مصطفى محمود : لفظ الحياة (مرجع سابق) ص ٦٨

سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٤

« وعلى هذه المشابهة ، بل القرابة ، أمكن التعالج بأعضاء الحيوان ، فنحن نتعالج بالغدة الدرقية ، المستخرجة من الفرس إذا مرضت غدتنا ، ونحن نتعالج بإفرازات البنكرياس المستخرجة من العجل إذا أصبنا بالديابيطس - البول السكرى - ، فلو لم نكن نحن والفرس والعجل من أصل واحد ، تجرى أجسامنا جميعاً على نظام واحد ، لما أمكن التعالج بهذه الأشياء ، أى لو كان الإنسان قد خلُق على حدة لكان له نظام آخر فى وظائف أعضائه ، يختلف عن النظام الذى نراه فى سائر الحيوان » (١) .

وإن الإنسان يبدأ خلقه كجنين من خلية واحدة كسائر الحيوانات ، وكذلك فإن سر الحياة فى الخلية عند سائر الأحياء (٢) .

٢ - حياة الجنين :

إن الجنين يبدأ تكوينه من خلية واحدة ، ثم تنقسم هذه الخلية إلى خليتين ، ثم إلى أربع ... وهكذا .

وإن الجنين فى مرحله الأولى يشبه مراحل جنين الأسماك ، والأرانب ، والقردة ... إلى بداية الأسبوع السابع كما سبق .

وعلى هذا يكون تكوين الجنين يحاكي مراحل خلقه السابقة فى الماضى السحيق ، فهو يتكوّن فى البداية من خلية واحدة كالجراثمة والأميبية ، ثم إلى هيئة السمكة ، ثم إلى هيئة حيوان مشعر ذى أربع وله ذيل ، ثم إلى إنسان (٣) . كما أن فترة الحمل عند الإنسان والقردة العليا تسعة أشهر ، وفترة الرضاع لهما سنتان (٤) .

(١) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٤ - ٧٥

(٢) د . عبد الغنى عبود : الإسلام والكون ، دار الفكر العربى ، ط ٢ ، ١٩٨٢ م ، ص ٣٤-٣٥

(٣) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٧

د . مصطفى محمود : لغز الحياة (مرجع سابق) ص ٧٤

(٤) د . مصطفى محمود : لغز الحياة (مرجع سابق) ص ٦

« وعندما يولد الجنين البشرى يبقى مدة من الزمن وجمجمته لا تلتحم من أعلاها الأمامى ، إذ هى جلدة طرية .

وهذه الجلدة الطرية تعود بنا إلى مئات الملايين من السنين الماضية ، حين كنا من الزواحف الصغيرة الدنيئة تزحف على الأرض ، ونخشى الهجوم علينا من أعلى ، فكانت لنا عين ثالثة مكان هذه الجلدة ، ننظر بها إلى أعلى ونحذر الأعداء .

وقد استحالت هذه العين القديمة إلى الغدة الصنوبرية .

ولا تزال فى أستراليا زاحفة تشبه العظاية - السحلية الكبيرة - تمتاز بهذه العين الثالثة ، وتدعى تواتارا « (١) .

٣ - الأعضاء الأثرية :

وهى التى يحملها الإنسان كأعضاء أثرية فى جسمه ، مما ورثه عن أجداده الحيوانات وهى :

(أ) المعى القصير : إن له أهمية كبيرة بالنسبة للحيوان الذى يرمى الأعشاب فى عملية الهضم ، حيث يُحوّل المواد الخشبية إلى سكر .

أما بالنسبة للإنسان الذى تغيّر أسلوب اختياره للأطعمة ، ولم يعد من رعاة الأعشاب ، فأصبح ليس له قيمة فضر وضعف عن مقاومة الأمراض ، مما جعله مصدراً مؤذياً للإنسان ، يتطلب استئصاله ، ولو كان مفيداً لضر استئصاله (٢) .

(ب) العصص : وقد يتكوّن من أربع فقرات مكتنزة فى نهاية العمود

(١) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧١

(٢) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٣

د . مصطفى محمود : لغز الحياة (مرجع سابق) ص ٧٦

الفقرى السفلى ، وصار عظماً واحداً ملتحمًا ، لعدم وجود وظيفة له عند الإنسان ، وهو يمثل ما ورثه الإنسان عن الحيوانات ذات الذبول (١) .

(ج) عضلات الأذن : إن العلم الحديث يكتشف عضلات ضامرة ، وضعيفة عن الحركة للأذن ، وذلك لأن الإنسان اعتمد فى سلوكه على الرؤية بالعين أكثر من اعتماده على السمع بالأذن (٢) .

٤ - التشابه :

إن هناك أوجه شبه بين الإنسان والحيوانات ، وخاصة القردة العليا ، فدم الإنسان يشبه فى تركيبه دم القردة العليا ، وخاصة الشمبانزى والغوريلا من أوجه كثيرة ، مما يدل على أن الإنسان والقردة يرجعان إلى أصل واحد (٣) .

وكذلك القلب ، والدورة الدموية ، والشرايين ، والأوردة ، والخصية ، والمبيض فى الإنسان والحيوان متشابهة (٤) ... والخلايا العظمية والعصبية والعضلية فى كل منهما متشابهة (٥) .

وإن هناك تشابهاً ظاهرياً بين الإنسان والقردة ، ففى اليد والقدم لكل منهما خمسة أصابع (٦) .

(١) د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٣٥١

د . سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ٧٤ - ٧٨

(٢) د . حسن هويدى : الوجود الحق ، المكتب الإسلامى ببيروت ، ١٣٩٨ هـ
(١٩٧٨ م) ، ص ٧٦

د . مصطفى محمود : لغز الحياة (مرجع سابق) ص ٧٦

سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٩٠

(٣) لهنتر ميد : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها (مرجع سابق) ص ١١٥

(٤) د . مصطفى محمود : لغز الحياة (مرجع سابق) ص ٦٨

(٥) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٤

(٦) د . مصطفى محمود : لغز الحياة (مرجع سابق) ص ٦٦

بل إن البعض يقول : « إن دم الإنسان يحتوي على اليود ، وملح الطعام ، مما يشهد على ملوحة البحر الذى عاش فيه أسلافه » (١) .

« وإننا عندما نجد شخصين متشابهين نفترض وجود قرابة بينهما ، وعلى ذلك فعندما نكتشف أوجه شبه فى التركيب أو الوظيفة بين أنواع مختلفة كالبشر والقرد مثلاً ، فمن المنطقى أن نشبهه فى وجود أصل مشترك » (٢) .

٥ - الحفريات :

لقد عثر العلماء على مجموعة قليلة من الجماجم والأسنان والفكوك ... فى عصور قديمة فى الحقب الرابع (منذ مليون سنة) ، تعود لسلاسل قردية ، وسلاسل شبيهة بالإنسان (٣) .

ويرى التطوريون أنه « منذ مليون سنة بدأت إحدى سلاسل القردة تتطور تطوراً بطيئاً وثيداً انتهى بإنجاب الإنسان الشبيه بالقرد ، الذى ظهر منذ نحو (٢٠ ألف سنة) ، وامتاز عن أجداده بقدرته على التفكير ، والابتكار ، وعلى النطق والكلام ، وعلى المشى منتصباً على قدميه (٤) .

قال تعالى : ﴿ أَقْمَنَ يَمْشِي مُكَبِّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٥) .

« ولقد عثر فى تشوكوتيان على جماجم للإنسان الصبني فى بداية البليستوسين السفلى من الحقب الرابع . ف « عثر على أول جمجمة عام ١٩٣٥ ، وقد

(١) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٤٥ بتصرف .

(٢) لهنتر ميد : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها (مرجع سابق) ص ١٠٤ .

(٣) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٩٦ .

(٤) سميح عاطف الزين : طريق الإيمان ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ط ٢ ، ص ٧٨ .

(٥) الملك : ٢٢ .

عزاها بلاك (١) إلى شاب ، وفايد نرايش (٢) إلى طفل ذكر عمره (٨ - ٩ سنوات) ... وجمجمة - آخر - ... وقد عزاها بلاك إلى بالغ ، وفايد نرايش إلى شاب عمره (١٤ - ١٨ سنة) ، وقد اكتشفت جماجم ثلاث آخر عام ١٩٣٦ ، اثنتان منها لذكر وأنثى بالغين ، والثالثة لشاب ذكر ، وهي مجردة كلها من الفك .

قدّر بلاك السعة الدماغية للجمجمة الأولى بـ ٩٦ سم^٣ ولا تبلغ حسب تقرير فايد نرايش سوى ٩١٥ سم^٣ ، فشكل القالب الدماغى قريب من الشمبانزى ، ولكن المنطقة الجبهية إنسانية ، درس فايد نرايش القالب الدماغى ، وتوصل إلى أن الدماغ يزداد بالتوالى من الشمبانزى إلى الإنسان الصينى ، ويظهر ذلك من الإنسان الصينى إلى الإنسان الحالى .

وتصل السعة الدماغية فى جماجم أخرى فى موقع آخر ١٠١٥ سم^٣ للأنثى ، و ١٠٣٠ و ١٢٢٥ سم^٣ للذكر ، وهذه الأرقام تقريبية لفقدان قاعدة الجمجمة (٣) .

« وعشر عام ١٩٣٦ فى موجوكرتو (فى جزيرة جاوة) على جمجمة طفل فى طبقات جنيس البحرية البركانية ، وينقص هذه الجمجمة قسم من قاعدتها ،

(١) أ . بلاك : عالم طبيعة أمريكى ، قام برحلة بحث علمى إلى الصين لدراسة الآثار الإنسانية فى النصف الأول من القرن العشرين ، وقد اكتشف الإنسان الصينى ، الذى سُمى باسمه : الإنسان العملاق بلاكى . وسمى أيضاً : الإنسان القردى العملاق .

د . حسن زينو : الإنسان والتطور (مرجع سابق) ص ٩١

(٢) فايد نرايش : عالم طبيعة أمريكى قام برحلة بحث علمى إلى الصين لدراسة الآثار الإنسانية ، بناء على اعتقاده بأن الصين هى منبع وجود الإنسان ، وذلك فى النصف الأول من القرن العشرين . ولقد قام بنقل عيناته إلى نيويورك قبيل أستيلاء اليابانيون على الصين ، ومن مؤلفاته « الرجل البدائى العملاق » و « القردة والعمالقة والإنسان » .

د . حسن زينو : الإنسان والتطور (مرجع سابق) ص ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٩

(٣) د . حسن زينو : التطور والإنسان . دار الدعوة ، ط ١ ، ١٣٩١ هـ ، ص ٩٩ - ١٠٠

بتصرف .

انظر : قيس القرطاس : نظرية التطور . مؤسسة الرسالة ، ١٣٩١ هـ ، ط ١ ، ص ٨٣ - ٨٥

وكل الوجه ، وقد استدل من رقة عظامها على أنها لطفل عمره (٤ - ٥ سنوات) ، لكن دويوا (١) يقول إن عمره ١٢ سنة ، ولا تتجاوز سعتها ٧ سم ٣ ، بحيث تعطى للبالغ ٩٠ سم ٣ ، الجبهة أكثر تراجعاً من جبهة الطفل الحالى من نفس العمر ، وقد بدا فيها ظهور مشارف فوق العينين فى الأقسام الجانبية ، وهى تحتوى بالإجمال على صفات بدائية ، وأخرى حديثة كالإنسان « (٢) .

« وقد عُثِرَ فى عام ١٩٠٧ فى قرية ماور على بعد ١٠ كم جنوب غرب هايدلبرج (٣) على فك سفلى على عمق ٣٤ متراً تحت سطح الأرض ، وهو كبير ، وتاجه عريض ، وليس له بروز ذقنى ، وفمه إنسانى ، وأسنانه أكبر من أسنان الإنسان الحالى » (٤) .

« وعُثِرَ بين عامى (١٩٣٤ - ١٩٣٩) فى هونج كونج على ثلاثة أسنان طاحنة بشرية كبيرة مع أسنان أوروبنج وستفودون ، وتابير ، أحد هذه الأسنان البشرية كبير ، بحيث ينبغى أن يكون فكهُ ضعف فك الأورانج الحالى ، وقد أطلق على صاحبه اسم القرد العملاق ، وسُمى نسبة إلى مكتشف الإنسان الصينى « بلاك » اسم القرد العملاق بلاكى ، حجم هذا السن ضعف أسنان الغوريلا ، وست أمثال الإنسان الحالى ...

قرر فايد نرايش أنه سن بشرى ، ولذلك غيّر تسمية صاحبه إلى الإنسان العملاق ، وقد تخيل فايد نرايش شجرة السلالة ، فافترض أن الإنسان العملاق

(١) دويوا : عالم بكتير يولوجى أميركى ولد عام ١٩٠١ فى فرنسا ، وقام بعدة دراسات هامة فى حقل المناعة والسل ، واكتشف الغراميسيدى عام ١٩٣٩ ، وحرر لسنوات طريفة مجلة الطب التجريبي ، ومن أشهر كتبه « باستور والطب الحديث » .

انظر : منير البعلبكي : موسوعة المورد (مرجع سابق) ج ٣ ص ٢٢٥

(٢) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٩٧

(٣) هايدلبرج : مدينة ومركز صناعى فى الجزء الجنوبى الغربى من ألمانيا الغربية . تقع على نهر نيكر .

انظر : منير البعلبكي : موسوعة المورد (مرجع سابق) ج ٥ ص ٨٦

(٤) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ١٠١ يتصرف .

هذا قد هاجر إلى جاوه ، ونشأ منه الإنسان الكبير ، ثم الإنسان الصيني ، كما نشأ من الإنسان الكبير في جاوة الإنسان القردى الشديد ، الذي أصبح سلف الإنسان القردى من ترينيل ، فالإنسان تسلسل إذن من أشكال عملاقة ذات جماجم شديدة ، وبذا تميز تطورنا بالنقص التدريجى فى الطول « (١) .

فمعدل متوسط سعة الدماغ للرجل . ١٤٥ سم^٣ ، والحد الأدنى . ١٢٥ سم^٣ ، والحد الأعلى . ١٧٥ سم^٣ ، ومعدل متوسط سعة الدماغ للمرأة . ١٣٠ سم^٣ ، والحد الأدنى . ١١٠ سم^٣ ، والحد الأعلى . ١٥٥ سم^٣ ، والحد الأدنى للغوريلا . ٤٥ سم^٣ ، والحد الأعلى . ٥٠ سم^٣ ، والحد الأدنى للأورانج . ٣٥ سم^٣ ، والحد الأعلى . ٤٠ سم^٣ .

أما بالنسبة للإنسان الشبيه بالقرد - الحلقة المفقودة - فالحد الأدنى . ٧٠ سم^٣ ، والحد الأعلى . ١١٠ سم^٣ ، وقيل ١٢٢٥ سم^٣ (٢) .

ومن هذه الأرقام يتضح أن هناك تدرجاً فى سعة الدماغ من القرود إلى الإنسان ، فالحد الأدنى كما سبق للإنسان . ١٢٥ سم^٣ للرجل ، و ١١٠ سم^٣ للمرأة .

والحد الأعلى للإنسان القردى . ١١٠ سم^٣ ، وقيل ١٢٢٥ سم^٣ ، والحد الأدنى . ٧٠ سم^٣ ، والحد الأعلى للغوريلا . ٥٠ سم^٣ .

فهناك فرق . ٢٠ سم^٣ بين الغوريلا (فى الحد الأعلى) والإنسان القردى (فى الحد الأدنى) ، ويتلاشى الفرق بين الإنسان (فى الحد الأدنى) مع الإنسان القردى (فى الحد الأعلى) .

* * *

(١) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٩١ - ٩٢ بتصرف .

(٢) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ١١٥

● نقد الفرضية :

لعل تلك الأدلة السابقة هي أهم أدلة التطوريين على التطور فى المخلوقات من الأدنى إلى الأعلى ، سواء فى التكوين الجسمى ، أو فى تكوين الحواس .
والفرضية باعتراف الكثير من أصحابها ينقصها الدقة والموضوعية فى إثباتها ، لأنها لم تقع على أسس علمية تجريبية وإنما يعترها الكثير من الشكوك ، والظنون ، لأنها بُنيت على كثير من التخيل فى الربط بين مراتب المخلوقات المتدرجة من الأدنى إلى الأعلى فى تكوينها .

وآراء التطوريين متشعبة داخل الفرضية ، وخاصة فى موضوع الإنسان حيث نجد أن منهم من يرجع أصل الإنسان إلى أصول متعددة ، فالمغوليون والأورانج من أصل واحد ، والزنوج والشمبانزى والغوريلا من أصل آخر .

كما أن هناك من جعل الإنسان والقرد من أصل واحد ، ولكن الإنسان سار فى مسار تطورى إلى الأعلى ، أما القردة فلم تستطع ذلك فسارت فى الانحدار إلى الأدنى بالنسبة للأصل .

وإن هناك من يجعل أصل الإنسان القردة العليا مع وجود حلقة مفقودة بينهما فى مسار التطور ، ومنهم من يجعل أصل القردة إنسان ولكن مُسِحَّت إلى قردة ، وهناك من يرى أن الإنسان قد سبق وجوده وجود القردة بآلاف السنين (١) .

والتطوريون يختلفون كثيراً فى وراثة الصفات المكتسبة ، ولعل ذلك راجع إلى أن علم الوراثة لم يصل إلى ما وصل إليه فى العصر الحاضر (٢) . ولعل أهم أوجه المعارضة للفرضية ما يأتى بإيجاز :

(١) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن . الناشر : الرشاد الحديثة ص ٧٦

(٢) كريسي موريسون : العلم يدعو للإيمان ، ترجمة محمد صالح الفلكى ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٦٥ م ، ص ١٤٧

١ - الحياة :

لقد سبق أن من أسس الفرضية تحول المواد غير العضوية إلى مواد عضوية ، حيث إن تكوين الخلية الأولى - الأميبة مثلاً - خرجت من مواد خامدة ، ثم حدث التطور .

والعلم الحديث يدل على استحالة تحول المواد غير العضوية إلى مواد عضوية ، « وأن الأحياء الدقيقة تنشأ من خلايا مماثلة لها ، موجودة من قبل » (١) .

ولذلك جاء الهروب من بعض علماء التطور إلى أن الحياة انتقلت من كواكب أخرى دون تعيين ، عن طريق ذرات دقيقة حملتها الشهب الصغيرة التي تقع على الأرض ، من الغبار الكوني (٢) .

فلغز الحياة أشد وأعمق من مجرد بناء الزلاقيات ، أو ظواهر طبيعية وكيميائية خاصة ، بل يقول العلماء : يبدو أن مجرد وجود النواة والكترون لا يهيان الحياة (٣) ، وإن ذلك ليس كما يتصوره هيجل في قوله : « أعطنى هواءً ، ومواد كيميائية ، ووقتاً ، وأنا أصنع إنساناً » (٤) .

وأعتقد أنه لو كانت الحياة تخرج من مواد خامدة - أى مواد غير عضوية بحيث تكون عضوية ، لأمكن العلماء إيجاد البيئة الملائمة لمثل ذلك كما يتصوره هيجل (٥) ، ولم يأت التحدى فى القرآن الكريم .

(١) ويليام بوين سارلز : علم الأحياء الدقيقة ، ترجمة د . صلاح الدين طه وآخرون ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ م ، ٥٣٢ .

(٢) محمد جعفر شمس الدين : دراسات فى العقيدة الإسلامية ، (مرجع سابق) ص ١٠١ .

د . عبد المحسن صالح : الميكروبات والحياة (مرجع سابق) ص ٢٧ - ٢٨ .

د . أنور عبد العليم : قصة التطور (مرجع سابق) ص ٢١ .

(٣) د . عبد الغنى عبود : الإسلام والكون (مرجع سابق) ص ٣٤ .

(٤) كريسى موريسون : العلم يدعو للإيمان (مرجع سابق) ص ١٥ .

(٥) هيجل ، أرنست عالم : بيولوجى وفيلسوف نشونى ألمانى عاش فيما بين (١٨٣٤ - ١٩١٩) .

أيد فرضية دارون تأييداً حماسياً ، ووفق إلى اكتشافات فى علم الأجنة ، وفى علم الحيوان .

منير البعلبكي : موسوعة المورد (مرجع سابق) ج ٥ ص ٥٤ .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (١) .

« لقد وُضعت فرضيات عديدة لكي تفسر لنا كيف نشأت الحياة من عالم الجمادات ، فذهب بعض الباحثين إلى أن الحياة قد نشأت من الفيروس (٢) ، أو من تجمع بعض الجزئيات البروتينية الكبيرة ، وقد يُخيّل إلى بعض الناس أن هذه الفرضيات قد سدّت الفجوة التي تفصل بين عالم الأحياء وعالم الجمادات ، ولكن الواقع الذي ينبغي أن نُسلم به ، هو أن جميع الجهود التي بُذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية قد باءت بخذلان وفشل ذريعين ، ومع ذلك فإن من ينكر وجود الله لا يستطيع أن يُقيم الدليل المباشر للعالم المتطلع على أن مجرد تجمع بعض الذرات والجزئيات عن طريق المصادفة ، يمكن أن يؤدي إلى ظهور الحياة ، وصيانتها وتوجيهها بالصورة التي شاهدناها في الخلايا الحية ، وأن للشخص مطلق الحرية في أن يقبل هذا التفسير لنشأة الحياة ، فهذا شأنه وحده ، ولكنه يُسلم بأمر أشد إعجازاً وصعوبة على العقل من الاعتقاد بوجود الله ، الذي خلق هذه الأشياء ودبرها » (٣) .

٢ - وراثة الصفات المكتسبة :

كما سبق فإن من الأسس التي تقوم عليها الفرضية - حتى يحدث التطور - أن يكون هناك صفات جديدة مكتسبة للأحياء ، يمكن أن تؤثر في تواليها خلال ملايين السنين على عقبها (٤) ، بحيث يكون هناك تطور في الجسم ، والإدراك .

(١) الحجج : ٧٣ - ٧٤

(٢) الفيروس : الجرثومة .

(٣) نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض : الله يتجلى في عصر العلم - أشرف على تحريره جون كلوفر مونسم ، ترجمة د . الدمرداش عبد المجيد سرحان ، مؤسسة الحلبي وشركائه ، ط ٣ ، ١٩٦٨ م ، ص ٧٧ بتصرف .

(٤) رينيه دويو : إنسانية الإنسان ، تعريب د . نبيل صبحي الطويل ، مؤسسة الرسالة ببيروت ، ط ١ ، ١٩٧٩ م ، (١٣٩٩ هـ) ص ٩٨

سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٣

وكان الاعتقاد بوراثة الصفات المكتسبة شائعاً فى القرن التاسع عشر (١) ، ولكن علم الوراثة الحديث أبطل هذا الاعتقاد .

« فينبغى التمييز بين نمط النشأة ، ونمط المظهر ، حيث يتعلق نمط النشأة بالتركيب الأسمى للبويرة (النطفة) ، ويتألف من عناصر ثابتة من جيل لآخر أى أنه ينتقل وراثياً .

أما نمط المظهر فهو تفاعل خاص بكل فرد لنمط النشأة على الشروط الخارجية ، وهو يشمل الأسباب الداخلية بفعل الأعضاء والوظائف الناجمة عن نمط النشأة ، والأسباب الخارجية من تأثير الوسط والتغذية ، كما هو الشأن لدى التوائم الحقيقية التى تتربى فى شروط مختلفة » (٢) .

ف « الحياة فى كل الأحياء منظمة ومحددة فى تكوين شجرة ، أو كرمة عنب ، أو فيل ، أو إنسان فى اتفاق تام مع خطة مرسومة محددة بالجينات » (٣) .

ف « كل خلية - ذكراً كانت أم أنثى - تحتوى على كروموزومات وجينات (وحدات الوراثة) ، والكروموزومية تكوّن النوية (نواة صغيرة) المعتمدة التى تحتوى على الجينة ، والجينات هى العامل الرئيسى الحاسم فيما يكون عليه كل كائن حى أو إنسان ، والسيتوبلازم هى تلك التركيبات الكيماوية العجيبة التى تحيط بالاثنتين ، والجينات (وحدات الوراثة) هى المسؤولة عن المخلوقات البشرية جميعاً التى على سطح الأرض من حيث خصائصها الفردية ، وأحوالها النفسية ، وألوانها ، وأجناسها » (٤) .

« وإن الصفات المميزة الأساسية للمليارات الثلاثة والنصف من الكائنات البشرية التى تعمر الأرض تحدّدت منذ البداية ببضعة سنتيجرامات من هذا

(١) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٧٣

(٢) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٤٣

(٣) كريسى موريسون : العلم يدعو للإيمان (مرجع سابق) ص ١٤٧ بتصرف .

(٤) المرجع السابق ص ١٣٩ بتصرف .

الحامض « الديزوكسيريبونوى » ، وتطابق هذه السننيجرامات عدداً لا يُحصى من المورثات ، وهى جزئيات بوسعها أن تنتج نسخاً طبق الأصل عنها مندمجة فى صبغيات الخلايا التناسلية ، فتؤمن التشابه بين الأجيال المتعاقبة . وتجربى الأمور كما لو كانت الصبغيات تحتوى على رسالة يبعث بها جيل إلى جيل لاحق مع تعليمات دقيقة رامية إلى توجيه تكوين الأفراد وفقاً لقوانين النوع ، وإذا اتبعنا الاستعارة نستطيع القول إن ثمة نصاً مرموزاً ، أو دليلاً كيميائياً ، يتعلق معناه بطبيعة الموروثات ، التى تتحكم أولاً بتركيب البروتينات الملائمة « (١) .

ويقول الأستاذ كاترفاج مدير متحف التاريخ الطبيعى بباريس : « إننا لا نعلم كيف تكوّنت الأنواع الحية ، إننا نعلم فقط أنها غير قابلة للتحوّل ، وإننا على يقين بأن داروين (٢) . ولامارك (٣) لم يكتشفا الناموس الحقيقى لطريقة تكوينها » (٤) .

يقول الدكتور أ . كريسى موريسون (٥) : « إن القائلين بالتطور

(١) أوجين شريدر : البيولوجية الإنسانية ، ترجمة د . خليل الجر ، سلسلة المنشورات العربية « ماذا أعرف » المطبعة البولسية . جونية ، ص ١٥ .

(٢) دارون ، تشارلز روبرت : عالم طبيعة إنجليزى بجامعة كامبردج ، عاش فيما بين (١٨٠٩ - ١٨٨٢) ، وقام برحلة بحرية (١٨٣١ - ١٨٣٦) زار خلالها جزر الرأس الأخضر ، وآزار وسواحل أميركا الجنوبية ، وكانت هذه الرحلة منطلقاً لفرضيته المعروفة بـ « النشو والإرتقاء » ، وأشهر آثاره كتاب « أصل الأنواع » .

منير البعلبكي : موسوعة المورد (مرجع سابق) ج ٣ ص ١٥٥

(٣) لامارك ، جان باتيست : عالم بيولوجى فرنسى ، عاش فيما بين (١٧٤٤ - ١٨٢٩ م) ، وهو يرى أن الصفات المكتسبة تُحدث فى الحيوانات والنباتات تغيرات عضوية .

منير البعلبكي : موسوعة المورد (مرجع سابق) ج ٦ ، ص ٨٣ - ٨٤

(٤) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ١١٤

(٥) أ . كريسى موريسون : هو الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك ورئيس المعهد الأمريكى لمدينة نيويورك ، وعضو المجلس التنفيذى لمجلس البحوث القومى بالولايات المتحدة ، وعضو مدى الحياة فى المعهد الملكى البريطانى .

أ . كريسى موريسون : العلم يدعو للإيمان (مرجع سابق) ص ١٢ - ١٣

(النشوء والارتقاء) لم يكونوا يعلمون شيئاً عن وحدات الوراثة (الجينات) ، وقد وقفوا فى مكانهم حيث يبدأ التطور حقاً ، أعنى عند الخلية ذلك الكيان الذى يحتوى الجينات ويحملها « (١) .

وحيث إن الفرضية تقول بالتطور فإنه يجب أن تنقرض الأحياء ذات الخلية الواحدة بناء على قانون تنازع البقاء .

ولكن ما نشاهده أن المخلوقات ذات الخلية الواحدة جنباً إلى جنب مع المخلوقات ذات الخلايا المتعددة (٢) .

ولعل ذلك ما دفع دارون نفسه إلى أن يقول : « إن التطور لا يعنى بالضرورة تطوراً من نوع إلى آخر ، بل قد يكون تطوراً داخل النوع يتمكن به من التكيف مع البيئة » (٣) .

والأرض تعج بآلاف المخلوقات - حيوانات ونباتات - ولم يثبت أن هناك شيئاً منها قد تحول إلى نوع آخر طفرة وكان له الحياة أو تطوراً تدريجياً إلى نوع آخر (٤) ، « وكل التغييرات التى يمكنها أن تحدث سطحية لا تمس التركيب الجوهري للحيوان ، أو النبات ، وبعضها باثولوجية (مرضية) تقود إلى انقراض النوع ... وإن الاختبار الاصطناعى الذى جرّه بنو الإنسان فى خلال الستين سنة الماضية دليل عظيم ضد نظرية دارون » (٥) .

وإن الصفات الوراثية إما أن تكون سائدة أو متنحية ، والأمراض المتنحية تظهر بنسبة أكبر فى زواج الأقارب ، لأنهم يحملون كثيراً من الصفات الوراثية

(١) كريسى موريسون : العلم يدعو للإيمان (مرجع سابق) ص ١٤٧

(٢) د . عبد الفنى عبود : الإسلام والكون (مرجع سابق) ص ٥ .

(٣) تشارلز داروين : أصل الأنواع (مرجع سابق) ص ٣٧٣ - ٣٧٥

(٤) محمد جعفر شمس الدين : دراسات فى العقيدة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١١-١١١

عمر سليمان الأشقر : العقيدة فى الله (مرجع سابق) ص ٧٦

(٥) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ١١٤ بتصرف .

المشتركة والمتنحية ... وإن الطفرات الكبيرة تمنع نمو البويضة المخصبة أو تؤدي إلى موت الفرد (١) .

« وإن الحلقة المفقودة ناقصة بين طبقات الأحياء ، وليست بالناقصة بين الإنسان وما دونه فحسب ، فلا توجد حلقات بين الحيوانات الأولية ذات الخلية الواحدة ، والحيوانات ذوات الخلايا المتعددة ، ولا بين الحيوانات الرخوة والمفصليّة ، ولا بين الحيوانات اللاقريّة والفقريّة ، ولا بين الأسماك والحيوانات البرمائية ، ولا بين الأخيرة والزحافات والطيور ، ولا بين الزحافات والحيوانات الثديية ، وقد ذكرت على ترتيب ظهورها في العصور الجيولوجية » (٢) .

أما بالنسبة للتهجين بين نوعين من الأحياء التي يمكن أن يقع بينها تهجين كالخيل والحمير ، فهجينها بغل عقيم (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ، وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

وربما كان في قوله تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ إشارة إلى مخلوقات كثيرة تظهر كهجين لنوعين من الأحياء .

وإن ما يردده بعض الأمريكيين عن إمكانية التهجين بين الإنسان والقرد ، ومحاولة نسبة ذلك إلى سلالة زنوج إفريقيا (٥) تعدياً ، ينمى عن نزعة عنصرية ، فإنه من الثابت علمياً أن التهجين بين نوعين من المخلوقات يُولد عقيماً بمعنى أنه يلاقى حتفه في نفسه ، وليس له ذرية .

أما بالنسبة لمن مُسخوا من اليهود فقد قال تعالى فيهم : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (٦) .

(١) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٤٧

(٢) عباس محمود العقاد : الإنسان في القرآن (مرجع سابق) ص ١١٤ - ١١٥

(٣) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٥٠

(٤) النحل : ٨

(٥) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٥١

(٦) الأعراف : ١٦٦

وعن عبد الله بن مسعود قال : ... فقال رجل : يا رسول الله ! القردة والخنزير هي مما مُسِخ ؟ ، فقال النبي ﷺ : « إن الله عز وجل لم يهلك قوماً ، أو يُعَذِّب قوماً ، فيجعل لهم نسلأ ، وإن القردة والخنزير كانوا قبل ذلك » (١) .

فإذا كان الله تعالى لم يجعل لمن مُسِخوا ذرية رحمة وتكريماً للإنسان ، فمن باب أولى أن لا يكون الإنسان بشكل عام أبناء عمومة للقردة ، وأن والدهم حيوان ، كما يزعمه التطوريون .

٣ - الحفريات :

إن من الملاحظ اختلاف علماء الحفريات كثيراً فيما بينهم حول ما عُثِرَ عليه من الجماجم والفكوك والأسنان ... فنجد من العلماء من يجعلها للإنسان ، وهناك من يجعلها للقردة .

وإننى أرى أنه يجب أن يكون هناك تناسب بين بعض المخلوقات وآدم عليه السلام ، الذى طوله ستون ذراعاً ، وعرضه سبعة أذرع كالخيل مثلاً ، وهى التى اختارها له ، ولا شك أنها لم تكن بحجمها الحالى .

وبالتالى هل حجم رأس آدم عليه السلام هو حجم رأس الإنسان الحالى ؟ وهل حجم رأس القرد أيام آدم عليه السلام هو حجم رأس القرد فى الوقت الحالى ؟ وعلى هذا فتلك الجماجم ، أو الأسنان ، أو الفكوك التى عثر عليها الإنسان من الحفريات بين أمرين :

- إما أن تكون لقردة وإن كانت أكبر فى الحجم من أعضاء القردة الحالية .

- وإما أن تكون للإنسان وإن كانت أكبر فى الحجم من أعضاء الإنسان

الحالى ، وهو ما يُسمى فى بعض الكتب بالإنسان العملاق أو الكبير (٢) .

(١) رواه مسلم فى كتاب القدر ، حديث ٣٣ ، ج ٤ ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٢) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٩٠ - ٩٣ .

« وكثيراً ما لم يحصل التمييز بين تأخر الحضارات والتأخر البيولوجى ، والمثل المفضل هو مثل السكان الأستراليين الأصليين ، الذين يُوحى نمط حياتهم بماضٍ سحيق ما داموا لم يختلطوا بالخارج ، ومن ناحية أخرى تبدو فى الجمجمة الأسترالية خاصيات تسترعى انتباه المراقب ، فقبتها المستطيلة ، والحاجبان البارزان تذكّر على الفور بالأحافير البشرية ، ومما لا ريب فيه أنها أقرب الجماجم الحالية من الجمجمة النيندرتالية (١) .

ومع ذلك إذا وُضعت أمام أعيننا جماجم نيندرتالية حقيقية ، وجماجم أوروبية حديثة ، وطلب أن نُصنّف جمجمة أسترالية فإننا سنُصنّفها دون تردد بين الجماجم الأوروبية » (٢) .

ولقد قام العالم السويسرى جوهانس هورذمر بإجراء الدراسات والتجارب الواسعة على الهياكل والجماجم ، فأثبتت له معارضتها لفرضية التطور ، فأعلن فى ١ مارس ١٩٥٦ أنه لا يوجد دليل (واحد من ألف) على أن الإنسان من سلالة القردة ، وأنه يعيش منفرداً وبعيداً عن القردة منذ عشرة ملايين سنة .

ولقد اكتشف خلال أبحاثه فك إنسان داخل قطعة من الفحم يرجع تاريخها إلى عشرة ملايين عام ، وقدمها للمتحف الطبيعى فى مدينة بال فى سويسرا ، وموجودة فيه حتى الآن ، وهى أقدم قطعة عن الإنسان فى العالم (٣) .

كما قام الدكتور ليكى مدير المتحف الوطنى فى كينيا بأبحاث فى هذا المجال

(١) النيندرتالية نسبة إلى واد النيندرتال على مقربة من مدينة دوسلوف فى ألمانيا الغربية ، الذى وجدت فيه بقايا هيكليّة للإنسان عام ١٨٥٦ ، وقد عُرفت بالإنسان النيندرتالى الذى سكن أجزاء واسعة من أوروبا والمناطق المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط فى أواخر البليستوسين .

منير البعلبكي : موسوعة المورد (مرجع سابق) ج ٧ ص ١٠٩ .

(٢) أوجين شريدر : البيولوجية الإنسانية (مرجع سابق) ص ٤٤ بتصرف .

وانظر : د . أحمد محمد العسال : الإسلام وبناء المجتمع (مرجع سابق) ص ٢٨

(٣) عبد الرزاق نوفل : الله والعلم الحديث ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ص ٢٢٨

قيس القرطاس : نظرية التطور (مرجع سابق) ص ٧٥ - ٧٦

انتهت عام ١٩٤٦ ، واكتشف - خلال مدة بحثه - مجمتين ، وقيس عمرهما بأجهزة الإشعاع الذريّ فبلغ عمرهما مليونين وستمائة ألف سنة ، وحجم مخها ضعف حجم مخ القرد .

كما اكتشف فى عام ١٩٧٦ جمجمة لإنسان كان يمشى على قدميه يرجع عمرها إلى ١ر٨ مليون سنة .

وأن هذه الاكتشافات وغيرها تدعو العلماء إلى إعادة النظر فى التاريخ الحقيقى لعمر الإنسان على الأرض (١) .

وأما ما يُقرره علماء التطور من أن طول أناسى البليستوسين الأوسط ، أو ما يسمونه بالإنسان القردى القائم - قبل ظهور الإنسان الحالى - ١٦٠ - ١٧٠ سم (٢) .

وما يقررون من أن طول أناسى البليستوسين العلوى (منذ ٢٠٠ ألف سنة) ، أو ما يسمونه بالإنسان المفكر أو الحالى ١٦٦ - ١٧٤ سم (٣) .

فإن المعروف أن آدم عليه السلام طوله ستون ذراعاً ، وأن الخلق لم يزل ينقص حتى الآن ، وهذا يجعلنا نقول إن تقدير العمر الحقيقى للإنسان لا يزال مجهولاً كما سبق فيما عُثر عليه من آثار .

ومن المعلوم أن الإنسان الحالى من سلالة نوح عليه السلام بعد الطوفان ، وأن السلالات الأخرى قد انقرضت .

(١) د . أحمد محمد العسال : الإسلام وبناء المجتمع (مرجع سابق) ص ٢٨

قيس القرطاس : نظرية التطور (مرجع سابق) ص ٩١ - ٩٢

مجلة المنهل السعودىة ، السنة ٥ ، المجلد ٤٦ ، رجب ١٤٠٤ هـ ، ص ١٢٦

(٢) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ١٠٤

(٣) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ١٠٧

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنعَمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنْ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ (١) .

وإن ذلك يجعلنى أفترض أمراً لتقريب الموضوع وهو : أنه لو هلك الإنسان الحالى بجميع شعوبه وقبائله ما عدا سلالة فرد واحد من الأجناس البشرية ، ويكون له ذرية مع آلاف السنين ، وتتفرق فى الأرض وتعمل العوامل الخارجية عملها فى تقسيمهم إلى شعوب ، وقبائل ، وأجناس مختلفة .

فماذا سيقولون عن جماجم الإنسان الحالى بشعوبه المختلفة والمتنوعة ... ؟ وخاصة مع ملاحظة أن طول الإنسان يتناقص كما سبق .

وإن سر العقل عند الإنسان ليس كبير دماغه ، فيقول فايدنرايش : إن وزن الدماغ ليس مقياساً للذكاء ، وإلا لكان الفيل الذى يحتوى دماغه على ٥ . . . ٥ سم^٣ وأكبر فظ (٢) . الذى يحتوى على ضعف كبير الدماغ الإنسانى ، لكان كلاهما أذكى من الإنسان ، وكذلك لو كانت نسبة وزن الدماغ إلى وزن الجسم هى المقياس لرجح ذكاء القرد أبو قبعة (الكابوتسينى) بنسبة ١ جرام من الدماغ إلى ١٧ر٥ من وزن الجسم على ذكاء الإنسان بنسبة : ١ : ٤ . (٣) .

وكذلك فإن حجم مخ القردة الجنوبية أكبر حجماً من مخ القردة العليا ، ولم تكن مثلها فى درجة الذكاء ، وإنما أقل منها (٤) .

كما أن مقاييس الذكاء لم تأخذ بوزن أو حجم الدماغ كمقياس للذكاء رغم ما نعرفه من عيوب كثيرة لها .

(٢) حيوان بحرى شبيه بالفقمة .

(١) الصافات : ٧٥ - ٧٧

(٣) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ١١٦

وانظر : قيس قرطاس : نظرية التطور (مرجع سابق) ص ٧٥

د . يسرى عبد الرزاق الجوهري : السلالات البشرية . دار المعارف بالقاهرة .

ط٢٠١٩٦٧ م ، ص ١٤

(٤) قيس قرطاس : نظرية التطور (مرجع سابق) ص ٧٥

٤ - التشابه :

إن التشابه بين الأحياء يفرضه التشابه بينها فى قوانين الخلق ، وسُنن الكون ، والنمو ، وأثر البيئة ، فالخلق كله يحكمه نظام موحد وتدبير الخالق سبحانه .

قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

فالأحياء انحدرت جميعها من أصل واحد ، فالنباتات تتغذى على مواد غير عضوية (التراب + الماء) ، والحيوانات تتغذى على النباتات كما أن بعضها يتغذى أيضاً على بعض ، والإنسان يتغذى عليهما (٣) .

فليست الأحياء كلها تتغذى مباشرة على مواد غير عضوية ، ولكن ذلك للنباتات ، ثم عليه يتغذى الإنسان والحيوان .

فليس من الغرابة إذن أن تتشابه ، وهى تتشابه فى قوانين حيوية عامة ، ولكن الغرابة أن لا تتشابه ، ولعل من أوضح ذلك نظام التغذية ، الذى يدعو إلى وجود تشابه فى الخلايا التى تتكون فى الحيوان والإنسان ، لأن الغذاء عامل رئيسى فى تكوينها (٤) .

وإن التنوع فى المخلوقات التى لا حصر لها وبالذات فى الحيوانات جعل من المستحيل أن يتصور الإنسان مخلوقاً من مادته يمكن أن يُقال عنه إنه مخلوق مستقل .

وإن الله تعالى جعل التشابه والتنوع دليلاً على القُدرة على الخلق .

(٢) يس : ٣٦

(١) الأنعام : ٣٨

(٣) د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٣٤٢ - ٣٤٣

(٤) د . حسن هويدى : الوجود الحق (مرجع سابق) ص ٧٤

د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٣٤٢ - ٣٤٣

قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مَنَّ مِنْ طَلْعِهَا قَنَاقَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ، انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

والإنسان لا يمكن أن يتعامل أو يتفاعل إلا مع المخلوقات التي خلقت من مادته ، ومن هنا جاء الاعتراض الإلهي على أن يرسل ملكاً في الرسالات السماوية (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ، وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَكَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴾ (٤) .

وقد سجل العلماء قبل دارون التدرج والتشابه بين المخلوقات كقدماء اليونانيين ، وعلماء الإسلام .

« وما يشبه القول بتطور الكائنات وتدرجها قول الفارابي (٥) في شرحه »

(٢) الأنعام : ٩٩

(١) النور : ٤٥

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٣ ص ٢٣٩ .

(٤) الأنعام : ٨ - ٩

(٥) أبو نصر الفارابي ، محمد بن محمد طرخان (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ) ويُعرف بالمعلم الثاني ، ومن أكبر فلاسفة المسلمين وأحد أوائل المفكرين الذين عرفوا المسلمين بفلسفتي أفلاطون وأرسطو . وحاول التوفيق بين الشريعة الإسلامية والفلسفة اليونانية ، وله نحو مائة كتاب ، ومنها كتاب « إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها » و « مبادئ الموجودات » و « السياسة المدنية » و « جوامع السياسة » و « النواميس » .

خير الدين الزركلي : الأعلام ، دار العلم للملايين ببيروت ، ط ٥ (١٩٨٠ م) ج ٧ ص ٢٠ .

لأقوال المعلم الأول (١) من كتاب « آراء أهل المدينة الفاضلة » أن « ترتيب هذه الموجودات ، هو أن تُقدّم أولاً أحسها ثم الأفضل فالأفضل ، إلى أن تنتهي إلى أفضلها الذى لا أفضل منه ، فأحسها المادة الأولى المشتركة ، والأفضل منها الإسطقات ، ثم المعدنية ، ثم النبات ، ثم الحيوان غير الناطق ، وليس بعد الحيوان الناطق أفضل منه » (٢) .

ويقول القزوينى (٣) : « إن أول مراتب هذه الكائنات تراب ، وآخرها نفس ملكية طاهرة ، فإن المعادن ، متصلة أولها بالتراب أو الماء ، وآخرها بالنبات ، والنبات متصل أوله بالمعادن ، وآخره بالحيوان ، والحيوان متصل أوله بالنبات ، وآخره بالإنسان ، والنفوس الإنسانية متصلة أولها بالحيوان ، وآخرها بالنفوس الملكية ، والله تعالى أعلم بالصواب » (٤) .

« أما الحيوان ففى المرتبة الثالثة من الكائنات ، وأبعد المولدات عن الأمهات ، لأن المرتبة الأولى للمعادن ، وهى باقية على الجمادية لقرىها من البسائط ، والمرتبة الثانية للنبات ، فإنها متوسطة بين المعادن والحيوان بحصول النشوء والنمو وفوات الحس والحركة فى المرتبة الثالثة ، فإنه قد جمع بين النشوء والنمو والحس والحركة وهذه قوى موجودة فى جميع أفراد الحيوان » (٥) .

(١) أرسطوطاليس ، وقد عاش فيما بين (٣٨٤ - ٣٢٢ قبل الميلاد) ، وهو فيلسوف يونانى ، وتلمذ على أفلاطون ، وأستاذ الإسكندر المقدونى ، وجرت فلسفته فى اتجاه مفاير لمثالية أفلاطون ، ومن أشهر مؤلفاته كتاب « السياسة » ، وكتاب « ما وراء الطبيعة » ، وكتاب « الطبيعة » ...

منير البعلبكي : موسوعة المورد (مرجع سابق) ج ١ ص ١٥٩

(٢) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٧٩

(٣) زكريا بن محمد بن محمود القزوينى (٦٠٥ - ٦٨٢ هـ) وهو مؤرخ ، وجغرافى ، وقاضى ، ومن أشهر كتبه « آثار البلاد وأخبار العباد » .

خير الدين الزركلى : الأعلام (مرجع سابق) ج ٣ ص ٤٦

(٤) القزوينى (زكريا بن محمد) : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، مكتبة التقدم بمصر ،

ص ٢٤١

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨ .

« ومقتضى الحكمة الإلهية أن الله تعالى خلق لكل حيوان من الأعضاء ما يتوقف عليه بقاء ذاته ، ونوعه ، لا زائداً ولا ناقصاً ، ولذلك اختلفت أشكالها وأعضاؤها ، وتنوعت أنواعها بأنواع كثيرة » (١) .

ويقول إخوان الصفا (٢) : « واعلم يا أخى - أيُّدك الله وإيانا بروح منه - أن البارئ جل ثناؤه لما أبدع الموجودات واخترع الكائنات جعل أصلها كلها من هبولى (مادة) واحدة ، وخالف بينها بالصورة المختلفة ، وجعلها أجناساً وأنواعاً مختلفة متفننة متباينة ، ثم قوَّى ما بين أطرافها ، وربط أوائلها وأواخرها ، بما قبلها (وما بعدها) رباطاً واحداً على ترتيب ونظام لما فى ذلك من إتقان الحكمة - حكام الصنعة ، لتكون الموجودات كلها عالماً واحداً منتظماً نظاماً واحداً وترتيباً واحداً ، ولتدل على صانع أحد » (٣) .

« فمن أجل تلك الموجودات المختلفة الأجناس المتباينة الأنواع المربوطة أوائلها بأواخرها، وأواخرها بما قبلها فى الترتيب وانتظام المؤلِّدات الكائنات التى دون فلك القمر ، وهى أربعة أجناس : المعادن والنبات والحيوان والإنسان . وذلك أن كل جنس منها تحته أنواع كثيرة ، فمنها ما هو بين الطرفين فأدون المعادن مما يلى التراب الجص ... والطرف الأشرف الياقوت والذهب الأحمر ...

وهكذا حكم النباتات فإنها أنواع متباينة ، ولكن منها ما هو فى أدون الرتبة مما يلى رتبة المعادن وهو خضراء الدمن (والكمأة وأنواع الفطر) وخضراء الدمن ليست بشيء سوى غبار يتلبد على الأرض والصخور والأحجام ، ثم يصيبها المطر

(١) القزوينى (زكريا بن محمد) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات (مرجع سابق) : ص ٣٣٨

(٢) جمعية إسلامية فلسفية باطنية تألفت على نحو سرى فى البصرة أواخر القرن العاشر للميلاد ، اسمها الكامل « إخوان الصفا وخلان الوفا » ... من مؤسسيها زيد بن رفاعة وأبو الحسن الزنجانى ، وأبو سليمان المقدسى ، وأبو أحمد المهرجاني .

منير البعلبكي : موسوعة المورد (مرجع سابق) ج ٥ ص ١٧٣ - ١٧٤

(٣) د . عمر فروخ : إخوان الصفا - دار الكتاب العربى - بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠١ هـ

(١٩٨١ م) ، ص ٨٨

فتصبح بالغداة كأنها نبت زرع . ومن أجل أن هذا النوع ليس له ثمرة ولا ورقة ، وأنه يكون فى التراب كما تكون المعادن صار من هذه الجهة يشبه المعادن ، ومن جهة أخرى يشبه النبات ... وأما النخل فأخر المرتبة النباتية مما يلى الحيوانية ، وذلك أن النخل نبات حيوانى لأن بعض أحواله مياين لأحوال النبات ، وإن كان جسمه نباتاً ... والدليل على ذلك أن أشخاص الفحولة منه مياينة لأشخاص الإناث .

وأما أدون الحيوان وأنقصه فهو الذى ليس له إلا حاسة واحدة ، حاسة اللمس فحسب ، كالأصداف وما كان كأجناس الديدان (وهذه) كلها تتكوّن فى الطين أو فى الماء أو فى الخل أو فى لبّ الثمر ... أو فى أجسام الحيوانات الكبار الجثة ... وهذا النوع من الحيوانات أجسامه لحمية وبدنه متخلخل وجسمه رقيق وهو يمتص المادة بجميع بدنه بالقوة الجاذبية ويحس اللمس ، وليس له حاسة أخرى ، لا الذوق ولا الشم ولا السمع ولا البصر ... وهو سريع التكون وسريع الهلاك والفساد واليلى . ومنها ما هو أتم بنية وأكمل خلقة كالود المتكوّن على ورق الشجر والنبات ، ولها ذوق ولمس ... ثم منها ما هو أكمل أيضاً وهو كل حيوان له لمس وذوق وشم ... وهى الحيوانات التى تعيش فى قعر البحار والمواضع المظلمة .. ثم تأتى الهوام والحشرات التى تدب فى المواضع المظلمة ولها لمس وذوق وشم ولكن ليس لها بصر ... ثم يأتى ما هو أتم بنية وأكمل صورة وهو كل حيوان بدنه مؤلف من أعضاء مختلفة الأشكال إذ كل عضو مركّب من عدة قطعات من العظام ...

ثم إن رتبة الحيوانية مما يلى رتبة الإنسانية هى ليست من وجه واحد ولكن من عدة وجوه ، فمنها ما قارب رتبة الإنسانية بصورته الجسدانية مثل القرد « (١) .

« وإن الحيوانات التامة الخلقة الكبيرة الجثة العظيمة الصورة كلها كوّنت فى

(١) د . عمر فروخ : إخوان الصفا (مرجع سابق) ص ٨٩ - ٩٠ .

بدء الخلق ذكراً وأنثى من الطين تحت خط الاستواء (١) ومعنى ذلك أن الله تعالى خلق منذ بدء الخلق ذكراً وأنثى من الإبل ، وذكراً وأنثى من الخيل ، وذكراً وأنثى من الأسود والفيلة والنعام ... إلخ » (٢) .

ويقول ابن خلدون (٣) : « انظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدرج ، فأخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذر له ، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الخبز والصدف ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط ، ومعنى الاتصال في هذه المكونات أن آخر أفق منها مستعد بالاستعداد الغريب لأن يصير أول أفق الذي بعده ، واتسع عالم الحيوان ، وتعددت أنواعه ، وانتهى في تدرج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والرؤية ترتفع إليه من عالم القدرة الذي اجتمع فيه الحس والإدراك ولم ينته إلى الرؤية والفكر بالفعل ، وكان ذلك أول أفق من الإنسان بعده وهذا غاية شهودنا ... » (٤) ، وإن العلماء

(١) ويرى بعض علمائهم « أن المدير تعالى حرك الفلك فصعدت البخارات الحادثة من صفر المعادن والنبات والحيوان ، فصارت غيوماً ، ثم انزلت على وجه الأرض أمطاراً صافية معتدلة ، وخذت الأرض خدوداً غير عميقة ، وقد صفا ذلك الماء في عمقها ، ثم بخاراً على أشرف وألطف من الأول ، فانهل مطراً كثيراً نظير منى الرجل ، فوقع في تلك المغارات والخُدَّ الشبيهة بأرحام النساء ، فمازج الماء الكائن فيها المشاكل ماء المرأة ، فصار واحداً » .
فنشأ أولاً الذكور ، ثم الإناث من فضلات تلك المياه .

وهذا قول باطل ، ومعارض لصريح القرآن والسنة الصحيحة ، وإنما ذكرته لشيء من الإحاطة .
د . مصطفى غالب : مفاتيح المعرفة . مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ،

١٤٠٢ هـ ، ص ٨٢

(٢) د . عمر فروخ : إخوان الصفا (مرجع سابق) ص ٨٧

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦ م) : مؤرخ وفيلسوف مسلم يُعتبر من أعظم المفكرين العالميين وُلِدَ ونشأ في تونس ، وارتحل إلى مصر وتولى فيها قضاء المالكية ، ومن أشهر كتبه « العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر و من عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » و « مقدمته » التي اعتبرت تأسيساً لفلسفة التاريخ ولعلم الاجتماع .

منير البعلبكي : موسوعة المورد (مرجع سابق) ج ٥ ص ١٦١

(٤) عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ط ٤ ، ص ٩٦

السابقين لم يجعلوا هذه المراتب المتدرجة دليلاً على التطور من الأدنى إلى الأعلى فى التكوين الجسمى والإدراك .

وإنما جاء العالم الفرنسى لامارك (١٧٤٤ - ١٨٢٩) ثم العالمان الإنجليزيان شارل دارون (١٨٠٩ - ١٨٨٣) وزميله والاس (١) (١٨٢٣ - ١٩١٣) (٢) ليفتخوا الأبواب بين هذه السلسلة من المخلوقات المتدرجة والمتنوعة فى التكوين الجسمى والإدراك كدليل على التطور ، ومحاولة تقنين ذلك ولو بالخيال والظنون والشكوك دعماً لهذه الفرضية .

قال تعالى : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ، إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣) .

وأما بالنسبة لما يسمونه بالأعضاء الأثرية ، والتي لها قيمة عند الحيوان وليس لها قيمة عند الإنسان ، وإنما هى مما ورثه الإنسان عن سلفه ، فهو ادعاء لأن عدم معرفة القائدة أو عدم الضرر من استئصالها ، لا يعنى عدم وجود فائدة لها .

- فالملعى القصير (ما يُسمى بالزائدة الدودية) لوحة بلغمية تزيد فى الدفاع عن الأمعاء (٤) ، وكذلك فإن « الأبحاث والدراسات والتحليل الحديثة أكدت أن للزائدة وظيفة غاية فى الأهمية ، فإن النسيج الليمفاوي الذى يبطن الجدار الداخلى للزائدة هو الذى يتولى إخراج خلايا المناعة المسماة (ليمفوسيت ب)

(١) والاس . من أكبر علماء البيولوجيا فى إنجلترا ، عاش فيما بين (١٨٢٣ - ١٩١٣) . وكان من أسهموا فى وضع الجغرافيات الحيوانية .

محمد خليل الباشا : التقمص وأسرار الحياة والموت . دار النهار للنشر ببيروت ، ١٩٨٢ م

ص ٣١١

(٢) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٧٠ .

(٣) يونس : ٣٦

(٤) د . حسن هويدى : الوجود الحق (مرجع سابق) ص ٧٦

أثناء تكوين الجنين فى رحم أمه ، وتقوم هذه الخلايا بدورها بفرز الأجسام المضادة للعدوى ، ووقاية الجنين « (١) .

- - - وعضلات الأذن الضامرة يمكن أن يكون لها أهمية كبيرة فى عملية نصب صيوان الأذن أثناء تخلق الجنين فى بطن أمه ليكون فى هذه الصورة الجميلة (٢) .
- والجفن الثالث له أهمية فيما يهبه من الوقاية الباطنية للعين (٣) .

٥ - آدم والتكوين :

كما سبق يتضح ضعف فرضية التطور فى تفسير تكوين الأحياء بشكل عام .
ونترك ذلك لنعود إلى الإنسان بالذات ، لنضيف ما يمكن من أدلة تتعلق به :

١ - إن خلق آدم عليه السلام تم فى الجنة من مادة هذه الأرض ، وليس فى جنة أرضية ، وأنه هبط إليها بعد المعصية للأسباب التالية :

(أ) إن آدم عليه السلام قد حصل - وهو فى الجنة - على صفات أهل الجنة بعد خلقه فيها ، فهو يرى ويتكلم ويسمع ويخالط الملائكة ، كما حصل هو وزوجه على ستر من الله تعالى لسوءاتهما .

(ب) إن المؤمنين يوم القيامة فى مقام الشفاعة يذكرون خصوصيته عليه السلام فى الخلق ، وسكن الجنة .

(ج) إن أهل الجنة يدخلون الجنة يوم القيامة على صفة آدم عليه السلام ، مما يشير إلى أن مثل ذلك ما يناسب المقام فى الجنة .

(د) إن الله تعالى أمر جميع ملائكته بالسجود لآدم عليه السلام عند خلقه ، وتصور ما هى الأرض ، أو جنة فيها بالنسبة لجميع الملائكة فى ملكه تعالى ؟

(١) طبك الخاص ، العدد ١٦٩ - السنة الخامسة عشرة ، يناير ١٩٨٣ ، ص ١٢٦ - ١٢٧

(٢) (٣) د . حسن هويدى : الوجود الحق (مرجع سابق) ص ٧٦

فهل يمكن أن تكون مكان لسجود جميع الملائكة ؟ والملائكة مكلّفون بمهام كبيرة وعظيمة عند الله تعالى .

(هـ) إنه من سنن الله تعالى أن رفع إليه بعض أنبيائه عليهم السلام إلى السماء كالإسراء والمعراج بالنبي محمد ﷺ وآدم أبي البشر ، ونبي من أنبيائه ، والمقام مقام تشریف ، وتكریم له عليه السلام ولذريته ، واحتفالاً بالإنسان ، فأعتقد أنه من الأولى أن يكون خلقه فى السماء بين ملائكته ، وأن لا يهبطوا إلى الأرض لأن المقام كما قلنا مقام تشریف وتكریم ، وهما يكونان عند المكرم وصاحب التشریف .

(و) هل جنة أرضية يمكن أن يتمسك فيها آدم عليه السلام ، ويطلب فيها الخلود ومُلك لا يُبلى ، ويندم على خروجه منها إلى جميع الأرض بعد معصيته وقبول توبته ، وهل جزاء المعصية الخروج من جنة أرضية إلى الأرض كلها ؟ وهل تجعل إبليس - لعنه الله - يبنى فى نفسه كل هذا الحقد والحسد لآدم عليه السلام ؟ (١) .

إننى أعتقد أنه من الأولى أن تكون جنة فى الملأ الأعلى .

٢ - إن مراحل خلق آدم عليه السلام تراب ، ثم طين ، ثم حملاً مسنون ، ثم صلصال كالفخار .

فالصلصال بهذا الوصف يُشير إلى انعدام الحياة فيه - كما سبق - بينما فرضية التطور أو بعض المسلمين ممن يفسرون القرآن حسب فرضية التطور من مرحلة « حملاً مسنون » (٢) وإنه من هذا الحملاً المسنون خرجت الخلية الأولى ، ثم بدأت فى التطور .

وهذا غير صحيح لأن مرحلة « حملاً مسنون » تلتها مرحلة « صلصال كالفخار » .

(١) محمرد شلبي : حياة آدم (مرجع سابق) ص ١٢٢ - ١٢٥

(٢) د . مصطفى محمرد : القرآن .. محاولة لفهم عصرى (مرجع سابق) ص ٦٥ - ٦٦

٣ - قال تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ، يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ، أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفَّارُ * خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأُنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ، يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ، ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآئِنِ تُصْرَفُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ، قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

يتضح من هذه الآيات أن نسل آدم عليه السلام هم الذين خُلِقُوا من ماء مهين ، وفي ظلمات ثلاث ، وأن آدم عليه السلام وزوجه لم يُخْلَقَا كذلك .

كما يدل عليه سياق الآيات الأولى ، فإنها في معرض بيان مخلوقات الله تعالى وقدرته وتعددتها وفضلها (٣) .

أما حسب فرضية التطور فإنه عليه السلام وزوجه يجب أن يكونا من ماء مهين ، وخلقًا في ظلمات ثلاث ، ووالدهما حيوانان شبيهان بالإنسان ، أو حيوانان شبيهان بالقرود .

٤ - إن منطوق فرضية التطور أن الإنسان يسير إلى الأفضل بينما العكس هو الصحيح ، لا من ناحية التكوين الجسمي والصحة والعافية والقوة ، فآدم عليه السلام عاش ألف سنة ولا شك أنه يمتاز بما يجب أن يكون عليه من ذلك لمثل هذا العمر .

ولا من ناحية الجمال ، فأهل الجنة يدخلونها على صورته - كما سبق - فالخلق إذن يتناقص من ناحية التكوين الجسمي والجمال ...

(٢) السجدة : ٧ - ٩

(١) الزمر : ٥ - ٦

(٣) الشوكاني : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٤ ص ٤٥ .

٥ - فرضية وليست حقيقة علمية :

إن فرضية التطور (النشوء والارتقاء) فرضية ، وليست حقيقة علمية لا تقبل النقاش ، والأدلة على بطلانها كثيرة ، وخاصة على مستوى براهينها الحالية .

« والعلم عندما يخوض فى هذه المسائل ، التى تتعلق بأصل الكون ، وأصل الأرض ، وأصل الإنسان ، وغيرها من الأصول ، إنما يخرج على المنهج العلمى ذاته ، لأن المنهج العلمى إنما يهتم بما هو كائن أمامه لا بما لم يره ، وإذا توفّر لديه علم على ما لم يره فإن هذا العلم لا يتوفّر لديه إلا بما هو قائم أمامه ، وحينئذ يقول : يُظن ، ويُحتمل ، وغيرها من الألفاظ التى تدل على الشك ، لا على اليقين » (١) .

« ولست أتردد فى التصريح بأن احترام العقل البشرى ذاته يُوجب عليه أن يُنسخ للمجهول مجاله ، وأن يحسب له حسابه ، لا عن طريق الإيمان الدينى ، ولكن عن طريق التفكير العلمى ، وإن العقل البشرى ليسقط احترامه حين يدعى أنه يعلم كل شيء ، وهو لا يعلم نفسه ، ولا يدرى كيف يُدرك المدركات ... وليس فى هذا إنكار للفكر الإنسانى وحرية ، ولكن فيه احترام لهذا الفكر ، بمعرفة قدرته ومجاله .

وإذا كان رجال الدين فى أوروبا - لا الدين ذاته - قد وقفوا فى طريق حرية البحث العلمى - حتى فى العالم المادى - فنشأت عداوة جارفة بين رجال الفكر ورجال الدين ، فلا يجوز أبداً أن ننقل الموضوع برمته إلى الشرق وإلى الإسلام ، فيكون مظهر حرية الفكر الوحيد عندنا ، هو التهجم والتقحم بلا سند إلا هذا السند الذى يتجاوز دائرته . فهذا هو نفسه التقليد المعيب ، الذى يدل على أن حرية الفكر هذه - من أزياء (المودة) نُقلده تقليد القروء » (٢) .

(١) د . عبد الفنى عبود : الإسلام والكون (مرجع سابق) ص ٩٥

(٢) سيد قطب : التصوير الفنى فى القرآن - دار الشروق ، ط ٦ ، ١٤٠٠ هـ ، (١٩٨٠ م) ،

وإن فرضية التطور مُعَارَضَةٌ - كما سبق - على مستوى عريض من علماء الأحياء أهل الاختصاص .

كما أنها تُدرس - عند أكثر الأساتذة - فى الغرب على أنها فرضية من أقرب الفروض ، ولم يقولوا عنها إنها حقيقة علمية ، وقد صدرت تعليمات على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية فى عام (١٩٨٢ - ١٩٨٣) أن يُشار إليها فى الكتب المدرسية على أنها فرضية وليست حقيقة علمية ، وقد سبقت فى ذلك ولاية كاليفورنيا الأمريكية حيث « قرر المجلس التعليمى الحكومى بولاية كاليفورنيا الأمريكية فى عام ١٩٧٣ أن تُشير جميع الكتب المدرسية للعلوم أن نظرية الارتقاء الداروينية نظرية افتراضية ، وليست حقيقة علمية » (١) .

ولا شك أن ذلك انتكاس للفرضية فى مجال البحث العلمى ، وذلك بعكس ما نلاحظه فى العالم العربى والإسلامى الذى تُدرس فيه بكل تحمس من بعض أساتذتها ، وكأنها من الحقائق المُسلم بها .

والمؤمنون بالخالق من أصحاب الفرضية يجعلونها دليلاً على وجود الخالق المبدع للمخلوقات .

« وقد قال والاس فى كتابه « عالم الحياة » متحدثاً عن عقيدة داروين : « إنه على ما يظهر قد صار إلى نتيجة واحدة وهى أن الكون لا يمكن أن يكون قد وُجِدَ بغير علة عاقلة ، ولكن إدراك هذه العلة على أى وجه كامل يعلو على إدراك العقل البشرى » .

ثم عقب والاس قائلاً : وإننى لأولى هذه النظرية كل عطفى وشعورى ، ولكن مع هذا فإننا مستطيعون أن نلمح قبساً من القدرة التى تعمل فى الطبيعة ،

(١) محمد جواد مغنية : الإسلام بنظرة عصرية ، دار العلم للملايين ببيروت ، ط ٣ ، ص ٥٧ - ٥٨ بتصرف .

يساعدنا على تذليل الصعوبة البالغة التى تحول دون العلم بحقيقة الخالق ، الذى لا أول له ولا آخر « (١) .

كما أن الأمانة العلمية متوفرة عند المؤمنين بالخالق بنسبة كبيرة فى مجال البحث العلمى فيما يتعلق بالفرضية ، وأن التطور الهائل فى وسائل البحث العلمى الحديثة قد تتيح الفرصة إلى كشف أسرار مهمة بالنسبة إلى فرضية التطور بشكل عام تؤيد ، أو تعارض .

ولكن ما أعتقده وأؤمن به بالنسبة إلى موضوع الإنسان بالذات أنه خُلِقَ خلقاً مستقلاً ، وأنه ذرية لآدم عليه السلام وزوجه .

وأن الفرضية عند أهل الإلحاد ستبقى موجودة وستستمر أدلتها وأدلة الإلحاد معها - بأن ذلك تطور تلقائى محض (٢) - لأنها تمثل فلسفة جديدة للإلحاد يمكن أن تغتر بها الشعوب بوجه عام بما تحمله من رسم خيالى ، مع إنكار للشكوك والظنون فيها ، لتأثير فلسفة الحياة عند أهل الإلحاد ، إلى أن يظهر إلى الوجود فرضية أخرى تضاهيها .

* * *

(١) عباس محمود العقاد : عقائد المفكرين فى القرن العشرين . مكتبة غريب ، القاهرة ،

ص ٥٧ - ٥٨

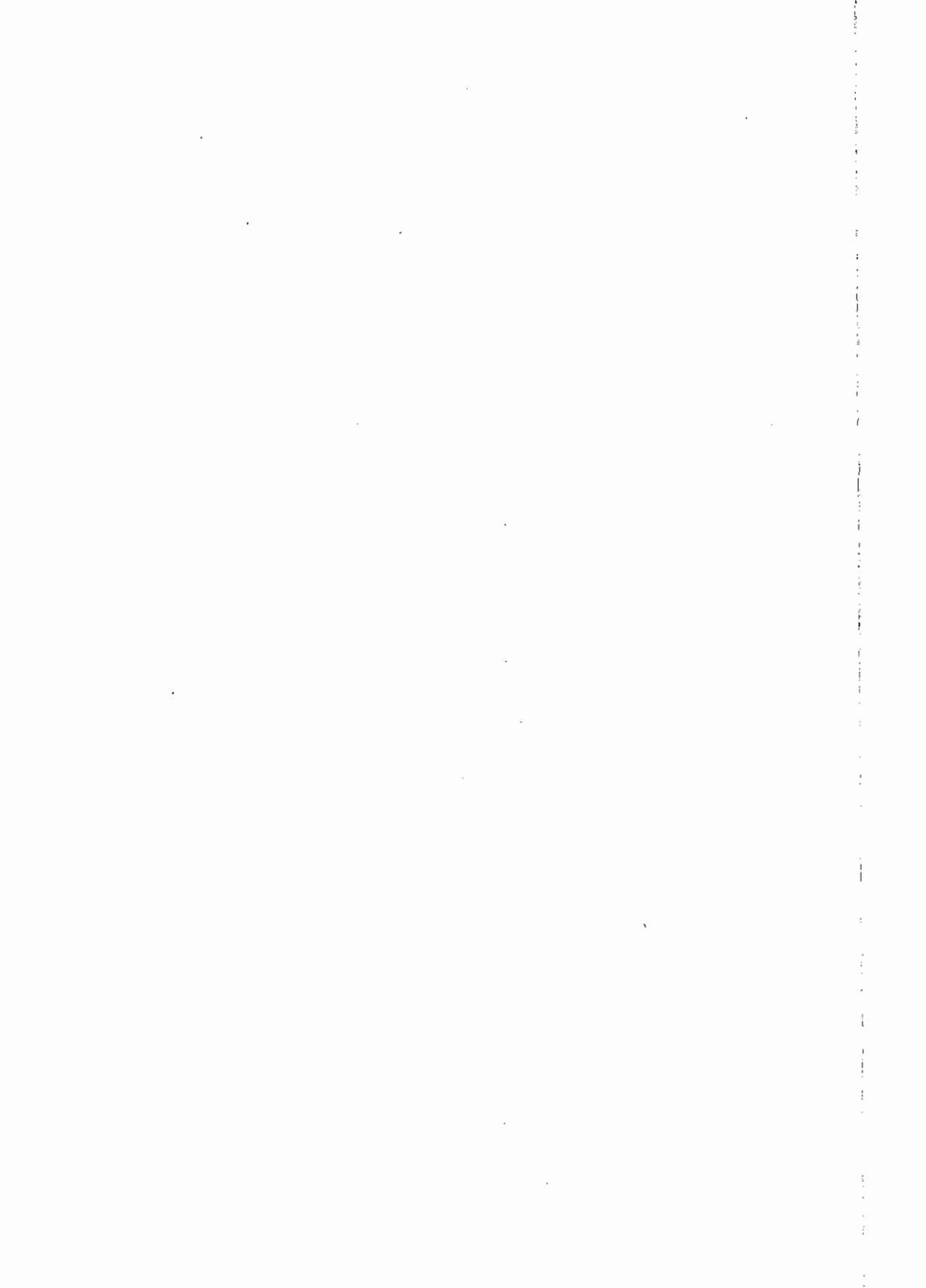
(٢) لهترمييد : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها (مرجع سابق) ص ١٠٥

عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٦٨

الباب الثانى

عناصر التكوين

- الجسد .
- الروح .
- العلاقة بين الروح والجسد



تمهيد

إن الإنسان يتكوّن من عنصرين - كما سبق - عنصر أرضى ، وهو الجسد ، ويمثله الطين ، وعنصر علوى منحه الله تعالى للإنسان ، ليكون له شىء من صفاته تعالى ، وهو الروح .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (١) .

ولتفصيل ذلك عملت على تقسيم هذا الباب إلى الفصول التالية :

- الفصل الأول : الجسد .
- الفصل الثانى الروح .
- الفصل الثالث : العلاقة بين الروح والجسد .

* * *

(١) سورة ص : ٧١ - ٧٣

الفصل الأول

الجسد

لقد ورد لفظ « الجسد » فى القرآن الكريم أربع مرات بمعنى الصور والشخوص والبدن (١) .

قال تعالى : ﴿ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ ، أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ (٥) .

(١) د . عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان . دار العلم للملايين ، ط ٤ ، ١٩٨١ م ، ص ١٨٥

(٢) محمد عبد القادر الرازى : مختار الصحاح ، حققه محمود خاطر بك ، دار الفكر بيروت ، ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) ص ١٠٣

الحسين بن محمد الدامغانى : قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم ، حققه عبد العزيز سيد الأهل . دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨٣ م ، ص ١٠٥

(٤) الأتبياء : ٨

(٣) طه : ٨٨

(٢) الأعراف : ١٤٨

(٥) سورة ص : ٣٤

ولقد ورد لفظ « الجسم » بمعنى الجسد ، أو البدن ، مرتين وبصيغة المفرد مرة ، وبصيغة الجمع أخرى (١) .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا ، قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ، قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ، وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ، كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُسْتَنْدَةٌ ، يَخْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ، هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ، قَاتِلْهُمْ اللَّهُ ، أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٣) .

والجسد كالجسم ، ولكنه أخص (٤) ، إذ يغلب إطلاقه على جسم الإنسان (٥) ، وأيضاً فإن الجسد ما له لون ، والجسم لما لا يبين له لون ، كالماء ، والهواء .. وباعتبار اللون قيل للزعفران جساد (٦) .

و « الجسم ما له طول وعرض وعمق ، ولا تخرج أجزاء الجسم عن كونها أجساماً ، وإن قُطِعَ ما قُطِعَ ، وجُزِيَء ما جُزِيَء ، والجُسمان : قيل هو الشخص ، والشخص قد يخرج من كونه شخصاً بتقطيعه ، وتجزئته بخلاف الجسم » (٧) .

والجسد يمثل الجانب المادى للإنسان (الطين) وقد أثبت التحليل المخبرى أن عناصر تكوين جسم الإنسان هي عناصر التكوين للطين .

(١) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ١٧ .

(٢) البقرة : ٢٤٧ (٣) المنافقون : ٤

(٤) الراغب الأصفهاني : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٩٣

(٥) محمد إسماعيل إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (مرجع سابق) ص ١٠١

(٦) الراغب الأصفهاني : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٩٣

(٧) المرجع السابق ص ٩٤

وتشتمل هذه العناصر على (٩٢ عنصراً) طبيعياً^(١) ، وتختلف بنسب متفاوتة في تركيب جسم الإنسان ، ولعل أهمها^(٢) :

الأوكسجين	٨١ ر ٦٢ .٪
الفحم	٣٧ ر ١٩ .٪
الهيدروجين	١٤ ر ٥ .٪
الأزوت	٣٨ ر ١ .٪
الفوسفور	٦٤ ر .٪
الكلس	٦٣ ر .٪
الكبريت	٢٦ ر .٪
الكلور	٢٢ ر .٪
الصوديوم	١٨ ر .٪

وقد قدر أحد العلماء قيمة كمية هذه العناصر في جسم الإنسان بمبلغ ٥ . أو ٦ .٪ من الجنية المصرى^(٣) ، أى ما يُساوى ٣٠٠ - ٤٠٠ مليماً تونسياً تقريباً .

وإن الاختلاف في كمية كل عنصر في أجزاء الجسم إنما يعود إلى الاختلاف في المهمة الملقاة على عاتق كل جزء .

« فالكالسيوم والفوسفور مثلاً يُكوِّنان الهيكل العظمى ، ولذا يوجدان في الجسم بنسبة أعلى من نسبة كثير من العناصر ، فإن بعض تلك العناصر النادرة توجد في الجسم بكميات ضئيلة ، قد تصل إلى أجزاء من مليون من الجرام ،

(١) البهي الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٢٠ .

(٢) د . خالص الحلبي : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٤٧ .

(٣) محمد الغزالي : نظرات في القرآن . دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، ط ٥ ، ص ٥٨ .

وهذه تقوم بدور العوامل المنشطة لبعض الخمائر فى بعض خلايا الغدد الخاصة فى الجسم ، مثل الكوبالت فى فيتامين ب ١٢ ويوجد فى البنكرياس ، ويلزم لصنع الكرات الدموية الحمراء ، وفى بعض هذه الوظائف الأخرى للخلايا العصبية « (١) .

وإن القرآن يشير إلى أن الماء عنصر أساسى فى تكوين جسم الإنسان .
قال تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ، وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ، أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .
وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ (٣) .
والطين = تراب + ماء .

والماء « من العناصر الغذائية ، التى تدخل فى تركيب وتكوين الخلايا والدم ، وهو يقوم بإذابة الفضلات العادية ، والضارة ، ليحملها خارج الجسم ، مع العرق ، أو البول ، كما يعمل على تنظيم حرارة الجسم ، ويحصل الإنسان على حاجته من الماء إما بطريقة مباشرة خالصة من الطعام ، أو بطريقة غير مباشرة ، وذلك بتأكسد مختلف أنواع الأغذية داخل الجسم » (٤) .

وإن هذه العناصر تنتقل إلى الإنسان عن طريق ما يتناوله من غذاء ، وإن العناصر كانت كامنة فى خلية واحدة ، لا ترى بالعين المجردة ، تتكون من الحيوان المنوى والبويضة ، وهما يتكوّنان من نفس هذه العناصر عند والديه ، ثم تتغذى هذه الخلية (الجنين) فى رحم الأم من نفس هذه العناصر (٥) ، فكان

(١) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٢٠ .

(٢) الأنبياء : ٣٠ . (٣) المؤمنون : ١٢ .

(٤) جماعة من أهل الاختصاص : فن الطبخ الصحيح . دار مكتبة الحياة ، بيروت ص ١٠ .

(٥) الكسيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول (مرجع سابق) ص ١٠٥ .

د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٤٢ .

« ويستهلك الجسم من خلاياه حوالى ٧٥ مليون خلية فى الدقيقة الواحدة ،
وكمثال على ذلك فإن أحد قطاعات الجسم ، وهو الوسط الداخلى الدموى ،
يستهلك الإنسان منه فى كل ثانية حوالى مليونى كُرْبَة حمراء ، ويختلف عمر
الكُرْبَة الحمراء التى تمثل نوعاً من أنواع الخلايا عن أعمار باقى الخلايا فهناك
الخلايا التى لا تعيش إلا أياماً معدودة بسيطة ، وهناك الكُرْبَة الحمراء التى
تعيش وسطياً حوالى شهرين ، وهناك الخلايا التى تعيش ما عاش الإنسان ،
تولد بعدد محدود مُقَدَّر ، وتبقى كما هى لا تزيد إلا بحالة واحدة ، وهى النمو
السرطانى الخبيث ، كما أنها لا تنقص إلا بالآفات التى تُدمِّر الخلايا وتتلفها ،
وهى الخلايا العصبية المركزية » (١) .

« وهذا الثبات فى عدد الخلايا العصبية مهم ، لأن الخلايا لو تغيرت
وتكاثرت كما تتغير وتتكاثر خلايا البدن فإن معنى هذا أن على الإنسان أن
يتعلم اللُّغة كل ستة أشهر مرة أخرى ، ويكون معنى هذا أيضاً فقدان الذاكرة ،
وتعلم ممارسة الحياة ، وبالاختصار لا حضارة إنسانية ، فثبات الخلايا العصبية
هو الذى جعلها تجمع الخبرات ، والمعلومات ، وتُنمى الثقافة ، والأفكار ،
والمفاهيم » (٢) .

وإن نقص أو زيادة أى عنصر من هذه العناصر فى جسم الإنسان عن النسبة
المحددة يُعتبر حالة مرضية ، تسبب لصاحبها عواقب سيئة ، جسمياً ، وعقلياً ،
ونفسياً (٣) .

فـ « خذ هرمون الغدة الدرقية المفروض أن يتوفر فى الدم بنسبة معينة ، فإذا

(١) د . خالص الحلبي : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ، ج ١ ص ٤٠ بتصرف .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١٨ - ١١٩

(٣) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى ، دار النهضة العربية ببيروت ،

١٩٧٤ م ، ص ٥٥ - ٦٠

عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى . مكتبة النهضة المصرية ، ط ١ ، ١٩٨١ م ،

انخفضت نسبته عن ذلك قليلاً تغيرت الصورة العامة للشخص فى كثير من جوانبها ، ففىما يتعلق بالنشاط الذهنى ، وبالشخصية ، نجده يصبح كثير النسيان ، وتقل قدرته على تركيز انتباهه ، كما أنه يفقد القدرة على المبادأة ، أو الإقدام ، والحسم فى المشكلات ، وتنفيذ الخطط ، هذا إلى جانب تغيرات أخرى تطراً عليه ، ولا يمكن القول بأنها تغيرات سلوكية ، إلا أنها مع ذلك تتدخل - بشكل غير مباشر - فى تشكيل سلوكه ، من ذلك مثلاً أن الشخص يصبح بديناً ، شديد الحساسية للبرد ...

وكذلك تؤدى زيادة الإفرازات إلى اضطرابات لا تقل عن ذلك خطراً ، ففىما يتعلق بالنشاط الذهنى ، وبالشخصية ، يصل الأمر فى بعض الحالات الحادة إلى درجة تفكك تيار التفكير ، والخلط ، والهذاء ، وحدوث بعض الهلوسات ...

ويحدث أحياناً أن يُولد الطفل دون غدة درقية ، فلا ينمو ، ولا يكتسب المظاهر الإنسانية للشخصية ، فيعيش كالحیوان الذى لا يستطيع أن يُعبّر عن رغباته ، إلا بصيحات يُطلقها من حين لآخر ، ولذلك يُقال عنه إنه يعيش فى مستوى تحت البشرى ، أما من حيث الاستجابات الذهنية ، والحركية ، فهى بطيئة جداً ، وتتسم بطابع الغباء ، والتبلد ، وغالباً ما يكون الطفل أبله ، أو معتوهاً» (١) .

« والبنكرياس يفرز الأنسولين ، الذى يُنظّم سكر الدم ، والخصية تفرز الهرمون الذى يهب صفات الذكورة ، والغدة النخامية تفرز هرمونات النمو والتكامل ، بحيث لو اختل إفراز إحداها لأصيب الإنسان بداء السكر ، أو بالأنوثة بعد الذكورة ، أو بالقزامة بعد الطول الطبيعى » (٢) .

« وكذلك فإن الغدة النخامية التى توجد فى وسط الرأس ، وتتألف من عدة

(١) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ،

ط ٥ ، ١٩٧٨ م بتصرف ، ص ٢٩

(٢) د . حسن فرهود : الوجود الحق (مرجع سابق) ، ص ٥٩ - ٦٠ بتصرف .

فصوص ، وتُسمى هذه الغُدَّة بالغُدَّة الأم ، لأنها تقوم على رقابة غُدَّة الجسم اللاقناتية الأخرى ، كما يقوم رئيس العمال فى المصنع على شتى طوائف العمال به ، وهى تراقبها بإرسال الهرمونات لتضبط أعمالها ، وقد كشف الكاشفون عن ستة هرمونات منها فى الفص الأمامى من الغُدَّة ، ولا يزال البحث جارياً فى الفص الخلقى ، والفص المتوسط ، وهرموناتهما « (١) .

وإن هناك غُدَّةً أخرى كالعُدَّة الكظرية (غُدَّة ما فوق الكليتين) ، والغُدَّة الصنوبرية ، والغُدَّة الزعترية (٢) ... إلخ ، ولكن نكتفى بما سبق لتوضيح أهميتها فى جسم الإنسان فى بناء الذات .

وهذه كلها تعمل على القيام بوظائفها بطريقة غير إرادية من الإنسان نفسه ، ف « إن الجسم الإنسانى فى إجراءاته الحياتية ، ذات العمليات الكيميائية المتتابعة ، التى يصل بعضها بعضاً ، ويعتمد بعضها على بعض ، يحتاج لضبطها ، وتوقيتها ، وتنسيقها ، إلى هرمون وهرمون وهرمون ، وما أكثر الهرمونات ، وما أكثر الرُّسل . إبداع فى إدارة هذا الجسم عجيب ، وفهم يقوم به من المواد ما لا يفهم ، ولكنه يقوم به لغاية ، وغاية لا بد منها ، وغاية كالأغاية الواعية ، وما فيها من وعى .

مواد لا وعى بها ، ولكن هنالك وعى ، وهنالك هدف ، وهنالك غاية كل هذا الوعى العاقل المدبّر إنما اختفى وراء ما ترى من عمليات هضم ، وعمليات إفراز ، وعمليات حياة ، تتضمن ألف عملية ، وتزيد الملاحظة تعقيداً ، وتزيد التوقيت صعوبة ، لو كان إنسان قيماً عليها إذن لفسدت ، ومن أجل هذا قامت الحياة

(١) د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٢٧ بتصرف .

(٢) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ٢٥

د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٢٤

د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٥٥

بديلاً عنا بوعى أيقظ ويفكر أفهم وبدقة متناهية ، وبإدراك لمعنى الزمان ، وتلاحق الدقائق والثواني (١) .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (٢) .

وإن « رداد الفعل الإرادية لا تحتاج إلى دماغ ، لكنها تفترض حالة من اليقظة ، بالنسبة إلى الوظائف الحسية ، والحركية على الأقل .

أما بالنسبة إلى الوظائف الغذائية ، فإن هذا الضبط يتعلق بوظائف ويفترض تناسق جميع الأجزاء ، للحفاظ على الحرارة ، ولضبط التفاعلات الكيميائية ... وغير ذلك . والكلب الذي انتزع دماغه ، يبدو طبيعياً إذا ما ظل يحتفظ بمراكز القاعدة ، فهو يمشى مشياً طبيعياً ، لكن الملاحظة الدقيقة تبين أنه حتى آلى ، يعجز عن رداد فعل التكيف الدقيقة ، التي تنم عن الذكاء » (٣) . وعلى ذلك تم استنباط أن « الحياة الانفعالية العليا تتعلق بالقشرة » (٤) .

وبهذا نُدرك أن جسم الإنسان له أهميته الكبيرة في تكوين الذات الإنسانية ، جسمياً ، ونفسياً وعقلياً ، وليس للإنسان اختيار في ذلك ، ولكن يجب أن لا يكون هنالك مبالغة في تقدير أهميته (٥) على حساب الجانب الآخر في الإنسان . وهو الجانب الروحي ، الذي له دور رئيسي - أيضاً - في التقويم ، والترشيد ، لما يمنحه هذا الجانب للإنسان من إمكانيات ، وقدرات ، وقيم ، ومبادئ روحية (٦) .

(١) د . أحمد زكي : مع الله في الأرض (مرجع سابق) ص ١٩ بتصرف .

(٢) المؤمنون ١٢ - ١٤

(٣) ، (٤) بول شوشار : فيزيولوجية الوجدان . ترجمة د . خليل الجر ، المطبعة البوليسية ، يونية ١٩٧٧ م ، ص ٥٤

(٥) مصطفى سريف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعي . (مرجع سابق) ص ٣ .

(٦) البهي الخولي : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٣٣

و « إن التكامل العضوى فى الجسم يظل ناقصاً ، وأنه يرتكز على علاقات احتمال ، وكل هذا لا يتلاءم مع التماسك التام للسلوك ، ويُعبّر عن كثرة العوامل ، وتعدّد الدوافع ، والميول ، والنزعات ، التى قد يكون التوفيق بينها فى غاية الصعوبة » (١) ، وإن «العلاقات المتبادلة والتحليلات العلمية تُبيّن أن الصفات المختارة لتعريف عادة ضعيفة ، وإذا كان من السهل العثور على حالات مميزة ، فإن التصنيفات تمثل فى مجملها اتجاهات إحصائية ، أكثر مما تمثل أفراداً ، وعلى الرغم من ذلك ، منهم من يفترض علاقة تكاد تكون ثابتة بين التشكل من ناحية ، والمزاج أو الخلق أو الطريقة الذهنية من ناحية أخرى ، ومن الممكن أن تكون بعض العلاقات حقيقية ، ولكنها لا يمكن أن تكون على ما يدّعون من الصلابة ، ولعل النتائج المتناقضة لبحوث كثيرة ناجمة عن هذا الموقف » (٢) .

عن أبى موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل ، خلق آدم من قبضة قبضتها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والحبيث والطيب » (٣) .
إن الكل يدرك أن الإنسان ليس له دور فى اختيار لونه ، أبيض أو أسود .. إلخ ، وإنما ذلك يرجع إلى طبيعة تكوينه .

وكذلك قد تكون الصفات التى يتصف بها إنسان ليست من اختياره ، وتقويمه ، وترشيده ، ولكن ذلك يعود إلى ما جُبل عليه فى طبيعته ، كما أن المكان لا يعود إليه اختيار فى أن يكون سهلاً ، أو حَزَنًا (٤) .
والحديث ليس معناه تقسيم الناس بين طيب وخبيث ، أو سهل وحَزَن فقط ، ولكن هنالك درجات من أسفل سافلين إلى أعلى عليين .

(١) أوجين شريدر : البيولوجية الإنسانية (مرجع سابق) ص ٥٨

(٢) المرجع السابق : ص ٥٩ - ٦٠

(٣) رواه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن ، باب : سورة البقرة ، وقال : حسن صحيح ، ج ٤ ص ٢٧٣

(٤) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٢٥ - ٢٦

وبذلك تُدرك مغزى من مغازى اشتراط النية فى العمل ، الذى يقوم به الإنسان ، بأن يكون لوجه الله ، وحيث إننا قلنا إن الدرجات متفاوتة فى الصفات التى يتصف بها الإنسان ، فإن النية فيها تقويم وترشيد أفضل لما يتصف به الإنسان ، لأن فيها مجاهدة للنفس ، ولكل قدرة وطاقة ، ولكل أجر ، وهنا يتحقق الابتلاء والامتحان .

قال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (١) .

ويلمح الإنسان هنا شيئاً من باب القَدَر فى موضوع القدرات ، والإمكانات ، لحكمة عالية ، وهى بناء الحياة الإنسانية ككل ، وأن ذلك ليس راجعاً للإنسان نفسه .

ولذا فإن المؤمن العاصى خير من الكافر الخيّر ، ولكن الكافر الخيّر سيكون خيراً ويزيد عند الإيمان .

عن أبى هريرة قال : قيل : يا رسول الله ! من أكرم الناس ؟ قال : « أتقاكم » قالوا: ليس عن هذا نسألك ، قال : « فيوسف نبي الله ، ابن نبي الله ، ابن نبي الله ، ابن خليل الله » ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : « فعن معادن العرب تسألونى ؟ خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » (٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « تجدون الناس معادن ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا ، وتجدون خير الناس فى هذا الشأن ، أشدهم له كراهية ، وتجدون شر الناس ذا الوجهين ، الذى يأتى هؤلاء بوجه ، ويأتى هؤلاء بوجه » (٣) .

(١) الملك : ٢

(٢) رواه مسلم فى كتاب الفضائل ، حديث ١٦٨ ، ج ٤ ص ١٨٤٦

(٣) رواه البخارى فى كتاب المناقب ، باب قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعْرَبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الهجرات : ١٢) ج ٤ ص ١٥٣

فلطبيعة الذات أهميتها ، وللنضج أهميته (١) ، وللتنشئة الاجتماعية أهميتها (٢) ، وللإيمان أهميته (٣) ، ولكن أن تقول ما هو المهم ؟ فالكل مهم ، ولكن الأهم الإيمان ، لأن فيه ترشيداً وتقويماً للفرد والمجتمع ، وفوزاً برضا الخالق سبحانه ، وفوزاً بالدارين ، بدلاً من الفوز بمتاع الحياة الدنيا .

ومن نفس العناصر التي يتكوّن منها الإنسان ، يتشكل منها فى الأرض من حولنا مخلوقات مختلفة ومتنوّعة ، فهذه دابة ، وهذا طير ، وتلك سمكة... إلخ . وتضمها وحدة متناسقة فى السنن والقوانين ، لترى كوناً عامراً بالحياة ، تثير الإعجاب والدهشة (٤) .

* * *

-
- (١) د . أحمد عبد العزيز سلامة وآخرون : علم النفس الاجتماعى . دار النهضة العربية ، القاهرة ، ص ٧١
- (٢) المرجع السابق ص ٨ .
- (٣) د . حسن الترابى : الإيمان .. أثره فى حياة الانسان . دار القلم ، ط ٢ ، ١٤٠٠ هـ ، الكويت ، ص ٢٨
- (٤) د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٤١ - ٤٢

الفصل الثاني

الروح

لقد ورد لفظ « الروح » فى القرآن الكريم (٢١ مرة) بصيغة المفرد لخمسة أوجه ، وهى (١) :

١ - للدلالة على جبريل عليه السلام :

قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ (٣) .

فـ « أيدناه » و « أيدتك » بمعنى « قويناه » و « قويتك » ، و « الروح القدس » (٤) اختلف المفسرون فيه على قولين :

(١) د . عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ج ٢ ص ١٢٦

الراغب الأصفهاني : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٢٠٥
الحسين بن محمد الدامغانى : قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٢١٣

مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٢٦٣

محمد إسماعيل إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (مرجع سابق) ص ٢١٣

(٣) المائدة : ١١٠

(٢) البقرة : ٢٥٣

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٣ ص ٢٣٥٩

- أنه الروح الطاهرة التي خص الله تعالى بها عيسى عليه السلام .
- أنه جبريل عليه السلام ، وهو الراجح (١) . لقوله تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ
الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) .
فـ « الروح القدس » جبريل عليه السلام ، بمعنى الروح المطهر ، كما أنه
يقدر النفس ، بمعنى يطهرها من الشرك (٣) .
وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ *
عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (٤) .
فـ « الروح الأمين » فيه إضافة الموصوف إلى الصفة ، والمراد به جبريل عليه
السلام ، أمين على ما أئتمن عليه من الوحي (٥) .
قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ
اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦) .
وقال تعالى : ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ
لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ (٧) .
فـ « روحنا » جبريل عليه السلام ، والإضافة للتخصيص ،
والتشريف ، لقوله تعالى : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ لأنها لا يمكن
لها أن ترى جبريل عليه السلام على صورته ، أو لأنها لا تطيق ذلك (٨) .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (المرجع السابق) ج ٣ ص ٢٣٦ .

الشوكاني : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٢ ص ٩١

(٢) النحل : ١٠٢

(٣) أبو السعود : تفسير أبي السعود (مرجع سابق) ج ٥ ص ١٤١

(٤) الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥

(٥) أبو السعود : تفسير أبي السعود (مرجع سابق) ج ٦ ص ٢٦٤

(٦) البقرة : ٩٧

(٧) مريم : ١٧

(٨) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٥ ص ٢١٢٩

وجبريل عليه السلام من الملائكة ، والله خلقهم من نور ، فهم من عالم غيبي غير محسوس (١) .

عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « خُلِقَتِ الملائكة من نور ، وخُلِقَ الجن من مارج من نار ، وخُلِقَ آدم مما وُصِفَ لكم » (٢) .

فالملائكة خلق من خلقه تعالى ، لا يستطيع الإنسان إدراكهم ، لأنهم ليسوا ممن تقع عليهم حواسه ، والإيمان بالغييب بهم ركن من أركان الإيمان .

عن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد ! أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » ، قال : صدقت ، قال : فعجبنا له يسأله ويصدقّه ، قال : فأخبرني عن الإيمان . قال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » ، قال : صدقت ... « الحديث (٣) .

٢ - للدلالة على صنف من الملائكة ، لهم مكانة وشرف ، أو جند من جنود الله تعالى غير الملائكة ، لم نعلم عنهم شيئاً :

(١) عفيفي عبد الفتاح طيارة : روح الدين الاسلامي ، ط ٦ ، توزيع دار العلم للملايين ببيروت ، لبنان ، ص ١٣٩

(٢) رواه مسلم في كتاب الزهد ، حديث ٦ ، ج ٤ ص ٢٢٩٤

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان ، حديث ١ ، ج ١ ص ٣٦ - ٣٨

قال تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ، لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ نَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ (٣) .

ولقد اختلف المفسرون في المراد بـ « الروح » :

فقيل : إنه جبريل عليه السلام ، وأنه ذُكِرَ مع دخوله في « الملائكة » للتعظيم والتشريف (٤) .

وقيل : إنه صنف من الملائكة لهم شرف ومكانة عند الله تعالى (٥) .

عن ابن عباس قال : « بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقباً من فوقه ، فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فُتِحَ اليوم ، لم يُفْتَحَ قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك ، فقال : هذا ملكٌ نزل إلى الأرض ، لم ينزل قط إلا اليوم ، فسلم ، وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك ، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته » (٦) .

كما جاء في القرآن الكريم ذكر لأسماء بعض الملائكة :

(١) المعارج : ٤ (٢) النبأ : ٣٨ (٣) القدر : ٤ - ٥

(٤) الزمخشري : الكشاف (مرجع سابق) ج ٤ ص ٢١ ، ٢٧٣

(٥) الشوكاني : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٥ ص ٣٧

(٦) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، حديث ٢٥٤ ، ج ١ ص ٥٥٤

قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَتَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ ، قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُونٌ ﴾ (٢) .

- وقيل إن المراد جند من جنود الله غير الملائكة ، لم نعلم شيئاً عنهم (٣) .

عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « الروح جند من جنود الله ، ليسوا بملائكة ، لهم رؤوس ، وأيد ، وأرجل ، ثم قرأ ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ﴾ (٤) . قال : « هؤلاء جند ، وهؤلاء جند » (٥) .

والله أعلم بمراده ، وكل من هذه الأقوال تتحدث عما لا يمكن أن تقع عليه حواس الإنسان لتدركه .

وطريق المعرفة الحقيقية للغيبيات هو الكتاب والسنة الصحيحة ، والعقل لا ينفي وجود الملائكة ، ولا دخل له في معرفتهم (٦) ، إلا بما ثبت عن الكتاب أو السنة ، لذلك يجب الإيمان بهم ، وإنكارهم كفر (٧) .

٣ - للدلالة على ما يتضمن القوة والتأييد من الله تعالى ؛ قال تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ، وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٨) .

(٢) الزخرف : ٧٧

(١) البقرة : ٩٨

(٣) أبو السعود : تفسير أبي السعود (مرجع سابق) ج ٩ ص ٩٣

(٤) النبا : ٣٨

(٥) رواه ابن أبي حاتم في كتاب العظمة ، انظر : فتح القدير ج ٥ ص ٣٧١

(٦) محمد المبارك : نظام الإسلام .. العقيدة والعبادة . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ص ١٢٨

(٧) حسن أيوب : تبسيط العقائد الإسلامية . دار النصر للطباعة الإسلامية القاهرة ، ط ٣ ،

(٨) المجادلة : ٢٢

١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) ص ١٨٤

فـ « أيدهم » بمعنى قواهم ، ونصرهم على عدوهم (١) .

و « روح منه » قيل : إن الله تعالى أرسل إليهم جبريل لنصرتهم ، وأن الإيمان سبب النصره ، وقيل : بالقرآن والحجة (٢) ، أو أن القوة والتأييد من الله مباشرة بأمره تعالى ، وأن الإيمان سبب ذلك .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ، انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (٥) .

فـ « كلمته » قيل المراد بها بشارة الله لمريم (٦) في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ (٨) .

(١) ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء) : تفسير القرآن العظيم . المكتبة التجارية الكبرى بمصر

جـ ٤ ص ٣٢٩

(٢) الشوكاني : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٥ ص ١٩٣

(٥) النساء : ١٧١

(٤) البقرة : ١٨٦

(٣) يس : ٨٢

(٦) الشوكاني : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ١ ص ٥٤٠

(٨) التحريم : ١٢

(٧) آل عمران : ٤٥

وقيل إن المراد بـ « كلمته » الأمر الكوني المباشر من الله تعالى بـ « كن فيكون » (١) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٢) .

و « روح منه » فـ « منه » متعلق بمحذوف وقع صفة للروح أى كائنة منه (٣) .
وإضافة للتفضيل والتشريف (٤) كقوله تعالى :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ، وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (٥) .

وأن التفضيل والتشريف من الله تعالى منحه المعجزات ، لإثبات نبوته وتقويته .

قال تعالى : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٧) .

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٢ ص ٨١٧

(٢) آل عمران : ٥٩

(٣) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) ج ١ ص ٥٤١

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ١ ص ٥٠٥ ، ج ٣ ص ٣١٨

(٥) البقرة : ١٢٥ (٦) آل عمران : ٤٦ (٧) آل عمران : ٤٩

وإن جميع أرواح خلقه منه ، وإن كان الملك هو الذى ينفخ الروح لأن ذلك بأمره تعالى (١) .

وأنه من التشريف والتفضيل ، خصوصية عيسى عليه السلام فى أن يتولى نفخ الروح فيه جبريل عليه السلام ، لما له من منزلة عالية عند الله تعالى .

٤ - للدلالة على الوحي :

قال تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤) .

فالوحي فى اللغة الإعلام الخفى ، ويتناول الإلهام الفطرى للإنسان ، أو الغريزى للحيوان (٥) .

قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ (٧) .

والوحي شرعاً « إعلام الله تعالى من اصطفاه من عباده ، كل ما أراد اطلاعه عليه ، من ألوان الهداية ، والعلم ، ولكن بطريقة خفية ، غير معتادة للبشر » (٨) .

(١) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) ج ١ ص ٥٤١

(٢) النحل : ٢ (٣) غافر : ١٥ (٤) الشورى : ٥٢

(٥) د . عبد المنعم النمر : فى علوم القرآن . دار الكتاب المصرى ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ ، ص ١٣-١٤

(٦) النحل : ٦٨ (٧) القصص : ٧

(٨) د . عبد الله شحاتة : علوم القرآن والتفسير . دار الاعتصام ، القاهرة ، ص ١٤

ويلاحظ أن كلمة « الروح » بمعنى الوحي يقترب معناها في كل آية جملة « من أمره » أو « من أمرنا » ، فمن المحتمل أن يكون كل أمر من الله تعالى روحاً منه ، والله أعلم .

قال تعالى : ﴿ وَاسْتَلُونكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (١) .

لقد وردت هذه الآية في سورة الإسراء ، في سياق الحديث عن القرآن الكريم ، فالآيات التي قبلها تتحدث عنه .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً * وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً * وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوساً * قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً ﴾ (٢) .

وإن الآيات بعدها تتحدث عن القرآن .

قال تعالى : ﴿ وَكَلِمَاتُنَا لَنُذْهِبْنَ بِالذِّي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً * إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ ، إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً * قُلْ لئن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (٣) .

فهل يكون المراد بـ « الروح » القرآن ؟

بما أن ما قبل هذه الآية ، وما بعدها ، في وصف القرآن الكريم فإنه من الأولى أن يكون المراد بـ « الروح » القرآن الكريم ، لتكون الآيات متناسبة متناسقة (٤) .

(١) الإسراء : ٨٦ - ٨٨

(٢) الإسراء : ٨١ - ٨٤

(٣) الإسراء : ٨٥

(٤) الفخر الرازي : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب . دار الفكر ببيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ ،

عن الأعمش سليمان ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود قال :
بينما أنا أمشي مع النبي ﷺ في حر المدينة ، وهو يتوكأ على عسيب معه ،
فمر بنفر من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا
تسألوه ، لا يجيء فيه بشيء تكرهونه ، فقال بعضهم : لنسألنه ، فقام رجل
منهم ، فقال : يا أبا القاسم : ما الروح ؟ فسكت ، فقلت : إنه يوحى إليه ،
فقلت فلما انحلى عنه ، فقال : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ
أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١) . قال الأعمش : هكذا في
قراءتنا « (٢) .

ويقول ابن القيم : « إن أكثر السلف - بل كلهم - على أن الروح المسئول
عنها في الآية ، ليست أرواح بنى آدم ، بل هو الروح الذي أخبر الله عنه في
كتابه ، أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة ، وهو ملك عظيم » (٣) .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ، لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ
أُذِنَ لَهُ الرُّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ (٤) .

عن الحسين بن محمد بن إبراهيم ، أنبأنا إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن
السدى عن أبي مالك ، عن ابن عباس قال : بعثت قريش عقيبته بن أبي
معيط ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، إلى يهود المدينة يسألونهم عن
النبي ﷺ ، فقالوا لهم : إنه قد خرج فينا رجل يزعم أنه نبي ، وليس على ديننا ،
ولا على دينكم قالوا : فمن تبعه ؟ قالوا : سفلتنا ، والضعفاء والعبيد ، ومن
لا خير فيه ، وأما أشراف قومه فلم يتبعوه ، فقالوا : إنه أطل زمان نبي يخرج ، وهو

(١) الإسراء : ٨٥ بلفظ : « أوتيتهم .. »

(٢) رواه البخارى في كتاب العلم ، باب قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ

إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء : ٨٥) ، ج ١ ص ٤٠ .

(٣) ابن القيم : الروح ، تحقيق محمد اسكندر بلدا . دار الكتب العلمية ببيروت ، ط ١ ،

(٤) النبأ : ٣٨

١٤٠٣ هـ ، ص ٢٠٣ .

على ما تصفون من أمر هذا الرجل ، فأتوه ، فأسألوه عن ثلاث خصال نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي صادق ، وإن لم يخبركم فهو كذاب ، سلوه عن الروح التي نفخ الله تعالى في آدم ، فإن قال لكم هي من الله ، فقولوا : كيف يُعذَّبُ الله في النار شيئاً منه ؟ قيل : فسأل جبريل عنها ، فأنزل الله عز وجل الآية ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ... ﴾ (١) .

فالحديث الأول يذكر أن الآية نزلت في المدينة المنورة ، أما الحديث الثاني فيذكر أن الآية نزلت في مكة المكرمة ، قبل الهجرة ، كما يوضح المراد بالروح ، « وقيل مثل هذا الإسناد - الحديث الثاني - لا يُحتج به ، فإنه من تفسير السدي عن أبي مالك ، وفيه أشياء منكرا » (٢) .

وإذا كانت الآية نزلت بمكة المكرمة قبل الهجرة ، فتكرر السؤال نفسه ، فلا حاجة إلى أن ينتظر الرسول ﷺ الوحي ، لإجابته ، ولأجابه مباشرة .
فهل يمكن أن نعامل الآية بالقاعدة المعروفة عند علماء التفسير ، وهي : تعدد أسباب النزول ، والحكم واحد (٣) .

بمعنى أن هنالك سؤالاً في مكة المكرمة قبل الهجرة ، عن أرواح بنى آدم ، وآخر في المدينة المنورة ، عن الروح في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ، لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ (٤) .
أو عن جبريل ، أو عن الوحي ، فيكون المقصود بالروح في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أرواح بنى آدم ، والروح الذي يقوم مع الملائكة يوم القيامة ، والوحي ، ولعل ذلك هو المراد للاختلاف في تحديد ذلك ، والله أعلم .

(١) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٠٤

(٢) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٠٤

(٣) د . عبد المنعم النمر : علوم القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ١٠٣ - ١٠٤

(٤) النبأ : ٣٨

مع أن علماء الحديث يُرجِّحون رواية البخارى ، لأنها أولى من رواية للترمذى (١) تتضمن أن الآية نزلت بمكة (٢) وأولى من الرواية السابقة والتي لم ترد فى كتب الصحاح أو السنن .

٥ - ما يمثل ما يمنحه الله تعالى للإنسان ، أثناء الخلق ، وهو ما نحن بصدده :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِّنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ، قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَالتِّى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِحْسَانُ ﴾ (٧) .

(١) د . عبد الله شحاتة : علوم القرآن والتفسير (مرجع سابق) ص ١١٩

(٢) سنن الترمذى كتاب تفسير القرآن ، باب : سورة الاسراء ، ج ٤ ص ٣٦٦

(٣) الحجر : ٢٨ - ٢٩ (٤) سورة ص : ٧١ - ٧٢ (٥) السجدة : ٧ - ٩

(٦) الأنبياء : ٩١ (٧) التحريم : ١٢

والذى يجب أن يُعرف هو أن إسناد النفخ لله تعالى ليس كإسناد النفخ للإنسان ، أو غيره ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١) مما قد يخطر على بال .

وإن أغلب تعريفات الروح - قديماً وحديثاً - إن لم أقل كلها لا تفرق بين الروح والنفس ، إنما تجعلهما مترادفتين كما سيأتى .

ولكن بملاحظة الآيات القرآنية ، التى وردت فيها كلمة « الروح » فيما يتعلق بخلق الإنسان ، نجد أنها تتعلق ببدء الخلق ، وأنها لم تأت فى مخاطبة الذات الإنسانية ، بينما لم ترد « النفس » إلا فى مخاطبة الذات الإنسانية (٢) ، وكذلك لم ترد كلمة « الروح » إلا مفردة ، بينما جاءت « النفس » مفردة ، وجمعاً (٣) .

« أما ذكر بعض الأحاديث النبوية للأرواح بصيغة الجمع ، فقد تعرّض له الفقهاء ، وقالوا : إن الأنفس أصلها من الروح ، ومن ثمّ جاز تسمية الفرع بما يُطلق على الأصل من قبيل المجاز » (٤) .

وقد جاءت كلمة « الروح » فى القرآن الكريم فيما يتعلق بخلق الإنسان مقرونة بـ « نفختُ » ، و « نفخ » ، « نفخنا » غالباً .

(١) الشورى : ١١

(٢) د . عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان ، دار العلم للملايين ، ط ٤ ، ١٩٨١ م ص ١٨٠ ، ١٨٢

(٣) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . دار ومطابع الشعب ، ص ٣٢٦ . ٧١٠ - ٧١٤

(٤) د . عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ج ٢ ص ١٨٨

والنفخ : نفخ الريح فى شئ^(١) ، والنفخ يكون من الملك بعد مرور (١٢٠) يوماً من عملية التلقيح كما سيأتى .

فهل يكون المقصود بـ « الروح » نفخة جبريل عليه السلام ، لأنه ريح يخرج منه ، بأمره تعالى ، كما قال ذو الرمة^(٢) :

فقلتُ له ارفعها إليك وأحيها بروحك وأقته لها قيته قدرا^(٣)

« والعرب تسمى الشئ باسم الشئ إذا كان صادراً عنه^(٤) ، وعلى ذلك يكون التعبير بـ « الروح » عن النفس ممكناً مجازاً .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٥) .
وقال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾^(٧) .

فالضمير « فيها » يعود لأُم عيسى عليه السلام ، فما المراد بـ « روحنا » هل هو روح عيسى عليه السلام ، أم الأمر الإلهى الكونى بأن تحمل أم عيسى عليه

(١) الراغب الأصفهاني : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٥٠٠ .

(٢) الباهلى : شرح ديوان ذو الرمة ، تحقيق د . عبد القدوس الانصارى ، دار الايمان ببيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ ، ج ٣ ص ١٤٢٩ .

- ذو الرمة : غيلان بن علقمة (٧٧ - ١٧٧ هـ) من فحول الطبقة الثانية فى عصره ، وامتاز شعره باجادة التشبيه ، وأكثره تشبيب وكاء أطلال .

خير الدين الزركلى : الأعلام (مرجع سابق) ج ٥ ص ١٢٤ .

(٣) بروحك : بنفخك ، واقته قيته : يأمره بالرفق والنفخ القليل فى النار وأن يطعمها حطباً قليلاً قليلاً .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٣ ص ٢٠١٨ .

انظر : أبى السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) ج ١ ص ٢٥٦ .

(٥) يس : ٨٢ (٦) آل عمران : ٥٩ (٧) الأنبياء : ٩١

السلام ، وأنه بعد مضي (١٢. يوماً) من بدء الحمل ، جاء جبريل عليه السلام ، ونفخ في عيسى عليه السلام الروح .

قال تعالى : ﴿ وَمَرِّمَ ابْنَةَ عَمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَاتِنِينَ ﴾ (١) .

والضمير « فيه » يعود إلى الفرج ، والمقصود به ما في الفرج ، وهو عيسى عليه السلام - الجنين - ، وإن التصديق تم بعد نفخ الروح فيه - بعد (١٢. يوماً) من بدء الحمل - وتبين الحمل ، فعلى ذلك يكون المراد بـ ﴿ نَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ الأمر الإلهي بالحمل لأُم عيسى عليه السلام و بـ ﴿ نَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ الروح التي منحها الله تعالى لعيسى عليه السلام بعد مضي (١٢. يوماً) .

ومن هنا يترجح لدى أن المراد بـ « الروح » الأمر الإلهي ، وهو أمر لطيف خفي عن الإدراك شأنه شأن الوحي ، والملائكة ، والله أعلم .

* * *

• خلق الروح بعد الجسد :

وعلى ما سبق تكون النفس - الروح مجازاً - قد حدثت بعد نفخ الملك بالنسبة لذرية آدم عليه السلام ، وذلك - أيضاً - لما يأتي (٢) :

١ - قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٣) .

فإن الله تعالى قد نفخ فيه من روحه ، بعد خلق جسده ، ومن تلك النفخة حدثت النفس أو الروح مجازاً .

(١) التحريم : ١٢

(٢) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢١٦ ، ٢٣٧

(٣) الحجر : ٢٨ - ٢٩

٢ - قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ (١) .

فمن هذه الآية نلمح أن النوع الإنساني إنما خُلِقَ بعد خلق أصله .

٣ - قال تعالى لسيدنا زكريا : ﴿ وَقَدْ خَلَقْتكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ (٢) .

﴿ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ بروحك وبدنك ، فهما المخاطبان .

٤ - قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (٣) .

فالإنسان بروحه ، وجسده ، إنما يُخْلَقُ بعد خلق أبويه .

٥ - قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (٦) .

فهو المراد - ب « وَكَلِمَتُهُ » و « كَلِمَةٍ مِنْهُ » هي قوله تعالى : « كُنْ فَيَكُونُ » (٧) .

و « كن » تكون لجسده وروحه على الترتيب ، وهذا ما يتبادر إلى الأذهان عادة .

(٣) الحجرات : ١٣

(٢) مريم : ٩

(١) النساء : ١

(٦) آل عمران : ٤٥

(٥) النساء : ١٧١

(٤) آل عمران : ٥٩

(٧) سيد قطب : في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٦ ص ٨١٧

٦ - عن عبد الله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله ﷺ ، وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يُجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون فى ذلك مُضغة مثل ذلك ، ثم يُرسل الملك فينفخ فيه الروح ، ويُؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد ... » (١) .

فألله تعالى يُرسل الملك فيحدث الروح مجازاً - النفس - بنفخته فيه ، ولم يقل إنه تعالى أرسل ملكاً إليه بالروح ، فينفخها فى جسده (٢) .

٧ - إنه لو كان للروح وجود فى الملا الأعلى ، قبل خلق الأجساد ، ولو كانت الروح عالمة ناطقة لتذكرت وشعرت بذلك ، « فهب أن الجسم منعها من شعورها به على التفصيل والكمال ، فهل يمنعها عن أدنى شعور بوجه ما ، مما كانت عليه قبل تعلقها بالبدن ؟ ومعلوم أن تعلقها بالبدن لم يمنعها من الشعور بأول أحوالها ، وهى فى البدن ، فكيف يمنعها من الشعور بما كان قبل ذلك » (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٤) .

* * *

• خلق الروح قبل الجسد :

كما أن هناك من العلماء من قال بخلق الأرواح فى الملا الأعلى قبل خلق الجسد ، ويأتى الملك بها إلى الجسد بعد خلقه ، لينفخها فيه ، وهذا رأى يلزم عليه أن يكون الروح والنفس لفظين مترادفين .

(١) رواه مسلم فى كتاب القدر ، حديث ١ ، ج ٤ ص ٢٣٦ .

(٢) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٣٧ .

(٣) ابن القيم الروح (مرجع سابق) ص ٢٣٦ .

(٤) النحل : ٧٨

وقد استدلو بما يأتي :

١ - قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ، قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ، أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (١) .

قالوا إن الاستنطاق ليس للأبدان وإنما للأرواح ، لتأخر خلق أبدان بنى آدم عن خلق آدم عليه السلام ، ولكن الله تعالى أخبر أن الحكمة من هذا الاستشهاد إقامة الحجة ، والحجة إنما قامت على ذرية آدم عليه السلام بالرسالة (٢) .

قال تعالى : ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٣) .

وإن ذلك « تمثيل لخلقه تعالى إياهم فى مبدأ الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة فى الآفاق ، والأنفس ، المؤدية إلى التوحيد والإسلام ، كما ينطق به قوله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ... » (٤) .

الحديث مبنى على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريفه تعالى إياهم لمعرفة ربوبيته ، بعد تمكينهم منها ، بما ركز فيهم من العقول والبصائر ، ونصب لهم فى الآفاق والأنفس من الدلائل ، تمكيناً تاماً ، ومن تمكينهم منها تمكناً كاملاً ، وتعرضهم لها تعرضاً قوياً بهيئة منتزعة من حملة تعالى إياهم على الاعتراف بها ، بطريق الأمر ، ومن مسارعتهم إلى ذلك ، من غير تلغثم أصلاً ، ومن غير أن يكون هناك أخذ ، وإشهاد ، وسؤال وجواب (٥) .

(١) الأعراف : ١٧٢

(٢) الزمخشري : الكشاف (مرجع سابق) ج ١ ص ٥٨٣

(٣) النساء : ١٦٥

(٤) رواه البخارى : كتاب الجنائز ، باب : ما قيل فى أولاد المشركين ج ٢ ص ١٠٤

(٥) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) ج ٣ ص ٢٩٠ ، وانظر أيضاً :

الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) ج ١٥ ص ٥٣ - ٥٤

الزمخشري : الكشاف (مرجع سابق) ج ٢ ص ١٢٩

الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٢ ص ٢٦٢

كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (١) .

١ - عن مسلم بن يسار الجهني عن عمر بن الخطاب أنه سُئِلَ عن هذه الآية فقال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يُسْئَلُ عنها فقال : « إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه حتى استخرج منه ذريةً فقال : خلقتُ هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريةً فقال : خلقتُ هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون ... » (٢) .

لقد ورد هذا الحديث في الموطأ في باب القَدَر لا في خلق الأرواح قبل الأجساد ، وإسناده منقطع حيث لم يلق مسلم بن يسار عمر بن الخطاب وهو مجهول ، والروايات الأخرى للحديث في إسناده رجال ضعفاء كنعيم بن ربيعة وهو مجهول (٣) .

٣ - ما رواه أبو عبد الله بن منده ، أخبرنا محمد بن صابر البخاري ، حدثنا محمد بن المنذر بن سعد الهروي (٤) ، حدثنا عن جعفر بن محمد بن هارون المصيبي ، حدثنا عتبة بن السكن ، حدثنا أرطاة بن المنذر ، حدثنا عطاء بن عجلان عن يونس بن حليب (٥) ، عن عمرو بن عبسة قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ

(١) فصلت : ١١

(٢) رواه مالك في الموطأ في كتاب الجامع ، باب النهي عن القول بالقدر ، تحقيق أحمد راتب عرموش ، دار النفائس ، ط ٦ ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٦٤٨

(٣) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢١٧ - ٢١٨

الذهبي : ميزان الاعتدال (مرجع سابق) ج ٤ ص ١٠٨ ، ٢٧ .

(٤) ولعله محمد بن المنذر بن أسد الهروي ، انظر : ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ، دائرة المعارف العثمانية ، بالهند ، ١٣٧١ هـ ، ط ١ ، ج ٨ ص ٩٧

(٥) وهو يونس بن ميسرة بن حليب ، وقد يُنسب إلى جده ، وهو ثقة عابد ، معمر ، مات سنة ١٣٢ هـ (ابن حجر : تقريب التهذيب ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار المعارف ببيروت ، ١٣٩٥ هـ ، ط ٢ ، ج ٢ ، ص ٣٨٦

يقول : « إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفى عام ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » (١) .

ولكن علماء الحديث ضعفوا هذا الحديث لأن إسناده غير صحيح لأن فيه « عتبة بن السكن » وقال الدارقطني : إنه متروك الحديث ، وقال البيهقي منسوب إلى الوضع (٢) ، وفيه « أرطأة بن المنذر » وقال ابن عدى : بعض أحاديثه غلط (٣) ، وفيه « عطاء بن عجلان » وقال الذهبي : تركوه وكذبه يحيى بن معين (٤) .

٤ - قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (٥) .

فإن « ثم » للترتيب ، وأن الله تعالى قال : ﴿ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ فالخلق سابق للأمر بسجود الملائكة لآدم عليه السلام ، فيكون المقصود بذلك الأرواح لا الأبدان لأنها حادثة بعد ذلك (٦) .

(١) رواه ابو عبد الله بن منده ، انظر ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢١٦

ولقد ورد حديث موضوع يماثله في موضع الشاهد . انظر :

العراقى : تنزيه الشريعة ، تحقيق عبد الرهاب عبد اللطيف وعبد الله الصادق ، مطبعة عاطف ، مكتبة القاهرة ، ط ١ ، ج ١ ص ٣٦٨

السيوطى : اللآلى المصنوعة فى الاحاديث الموضوعة ، المطبعة الادبية ، ١٣١٧ هـ ، ط ١

ص ١٩٩

(٢) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : المغنى فى الضعفاء ، تحقيق د . نور الدين عتر ، دار

المعارف بحلب ، ١٣٩١ هـ ، ط ١ ، ج ١ ص ٤٢٢

(٣) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٣٢ ، ٢٣٣

الذهبي : المغنى فى الضعفاء (مرجع سابق) ج ١ ص ٦٤

(٤) ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٢٥ هـ ، ج ٧

ص ٢٠٨ - ٢١٠

(٥) الأعراف : ١١

(٦) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٣١

وهذا مردود بأن خلق آدم عليه السلام وتصويره هو خلق وتصوير لذريته لأنهم من سلالة ، فهم يرثون الصفات الجسمية والعقلية والنفسية عنه عليه السلام (١) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ (٢) .

ولكن ما أطمئن وأميل إليه أكثر من استعراض هذه الأدلة هو أن الروح - مجازاً - أو النفس يكون خلقها بعد الجسد .

« ولو دل دليل على أن الأرواح خُلقت جملة ، ثم وُضعت في مكان حية عالمة ناطقة ، ثم كل وقت تبرز إلى أبدانها شيئاً فشيئاً ، لَكُنَّا أول قائل به ، فالله سبحانه على كل شيء قدير ، ولكن لا نخبر عنه خلقاً وأمراً إلا بما أخبر به عن نفسه على لسان رسوله ﷺ ، ومعلوم أن الرسول ﷺ لم يُخبر بذلك ، وإنما أخبرنا بما في الحديث الصحيح : « إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون في ذلك علقه مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يُرسل الملك فينفخ فيه الروح ، ويُؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد ... » (٣) .

فالملك وحده يُرسل إليه فينفخ فيه ، فإذا نفخ فيه كان سبب حدوث الروح فيه ، ولم يقل يُرسل إليه الروح فيدخلها في بدنه ، وإنما أرسل إليه الملك فأحدث فيه الروح بنفخته فيه ، ففرق بين أن يُرسل إليه ملك ينفخ فيه الروح ، وبين أن يُرسل إليه روح مخلوقة قائمة بنفسها مع الملك (٤) .

(١) الشوكاني : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٢ ص ١٩١

القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٣ ص ٢٦٠٤

(٢) النساء : ١

(٣) رواه مسلم في كتاب القدر ، حديث ١ ، ج ٤ ص ٢٠٣٦

(٤) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٣٧

وأما الزعم بأن الروح أو النفس جوهر بسيط قديم ، مجرد عن المادة ، هبط من العالم الأزلئ إلى الجسد ، وأنها غريبة عنه ، وأنها تتعذب من حلولها فيه ، وأن الجسد سبب شقائها ، فهي مفتقرة إلى الطهارة ، والصفاء ^(١) فهو مجرد ضلال لا دليل عليه .

وهذا المذهب قديم ، ومن الفلاسفة القدماء الذين قالوا به « أفلاطون » ^(٢) ، و« فلوطين » ^(٣) « ^(٤) .

وقال به بعض الزنادقة ، والروافض ، فيما يتعلق بأمر آدم عليه السلام ، كما قال به بعض النصارى ، والجهمية ، فى أمر عيسى عليه السلام ^(٥) .
واستدلوا بأدلة أهمها :

١ - إنه يلزم من كونها أبدية أن لا تكون حادثة ، لأن الحادث لا يمكن أن يكون أبدياً ، ومن هنا لزم أن تكون غير حادثة ، لأن الأدلة النقلية والعقلية على أبديتها ثابتة ، فيلزم أن تكون قديمة غير مخلوقة ^(٦) .

(١) د . سهر فضل الله أبو وافية : الفلسفة الإنسانية فى الإسلام . دار النهضة العربية . القاهرة ، ص ٦٩

(٢) أفلاطون : فيلسوف يونانى ، عاش (٤٢٨ - ٣٢٧ ق م) ، وله أكثر من ثلاثين محاوره فلسفية ، تتركز على الروحانيات ، والأخلاقيات ، وحارب الاتجاهات المادية .

(٣) فلوطين : فيلسوف يونانى ، ولد فى مصر ، وعاش فيما بين (٢٠٥ - ٢٧٠ م) وهو من مؤسسى المؤسسة الأفلاطونية المحدثة فى الإسكندرية فى النصف الأول من القرن الثالث للميلاد ، وأسس مدرسة جديدة فى روما ... وهى تجرى تعديلات على التعاليم الأفلاطونية بحيث تنجس مع المفاهيم الأرسطوية والشرقية ، وتتصور العالم قبضاً منبشقاً من الذات العليا ، التى تستطيع الروح الاتحاد بها فى حال الانجذاب الروحى .

انظر : منير البعلبكي : موسوعة المورد (مرجع سابق) ج ٧ ص ١١٥

م . روزنتال وآخرون : الموسوعة الفلسفية (مرجع سابق) ص ٤ - ٤٢

(٤) د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس البشرية . دار النشر المغربية ، الدار

البيضاء ، ص ١٥٩

(٥) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ١٩٤ ، ١٩٦

(٦) سعد الدين التفتازانى : شرح المقاصد . مطبعة إستانبول ، ١٢٧٧ هـ ، ج ٢ ص ٣٦

وهذا مردود لأن الحادث وإن كان قابلاً للعدم إلا أنه لا يلزمه إذا امتنع عدمه
بمشيئة خالقه (١) ، وذلك كالجنة والنار .

قال تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ، لَهُمْ جَنَّاتٌ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
عَنْهُ ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ
مُلْتَحَدًا * إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ
نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴾ (٣) .

والجنة والنار مخلوقتان ، فلم يلزم من حدوثهما عدمهما . وأبديتهما ليست
لذاتهما ، ولكن لإرادة الحى القيوم .

٢ - قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ،
وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٤) .

فالروح من أمره تعالى ، والأمر طلب ، فهو من جملة كلامه تعالى ، وكلامه
غير مخلوق وقديم ، فتكون الروح كذلك (٥) .

وهذا مردود لأن المراد بـ « من أمر ربى » أى من فعله بلفظ « كن » ،
فيكون حادثاً ، وليس « الروح » هو « كن » (٦) .

قال تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ

(١) سعد الدين التفتازانى : شرح المقاصد (مرجع سابق) ج ٢ ص ٣٦

(٢) المائدة : ١١٩ (٣) الجن : ٢٢ - ٢٣ (٤) الإسراء : ٨٥

(٥) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٠٢ - ٢٠٣

(٦) الفخر الرازى : التفسير الكبير (مرجع سابق) ج ٢١ ص ٣٩

أَلْهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١١﴾ .

وقد جاء لفظ الأمر بمعنى الفعل .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ (٢) . أى شأنه وحاله حتى أتخذوه إلهاً (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ (٤) .

ف « أمرنا » بمعنى فعلنا . وهو الريح العقيم فأهلكهم الله عن آخرهم بها (٥) .

فقوله تعالى : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ أى من فعله فهو حادث (٦) .
وقال تعالى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٧) وليس هو « كن » .

٣ - قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ، انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (٨) .

(١) هود : ١٠١

(٢) هود : ٩٦ - ٩٧

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٤ ص ٣٣٢١

(٤) هود : ٥٨

(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) ج ٢ ص ٤٥ .

(٦) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) ج ٢١ ص ٣٩

(٨) النساء : ١٧١

(٧) البقرة : ١١٧

فقوله تعالى : ﴿ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرَوْحٌ مِنْهُ ﴾ قالت بعض
النصارى والجهمية : إن عيسى ابن مريم روح الله ، وكلمته من ذاته ، وكل
منهما غير مخلوق (١) ، فجهلوا وضلوا وأضلوا .

وهذا مردود لأن عيسى عليه السلام بكلمة « كن » كان ، وليس هو الكلمة ،
فمن أمره تعالى كان الروح فيه ، وأن عيسى عليه السلام إن كان من أم دون أب ،
فإن الله خلق آدم من دون أبوين ، ولم يكن لدى بعض النصارى له ذلك (٢) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ
قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٣) .

وإنما المسيح عبد لله ورسوله .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا
إِلَى مَرْيَمَ وَرَوْحٌ مِنْهُ ، فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ
الْمُقَرَّبُونَ ، وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَبِّحْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ (٥) .

٤ - قال تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ
سَاجِدِينَ ﴾ (٦) .

فإن الله تعالى أضاف الروح إليه ، وأسند النفخ إليه ، وذاته قديمة فتكون الروح قديمة (٧) .

(١) د . عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : حقيبة الإنسان (مرجع سابق) ج ٢ ص ١٥١

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٦ ص ٨١٧

(٣) آل عمران : ٥٩ (٤) النساء : ١٧١

(٥) النساء : ١٧٢ (٦) الحجر : ٢٩

(٧) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٠٧

وهذا - أيضاً - مردود لأن ما يُضاف إلى الله تعالى نوعان وهما (١) :

(أ) إضافة ما لا يقوم بنفسه كصفاته تعالى كالعلم والسمع والبصر والإرادة ... إلخ .

فهى صفات له سبحانه غير حادثة .

(ب) ما يمكن أن يقوم بنفسه ، كالناقة والرسول والروح ... إلخ .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ ، هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ، فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ، وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ، وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٤) .

كما أضاف إليه تعالى الروح - جبريل - الذى أرسله إلى مريم .

قال تعالى : ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ (٥) .

فهذه الإضافة إضافة مخلوق لمخالقه ، للتخصيص ، والتشريف ، لا تدل على قدمه (٦) .

* * *

(١) ابن القيم : الروح (مرجع السابق) ص ٢٠٨ - ٢١٠ .

(٢) الأعراف : ٧٣ (٣) النساء : ١٥٧

(٤) سورة ص : ٧٢ (٥) مريم : ١٧

(٦) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٠٩

• إجماع المسلمين على أن الروح حادثة :

لقد أجمع المسلمون على أن الروح حادثة إذ لا قديم عندهم إلا الله تعالى وصفاته . وذلك معلوم من الدين بالضرورة (١) .

وحكى الإجماع الإمام ابن قتيبة فى قوله : « النسم : الأرواح ، وأجمع الناس على أن الله تعالى هو فائق الحجة وبارئ النسمه أى خالق الأرواح » (٢) .
فـ « إن النفوس الإنسانية سواء جعلناها مجردة أو مادية حادثة عندنا لكونها أثر القادر المختار » (٣) .

وقد سبق أن ذكرتُ الكثير من الأدلة القرآنية على ذلك ، ولا داعى للتكرار وإنما نذكر هنا شيئاً من الأحاديث الصحيحة التى وردت فى ذلك .

عن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال : دخلتُ على النبى ﷺ وعقلتُ ناقتى بالباب ، فأتاه ناس من بنى تميم فقال : « اقبلوا البشرى يا بنى تميم » قالوا : قد بشرتنا فأعطنا - مرتين - ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم » قالوا : قبلنا يا رسول الله . قالوا : جنناك نسألك عن هذا الأمر . قال : « كان الله ولم يكن شىء غيره ، وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شىء وخلق السماوات والأرض » (٤) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعتُ النبى ﷺ يقول : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » (٥) والجنود المجندة لا تكون إلا حادثة (٦) .

* * *

(١) ابن القيم : الروح (مرجع السابق) ص ١٩٥

د . محمد غلاب : مذكرات فى الفلسفة الاسلامية ، طبع ١٩٢٨ م ، ص ١٥٩

(٢) ابن قتيبة : الاختلاف فى اللفظ . مطبعة القدس ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٦٩

(٣) سعد الدين التفتازانى : شرح المقاصد (مرجع سابق) ج ٢ ص ٣٦

(٤) رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق ، باب قوله تعالى : « وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ » ، ج ٤ ص ٧٣

(٥) رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق ، باب الأرواح جنود مجندة ، ج ٤ ص ١٠٤

(٦) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ١٩٤

• ليست الروح سر الحياة :

لقد ذهب بعض العلماء إلى أن المراد بـ « الروح » سر الحياة الذى وهبه الله تعالى للإنسان (١) وذلك مرجوح لما يأتى :

١ - إن هذا المعنى لم يرد فى القرآن الكريم (٢) كما سبق .

٢ - إن سر الحياة أمر مشترك بين الإنسان والحيوان ، ولا يستحق بذلك سجود الملائكة ، وأن يجعله المؤمنون خصوصية لآدم عليه السلام ترشحه لمقام الشفاعة ، وكذلك لا يعود الإحساس بحسن الحسن ، وقبح القبيح الذى تطرب له النفس أو تشتمز منه إلى سر الحياة (٣) ، حيث إن هذا السر يملكه غيره من الحيوانات والطيور .

٣ - إن الملك ينفخ الروح بعد نمو الجنين فى اليوم (١٢٠) منذ بدء عملية التلقيح بين الحيوان المنوى ، والبويضة ، وهو يتصف بالحياة من قبل ذلك (٤) .

عن عبد الله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يُجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يُرسل الله تعالى الملك فينفخ فيه الروح ، ويُؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد ... » (٥) .

وبعد نفخ الروح وكتابة الأربع كلمات تتحقق إنسانية الجنين مع أنه يتصف بالحياة قبل ذلك ، وبهذا تُدرك أن الروح - مجازاً - أو النفس غير سر الحياة .

(١) د . عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ج ٢ ص ١٦٧

(٢) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٢٩

(٣) البهي الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٢٣

(٤) محمد سلامة جبر : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ص ٤٤ - ٤٥

(٥) رواه مسلم فى كتاب القدر ، حديث ١ ، ج ٤ ص ٢٠٣٦ .

ومن هنا وقع الإجماع على حرمة إسقاط الجنين بعد النفخ (مضى ١٢ يوماً على الحمل) ، واختلفوا قبل ذلك (١) .

٤ - قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

فإن الله تعالى يقبض الروح - مجازاً - أو النفس حال النوم ، ويردها عند اليقظة (٣) ، والنائم ليس ميتاً ، وإنما يتصف بالحياة ، وبهذا ندرك أن الروح ليس هو سر الحياة .

٥ - إن من الثابت طبياً للقيام بعملية زرع لجزء معين في جسم إنسان أن يكون الجزء المراد زرعه حياً ، حتى يمكن للعملية النجاح .

وبهذا هل يكون هذا الجزء الحى ، يحمل معه جزءاً من روح ذلك الإنسان الذى أخذ منه ، فينقص جزء من روحه ، هل يُضيف هذا الجزء جزءاً من روحه إلى الإنسان الذى زُرِع فيه ، هذا غير واقع ولا مُشاهد (٤) .

وبهذا يتضح أن الروح - مجازاً - النفس - العنصر الخالد فى الإنسان الذى استأثر الله تعالى بعلمه ، ولا قدرة للعقل البشرى على إدراكه ، لأنه ليس مما تقع عليه حواسه ، ولكنه يدرك أثره كالكهرباء والأثير ، فهما مما يؤمن بهما ، وإن لم تقع عليهما الحواس ، لأنه أدرك أثرهما (٥) .

(١) محمد سلامة جبر : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ص ٤٤

(٢) الزمر : ٤٢

(٣) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٤ .

(٤) محمد سلامة جبر : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ص ٤٨

(٥) عبد الرحمن العيسوى : لماذا أنا مسلم ، مكتبة وهبة ، القاهرة ط ٤ ، ص ٢ .

عبد الكريم الخطيب : الدين . دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام ، الرياض ، ط ١ ،

١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) ص ٣٨

والإيمان بالغيب ركن من أركان الإيمان .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ، هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ *
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (١) .
وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
كَبِيرٌ ﴾ (٢) .

« وإن الإيمان بالروح - مجازاً - أو النفس لم يفرض على العقل البشرى فى القرآن الكريم نقيضة من النقائص ، التى تشطره بين ضدين متدابرين ، ولم يفصم النفس البشرية بفاصم من الحيرة بين الخلتين : خلقة الإنسان روحاً مجهول القوام ، وجسداً معروف المطالب والغايات ، محسوس اللذات والآلام » (٣) .

و « إن القرآن الكريم بهذا الإلهام الصادق ينقذ العقل من نقائص التفكير ، ولا ينجيه من نقائص التكليف وحسب ، أو من نقائص الحيرة بين العالمين فى حقائق الدين ، ولا مزيد » (٤) .

والإنسان خليفة الله فى أرضه ، خلقه من مادة هذه الأرض ، حتى يستطيع التعامل معها ، ولكن لا بد أن يكون للخليفة شىء من صفاته تعالى ، ليقوم بمهام الخلافة كالعلم ، والإرادة ، والحكمة ، والعدل ... إلخ ، وإن هذه الصفات هى التى أعطت الإنسان طاقة المعرفة ، والابتكار ، والتعمير ، حتى يتمكن من القيام بما أسند إليه (٥) .

فالروح الذى ينفخه الملك بأمره تعالى فى الإنسان - كما سبق - هو الذى

(١) البقرة : ١ - ٣ (٢) الملك : ١٢

(٣) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٢٣

(٤) المرجع السابق ص ٢٥

(٥) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق ص ٤٩ - ٥٠)

أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية تعريب أحمد إدريس . المختار الإسلامى ، ط ١ ،

منحه هذه الصفات والقدرات التى أهلتها للخلافة ، وقررت أهدافه ، وغاياته ،
ومناهجه وزرعت فيه المبادئ ، والقيم^(١) .

وبهذه الصفات التى حصل عليها الإنسان من الله تعالى تأهل لحمل أمانة
التكليف .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ
فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا
جَهُولًا ﴾ (٢) .

فالإنسان « ظلوم لأنه يتعدى الحدود وهو لا يعرفها ، وجهول لأنه يتعدى
تلك الحدود وهو لا يعلمها ، وعنده أمانة العقل التى تهديه إلى عملها ، وما
من كائن غير الكائن العاقل يوصف بالظلم والجهل لأنه لا يعرف الحد الذى
يتعداه ، ولا تُنَاطُ به معرفة الحدود ، وإنما يُوصَفُ بالظلم والجهل من يصح أن
يُوصَفَ بالعدل والمعرفة (٣) .

وهذه القدرات والامكانيات هى التى جعلت للإنسان قيمة كإنسان قال تعالى :
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٤) .



(١) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٣٣

(٢) الأحزاب : ٧٢

(٣) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٣٤

(٤) الإسراء : ٧٠

الفصل الثالث

العلاقة بين الروح والجسد

إن العلاقة بين الروح والجسد تُعتبر معضلة العلم الحديث ، وذلك لأن الروح - مجازاً - أو النفس هي ذاتها صاحبة المعضلة ، لأنها مما لا يمكن للإنسان أن يدركه عن طريق الحواس ، التي هي سبيل معرفته .

قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١) .

ولا شك أن العلاقة بين الروح والجسد تنبنى على أساس مفهوم الروح ، ولإختلاف في هذا المفهوم تم الاختلاف في إيضاح العلاقة ، فهناك من يُنكر وجود الروح الباقية بعد الموت ، وأن الإنسان لا يزيد عن تفاعلاته الكيميائية والكهربائية داخل جسمه ، وعلى أساس هذا التفاعل يكون ما يتمتع به الإنسان من حالات نفسية ، وعمليات عقلية (٢) ، ومن هنا نجد أن من علماء الفسيولوجي من يُسمى الغُدِّ الصَّمَاءِ بـغُدِّ المصير (٣) ، وكأنها كل شيء في الإنسان ، ومن هؤلاء من يقول بالتطور التلقائي المحض (٤) كما سبق .

(١) الإسراء : ٨٥

(٢) د . محمود فهمي زيدان : في النفس والجسد . دار النهضة العربية ببيروت ، ١٩٨٠ م .

ص ٢ .

د . جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر .

ط ٢ ، ص ٦٨

(٣) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعي (مرجع سابق) ص ٣٠

(٤) لهنتر ميد : الفلسفة ، أنواعها ومشكلاتها (مرجع سابق) ص ١٠٥

عباس محمود العقاد : الإنسان في القرآن (مرجع سابق) ص ٦٨

وهذا القول كقول بعض الفلاسفة - القدماء والمحدثين - بأن الروح عَرَض من أعراض الجسم ، وأنها تفنى بفنائها (١) ، ويمكن أن يُقال بأن ذلك امتداد عصى لهذه النظرة ، لأن هؤلاء لم يكن لديهم دراسة تشريحية للجسد ، ومعرفة بأسراره بقدر المعرفة المعاصرة ، بفضل تطور الوسائل العلمية الحديثة .

كما أن الكثير من العلماء - قديماً وحديثاً - يؤمنون بوجود الروح ، وأنه يرجع إليه ما يتمتع به الإنسان من حالات نفسية وعمليات عقلية ، وذلك لأن هذه الحالات والعمليات ليست من طبيعة المادة ، فالمادة لا تعى ولا يمكن أن يكون منها وعى ، ولا بد أن يكون هنالك عنصر آخر روحى تعود إليه هذه الحالات والعمليات كما يقرون بأنهم لم يصلوا إلى معرفته ، بل واستحالة ذلك لأنه ليس مما تقع عليه الحواس (٢) .

ومن هنا نجد للعلماء فى العصر الحاضر الكثير من الفرضيات ، فى محاولة لتفسير العلاقة بين الروح والجسد ، ولعل أهمها :

(أ) فرضية التفاعل العلى المتبادل :

فالنفس تؤثر فى الجسم ، كما أن الجسم يؤثر فى النفس ، تأثيراً عالياً مزدوجاً (فالحالات النفسية ، والعمليات العقلية ، تؤدي إلى إحداث تغيرات معينة فى الجسم ، كما أن بعض التغيرات الفسيولوجية فى الجسم تكون علة لأحداث حالاتنا النفسية ، وعملياتنا العقلية ، ومن أمثلة تأثير النفس فى الجسم أن الإحساس بالجوع يؤدي إلى تقلصات المعدة ، فالبحث عن الطعام ، وأن انفعال الخوف والغضب يصحبه مزيد من إفراز العرق ، وارتعاش عضلات وأطراف ، ونشاط مفاجئ فى خلايا المخ ، والتفكير قد يصحبه سرعة نبض القلب ،

(١) سهر فضل الله أبو وافية : الفلسفة الإنسانية فى الإسلام (مرجع سابق) ص ٦١

(٢) فيشته : غاية الإنسان ، دراسة وترجمة د . فوقية حسين محمود ، الشركة العامة للتجهيز والتوزيع ، فاس ، ط ٢ ، ١٩٧٩ م ، ص ١٨٤ ، ١٨٥

د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ١٩

وإرادة فعلٍ ما يصبحه توتر عضلى معين ، واستعداد لتنفيذ ذلك الفعل ونحو ذلك ، ومن أمثلة تأثير الجسم على حالاتنا النفسية ، أن احتراق أصبع قد ينشأ عنه إحساس بألم « (١) .

وإن نقطة الالتقاء بين الروح والجسد هي العُدَّة الصورية ، التى يتم عن طريقها التفاعل المتبادل ، بخلاف ابن سينا الذى جعل نقطة الالتقاء بين الروح والجسد فى القلب (٢) .

وإن علماء وظائف الأعضاء يُجمعون على أنه إذا كان هنالك فى المخ مكان يُفترض علاقته بحالاتنا النفسية ، وعملياتنا العقلية فهو اللحاء ، فهو أكثر أجزاء الجسم تعقيداً فى التركيب والوظائف ، وإن بعض الحوادث الفسيولوجية التى تصدر فى اللحاء مرتبطة بالحالات الشعورية ؛ ولكنهم يجهلون الظروف المحددة التى تنشأ منها الحالات الشعورية ، ويعلنون أنه من المستحيل تصور الطريقة التى يعمل بها الجهاز العصبى ككل (٣) .

ومن هنا نجد مدى الصعوبة فى تفسير العلاقة بين الروح والجسد ، مما دفع ديكارت (٤) وهو إمام هذه الفرضية إلى أن يصفها بأنها مجرد محاولة ، وأن لا يطالب بتفسير مقنع لما يستحيل على العقل البشرى إدراكه (٥) .

(١) د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٨٤ - ١٨٥

(٢) إبراهيم مذكور : فى الفلسفة الإسلامية . ط ١ ، القاهرة ، ص ٢١٥ - ٢١٩

محمود قاسم : فى النفس والعقل . مكتبة الانجلو بالقاهرة ، ط ٤ ، ص ٩٢

د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٨٦

(٣) د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٨٧

(٤) رينيه ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠) فيلسوف ، وفيزيائى ورياضى فرنسى ، اكتشف الهندسة التحليلية ، ويعتبر فى رأى الكثير من الباحثين الغربيين أباً للفلسفة الحديثة ، وهو صاحب الكلمة المشهور « أنا أشك ، فيأذن أنا أفكر ، وأنا أفكر فيأذن أنا موجود »

منير البعلبكي : موسوعة المورد (مرجع سابق) ج ٣ ص ١٨٠

(٥) محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٨٦

(ب) فرضية الأصل والفرع :

وهي تختلف عن الفرضية السابقة في أن التأثير العلي من جانب واحد ، وهو الجسم على الحالات النفسية ، والعمليات العقلية فليس لهذه الحالات والعمليات أى تأثير على الجسم ، إذ ليس في مقدورها أن تكون علة لأي علة فسيولوجية في المخ (١) .

و « يتفق النقاد مع أنصار هذه الفرضية في أن الحالات النفسية والعمليات العقلية في الإنسان مختلفة في طبيعتها ، وخصائصها ، عن حالات البدن ، وحوادثه الفسيولوجية ، ومن ثم يعلن النقاد بأننا لا نفهم كيف ينشأ عن الجسم شئ مختلف في طبيعته عن الطبيعة المادية ، كما أننا لا نفهم أن تكون حالات الجسم علة لأحداث حالات النفس» (٢) .

(ج) فرضية الموازاة :

وهذه الفرضية ترى أن بين الحالات النفسية ، والعمليات العقلية من جهة ، والتغيرات الفسيولوجية من جهة أخرى ارتباطاً ومصاحبة وتلازماً في الحدوث ، لكن لا توجد بينهما علاقة عليية ، وأن الله تعالى هو علة هذه الموازاة الدقيقة ، وأصحاب هذه الفرضية يأخذون بها كحل مؤقت ، إلى أن يُقدّم علماء الطبيعة والنفس جديداً يُساعد على فهم العلاقة (٣) .

(د) الفرضية الذاتية :

وهي تُسوَّى بين العقل والمخ ، وأن الإنسان جسم وعقل ، وأن كل ما نسميه

(١) جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٦٨

د . محمود فهمي زيدان : في النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٨٩

(٢) د . محمود فهمي زيدان : في النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٩١

(٣) المرجع السابق ص ١٩١

جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٧ .

رينيه ديكارت : تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى ، ترجمة د . كمال الحاج .

منشورات عويدات ، ط ٣ ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٧٦

حالات نفسية وعقلية ليست إلا تغيرات تصدر عن المخ ، فالعقل هو المخ ، وليس شيئاً غريباً عن الجسم (١) .

و « يعتمدون فى فرضهم على معطيات علم وظائف الأعضاء ، ويأملون أن تأتى نتائج البحث الفسيولوجى فى المستقبل بتأكيد الفرض ، ويُعلنون أن هذه الفرضية برفضها النفس جوهرأ لم يعد هناك مبرر للسؤال عن العلاقة بين النفس والجسم ... » (٢) .

وإن علماء وظائف الأعضاء الذين يعتمد عليهم أصحاب الفرضية يعارضونهم فى موقفهم - كما سيأتى - أضف إلى ذلك أنك إذا قلتَ عن العقل والمخ أنهما شىء واحد لزم أن تحدث الحالات النفسية والفسيولوجية فى زمن واحد ، وفى مكان واحد ، لكن لا مكان للحالات النفسية ، ولا يمكن رصد زمن الحالات النفسية رصداً تجريبياً ، حيث لا يعيها إلا صاحبها (٣) بالإضافة إلى أن الفرضية تنظر إلى الإنسان نظرة مادية بحتة .

(هـ) الفرضية السلوكية الفلسفية :

وهى ترى أن الإنسان جسم وعقل ، وأن العقل ما هو إلا مجموعة قدراتنا على السلوك فى البيئة الخارجية ، أو الاستعداد له متى كانت الظروف المناسبة، ولكن ما يمكن أن يلاحظه أى إنسان ، أن السلوك أقل بكثير مما يحس به عن طريق الاستبطان من حالات شعورية (٤) .

وقد سبق وأن قلنا بأن مفعول الغُدَد ، والمواد الكيميائية أو العقاقير ، داخل جسم الإنسان لا ينكر أحد أثره ، وأنه قد يكون الإنسان العصبى المزاج ،

(١) د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٩٦

(٢) الموجع السابق ص ١٩٦ (٣) المرجع السابق ص ١٩٦ - ١٩٧ بتصريف

(٤) المرجع السابق ص ١٩٧

جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٧٠ - ٧٢

والمنفعل والمضطرب نفسياً اضطراباً حاداً هادئاً لين المزاج والطبع بإعطائه جرعة من دواء (١) .

فهل ذلك يعود إلى النفس أم إلى الجسم ، لاشك أن مفعول هذه العقاقير يقع على الجسم ، وبالتالي على حالاته النفسية ، وعملياته العقلية ، فشان هرمونات الغدد الصماء شأن العقاقير فى تأثيرها على الحالات النفسية والعمليات العقلية ، وكلها مادية حيث إن عناصرها من المادة (٢) .

كما أن للحالات النفسية والعقلية أثراً على الجسم ، فهناك ترابط بين بعض الأمراض النفسية والأمراض العضوية (٣) .

وإن تطور الوسائل العلمية التشخيصية الحسية المعاصرة جعل العلماء يخرجون بالكثير عن وظائف الأعضاء من جهة ، كما جعلهم من الناحية العلاجية على معرفة بخصائص التركيب الكيميائى لجسم الإنسان ، وأثرها عليه من جهة أخرى .

وبالتالى فإننى أعتقد أن فلاسفة ما قبل العصر الحاضر قد فاتهم الكثير من ذلك ، ومن هنا سلطوا الأضواء أكثر على النفس .

والإنسان إنما يدرك عن طريق الحواس ، ومن هنا كان الجسم هو موضع الإدراك ، وكان للعلم الحديث وتطوره أثر كبير فى تشخيصه ، ولكن مع ذلك فقد أدركت الحواس - أيضاً - وجود وظائف واعية مما لا يمكن أن يكون واعياً كما سبق (٤) .

(١) د . مصطفى يوسف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣١

(٢) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٥٥ - ٦٠ .
د . فاخر عاقل : علم النفس ، دار العلم للملايين ، ط ٨ ، ١٩٨٢ م ، ص ٤٦

(٣) د . عادل صادق : حكايات نفسية ، كتاب اليوم الطبى ، القاهرة - العدد ٢ ، جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ ، ص ١٢

(٤) انظر : رينيه ديكارت : تأملات ميتافيزيقية فى الفلسفة الأولى (مرجع سابق) ص ٨١ - ٨٢

فالنظرة الأفلاطونية التي تنظر إلى الروح على أنه جوهر مجرد عن المادة ،
أزلى طاهر ، وأن الجسم سجن للروح ، مُعذَّب له ، وترى أنه يجب أن يكون
هنالك عملية تطهير وإصفاء للروح ^(١) ، تدفع الإنسان إلى الاعتناء بالروح
على حساب الجسم ، فيكون التعذيب له ، وعدم الاعتناء بحقوقه فى سبيل ما
يُسمى بطلب الصفاء والنقاء فيكون هنالك التأثير السىء على الجسم ، والذي
يؤدى إلى تأثيره على الإنسان نفسياً ، وعقلياً ، وجسماً ، فهى تبخس
الجسم حقه ^(٢) .

وإن النظرة المادية للإنسان ، ترى أنه لا يعدو أن يكون إلا جسماً مادياً ،
وأن الحالات النفسية ، والعمليات العقلية ، ما هى إلا تفاعلات كيميائية
وكهربائية داخل الجسم ، وأنه ينعدم بموته ، وليس هنالك روح باقية بعد الموت ،
يرجع إليها ما يتصف به الإنسان من قيم وفضائل ومبادئ ^(٣) .

وهذه النظرة تُفقد الإنسان اتزانه بنظرته المادية للحياة ، فلا يرمى القيم
والمبادئ والفضائل ، التي يتصف بها الإنسان حق رعايتها ، والتي يعود إليها
الفضل فى إتزان وإثراء الحضارات الإنسانية ، وتجعل الإنسان يسعى إلى
إشباع غرائزه الفطرية بطريقة مادية ، مما يكون له أثر فى تحويلها من منطق
الاعتدال والصواب إلى منطق الشذوذ والسوء ، وبالتالي يكتسب الإنسان من
الدوافع المكتسبة ما يكون له أثر كبير فى تعديل غرائزه الفطرية ^(٤) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يُولد على

(١) د . سهير فضل الله أبو وافية : الفلسفة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٦٩

(٢) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ١٢

محمد قطب : الإنسان بين المادية والاسلام ، ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) ، ص ٨١

(٣) د . محمود زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ٦٠ - ٦٣

(٤) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٠٥

الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرّانه ، أو يمجّسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء » (١) .

ولا شك أن كُلاً من النظريتين الأفلاطونية والمادية تدعو إلى اهتزاز قُدرات وإمكانيات واستعدادات الإنسان المتزن ، لأن هنالك تأثيراً متبادلاً بين الروح والجسد ، للإفراط أو التفريط في جانب على حساب الجانب الآخر .

ولكن الإنسان في الإسلام خلقه الله تعالى في أحسن صورة ، بروحه وجسده (٢) ، فهو حسن الخلق والخلق ، وكخليفة لله في أرضه فله شيء من صفاته تعالى للقيام بمهام الخلافة ، وليس الجسد لتعذيب الروح .

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوْحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (٦) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ، قد غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذنبه وما تأخر ؟ قال أحدهم : أما أنا فإني أصلى الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله ﷺ ، فقال : « أنتم ،

(١) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : ما قيل فى أولاد المشركين ، ج ٢ ص ١٠٤ .

(٢) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٣٥

(٤) التين : ٤

(٣) سورة ص : ٧٢

(٦) المؤمنون : ١٤

(٥) الإسراء : ٧٠

الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم ، وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى « (١) .

فإن الإنسان إنسان بروحه وجسده ، ومنهما تتكون الذات ، وإن للجسم مطالبه ، وللروح مطالبه ، وليست هذه المطالب منفصلة عن تلك المطالب ، وإنما يجب أن يكون إشباع هذه المطالب متوازنة فلا إفراط ولا تفريط ، وأنها متلازمة فى سمر الإنسان وتقهقرة نفسياً ، وعقلياً ، وجسماً .

فالإنسان لم يقصد فى خلقه أن يكون ملكاً .

قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ، إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ، أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ (٣) .

كما أنه لم يكن شيطاناً .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ، وَكَلَّمَ اللَّهُ الرَّسُولَ وَإِلَىٰ أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ، وَكَلِمَاتُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَا تَبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٥) .

(١) رواه البخارى فى كتاب النكاح ، باب : الترغيب بالنكاح ، ج ٦ ص ١٨٦

(٢) الإسراء : ٩٤ - ٩٥

(٣) الأنعام : ٥٠

(٤) فصلت : ٣٦

(٥) النساء : ٨٣

فالله تعالى خلق الإنسان ذا قدرات وإمكانيات واستعدادات محدودة كالعلم، والإرادة ... ولذا فهو فى حاجة إلى من يملك الصفات بلا حدود فهو الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن سبحانه .

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ، لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ، وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (٤) .

وإن الإنسان خلق لعبادة الله ، وفى ذلك نلمس أن الله تعالى أراد أن يكون الإنسان فى حاجة إليه ، فكان التشريع وحاجة الإنسان إليه ، لما يتصف به من صفات هى من طبيعته (٥) .

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (٧) .

(٢) الحج : ٦٤

(٤) سورة الإخلاص .

(٥) السيد سابق : عناصر القوة فى الإسلام ، مكتبة رهبية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٢ م ، ص ٣٨

(٧) إبراهيم : ٣٤

(١) البقرة : ٢٥٥

(٣) الحديد : ٢ - ٣

(٦) النساء : ٢٨

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٢) .

ولا يمكن للإنسان أن يخلص من صفات الضعف إلا بالتشريع الذي يكمل القصور ، لا التقصير ، والذي دونه يهتز الاتزان النفسى ، والعقلى ، والجسمى ، وبهذا التشريع - موضوع الابتلاء والامتحان - يتحقق للإنسان التسامى ، والصعود إلى الصفاء ، والنقاء .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ، وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى ، فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (٤) .

فالإنسان ذو طبيعة مزدوجة ، ويمثل هذه الازدواجية حالاته النفسية ، وعملياته العقلية ، التى لا يمكن أن يكون لها اتزان إلا بالإيمان ، الذى يكون به استثمار هذه العمليات والحالات ، فيما يكون منها من تعقل ، وما يؤشر إليه القلب بالاطمئنان ، وإن مثل هذا الاتزان لا يحس به إلا المؤمن ، الذى راقب الله فى السراء قبل الضراء (٥) .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٦) .

(٢) فاطر : ١٥

(١) الأحزاب : ٧٢

(٤) الزمر : ١٧ - ١٨

(٣) النساء : ١٢٥

(٥) محمد قطب : دراسات فى النفس الإنسانية ، دار الشروق ببيروت ، ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م)

ص ٤٢

سيد قطب : خصائص التطور الإسلامى ومقوماته ، دار الشروق ، ط ٦ ، ١٣٩٩ هـ ، (١٩٧٩ م)

(٦) الرعد : ٢٨

ص ٢٢٨ ، ٢٢٩

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ (٣) .

عن وابصة بن معبد الأسدي : أن رسول الله ﷺ قال لوابصة : « جئت تسأل عن البر والإثم » ؟ قال : قلت : نعم ، قال : فجمع أصابعه ، فضرب بها صدره ، وقال : « استفتت نفسك ، استفتت قلبك ، يا وابصة - ثلاثاً - البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في النفس ، وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » (٤) .

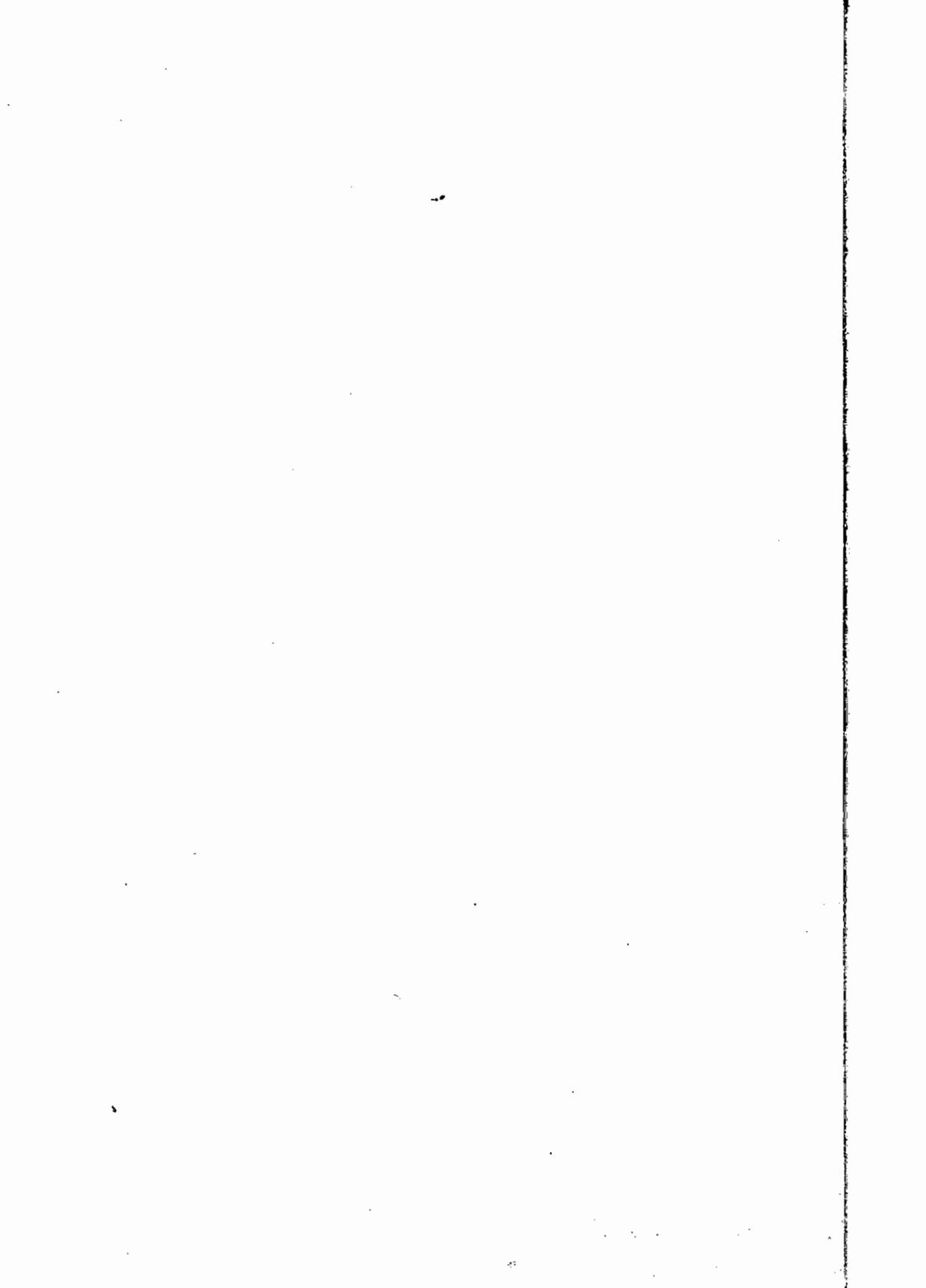


(١) الفتح : ٤ (٢) يونس : ٩ (٣) التغابن : ١١
(٤) رواه الدارمي في كتاب البيوع ، باب : دع ما يريك إلى ما لا يريك ، دار إحياء السنة النبوية ببيروت ، ج ٢ ص ٢٤٥

الباب الثالث

خصائص التكوين

- خصائص الحياة النفسية .
- خصائص الحياة القلبية .
- خصائص الحياة العقلية .



تهيد

لقد سبق الحديث عن عنصرى التكوين - المادة والروح - والعلاقة بينهما ، وأهميتهما فى بناء الذات الإنسانية ، التى لها خصائصها ، للقيام بوظيفتها السامية كخليفة لله فى أرضه .

وإن استعراض الآيات القرآنية لاستقراء هذه الخصائص نجد أنها تتركز على ثلاث نقاط أساسية وهى :

(أ) النفس .

(ب) القلب .

(ج) العقل .

ولتفصيل ذلك عقدتُ لها الفصول القادمة .

* * *

الفصل الأول

خصائص الحياة النفسية

لقد ورد لفظ « النفس » فى القرآن الكريم (٢٩٦ مرة) فى صورة المفرد (١٤٠ مرة) ، وفى صورة الجمع (١٥٥ مرة) (١) ، وتدل على المعانى التالية :

(أ) للدلالة على الذات الإلهية (٢) :

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ، وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ،

(١) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٧١٠ -

(٢) الراغب الأصفهاني : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٥٠١

إبراهيم محمد سرييق : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم . تهامة بجدة ، ط ١ ،

كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ، أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ، فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ، وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ، فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ * وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ (١٢) .

(ب) للدلالة على الذات الإنسانية :

وتنقسم الآيات الدالة على ذلك إلى قسمين :

١ - ما يدل على الذات بجميع قواها المادية والمعنوية - أى الروح والجسد (٣) ، ومن أمثلة ذلك :

قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ، لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ، وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجِبًا ، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ (٦) .

(١) الأنعام : ٥٤ (٢) طه : ٤٠ - ٤١

(٣) عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان (مرجع سابق) ص ١٨٢

مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٧٣

سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية . مكتبة رهبية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٤١

(٦) آل عمران : ١٤٥

(٥) البقرة : ٢٣٣

(٤) البقرة : ٤٨

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ، وَلَا تُقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعُدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمْسْرِفُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ، فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ فَاذْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ، وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ، وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٥) .

٢ - ما يدل على الذات من النشاط الحيوى ، أو القوة الداخلية للإنسان والمؤثرة عليه فى تفكيره ، وسلوكه (٦) ، ومن أمثلة ذلك :

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ ، وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ، يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ، قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ، يُخْفُونَ

(١) النساء : ٢٩ (٢) المائدة : ٣٢ (٣) المائدة : ٤٥

(٤) الكهف : ٧٤ (٥) الزخرف : ٧١

(٦) إبراهيم محمد سرسيق : النفس الانسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٢٩

مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٧٣

د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٤١ - ٤٢

فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ ، يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا ، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ، وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ آسَفًا ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ، إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ... ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ، فَإِنِ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ (٨) .

(٣) الكهف : ٦

(٢) التوبة : ١١٨

(١) آل عمران : ١٥٤

(٦) فاطر : ٨

(٥) الأحزاب : ٣٧

(٤) يوسف : ٥٣

(٨) القيامة : ١٤

(٧) الحشر : ١٨

(ج) ما يدل على العنصر غير المادى فى تكوين الإنسان (١) .

ومن أمثلة ذلك :

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أخرجوا أَنْفُسَكُمْ ، الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (٤) .

وتدل هذه الآيات على أن الانفصال بين النفس والجسد يقع فى النوم ، والموت ، ولكن يظل هناك نوع من العلاقة بينهما موجودة فى حال النوم والموت ، الله أعلم به (٥) .

عن حذيفة قال : كان النبى ﷺ إذا أراد أن ينام قال : « باسمك اللهم أموت وأحيا » ، وإذا استيقظ من منامه قال : « الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا ، وإليه النشور » (٦) .

(١) الراغب الأصفهاني : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٥٠١
مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٧٣ ، ٦٧٤
الحسين بن محمد الدامغانى : قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٤٦٢

(٢) الأنعام : ٩٣ (٣) الزمر : ٤٢ (٤) الفجر : ٢٧ - ٣٠

(٥) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) ج ٢٦ ، ص ٢٨٤

(٦) رواه البخارى فى كتاب الدعوات ، باب : ما يقول إذا نام ، ج ٧ ص ١٤٧

فالنصوص الشرعية دلّت دلالة واضحة على قبض الروح فى النوم ، وردها فى اليقظة ، والنائم ليس ميتاً - كما سبق - ، وكونه حياً لا يخفى على أحد ، ومن هنا سُمى النوم وفاة صغرى ، والموت وفاة كبرى (١)

وبذلك ندرك بالضرورة وجود علاقة بين الروح والجسد مع كونها متوفاة فى حال النوم حقيقة ، إلا أنها ليست كالوفاة الكبرى .

وكذلك فإن للروح تعلقاً فى الجسد فى حال الموت .

عن أبى طلحة أن نبى الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش ، فقذفوا فى طوى من أطواء بدر خبيث مخبث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرضة ثلاث ليال ، فلما كان ببدر اليوم الثالث ، أمر براجلته ، فشدّ عليها رحلها ، ثم مشى ، وتبعه أصحابه ، وقالوا : ما ترى ينطلق إلا لبعض حاجته ، حتى قام على شفة الركى ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : « يافلان ابن فلان ، ويافلان ابن فلان ، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ، فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ، قال : فقال عمر : يارسول الله : ماتكلم من أجساد لا أرواح لها ، فقال رسول الله ﷺ : « والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » (٢) .

عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه مر بقبيرين يُعذبان ، فقال : « إنهما ليُعذبان ، وما يُعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة » ، ثم أخذ جريدة رطبة ، فشققها نصفين ، ثم غرز فى كل قبر واحدة ، فقالوا : يا رسول الله ! لِمَ صنعت هذا ؟ ، فقال : « لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا » (٣) .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٧ ص ٥٧.٤ ، ٥٧.٥

(٢) رواه البخارى فى كتاب المغازى ، باب : قتل أبى جهل ج ٥ ص ٨

(٣) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : وضع الجريد على القبر ج ٢ ص ٩٨ - ٩٩

ووجه الدلالة من الحديثين هو أن مخاطبة الرسول ﷺ لقتلى مشركى بدر فى قبورهم وكأنهم أحياء أمامه ، ثم إثباته السمع لهم ، أو اطلاعه على حال صاحبي القبرين ، يدلان على تعلق الروح بالجسد فى حال الموت ، حتى ولو بلى وتحلل الجسد ، والله أعلم بصره (١) .

ولقد عرّف ابن القيم النفس بأنها « جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو جنس نورانى علوى خفيف حى متحرك ، ينفذ فى جوهر الأعضاء ويسرى فيها سريان الماء فى الورد ، وسريان الدهن فى الزيتون ، والنار فى الفحم ، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف ، بقى ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء ، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية ، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها ، وخرجت عن قبول تلك الآثار ، فارق الروح البدن ، وانفصل إلى عالم الأرواح .

وهذا القول هو الصواب فى المسألة ، وهو الذى لا يصح غيره ، وكل الأقوال سواه باطلة ، وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل ، والقطرة » (٢) .

« ومقصودنا بكونها جسماً إثبات الصفات والأفعال والأحكام التى دل عليها الشرع والعقل والحس ، من الحركة ، والانتقال ، والصعود والنزول ، ومباشرة النعم والعذاب ، واللذة والألم ، وكونها تُحبس وتُرسل وتُقبض ، وتدخل وتخرج ، فلذلك أطلقنا عليها جسماً تحقيقاً لهذه المعانى » (٣) .

(١) عبد الكريم الخطيب : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٣١٥ - ٣١٧

محمد سلامة جبر : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ص ١٠٠ - ١٠٢

محمد الغزالي : عقيدة المسلم . دار الكتب الحديثة . القاهرة ، ١٩٧٦ م ، ص ٢٥٥ -

(٢) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٤٢ - ٢٤٤

(٣) المرجع السابق : ص ٢٦٩

ولقد ساق ابن القيم (١١٦ دليلاً) عن جسميتها منها (١) :

١ - قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (٢) .

ففي الآية ثلاثة أدلة : الإخبار بتوفيتها وإمسакها وإرسالها .

٢ - قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ ، الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (٣) .

وفيهما أربعة أدلة :

أحدها : بسط الملائكة أيديهم لتناولها .

الثاني : وصفها بالإخراج والخروج .

الثالث : الإخبار عن عذابها في ذلك اليوم .

الرابع : الإخبار عن مجيئها إلى ربها .

٣ - قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ، ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ ﴾ (٤) .

وفيهما ثلاثة أدلة :

أحدها : الإخبار بتوفى الأنفس بالليل .

الثاني : بعثها إلى أجسادها بالنهار .

الثالث : توفى الملائكة له عند الموت .

(١) ابن القيم : الروح (المرجع السابق) ص ٢٤٢ - ٢٦٤

(٤) الأنعام : ٦٠ - ٦١

(٣) الأنعام : ٩٣ - ٩٤

(٢) الزمر : ٤٢

٤ - قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (١) .

وفيها ثلاثة أدلة :

أحدها : وصفها بالرجوع .

الثاني : وصفها بالدخول .

الثالث : وصفها بالرضا (٢) .

ولذلك فإنه يجب أن نصفها بأنها جسم - لا جوهرًا مجرداً - ، وإن كان الجسم يقبل القسمة إلى أجزاء ، فإن الأجزاء لا تخرج عن كونها أجساماً (٣) . وليس في الوجود ما لا يقبل القسمة بوجه من الوجوه ، فالفيزياء النووية أثبتت إنشطار الذرة ونواتها (٤) ، ولم يُقم الفلاسفة دليلاً أن في الوجود ما لا يقبل القسمة الحسية ولا الوهمية ، وإنما هي دعاوى لا حقيقة لها (٥) .

فينبغي أن نتجنب وصف النفس بأنها جوهر مجرد ، كما يقول به الفلاسفة كأفلاطون وفلوطين وأتباعهما لما يأتي :

١ - للاختلاف فيما بينهم في تحديد المراد بوصفهم لها بأنها جوهر على أقوال مختلفة منها :

(أ) الجوهر هو الموضوع الحقيقي للحمل ، وإذا عبّرنا عنه بلغة الحدود المنطقية ، قلنا إنه الحد الذي يكون موضوعاً دائماً في قضية حسلية ، ولا يمكن أن يكون محمولاً ...

(١) الفجر : ٢٧ - ٣٠ .

(٢) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٣) الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٩٤ .

(٤) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) حاشية ص ٢٧ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٧ .

فديكارت مثلاً جعل الله جوهراً ، والنفوس الإنسانية دون أجسام
جواهر ، والمادة ككل فى الكون جوهراً ، وسبينوزا (١) جعل الله أو
الطبيعة جوهراً ... (٢) .

(ب) « الجوهر هو الماهية ، أو الخاصية الأساسية التى تعطى
للشئ الجزئى وجوده ، وحقيقته » (٣) .

(ج) « الجوهر هو ما لا يحتاج فى وجوده إلى أى شئ آخر ، أو ما له
وجوده المستقل إستقلالاً مطلقاً عن أى شئ آخر » .

(د) « الجوهر هو ما يبقى هو هو ، بينما يقبل الصفات المتضادة ، أو
الشئ الذى يظل ثابتاً لا يتغير » (٣) .

٢ - إن لفظ الجوهر ليس من لغة العرب ، وإنما لفظ مُعَرَّب (٤) .

٣ - إن الخلاف هو خلاف فى المعنى ، وليس بالألفاظ ، - كما سبق - وأن
قضية الإيمان أولى من قضية حقيقة النفس البشرية ، فالمسلم يأخذ ما ورد فى
الشرع ، ولا يزيد عليه إلا بما يمكن إثباته ، وتحقيقه ، وليس بالتخيل والظنون
والهواجس .

كما أن الجنة والنار وَصِفَتَا فى القرآن والسُّنَّة الصحيحة ، ولكن مع ذلك
نؤمن بأن الشاهد غير الغائب .

(١) سبينوزا ، ماباروخ (١٦٣٢ - ١٦٧٧ م) فيلسوف مادى هولندى ، طردته الجالية
اليهودية بأمستردام من مجمع اليهود ، ومؤلفاته الرئيسية هى « البحث اللاهوتى
السياسى » و « علم الأخلاق » وهو يرى أن الجوهر واحد على حين يرى أن الأحوال متعددة إلى ما
لا نهاية .

روزنتال وآخرون : الموسوعة الفلسفية (مرجع سابق) ص ٢٤٢

(٢) محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ٦٦ بتصرف .

(٣) د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ٧٧ - ٧٨

(٤) ابن تيمية : الفتاوى (مرجع سابق) ج ٩ ص ٢٩٨

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله عز وجل : أعددتُ لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، واقرأوا إن شئتم : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) » (٢) .

وإن الوصف سواء للجنة أو للنار ، أو للنفس ، أو للملائكة ، أو للجن ، إنما هو وصف لما لم تقع عليه حواس الإنسان ، بحيث يمكن له إدراكه ، وإنما يُوصف له بما يناسب إدراكاته الحالية ، فالوصف للتقريب لأن الإنسان لا يمكن له أن يتخيل بعيداً عن مدرجاته الحسية (٣) ، وليس فى ذلك ما ينافى العقل ، بل العقل يؤيده بما يشاهده من آثار لما لا يمكن له وصفه كالكهرباء والأثير (٤) .

و « لا يخلو فيلسوف من كلام فى النفس الإنسانية ، لأنها أقرب الأشياء إلينا ، وهى إلى ذلك القرب شديدة الغموض ، وكلما خُيِّل إلى المفكرين أنهم ازدادوا بها علماً ، وبلغوا حقيقة أمرها ، وكشفوا سرها ، وعرفوا جوهرها ، إذا بهم يجدون ذلك العلم سراياً ، والجوهر مظهراً خلائياً ، ولا نزال إلى اليوم حيث كان سقراط وأفلاطون وأرسطو بل أشد عن الحقيقة بُعداً ، ولذلك ضرب العلم الحديث صفحاً عن طلبها ، واكتفى بتحليل الظواهر النفسية ، وترك للفلاسفة ميدان الجوهر يسلكون إليه السبيل ، عسى أن يصلوا يوماً ما إلى معرفة حقيقة النفس » (٥) .

(١) السجدة : ١٧

(٢) رواه الدارمى فى كتاب الرقاق ، باب : ما أعد الله لعباده الصالحين ، ج ٢ ص ٣٣٥

(٣) جان برنيس : المخيلة ، ترجمة د . خليل الجبر ، المطبعة البوليسية ، ١٩٧٧ ، ص ١٠ .

(٤) عبد الرحمن عيسوى : لماذا أنا مسلم (مرجع سابق) ص ٣٩

عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٢٣

(٥) ابن سينا : أحوال النفس ، حققها وقدم لها الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ، طبع بدار إحياء الكتب العربية ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) ، ص ٥ مقدمة المحقق .

انظر : وليام أرنست هوكنج : معنى الخلود فى الخبرات الإنسانية ، ترجمة مترى أمين ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ط ١ (١٩٨٢ م) ، ص ١٥٧ - ١٦٣

وإن العلماء فى العصر الحاضر حينما يقرون بصعوبة البحث فى حقيقة النفس ، وأن عليهم البحث فى الظواهر النفسية ، فإن القرآن الكريم قد أوضح الكثير منها ، وأرشد الإنسان إلى أسلوب تقويمها وترشيدها .

وإن هذا العنصر - النفس - هو الذى يرجع إليه ما يتصف به الإنسان من صفات محدودة من صفات الله تعالى الكاملة كالإرادة والعلم للقيام بمهام الخلافة ^(١) ، وإن هناك تأثيراً متبادلاً بين النفس والجسد فى تكوين الحالات النفسية والعمليات العقلية لدى الإنسان ^(٢) ، وإن أهم شىء فيه هو القوة الداخلية ، والنشاط الحيوى الذى له تأثير على تفكيره ، وسلوكه ^(٣) .

ومن هنا جاء وصف النفس بمعنى القوة الداخلية ، والنشاط الحيوى « بالمطمئنة والرضا (الفجر : ٢٧) ، ومنها يكون التضرع والخيفة (الأعراف : ٢٠٥) والإستيقان (النمل : ١٤٦) والإيثار (الحشر : ٩) والخداع (البقرة : ٩) والحسد (البقرة : ١٠٩) ، والمقت (غافر : ١٠) والوسوسة (ق : ١٦) والخيانة والفجور والتقوى (النساء : ١٠٧) و (الشمس : ٧) » ^(٤) .

وإن النفس تشمل الإرادة ، كما تشمل الغريزة ، وتعمل واعية ، كما تعمل غير واعية ، وتحس بالنعمة ، كما تحس بالنقمة ، وتميل إلى التقوى ، كما تميل إلى الفجور ^(٥) .

(١) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٤٩ - ٥٠ .

أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١٢١

(٢) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣١

د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٣١

د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤١

(٣) إبراهيم محمد سريسق : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٢٩

د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٤١ - ٤٢

مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٧٣

(٤) د . عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان (مرجع سابق) ص ١٨٤

(٥) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٢٨

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (١) .

ويتعلق بها الإيمان والكفر والهدى والضلال ... وتحمل التكليف ...
وتتلقى الجزاء ثواباً أو عقاباً (٢) .

قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ، فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي ، وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ (٨) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا

(١) الشمس : ٧ - ١٠ .

(٢) د . عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان (مرجع سابق) ص ١٨٤ - ١٨٥ بتصرف .

(٣) الأنعام : ١٠٤ (٤) يونس : ٨٠ (٥) الإسراء : ١٥

(٦) النمل : ٩٢ (٧) سبأ : ٥ (٨) الأعراف : ٩

مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ *
لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١﴾ .

* * *

● وحدة النفس :

إن كل إنسان يُدرك بجلاء ذاتيته ووحده ، منذ أن وعى بنفسه إلى مماته ،
وأنه هو هو لم يتغير ، رغم تعدد الخبرات النفسية والعمليات العقلية ، وما
يعرفه من أن الخلايا متغيرة عدا الخلايا العصبية التي تكون ثابتة (٢) .

فسبحان الله كيف ثبتت الخلايا العصبية مع أن جميع الخلايا تكاثرت من
خلية واحدة أثناء التلقيح بين الحيوان المنوى والبويضة ؟ (٣) ، والعلماء يقفون
حيارى أمام هذه المشاهدة ، وعجزهم عن تفسيرها (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا
تُبْصِرُونَ ﴾ (٥) .

ومعنى ذلك أن جسم الإنسان في تغير مستمر عدا الخلايا العصبية ، فليست
الخلايا العظمية والعظمية التي رأيتها في طفولتك هي التي تراها في شبابتك
أو في شيخوختك .

فأين تكمن وحدة النفس عند الإنسان :

(أ) هل هي في ثبات الخلايا العصبية ؟

(ب) أم في ثبات النفس التي نفخها الملك في الإنسان أثناء تكوينه جنيناً
في بطن أمه إلى خروجها بالقبض ؟

(ج) أم منهما ؟

(١) الأنبياء : ١٠١ - ١٠٣ .

(٢) د . خالص الحلبي : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٤٠ .

(٣) عبد الغنى عبود : الإنسان في الإسلام والإنسان المعاصر (مرجع سابق) ص ٢٠ .

(٤) عيسى عبده ، وأحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ج ٢ ص ١٠٤ .

(٥) الذاريات : ٢٠ - ٢١ .

إن هناك عدة فرضيات لتفسير وحدة النفس ، ولعل أهمها بإيجاز (١) :

١ - إن جوهرية النفس التى حلت فى الجسد هى موضوع وحدة الخبرات النفسية والعمليات العقلية ، وذلك لأنها ثابتة لا تتغير مع تبدل أعراضها (٢) .

٢ - إن الذاكرة التى تربط بين الماضى والحاضر هى الأساس فى الإحساس باتصال الخبرات النفسية ، والعمليات العقلية ، بل إن هيوم (٣) يرى أن وحدة النفس وهم ، لعدم وجود روابط حقيقية بين مختلف الحالات النفسية ، والعمليات العقلية (٤) .

٣ - إن جسم الإنسان واستمرار وجوده واتصاله هو أساس الثقة بوحدة الشخص ، سواء أكان بجسمه أو بسلوكة أو بمخه ، وخاصة اللحا موضع الحالات النفسية ، والعمليات العقلية (٥) .

٤ - إن الوعى بالذات عن طريق الاستبطان فى مختلف الأوقات ، والذاكرة

(١) د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٠٧ - ١٢٨

(٢) محمود قاسم : فى النفس والعقل (مرجع سابق) ص ٢٣

جينيفاف روديس : ديكارت والعقلانية ، ترجمة عبده الحلو ، منشورات عويدات . بيروت ،

ط ٣ ، ١٩٨٢ م ، ص ٨٨ - ٨٩

(٣) هيوم ، دافيد (١٧١١ - ١٧٧٦ م) فيلسوف ومؤرخ سياسى إنجليزى .

ومما قاله : « إن الأخبار مصدر المعرفة كلها ، وإن وجود الله وطبيعته وأصل الكون أمور

لا سبيل إلى معرفتها ، وإن نزعة الشك المطلق فى المعارف الإنسانية ، وإن الموضوع الوحيد للمعرفة هو الرياضيات » ، ومن مؤلفاته : بحث فى الفهم البشرى عام ١٧٤٨ م

انظر : منير البعلبكي : موسوعة المورد (مرجع سابق) ج ٥ ص ١٣١ - ١٣٢

م . روزنتال : الموسوعة الفلسفية (مرجع سابق) ص ٥٧٠ - ٥٧١

(٤) انظر : بول شوشار : فيزيولوجية الوجدان (مرجع سابق) ص ٥٩

(٥) المرجع السابق : ص ٤٢ - ٥١

انظر : د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ١٣٧ - ١٤٠

جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٣٠٣

التي تربط بين الماضي والحاضر ، والاستمرار عبر الزمن فى علاقته مع الجسم ،
هى الأساس فى وحدة النفس (١) .

إنه باستعراض هذه الفرضيات التى ركز البعض منها على النفس كجوهر ،
وركز البعض الآخر منها على الجسد ، فى تفسير وحدة النفس ، نلمس أن هناك
وجهة فى جانب من هذه النظرة ووجهة من جانب آخر فى النظرة الأخرى مع
أدلة الشرع .

ولذلك نلمح أن وحدة النفس تكمن فى النفس والجسد معاً ، فالإنسان مخلوق
واحد من مادتين ، وهو مكلف بهذا الاعتبار ، ويُبعث يوم القيامة بروحه وجسده ،
كما أن الجزاء للروح والجسد ، حتى فى البرزخ للروح تعلق بالجسد ، وإن بُلَى
وتحلل الجسد فإنه لا يفنى ، ولكن يتحول (٢) .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ * فَإِذَا
سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ
طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ
رُوحِى وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ، قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى
إِذَا مَا جَاؤَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *
وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ
وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٥) .

(١) انظر : د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق)

انظر : جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٥٥٧ - ٥٦٥

(٢) د . عثمان حسن المفتى ، خالد على كقاضى : خواص المادة ، دار الشروق بجدة ، ص ٢٦

(٣) سورة ص : ٧١ - ٧٢ (٤) السجدة : ٧ - ٩ (٥) فصلت : ١٩ - ٢١

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

أما الدليل على علاقة الروح بالجسد فى البرزخ فما روى عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه مر بقبيرين يُعذبان ، فقال : « إنهما ليُعذبان ، وما يُعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة » ، ثم أخذ جريدة رطبة فشقتها نصفين ، ثم غرز فى كل قبر واحدة ، فقالوا : يا رسول الله ! لم صنعت هذا ؟ فقال : « لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا » (٢) .

قال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٣) .

فهل جسد الإنسان يُسَبِّحُ لوحده دون أن يكون له علاقة فى الوحدة النفسية ؟ أم انه يدخل فى الوحدة النفسية للإنسان ؟ ومن النفس والجسد تتكون هذه الوحدة ، التى تمثل الإنسان الذى عُرِضَتْ عليه الأمانة فتحملها .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٤) .

فإذا كان استحقاق الجزاء للإنسان يكون لجانبه المادى والروحى ثواباً أو عقاباً ، فالوحدة النفسية تكمن فى النفس والجسد ، وأن الإنسان مخلوق واحد يتكون من طبيعة مزدوجة بين مادتين (٥) .

* * *

(١) التور : ٢٤

(٢) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : وضع الجريد على القبر ، ج ٢ ص ٩٨ - ٩٩

(٤) الأحزاب : ٧٢

(٣) الإسراء : ٤٤

(٥) محمد قطب : النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ٤٣

● أحوال النفس :

إن التأمل فى النفس الإنسانية له أهمية كبيرة فى معرفة الخالق المبدع ، ذى القدرة المعجزة ، وما يجب له من توحيد الألوهية ، والربوبية والأسماء والصفات ، والذى بناه عليه تتحقق منفعة سلوكية أخلاقية ثابتة ومستمرة ، مستمدة من شريعته تعالى ، لصالح الفرد والمجتمع .

قال تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ ، أَقَلًّا تُبْصِرُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٢) .

وذلك بخلاف نظرة الفلاسفة الذين يرون أن معرفة النفس لها قيمة سلوكية أخلاقية ، مُستَمدة من سلوكيات وأخلاقيات المجتمع (الواقع الخارجى) ، فهى غير ثابتة وغير مستمرة ، وإن كان هناك فضائل مشتركة إلا أنها معيارية، تختلف باختلاف ظروف وأحوال الأفراد والمجتمعات (٣) .

ولذلك فلا بد أن يكون للقيم والفضائل السلوكية قاعدة صلبة ، ليكون لها الثبات والديمومة ، بحيث يكون العمل نابعاً من إيمان ، له صفة الثبوت والدوام .

فالإنسان لديه دوافع فطرية ، ودوافع مكتسبة ، كما أن لديه القدرة على التحدث الداخلى عن طريق الاستبطان بطريقة لا يمكن أن يدركها الآخرون (٤) ، فقد يجد نفسه مدفوعاً إلى تنفيذ أمرٍ ما ، فيجب أن تكون لديه رقابة داخلية تمنعه من الوقوع فى السوء ، كما تدفعه إلى عمل الخير ، قبل اطلاع الرقابة الخارجية .
فالإيمان بالله ، والخشية منه ، واحترام شريعته ، يختلف اختلافاً جوهرياً عن

(٢) فصلت : ٥٣

(١) الذاريات : ٢٠ - ٢١

(٣) د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٥٣ - ١٥٥

د . سهير فضل الله أبو وافية : الفلسفة الإنسانية فى الإسلام (مرجع سابق) ص ٩٨

(٤) د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٦٨

د . نبيل محمد السمالوطى : الإسلام وقضايا علم النفس الحديث . دار الشروق ببيروت ،

ط ١٤٠٠ هـ ، ص ٣٣

حب واحترام قوانين الرقابة الخارجية ، أو الخوف منها ، فالله مُطَّلِعٌ على أسرار الإنسان من قبل أن يقع منه الفعل ، حينما كانت مجرد أفكار تدور في باطنه (١) .

قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٥) .

كما أن الإنسان (صاحب الاستبطان) يدرك ما يدور في نفسه ، والمؤمن الذي تلك صفاته ترهف مشاعره ، وترق أحاسيسه ، لمراقبة هذه الأفكار عن طريق الرقابة الذاتية (النفس اللوامة) ، التي تعتبر منبهاً داخلياً قوياً لمواضع الخطأ أو الصواب فيبعد نفسه عن عمل السوء ، وينزع إلى عمل الخير ، وذلك بالعزم على فعل الخير ، وترك الشر ، فيجاهد نفسه ليَرْضَى ربه ، وهذه غايته (٦) .

وهذا بخلاف الفلاسفة أو علماء النفس الذين يجعلون الرقابة الداخلية

(١) د . محمد عيد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، ترجمة وتحقيق وتعليق

د . عبد الصبور شاهين . دار البحوث العلمية بالكويت ومؤسسة الرسالة ببيروت ، ط ١ ،

١٣٩٣ هـ ، ص ٤٥١

(٣) يس : ٧٦

(٢) التغابن : ٤

(٥) المجادلة : ٧

(٤) الملك : ١٣

(٦) سيد قطب : في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٢٩ ص ٣٧٦٨

(الضمير) للإنسان ، إنما هي مجرد التكيف عن طريق الكبت مع الواقع الخارجي (١) .

فالإنسان ذو طبيعة مزدوجة ، له مطالبه وشهواته البدنية ، كما له مطالبه وأشواقه الروحانية ، فلا بد أن يكون هناك اتزان في تلبية هذه المطالب والحاجات ، دون انحياز أو انسياق إلى أحد الجانبين ، ليفوز في حل الصراع بينهما (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ، قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ، وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ (٥) .

والله تعالى منح الإنسان ما به يكون سيد نفسه ، ومالك زمام أمره بما منحه من عقل وإرادة موضع الابتلاء والامتحان ، ليتحمل المسؤولية على عمله ، وهو ما تتجه إليه إرادته واختياره (٦) .

(١) كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدى ، ترجمة د . محمد فتحى السنيطى ، دار النهضة العربية ببيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٠ . م . ص ٣٥ - ٤٠ .

د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس فى الحياة المعاصرة - دار المعارف بمصر ، ١٩٧٣ م ، ص ٣١١ .

(٢) د . محمد عثمان نجأتى : القرآن وعلم النفس . دار الشروق ببيروت ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٤٩ .

(٣) الشمس : ٧ - ١٠ .

(٤) القصص : ٧٩ - ٨٠ .

(٥) النازعات : ٣٧ - ٤١ .

(٦) د . عائشة عبد الرحمن : الشخصية الإسلامية - دار العلم للملايين ببيروت ، ١٩٧٣ م ،

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ * أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا * أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ * أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَكَلِمَاتًا وَسَفَاتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ، إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ، وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ، بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٥) .

وإن القرآن الكريم قد قسم أحوال النفس حسب الصفة الغالبة ، والتي لكل منها سلطانها عليه ، على النحو التالي :

(أ) النفس الأمارة بالسوء :

إن للإنسان دوافعه ، وحاجاته الأولية كحب البقاء ، والتملك ، والغريزة الجنسية ... التي لا يمكن أن يستغنى عنها ، وتُشكّل قوة داخلية ضاغطة على الإنسان ، مطالبة بإشباعها دون كلل أو ملل (٦) ، وعن طريق بعض هذه الدوافع الأولية أوقع إبليس - لعنه الله - آدم عليه السلام في المعصية (٧) .

(٣) الملك : ٢

(٢) الإنسان ٣

(١) البلد : ٤ - ١٠

(٥) فصلت : ٤٦

(٤) الكهف : ٢٩

(٦) كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدي (مرجع سابق) ص ٤٢

د . محمد التومي : نحو سيكولوجية إسلامية ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، ١٩٧٩ م .

ص ٢٥ - ٣٠

(٧) سيد قطب : في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٨ ص ١٢٦٩

قال تعالى : ﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ، وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ (٢) .

وإن الغريزة الجنسية هي التي دفعت قابيل إلى قتل أخيه هابيل (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٤) .

وكذلك ما جاء في القرآن الكريم عن امرأة العزيز .

قال تعالى : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنْ إِذْ رَاوَدْتُنِ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ، قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ، قَالَتْ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي ، إِنْ النَّفْسُ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ، إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥) .

فالواجب على الإنسان أن لا ينساق وراء الدوافع الأولية كالحیوان لإشباعها عن طريق الأهواء والشهوات والملذات البدنية المذمومة ، لأن الإنسان ليس كالحیوان في مهمته ، وإنما هو خليفة لله في أرضه ، وقد منحه صفات من صفاته تعالى كالإرادة والعلم (٦) .

(٢) طه : ١٢٠ - ١٢١

(١) الأعراف : ٢٠

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٣ ص ٢١٣

(٥) يوسف : ٥١ - ٥٣

(٤) المائدة : ٢٧ - ٣٠

(٦) أبو الأعلى المودودي : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٨٣

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

فيجب أن يكون لدى الإنسان إرادة للتحكم في إشباع هذه الدوافع ، لترشيدها وتقويمها ، فلا يجعلها سائبة ترعى في الإهمال ليصبح وحشاً عدوانياً ، لا يرمى المصالح جهلاً وظلماً ، فتحتجب الذات في الظلمات التي تجعلها لا ترى النور (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٣) .

وقال تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْتَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ (٤) .
وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رِيحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِينًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ، كَذَلِكَ زِينٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٦) .

وإن كل إنسان لديه هذه الدوافع الأولية ، ولذا فكل إنسان لديه هذه النفس الأمارة بالسوء ، والإنسان مطالب بالتحكم والترشيد والتقويم لها . بالاستفادة

(١) البقرة : ٣ .

(٢) الزمخشري : الكشاف (مرجع سابق) ج ١ ص ٢٠٣ .

(٤) التين : ٤ - ٦

(٣) الشمس : ٧ - ١٠

(٦) الأنعام : ١٢٢

(٥) البقرة : ١٦ - ١٧

ما منح الله من عقل وإرادة ، مناط المسؤولية في تحقيق الابتلاء والامتحان (١) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٢) .

وإن لم يستثمر الإنسان ما منح الله من عقل وإرادة ، وانهمك في إشباع شهواته وملذاته البدنية المذمومة ليجعلها هي المسيطرة عليه ، فإنه يكون شيطاناً من شياطين الإنس ، ومنزلته دون منزلة الحيوان (٣) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ، إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٦) .

(١) أبو السعود : تفسير أبي السعود (مرجع سابق) ج ٧ ص ١١٨ - ١١٩

عباس محمود العقاد : الإنسان في القرآن (مرجع سابق) ص ٣٣ - ٣٤

(٢) الأحزاب : ٧٢

(٣) الفخر الرازي : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) ج ٣ ص ٤ - ٥ ، ج ١٢

(٤) البقرة : ١٦٨ - ١٧٠

ص ٨٦

(٦) الفرقان : ٤٣ - ٤٤

(٥) المائدة : ٩٠ - ٩١

فالإنسان لم يُطلب منه أن يكون ملكاً ، كما لم يُطلب منه أن يكون شيطاناً ، وإنما طُلبَ منه أن يحافظ على إنسانيته عن طريق التحكم والترشيد والتقويم في عملية إشباع هذه الدوافع ، والذي به يحفظ إتران شخصيته ، فلا تعميده مطالبه وشهواته البدنية عن مطالبه وحاجاته الروحية ، في رعاية القيم ، والمبادئ ، والفضائل ، من غير إفراط أو تفريط كما سبق .

وإن أكثر الناس قد سيطرت عليهم هذه النفس الأمارة بالسوء حتى أعمتهم عن الهداية والصلاح .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ (١) .

فـ « ال » في كلمة « النفس » للاستغراق المفيد لعموم الجنس أى كل نفس ، كما أن الاستثناء يدل على قلة المستثنى عن المستثنى منه ، وكذلك فإن مجيء الوصف « أمارة » على وزن « فعالة » أحد صيغ المبالغة يدل على كثرة وقوع الفعل (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ (٣) .

فإن « الـ » في كلمة « الإنسان » للاستغراق المفيد لعموم الجنس أى كل إنسان ، وإن الاستثناء يدل على قلة المستثنى عن المستثنى منه (٤) .

فالنفس « أمارة بالسوء لأنها خُلِقَتْ في الأصل جاهلة ظالمة إلا من رحمها الله ، والعدل والعلم طارىء عليها بإلهام ربها وفاطرها ، فإذا لم يُلهمها رشدًا

(١) يوسف : ٥٣

(٢) إبراهيم محمد سوسيق : النفس الإنسانية في القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٥٢

الشوكاني : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٣ ص ٣٥

(٣) سورة العصر .

(٤) إبراهيم محمد سوسيق : النفس الإنسانية في القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٥٢

الشوكاني : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٥ ص ٤٩١

بقيت على ظلمها وجهلها ، فلم تكن أمارة إلا بموجب الجهل والظلم ، فلولا فضل الله ورحمته على المؤمنين ما زكت منهم نفس واحدة .

وإذا أراد الله سبحانه بها خيراً جعل فيها ما تزكوه وتصلح : من الإرادات والتصورات ، وإذا لم يُرد بها ذلك تركها على حالها التي خُلقت عليها من الجهل والظلم .

وسبب الظلم : إما جهل ، وإما حاجة ، وهى فى الأصل جاهلة ، والحاجة لازمة لها ، فلذلك كان أمرها بالسوء لازماً لها إن لم تُدرِكها رحمة الله وفضله . وبهذا يُعلم أن ضرورة العبد إلى ربه فوق كل ضرورة ، ولا تشبهها ضرورة تُقاس بها ، فإنه لو أمسك عنه رحمته وتوفيقه وهدايته طرفة عين خسر وهلك « (١) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ، وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَّى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

وإن الذين فهموا رسالتهم والغاية من خلقهم قلة (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦) .

(١) ابن القيم : إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان ، تحقيق محمد سعيد كيلانى ، شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاد بمصر ، ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م) ج ١ ص ٩٣

(٢) النور : ٢١

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٨ ص ١١٩٥

(٤) الأنعام : ١١٦ (٥) الأعراف : ١٠٢ (٦) يوسف : ١٠٣

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (١) .

فطريق تزكية النفس للإيمان الصادق بالله ، وملائكته وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، إيماناً مقروناً بالعمل الصالح ، حسب ما تُمليه الشريعة السماوية ، ومحاسبة ومراقبة النفس الأمانة بالسوء بما يوافق هذا الإيمان ، باستغلال واستثمار خصائص النفس اللوامة ، والذي بناء عليه يكون للإنسان قواعد سلوكية أخلاقية ثابتة ، ومستمرة تحفظ له إنسانيته وتوازنه (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا * وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (٤) .

ومما جاء في القرآن الكريم في سبيل ترشيد الإنسان لصيانة جوارحه ، التي تمثل نوافذه على العالم الخارجي ، من الانزلاق في حبال النفس الأمانة بالسوء (٥) .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٦) .

(١) الإسراء : ٨٩

(٢) عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية في النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٥٣ -

١٥٥

(٤) طه : ١٢٣ - ١٢٤

(٣) الإسراء : ٨١ - ٨٢

(٥) ابن القيم : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (مرجع سابق) ج ١ ص ٩٦

(٦) الإسراء : ٣٦

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٢) .
كما يجب على الإنسان أن يحذر من احتيال هذه الدوافع الأوّلية على العقل ، أو النفس اللوامة ، عن طريق التهاون في اتخاذ القرار ، أو مبررات مغلوطة تُشيرها النفس كخواطر أو وسوسة من الشيطان ، أو عن طريق ما لا يباه العقل في ظاهر الأمر من المتشابهات ، حتى يجد نفسه وقد انزلق فيما يباه العقل والضمير (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ، وَلَكِنَّ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ، وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ، وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (٧) .

وعن النعمان بن بشير قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « الحلال بيّن والحرام بيّن ، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ

(٢) الأعراب : ٧ .

(١) النور : ٣٠ .

(٣) د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية في النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٧٩ - ١٨٠ .

د . محمد عثمان لجناتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٢٢ - ٢٢٤ .

(٥) البقرة : ١١ - ١٢ .

(٤) الرعد : ٣٧ .

(٧) الأنعام : ١٢١ .

(٦) طه : ١٢٠ .

لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ،
ألا وإن لكل مَلِكٍ حَمَى ، ألا إن حَمَى اللّٰه محارمه ، ألا وإن فى الجسد مُضغَةً إذا
صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب « (١) .
(ب) النفس اللوامة :

إن النفس اللوامة تُعتبر رقابةً داخليةً تُحاسب الإنسان عما يصدر عنه ، سواء
على مستوى الأفعال ، أو النيّات ، على شكل شحنة انفعالية داخلية ضاغطة
للإقلاع عن القصور أو التقصير فى العمل الصالح (٢) .

فـ « ليس من نفس برة أو فاجرة ، إلا وهى تلوم نفسها ، إن كانت عملت
خيراً قالت : هلا ازددتُ ، وإن كانت عملت سوءاً قالت : ليتنى قصرتُ ليتنى
لم أفعل » (٣) .

قال تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (٤) .
ولقد جاء لفظ « اللوامة » على وزن « فعالة » ، وهى إحدى صيغ المبالغة ،
التي تدل على كثرة وقوع الفعل ، وشدة التعنيف والمؤاخذة منها لصاحبها (٥) .

كما أن اقترانها بـ « يوم القيامة » يدل على أهمية الإيمان بالبعث فى تنمية
النفس اللوامة ، وتنشيطها فى تنبيه الإنسان ومؤاخذته وتعنيفه على مواطن

(١) رواه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب : فضل من استبرأ لدينه ، ج ١ ص ١٩

(٢) عبد الكريم الخطيب : الإنسان فى القرآن الكريم . دار الفكر ، ط ١ ، ١٩٧٩ م ص ٩٨ - ٩٩

د . عزت عبد العظيم الطويل : فى النفس والقرآن الكريم . المكتب الجامعى الحديث

١٤٠٢ هـ - (١٩٨٢ م) ، ص ٦٨

د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٨١

(٣) الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) : معانى القرآن ، عالم الكتب ، ط ٢ ، ١٩٨٠ م ج ٣

(٤) القيامة : ١ - ٢

ص ٢٠٨

(٥) ابن القيم : إغاثة اللّهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج ١ ص ٩٤

إبراهيم محمد سرسيق : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦١

القصور أو التقصير لديه ، قبل حساب الآخرة الذى فيه تظهر ثمرتها بصورة جلية (١) .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ، وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ (٣) .

فالنفس الأمارة بالسوء تدفع الإنسان إلى إشباع دوافعه الأولية ، وقد يُصاحب ذلك ضعف إرادة فى التحكم والترشيد والتقويم فى عملية إشباعها ، والنفس اللوامة تمثل نقطة مراقبة داخلية ضاغطة وقوية ، لما تُحدثه فى الذات ، من اضطراب فى الكيان ، وتعكر فى الصفو ، وشعور بالذنب ، يُشعرها بمواطن الضعف ، للمحافظة على اتزان الشخص عن طريق المطالبة بتصحيح الوضع (٤) .

وذلك ما حدث لآدم عليه السلام حينما وقع فى المعصية .

قال تعالى : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ (٥) .

« فغوى » أى فسد عيشه ، وتعكر مزاجه ، واضطرب كيانه ، بسبب المعصية ، والذى منه تقريع النفس اللوامة بالندم والحسرة على ما وقع منه (٦) .

(١) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) ج ٣. ص ٢١٦

إبراهيم محمد سريسق : النفس البشرية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٧ - ٦٨

(٢) آل عمران : ٣٠ (٣) المؤمنون : ٦٠ - ٦١

(٤) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٠٧ - ٢٠٨

د . حسن محمد الشرقاوى : نحو علم نفس إسلامى . الهيئة المصرية العامة للكتاب ،

الاسكندرية ، ص ٢٢٥

الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) ج ٣. ص ٢١٦

(٥) طه : ١٢١

(٦) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٥ ص ٤٢٩٧

وقال تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ ، قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَ أَخِي ، فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ، إِنْ اللَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) .

وإن طريق خلاص النفس من تعكر الصفو ، واضطراب الكيان ، للتردى الذى وقعت فيه هو الإقلاع عن القصور أو التقصير ، والترقى من درجة الظالم لنفسه إلى درجة المقتصد ، الذى أدّى ما يجب عليه ثم إلى درجة السابق بالخيرات ، الذى يدفع بنفسه إلى القيام بأكثر مما يجب عليه من الفضائل ليظفر برضا ربه (٣) ، الذى أفهم النفس طريق التقوى ، وطريق الفجور (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (٦) .

« وإن ذلك يكون بالندم ، والتوبة الصادقة ، والعزم على أن لا يعود إلى القصور أو التقصير فيما يجب ، فتحيا وتنشط النفس اللوامة للقيام بواجبها نحو مراقبة ومحاسبة الإنسان لترقيته وتزكيته إلى الأفضل فى سلم الدرجات العليا » (٧) .

(١) المائة : ٣٠ - ٣١ (٢) التوبة : ١١٨

(٣) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) ج ٢٦ ص ٢٤ - ٢٥

سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٢٢ ص ٢٩٤٤

(٤) البيضاوى : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (مرجع سابق) ص ٨٠٠

(٥) الشمس : ٧ - ١٠ (٦) فاطر : ٣٢

(٧) ابن القيم : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج ١ ص ٩٨

عبد الكريم الخطيب : الإنسان فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ١٠٣ - ١٠٥

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذُكِرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ وَكَمْ يَصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ * وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤) .

فيجب على الإنسان أن يتعهد هذه النفس بالاستجابة لما تدعو اليه من الخير ، لكبح جماح الشهوات والمُلذات الحيوانية المذمومة مصدر الضعف فى الإرادة ، والذى به يفقد الاتزان ، وليجد السكينة بعد القلق ، والطمأنينة بعد الأنزعاج ، والجد والعمل الصالح بعد التقاعس والعمل السيء (٥) .

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٧) .

(٢) النساء : ١١٠

(١) آل عمران : ١٣٥

(٤) هود : ١١٤ - ١١٥

(٣) النساء : ١٧

(٥) عبد الكريم الخطيب : الإنسان فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ، ص ٩٧ - ٩٩

د . عزت عبد العظيم الطويل : فى النفس والقرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٨

(٧) القصص : ٧٧

(٦) النازعات : ٤٠ - ٤١

وعن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع
السيئة الحسنه تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » (١) .

أما إذا لم يستجب لنداء النفس اللوامة ، فإن هذه القوة الداخلية - التي تمثل
برج مراقبة قوى - تتبدل شيئاً فشيئاً حتى تنعمى ، فتغوص الذات فى بحور
الظلام ، التي لا تجد لها شواطئ أمان .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ
قَسْوَةً ، وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ، وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ
فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ، وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلَا تُطِعْ
مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ
وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مَنْ
بَعْدَ اللَّهِ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٤) .

وبناءً على ذلك فإن قوة النفس اللوامة وضعفها فى محاسبة الإنسان ،
ومراقبته ، والاستجابة لها ، تختلف حسب قوة الإيمان وضعفه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا
فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا
تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ

(١) رواه الدارمى فى كتاب الرقائق ، باب : فى حسن الخلق ، ج ٢ ص ٣٢٣

(٢) الكهف : ٢٨

(٣) البقرة : ٧٤

(٤) الأعراف : ٢٠١

(٥) الجاثية : ٢٣

الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ، لَهُمْ دَرَجَاتُ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ .

وإن شريعة الله تعالى التي ليس للأهواء والشهوات دخل في تحديدها ، هي التي يمكن أن تظمن إليها القلوب ، كما أن المؤمن هو الذي يستفيد من النفس اللوامة في نطاق الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة .

قال تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (٢) .

أما غير المؤمن فلا يستفيد من النفس اللوامة إلا في الحياة الدنيا .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قيل : يارسول الله ؛ من أكرم الناس ؟ قال : « أتقاهم » ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : « فيوسف نبي الله ، ابن نبي الله ، ابن نبي الله ، ابن خليل الله » قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : « فعن معادن العرب تسألونى ؟ خيارهم فى آتجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » (٣) .

وإن الإنسان يخرج عن طريق النفس اللوامة من دور الإنسان الصالح إلى دور الإنسان المصلح داخل المجتمع (٤) ، والذي فيه تلتقى السلطة الداخلية للأفراد مع السلطة الخارجية ، فالمجتمع الإسلامى هو الذى تلتقى فيه السلطان عن قناعة تامة ، وإيمان صادق بشريعة الله ، ذات المبادئ والقيم والفضائل الثابتة

(١) الأنفال : ٢ - ٤

(٢) النساء : ١١٤ - ١١٦

(٣) رواه مسلم فى كتاب الفضائل ، حديث ١٦٨ ، ج ٤ ص ١٨٤٦

(٤) إبراهيم محمد سرييق : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٩

انظر : فرنسوا شانلييه : أيدولوجيا الإنسان ، ترجمة د . خليل أحمد خليل . المؤسسة

الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) ، ص ٢٨ - ٣٧

والمستمرة ، والذي فيه تتضافر الجهود فى بناء مجتمع يسوده العدل والأمن والاستقرار والفضيلة والتكامل .

قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ، مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ، فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ، اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وَرَزَقْنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ لَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُم عَنْهُ ، إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ، وَمَا تَوْفِيقِى إِلَّا بِاللَّهِ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٤) .

فالؤمن مجاهد لنفسه من داخل ذاته ، ولمجتمعه للقضاء على انحراف الأفراد بجزرهم اجتماعياً ، مما يضطرهم إلى تعديل سلوكهم المنحرف ، حتى لا تتوسع دائرة الانحراف فى المجتمع ، ولو كان ذلك اعترافاً بجريمة ارتكبتها ، ويستحق عليها العقاب ، ليقضى على التوتر والقلق من تفرغ وتوبيخ النفس اللوامة من جهة ، وليفوز برضا ربه وقبول تويته من جهة أخرى ، فيعود إليه الأمن النفسى ، الذى به يحفظ اتزانه كشخص سوى داخل المجتمع (٥) .

(٢) النساء : ١٣٥

(١) آل عمران : ١١٠

(٤) هود : ٨٨

(٣) المائدة : ٨

(٥) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢١٠ - ٢١٢

إبراهيم محمد سربيق : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٩

ولذلك فإن الجزاء يجب أن يتصف بالسرعة ، لتحقيق سرعة القضاء على التوتر والقلق النفسى ، وتحقيق العبرة والموعظة لزجر الانحراف (١) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : أتى رجل من المسلمين رسول الله ﷺ وهو فى المسجد ، فناداه فقال : يا رسول الله ! إني زنيْتُ ، فأعرضَ عنه ، فتنحى تلقاء وجهه ، فقال له : يا رسول الله ! إني زنيْتُ ، فأعرضَ عنه حتى ثنى ذلكَ عليه أربع مرات ، فلما شهد على نفسه أربع شهادات ، دعاه رسول الله ﷺ فقال : « أبك جنون » ؟ قال : لا ، قال : « فهل أحصنت » ؟ قال : نعم ، فقال رسول الله ﷺ : اذهبوا به فارجموه ... » (٢) .

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كنت جالساً عند النبي ﷺ فجاءته امرأة من بنى غامد ، فقالت : يا نبي الله ! إني قد زنيْتُ ، وإنى أريدُ أن تُطهرنى ، فقال لها : « ارجعى » ، فلما كان من الغد أتته أيضاً فاعترفت عنده بالزنا ، فقالت : يا نبي الله طهرنى ، فلعلك أن ترددى كما رددت ما عز ابن مالك ، فوالله إني لحُبلى ، فقال لها النبي ﷺ : « ارجعى حتى تلدى » فلما ولدت جاءت بالصبي تحمله فى خرقة فقالت : يا نبي الله ! هذا قد ولدتُ . فقال : « اذهبى فأرضعيه . ثم افطميهِ » ، فلما فطمته جاءته بالصبي فى يده كسرة خبز ، فقالت : يا نبي الله ! قد فطمته . فأمر النبي ﷺ بالصبي فدفع إلى رجل من المسلمين وأمر بها فحفر لها حفرة ، فجعلت فيها إلى صدرها ، ثم أمر الناس أن يرجموها ، فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتلطخ الدم على وجنة خالد بن الوليد فسبها ، فسمع النبي ﷺ سبها إياها فقال : « مه يا خالد ! لا تسبها ، فوالذى نفسى بيده ، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له » ، « فأمر بها فصلى عليها ، ودُفنت » (٣) .

« وإذا تأملتَ حال أكثر الناس وجدتهم بضد ذلك ، ينظرون فى حقهم على

(١) د . عزت عبد العظيم الطويل : فى النفس والقرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٨

(٢) رواه مسلم فى كتاب الحدود ، حديث ١٦ ، ج ٣ ص ١٣١٨

(٣) رواه الدارمى فى كتاب الحدود ، باب : الحامل إذا اعترفت بالزنا ج ٢ ص ١٧٩ - ١٨٠ .

اللَّهِ ، ولا ينظرون في حق الله عليهم ، ومن ههنا انقطعوا عن الله ، وحُجبت قلوبهم عن معرفته ، ومحبته ، والشوق إلى لقائه ، والتنعم بذكره ، وهذا غاية جهل الإنسان بربه وبنفسه ..

فمحاسبة النفس هي نظر العبد في حق الله عليه أولاً ، ثم نظره : هل قام به كما ينبغي ثانياً ، وأفضل الفكر الفكر في ذلك ، فإنه يُسير القلب إلى الله ، ويطرحة بين يديه ذليلاً خاضعاً منكسراً كسراً فيه جبره .. ومفتقراً فقراً فيه غناه .. وذليلاً ذلاً فيه عزته ، ولو عمل من الأعمال ما عساه أن يعمل ، فإن ما فاته من البر أفضل من الذي أتى « (١) .

(ج) النفس المطمئنة :

إن النفس المطمئنة هي التي يصل فيها الإنسان إلى درجة من الكمال والنضج في تحقيق توازن الذات ، بعد الانزعاج والاضطراب والقلق الصادر من النفس الأمارة بالسوء (٢) من جهة ، والنفس اللوامة من جهة أخرى ، فتجد السكينة والصفاء ، والراحة النفسية في التحكم والتقويم والترشيد في إشباع الحاجات والمطالب البدنية والروحية عن طريق تقويم السلوك .

ولا يمكن أن يبلغ الإنسان هذه الدرجة إلا بتعهد النفس اللوامة ، وتزكيتها عن طريق الاستجابة لها في كل عمل خير (٣) ، حتى يستطيع أن يتحكم في عملية إشباع دوافعه ويقضى على نقاط الضعف في الإرادة ، فيقوى هذا المنبّه الداخلي حتى لا يجد صعوبة في الاستجابة له ، ثقة باللّه وبوعده له بالشواب (٤) .

(١) ابن القيم : إغاثة اللّهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) ج ١ ص ١٠٥ .

(٢) كلّفن هال : أصول علم النفس الفرويدي (مرجع سابق) ص ٤٢ .

د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٠٨ .

(٣) عبد الكريم الخطيب : الإنسان في القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٩٧ - ٩٩ .

(٤) سيد قطب : في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٣ ص ٣٩٠٧ .

د . عزت عبد العظيم الطويل : في النفس والقرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٧٠ .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي * وادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (١) .

فهى نفس آمنة لا يستفزها خوف ولا حزن ، ففى قراءة أبى بن كعب :
« يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة » (٢) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٣) .

ففى الآية قصر « الأمن » على المؤمن عن طريق تقديم الجار والمجرور « لهم » على كلمة « الأمن » (٤) .

ولذلك فإن النفس المطمئنة يرجع اطمئنانها إلى توفر عدة صفات أساسية وهى :

١ - الإيمان بالله تعالى والولاء له :

فبالإيمان والعمل الصالح يرضى ربه ، ويتحكم فى دوافعه ، بتوجيه إشباعها وفق شريعته ، التى يطمئن إليها فى تحقيق توازن شخصيته فى الوفاء بمتطلباته ، وحاجاته البدنية والروحية ، ليصل إلى درجة الكمال والنضج ، التى تجعله يرضى عن نفسه ، ولذلك جاء وصف « النفس المطمئنة » بـ « راضية مرضية » (٥) .

وقال تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ

(١) الفجر : ٢٧ - ٣٠ .

(٢) الفجر الرازى : تفسير الفجر الرازى (مرجع سابق) ج ١٦ ص ١٧٧

(٣) الأنعام : ٨٢

(٤) الفجر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) ج ١٣ ص ٦٤

إبراهيم محمد سريقت : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٧٩

(٥) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) ج ٩ ص ١٥٩

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٠٨

مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحِ بَيْنِ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ، وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ (٣) .

٢ - الإيمان بالبعث ، وهو يتضمن ثقة واطمئنان المؤمن بوعد الله تعالى له بالثواب (٤) ، وأن هذه الحياة ماهي إلا دار ابتلاء وامتحان (٥) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّاتِي ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ * وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ، أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ * وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (٨) .

(١) النساء : ١١٤ (٢) النساء : ١٢٥ (٣) النحل : ٢

(٤) أبو السعود : تفسير أبي السعود (مرجع سابق) ج ٩ ص ١٥٩

(٥) الفخر الرازي : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) ج ٣ ص ٥٥

(٦) الفجر ٢٧ - ٣٠ (٧) العنكبوت : ٩ - ١١ (٨) هود : ٧

٣ - المداومة على مراقبة الله تعالى فى كل عمل يقوم به ، وإن كان خليفة لله فى أرضه فهو أيضاً عبداً لله تعالى ، فيلزمه أن يكون معه فى السرِّ والضرِّاء ، حتى يضمن البُعد عما يُوقعه فى الزلل والغلط (١) .

وإن تنمية ذلك يكون عن طريق القرآن والبرهان ، اللذين يشدانه إلى عظمة المولى سبحانه (٢) .

فمن القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٣) .

وأما البرهان فمن وجهين :

الأول : إن القوة العاقلة إذا أخذت تترقى فى سلسلة الأسباب والمسببات ، فكلما وصل إلى سبب يكون هو ممكناً بذاته طلب العقل له سبباً آخر ، فلم يقف عنده بل لا يزال ينتقل من كل شيء إلى ما هو أعلى منه ، حتى ينتهى فى ذلك الترقى إلى واجب الوجود لذاته مقطوع الحاجات ومنتهى الضرورات ، فلما وقفت الحاجة دونه وقف العقل عنده واطمأن إليه ، ولم ينتقل عنه إلى غيره ، فكلما كانت القوة العاقلة ناظرة إلى شيء من الممكنات ملتفتة إليه استحال أن تنتقل عنه ، فثبت أن الاطمئنان لا يحصل إلا بذكر واجب الوجود .

الثانى : إن حاجات العبد غير متناهية ، وكل ما سوى الله تعالى فهو متناهى البقاء والقوة إلا بإمداد الله ، وغير المتناهى لا يصير مجبوراً بالمتناهى ، فلا بد من مقابلة حاجة العبد التى لا نهاية لها من كمال الله الذى لا نهاية له حتى يحصل الاستقرار فثبت أن كل من آثر معرفة الله لا لشيء غير الله فهو

(١) يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة . مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) ص ٢٢ - ٢٢٣

(٢) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) ج ٣١ ص ١٧٧ الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٣ ص ٨١

(٣) الرعد : ٢٨

غير مطمئن وليست نفسه نفساً مطمئنة ، أما من آثر معرفة الله لشيء سواه فنفسه هي النفس المطمئنة ، وكل من كان كذلك كان أنسه بالله ، وشوقه إلى الله ، ويقاؤه بالله ، وكلامه مع الله ، فلا جرم أن يُخاطب عند مفارقتة الدنيا بقوله : ﴿ ارجعي إلى ربك راضيةً مرضيةً ﴾ (١) وهذا الكلام لا ينتفع الإنسان به إلا إذا كان كاملاً في القوة الفكرية الإلهية ، أو في التجريد والتفريد (٢) .

وإذا كان النظر في مخلوقات الله تعالى يفيد طمأنينة في الجملة ، فليس إفادتهما للطمأنينة كإفادة ذكر الله تعالى وهذا وجه ما يفيد قصر الاطمئنان على الذكر (٣) ، في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٤) .

وإن هذا التأمل والتفكير من المؤمن يجعله يترقى إلى أعلى الدرجات .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس ، فأتاه رجل ، فقال : ما الإيمان ؟ قال : « الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وبلقائه ، ورسله ، وتؤمن بالبعث » ، قال : ما الإسلام ؟ قال : « الإسلام أن تعبد الله ولا تُشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان » ، قال : ما الاحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ... « (٥) .

فالمؤمن متيقن أن ذلك حق ، ويحس بقرب الله تعالى إليه ، وأنه نصيره ، ومن ههنا كان له الثبات والاستقرار .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمْ مَا تَوْسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (٦) .

(١) الفجر : ٢٨

(٢) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) ج ٣١ ص ١٧٧ - ١٧٨

(٣) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٣ ص ٨١ (٤) الرعد : ٢٨

(٥) رواه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبى ﷺ عن الإيمان والإسلام

(٦) سورة ق : ١٦

والإحسان وعلم الساعة ج ١ ص ١٨

وقال تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ، مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ، هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ، فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ، قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنُ ، قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ، قَالَ فِخْذًا أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

أما من رضى بالحياة الدنيا واطمأن إليها ، وترك دوافعه الأولية ترعى فى الإهمال ، فإنه يقبل على إشباعها حسب أهوائه ، وشهواته وملذاته ، لا يحكمه إلا قوانين وضعية ، للأهواء والشهوات دور فى تصميمها من جهة ، كما أن الواقع الخارجى - بما فيه من أنظمة - له دور فى تشكيل سلوكيات وأخلاقيات الأفراد (٣) .

ومن ههنا فإن اطمئنان الإنسان إلى حياته الدنيا مزيف عن طريق مَنْ سيطرت عليهم أهواؤهم وشهواتهم ، من سادة المجتمع الذين استطاعوا إشباعها دون رقابة من المجتمع فضلوا ، وهم قلة ، ولكن لهم دور فى توجيه المجتمع ، وبالتالي فقد أضلوا الكثير ، ويوم القيامة يظهر ذلك جلياً للجميع (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ

(٢) البقرة : ٢٦٠

(١) الحج : ٧٨

(٣) د . فؤاد البهى السيد : علم النفس الاجتماعى . دار الفكر العربى ط ٢ ، ١٩٨١ م ،

ص ١٥٥

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٧٦

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٢٢ ص ٢٩٠٨ - ٢٩١٠

الهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ ، بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا
لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ
وَتَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً ، وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي
أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ، هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا فِي
قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿ ١١ 〉 .

ولذلك فإن هذا الاطمئنان المزيف للحياة الدنيا او للأنظمة الوضعية لا يمكن
أن يصل إلى درجة اطمئنان المؤمن على مستوى أفراد المجتمع ككل ، ولا
يمكن أن يصل إلى درجة اطمئنان المؤمن بشريعة الله تعالى في تحقيق العدل ،
والأمن ، والاستقرار والتكامل ... وهى أهم المتطلبات لأى مجتمع ، ويشهد
على ذلك الكثير من الأمم التى دخلت الإسلام - حينما كان مجتمعه تُديره دولة
إسلامية - تأثراً بسمو مبادئه ، وقيمه وفضائله (٢) .

كما أن ما يشاهده الإنسان فى المجتمعات الإسلامية المعاصرة فى شهر
رمضان المبارك فى بروز شىء ما من القيم والمبادئ ، والفضائل ، ما يدل على
عظمة الإسلام فى تقويم وترشيد السلوك الإنسانى ، مع أن ذلك ليس إلا نُزْراً
يسيراً من قيمة هذا الدين ، لأن درجة الإيمان بالله تعالى وابتغاء مرضاته قد
غفلت عنه أفراد المجتمعات الإسلامية ضعفاً وجهلاً .

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فطَرَتَ اللَّهُ التِّي فَطَرَ
النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ٣ 〉 .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد
على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو يُنصرانه ، أو يُمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج
البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء » (٤) .

(١) سبأ : ٣١ - ٣٤

(٢) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٧٠ - ٧٣

(٣) الروم : ٣٠

(٤) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : ما قيل فى أولاد المشركين ج ٢ ص ١٠٤

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَاوَأَهُمُ النَّارُ بِمَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١) .

وإن هذا التقسيم للنفس لا يعنى أن هنالك منطقة مختصة لهذه أو تلك ، وإن
تعددت وظائفها ، وإن كان لبعضها سلطان على بعض الوظائف الأخرى ، ولكن
النفس ذات وحدة متمازجة من العمليات العقلية والحالات النفسية ، التى لا
يمكن تقسيمها إلى مناطق نفوذ (٢) .

ويقترب من نظرة القرآن الكريم للنفس نظرة الفلاسفة - كما يراه أفلاطون -
فى تقسيم النفس إلى « النفس العاقلة ، والنفس الغضبية ، والنفس الشهوانية ،
ولكل من هذه الأنفس حدان متطرفان أحدهما إيجابى ، والآخر سلبى ، فالنفس
العاقلة توصف بالعلم أو الجهل ، والنفس الغضبية توصف بالشدة أو اللين ،
وتوصف النفس الشهوانية بالعفة أو الإفراط ، فالنفس العاقلة تستشرف المعرفة ،
والنفس الغضبية تتمثل فى لوم الإنسان نفسه عندما يسلس انقياده لشهواته » (٣) .

أما علماء النفس - كما يراه فرويد (٤) - فيرون أن النفس تنقسم إلى ثلاثة
أقسام وهى بإيجاز (٥) :

(١) يونس : ٧ - ٨

(٢) كلثن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ٤ .

د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤١ - ٤٤

(٣) د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٦١

(٤) فرويد ، سيجموند (١٨٥٦ - ١٩٣٩ م) طبيب أمراض عصبية نساوى . من أشهر علماء
النفس وأبدهم أثراً على الفكر الغربى ، أسس طريقة التحليل النفسى ، ومن أشهر مؤلفاته «
دراسات فى الهستيريا » عام ١٨٩٥ و « تأويل الأحلام » عام ١٨٩٩ م
منير البعلبكي : موسوعة المورد (مرجع سابق) ج ٤ ص ١٧٣ .

(٥) كلثن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ٢٥ - ٤ .

سيجموند فرويد : الذات والغرائز ، ترجمة د . محمد عثمان نجاتى . مكتبة النهضة ،

ط ٣ ، ١٩٦١ م ، ص ٤ - ٩

١ - الهو (الذات الدنيا) :

وهي تمثل الجانب البيولوجي - الحيوي - الموروث ، فهي وثيقة الصلة بالعمليات البدنية ، وتحتوي على الغرائز الشهوانية ، التي تطلب على الدوام إشباعها ، وفق مبدأ اللذة ، بما تُثيرة من توتر .
وهي تشبه النفس الأمارة بالسوء .

٢ - الأنا العليا (الذات العليا) :

وهي تمثل الجانب الاجتماعي الداخلي الذي تغذت به النفس كقيم وعادات وتقاليد ، لتمثل الأخلاق الشخصية للإنسان ، فهي تتصرف وفقها لتقويم وترشيد السلوك ، وتُسمى الضمير ، فهي تعمل على كبت « الهو » عند الإنسان لتطبيعته اجتماعياً . وهي تشبه إلى حد ما النفس اللوامة .

ويرى فرويد أن « الأنا العليا » هي سبب العقد النفسية ، نتيجة لكبت الدوافع الفطرية ، وهو لا يرى أن الغريزة الدينية غريزة فطرية وإنما يعتبر كل ذلك مكتسباً^(١) .

٣ - الأنا (الذات الوسطى) :

وهي الجانب الواقعي ، الذي يجب أن تكون عليه الشخصية ، لتحقيق التوسط بين المطالب الغريزية الشهوانية والواقع الخارجي ، بإشباع الغرائز الشهوانية التي يسمح الواقع في إشباعها ، وكبت أو تأجيل ما لا يسمح به ، وفق مبدأ الواقع ، فهي تمنع الانسياق في جانب الغرائز الشهوانية ، أو المغالاة في تطرف « الأنا العليا » ، لتحقيق التوازن والصحة النفسية ،

ولا يمكن أن يتحقق التوازن في الشخصية على أساس قيم ومبادئ مكتسبة من الواقع الخارجي ، تتصف بالتغير والتبدل ، وإن التوازن الحقيقي لا يمكن

(١) د . محمد عثمان مجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٠٩

تحقيقه إلا بشريعة الله تعالى ، التى تتناسب مع متطلبات الإنسان البدنية والروحية ، وتتصف بالثبات والاستمرارية (١) .

قال تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٢) .

* * *

● الدوافع :

إن الإنسان يتكوّن من طبيعة مزدوجة بين عنصرين أساسيين - المادة والروح - وإن منهما يتكوّن الإنسان الذى يتمتع بالقوة والنشاط الحيوى الذى ينبع من الداخل ، والذى له أثر كبير فى توجيه وتوظيف السلوك الإنسانى ، للوفاء بحاجاته العضوية وغير العضوية (النفسية) عن إرادة ، وحرية ، واختيار للقيام بأهدافه (٣) .

وإن الإنسان يملك التحكم والترشيد النسبى لسلوكه ، ولكن ليس له أن يتحكم أو يرشّد ما تحت جلده ، من وظائف عضوية ونفسية إلا التزّر اليسير ، مما يمكن أن يكون من توتر وهيجان كرد فعل لما قد ينهجه فى توجيه وتوظيف سلوكه ، فى تغيير سلوكه ، أو المعالجة بالعقاقير لداء عضوى أو نفسى (٤) .

ولأهمية هذا الموضوع فقد أفردت له الباب الثالث لمزيد من التوضيح ، ليتم

(١) د . عز الدين اسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٨٤ -

(٢) القصص : ٧٧

١٨٥

(٣) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ١٥٠ - ١٥٢

د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٣

عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٣٣

(٤) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٤ - ٣٣

د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ١١ - ١٢

جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٧٣ - ٧٥

معالجته هنالك ، ولكن يجب أن نتناوله هنا كخاصية من خصائص الإنسان من جهة ، وكإثارة للمشكلة من جهة أخرى .

فالدوافع : قوى داخلية ضاغطة وموجهة للسلوك الإنساني ، لتحقيق أهداف معينة من شأنها القضاء على حالة التوتر ، أو اختلال التوازن التي تحدثها ، لإشباع حاجاته الأساسية كحفظ الذات أو النوع ... وحاجاته التي تجعله في توافق مع البيئة الخارجية (١) .

ولذا فالدوافع حاجات واستعدادات كامنة ، قد لا يدركها الإنسان مباشرة ، وإنما يستنتجها من الاتجاه العام للسلوك (٢) .

ويمثل هذه الدوافع في التعبير القرآني الكريم بشكل عام « النفس الأمارة بالسوء » و « النفس اللوامة » .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ، إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامَةِ ﴾ (٤) .

ويقسّم علماء النفس الدوافع إلى قسمين وهما :

(١) د . محمد مصطفى زيدان ونبيل السمالوطي : علم النفس التربوي . دار الشروق بجدة ط١ ، ١٤٠٠ هـ . (١٩٨٠ م) ص ٧٢ .

عبد الرحمن عيسوي : علم النفس الفسيولوجي (مرجع سابق) ص ١٤٧
أحمد يوسف : أسس التربية وعلم النفس . مكتبة الانجلو المصرية ، ط ٣ ، ١٩٥٨ م ، ص ٢٦ - ٣٠ .

محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٣

(٢) د . نبيل محمد السمالوطي : الإسلام وقضايا علم النفس الحديث (مرجع سابق) ص ٩٣ - ٩٤

(٤) القيامة : ١ - ٢

(٣) يوسف : ٥٣

١ - الدوافع الفطرية :

وهي القدرات والحاجات الفطرية الموروثة ، التي تدفع الإنسان إلى سلوك معين نحو إدراك شيء (ما) ، والإحساس بحالة وجدانية بالنسبة له ، والنزوع للقيام بإشباعه (١) .

وتنقسم هذه الدوافع الفطرية إلى قسمين وهما :

(أ) حاجات عضوية :

وهي الحاجات العضوية (الجسدية) التي يمكن إدراك مصدرها في جوانب عضوية ، أو تفاعلات كيميائية في الجسم (٢) .

وإن النشاط التوفيقى بين هذه الدوافع والاستجابة لها قد يتم على أساس حيوى لا إرادة للإنسان فيه ، كارتفاع درجة حرارة الجسم ، وما يصاحبه من استجابة فى ظهور العرق ، لتخفيف درجة الحرارة ... والحاجة إلى النوم ، والحاجة إلى التنفس للهواء الطلق إلخ (٣) .

وقد يكون النشاط التوفيقى إرادى ، ولكنه مدفوع منها كالجوع ، والعطش ، والحرارة ، والبرودة المفرطة ، والألم ، والتعب ، والغريزة الجنسية ... إلخ (٣) .

ومما جاء فى القرآن الكريم إشارة إلى هذه الدوافع ما يأتى :

- دوافع الحرارة والبرودة :

قال تعالى : ﴿ وَجَزَأَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ، لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ (٤) .

(١) د . محمد مصطفى زيدان : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ٦٦

د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١١٥ - ١١٧

عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٣٤

(٢) برسيثال سيمونديز : الدروس التي تتعلمها التربية من علم النفس ، ترجمة عبد الرحمن

صالح عبد الله ، دار الفكر ، ١٩٧٤ م ، ص ١٣ - ١٤

عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١١٥

(٣) د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٤

(٤) الإنسان : ١٢ - ١٣

- دافع التنفس للهواء الطلق حول الكرة الأرضية :

قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ، كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرُّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

فمن المحتمل أن يكون في قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ إشارة إلى نقص الأوكسيجين خارج الغلاف الجوى للكرة الأرضية ، وكذلك الآيات القرآنية التي تشير إلى الفرق (٢) .

- دافع النوم :

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ، ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

- دافع الجوع والعطش :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴾ (٤) .

- دافع الألم :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٥) .

- دافع التعب :

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ، إِنَّ رَبَّنَا

(١) الأنعام : ١٢٥

(٢) د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٣٣ - ٣٤

(٣) الأنعام : ٦٠ (٤) طه : ١١٨ - ١١٩ (٥) المائدة : ٣٦ - ٣٧

لَعَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿١﴾ .

- دافع الجنس :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

- دافع الأمومة :

قال تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا ، إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبًا لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَمَا تَفَرَّقَ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنُ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

وإن النشاط التوفيقى بين هذه الدوافع والاستجابة لها ، سواء أكان إرادياً أو غير إرادى ، إنما هو لإعادة الاتزان والاعتدال للإنسان (٥) .

قال تعالى : ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْرُهُ تَقْدِيرًا ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٧) .

فعن دافع النوم والاستجابة له مثلاً قال تعالى : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ (٨) .

(٢) النساء : ١

(١) فاطر : ٣٤ - ٣٥

(٤) القصص : ١٠ - ١٣

(٣) الذاريات : ٤٩

(٥) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٤

(٨) الأنفال : ١١

(٧) القمر : ٤٩

(٦) الفرقان : ٢

فلهذا النعاس أهمية كبيرة فى القضاء على التوتر ، واختلال الاتزان ، لدى المؤمنين فى هذا الموقف (١) .

(ب) حاجات نفسية :

وهى الحاجات النفسية (غير العضوية) التى تكون مشتركة بين أفراد النوع ، رغم اختلاف الواقع الخارجى من مجتمع لآخر ، وإن كانت ترجع بطريقة غير مباشرة إلى الدوافع العضوية ، لأنها تعمل على تأمين الاستجابة لها ، لما للدوافع النفسية من أثر كبير فى توفير الأمن والطمأنينة (٢) .

ومما جاء فى القرآن الكريم إشارة إلى هذه الدوافع ما يأتى :

- حب التدين :

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ، فطَرَتَ اللَّهُ التِّي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

- حب الخلود والتملك :

قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ (٤) .

- حب الاستطلاع :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّبُ الْمَوْتَى ، قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ ، قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطْمَئِنُّ قَلْبِي ، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ

(١) انظر الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) ج ١٥ ص ١٣٦ - ١٣٧

(٢) د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٣٧ - ٣٩

د . مصطفى سريف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٠٤

د . نبيل محمد السمالوطى : الإسلام وقضايا علم النفس (مرجع سابق) ص ١٠٥ - ١٠٦

عبد العزيز القوصى : علم النفس . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ، ص ١٢٩

(٤) طه : ١٢٠

(٣) الروم : ٣٠

فَصْرَهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ، وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١١﴾ .

وسياتى - بإذن الله - فى الباب الثالث مناقشة هل هذه الدوافع فطرية ، أم مكتسبة ؟ ولماذا اخترت كونها فطرية ؟

٢ - الدوافع المكتسبة (الثانوية) :

وهى ما يتعلمه الإنسان عن طريق النشاط التوفيقى بين دوافعه الفطرية ، والاستجابة لها من جهة ، والبيئة الخارجية التى تفرض عليه قيماً ومبادئ وعادات وتقاليد من جهة أخرى ، وذلك لتعديل سلوكه ، بتوجيهه وتوظيفه بما يوافق هذه الاتجاهات مجتمعة (٢) .

فهى دوافع نفسية مكتسبة مترتبة على الدوافع الفطرية ، ومتنوعة ومشتقة منها ، نتيجة لتلك التفاعلات مع الاتجاهات المتعددة (٣) .

ولذا يمكن أن نعتبر أن هنالك دوافع خارجية ، تعمل على تقويتها ، لترشيد السلوك الإنسانى كالثواب والعقاب (٤) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يُولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء » (٥) .

(١) البقرة : ٢٦ .

(٢) د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١١٦

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٢٦ - ٢٢٧

(٣) محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٣٧

محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى . دار النهضة مصر ، القاهرة ، ص ٩

(٤) د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٦٧

برسيغال سيموندز : الدروس التى تتعلمها التربية من علم النفس (مرجع سابق) ص ١٦ - ٢١

د . سيد أحمد عثمان : علم النفس الاجتماعى التربوى ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٣٩٤ هـ ،

(١٩٧٤ م) ص ٣٨ - ٣٩

(٥) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : ما قيل فى أولاد المشركين ، ج ٢ ص ١٠٤

وقال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) .

وإن الإنسان خليفة الله في أرضه ، ولذا فهو يتمتع بالحرية والإرادة والاختيار ، والذي بناء عليه كان مستولاً عن عمله - كما سبق - ومن هنا فإنه يجب أن تكون له مثل هذه الدوافع الفطرية ، القابلة للتغيير والتعديل عن طريق التعليم ، والتي تعتبر - أيضاً - محك الرقى الإنسانى لمعالجة المواقف عن إرادة واختيار (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٣) .
وقال تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (٤) .

وإن التصور للغايات هو الذى يرسم طريق الاستجابة (٥) ، وإن توظيف وتوجيه هذه الدوافع المعقدة للتدخلات المتعددة فى التأثير عليها ، تُوحى بأهمية التشريع السماوى للإنسان ، فى رسم التصور للغايات من جهة ، والقيم والمبادئ ، والفضائل من جهة أخرى ، وما يمكن أن يصون ذلك من جهة ثالثة ، باستثمار الدوافع الإيمانية ، لتكون الدوافع نابعة من الداخل عن تصورات ثابتة ومستمرة للغايات ، وليست مجرد ضغوط خارجية متغيرة .

ويُقَسَّم علماء النفس الدوافع المكتسبة إلى قسمين وهما :

(أ) الدوافع الشعورية :

وهى التى تكون عن وعى كصفات مكتسبة وثابتة ، لها تأثير فى

(١) البقرة : ١٧٩

(٢) د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٦٧ - ٦٨

د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٨٥

(٤) البلد : ١٠

(٣) الشمس : ٧ - ١٠

(٥) د . محمد مصطفى زيدان : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ٧٣

تكوين الشخصية كالعواطف : الحب والكره ، والحقد والحسد .. إلخ (١) .

وقد تكون هنالك عاطفة سائدة عند الإنسان دون غيرها ، فتؤثر على سلوكه أكثر من غيرها (٢) ، مما يشير - أيضاً - إلى مدى تعقد هذه الدوافع .

قال تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُبُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ، وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِقَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ، وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ، فَاعْتَرَفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥) .

(ب) الدوافع اللاشعورية :

وهي الدوافع التي لا يعي الإنسان بها ، ولكنها تؤثر على سلوكه كالعقد النفسية ، التي يطويها النسيان ، لتخفيف التوتر واختلال التوازن لدى الإنسان من المواقف المحزنة المصحوبة بشحنة انفعالية قوية (٦) . وهذه نعمة من الله

(١) د . محمد مصطفى زيدان : علم النفس التربوي (مرجع سابق) ص ٦٩

د . محمد عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٢٦

(٢) محمد مصطفى زيدان : علم النفس التربوي (مرجع سابق) ص ٧٠

محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣٦

(٣) التوبة : : ١.٨ (٤) النساء : ١٩ (٥) البقرة : ١.٩

(٦) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٤٨

د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٢٥ -

تعالى ، لأن الإنسان قد يُلاقى فى حياته مواقف مؤلمة ، لما يتمتع به من الحرية والإرادة والاختيار .

وبهذا نُدرِك مدى التعقيد فى الدوافع الإنسانية ، ذات الطبيعة المزدوجة ، وقابليتها للتعديل والتغيير ، والتي هى ميزة الإنسان - خليفة الله فى الأرض - عن غيره من المخلوقات .

* * *

● الانفعالات :

إن الإنسان يتمتع بمجموعة من الدوافع الفطرية الموروثة والمكتسبة المتعلمة - كما سبق - ، وإن الاستجابة لإشباعها تكون مصحوبة - عادة - بحالة وجدانية ، تتمثل بتوتر وهيجان نفسى وعضوى ، ظاهرى وباطنى ، تساعد وتسهّل أو تُعَرِّق وتُعيق الاستجابة للدوافع (١) .

وهذا التوتر والهيجان هو ما يُعرف بالانفعال ، والذي يرجع إلى تقييم المثير ، والخبرات الانفعالية السابقة لدى الذات الإنسانية (٢) .

ولذا نجد الانفعال القوى الحاد الذى يهز الذات ، ويُفقد القدرة على التفكير ، واستثمار القدرات العقلية ، والخبرات الانفعالية ، فيفقد الإنسان شيئاً من قدراته ، وإمكانياته فى حل المشكلة (٣) .

كما يحدث ذلك فى حالة الخوف الشديد والهلع ، ولقد جاء فى القرآن الكريم وصف لمثل هذه الحالات .

قال تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ

(١) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٦٢

جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٧٥ - ٧٧

(٢) عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٥

(٣) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٦٦

جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٧٣ - ٧٥

بريسفال سيموندز : الدروس التى تتعلمها التربية من علم النفس (مرجع سابق) ص ١١٣ - ١١٥

الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ
الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١﴾ .

وقال تعالى : ﴿ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ عَصَاكَ ، فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا
وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٣) .

كما أن الانفعال قد يكون مُنْشَطًا ، وباعثًا وَمُنْظَمًا للطاقة والحيوية لدى
الذات ، لمواجهة الموقف بطاقة أقوى ، ومدة أطول ، ولو كان بالتأني والتأجيل
تجنبًا للآثار السلبية التي قد تُصاحب الانفعال الحاد المتسرع (٤) .

قال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ
قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ... ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ، وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٧) .

وإن القرآن الكريم حينما ينهى الإنسان عن الانفعال الشديد كالغضب ،

(١) الأحزاب : ١٠ - ١١ (٢) الأنبياء : ٤٠ (٣) النمل : ١٠

(٤) د . عبد الرحمن محمد عيسوي : علم النفس الفسيولوجي (مرجع سابق) ص ٦٣

محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعي (مرجع سابق) ص ٢٩

بريسفال سموندز : الدروس التي تتعلمها التربية من علم النفس (مرجع سابق)

ص ١١٣ - ١١٥

(٧) التوبة : ١٢٣

(٦) الفتح : ٢٩

(٥) المتحنة : ٤

والكثرة ، والفرح ، فإنما ينهى عن الانفعال الظاهري ، ذي الدرجة العالية ، الذي يفقده السيطرة على أعضائه الإرادية ، وقد يفقده قدراته العقلية ، أو يعرضه إلى آثار سلبية أخرى (١) .

ولذا فإن الانفعالات يجب أن تكون دائماً تحت الشعور الواعي وأن لا تظهر الانفعالات الخارجية - وإنما الداخلية - إلا في الحالات النادرة ، كالحوف الشديد في المواقف المفاجئة ، أو الإيجابية المتكاملة في حدود الشرع (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥) .

ولذلك يجب على الإنسان أن يعمل على تقليل كل الانفعالات الظاهرية العالية - كالغضب والفرح الشديدين - عن طريق السيطرة عليها ، تحاشياً للآثار السلبية (٦) .

(١) جمال الدين بروقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٧٣ - ٧٥

د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٦٦ ، ٣ ، ١

(٢) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعي (مرجع سابق) ص ٢٩

(٣) آل عمران : ١٣٣ - ١٣٤ (٤) الشورى : ٣٦ - ٣٧

(٥) الشورى : ٤٠

(٦) د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٠٦ - ١٠٧ ، ١١٠

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (١) .

عن أبي الأسود عن أبي ذر قال : كان يستقى على حوض له فجاء قوم فقال : أيكم يورد على أبي ذر ، ويحتسب شعرات من رأسه ، فقال رجل : أنا ، فجاء الرجل فأورد عليه الحوض ، فقدمه وكان أبو ذر قائماً فجلس ، ثم اضطجع ، فقال له : يا أبا ذر ؛ لِمَ جلست ، ثم اضطجعت ؟ قال : فقال : إن رسول الله ﷺ قال لنا : « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإذا ذهب عنه الغضب ، وإلا فليضطجع » (٢) .

وعن أبي وائل - صنعاني مرادى - قال : كنا جلوساً عند عروة بن محمد قال : إذ دخل عليه رجل فكلمه كلاماً أغضبه ، قال : فلما أن غضب قام ، ثم عاد إلينا وقد توضأ ، فقال : حدثني أبي عن جدي عطية - وقد كانت له صحبة - قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من نار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » (٣) .

وعن عروة بن عبد الله الجعفي يحدث عن ابن حصبة - أو أبي حصبة - عن رجل شهد رسول الله ﷺ يخطب فقال : « ما الصُّرعة » ؟ قالوا : الصريع . قال : فقال رسول الله ﷺ : « الصُّرعة كل الصُّرعة ، الصُّرعة كل الصُّرعة ، الرجل يغضب فيشتد غضبه ويحمر وجهه ويقشعر شعره ، فيصرعه غضبه » (٤) .

وأما الانفعال الداخلي فإن الإنسان قد لا يستطيع السيطرة عليه ولذا فهو لا يُحاسب عليه إذا لم يخرج إلى الخارج في توجيه السلوك ، عن طريق كتمه والسيطرة عليه (٥) .

(٢) رواه أحمد : ج ٥ ص ١٥٢

(١) فصلت : ٣٤

(٤) رواه أحمد : ج ٥ ص ٢٦٧

(٣) رواه أحمد : ج ٤ ص ٢٢٦

(٥) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعي (مرجع سابق) ص ٢٩

عن عائشة ، أن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول : « اللهم هذه قسمتي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ، ولا أملك » (١) .

ولذلك فإن لكل مثير انفعالاً يناسبه في الدرجة والقوة ، سواء أكان الانفعال ظاهرياً أو باطنياً ، فهناك ما يحتاج إلى الانفعال الخفيف المنشط للتفكير كالمسابقات العلمية (٢) .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى الانفعال الخفيف ، الذي يجعل الإنسان أقدر على التأمل والتفكير .

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٣) .

وهناك ما يحتاج إلى الانفعال الظاهري والباطني كالعرض العسكري .

وقد يحتاج إلى الانفعال الخارجي أكثر كالهروب في حالة المواقف المخيفة المفاجئة (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ فَلَئِمَّا أَحْسُوا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿ (٥) .

(١) رواه الترمذي في كتاب النكاح ، باب : ما جاء في التسوية بين الزواتر ، وقال الترمذي :

رواه حماد بن زيد وغير واحد عن أيوب عن أبي قلابة مرسلأ وهذا أصح ، ج ٢ ص ٣٠٤ .

(٢) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مصدر سابق) ص ٧٥ .

٨٢ ، ٨٣

د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٠٢ .

د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٣٧٦

(٣) الزمر : ٢٣

(٤) د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٦٦ - ٦٧

د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٧٩

(٥) الأنبياء : ١١ - ١٢

وليس هناك حدود لدرجة الانفعال يمكن تحديدها رياضياً ، لأنها تتأرجح بين الانفعال الشديد ظاهرياً وباطنياً ، والانفعال الخفيف ، وبين السار جداً والمحزن جداً ، أو بين المحبوب جداً والمكروه جداً ، وبين كل منهما مسافة طويلة ، مما يوضح مدى تعقد الخبرات الانفعالية ، وبالتالي فإن السلوك الإنساني وتوجيهه أكثر تعقيداً (١) .

قال تعالى : ﴿ وَكَلِمَاتُنا نَعْمَاءٌ بَعْدَ ضَرَأٍ مَسْتَه لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ، إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يَوسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ، وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٦) .

وإن السلوك الإنساني لا يوجهه دافع معين ليتمكن تحديد انفعاله ، وإنما مجموعة من الدوافع ، فقد يُشير دافع واحد ، وقد يُشير دافعان أو أكثر في آن واحد .

ولذا فإننا نجد أن الدافعين يمتزجان في انفعال واحد ، كالحسد الذي يمثل الشعور السلبي في الذات ، والغضب (٧) .

(١) د . عبد الرحمن محمد عيسوي : علم النفس الفسيولوجي (مرجع سابق) ص ٦٨ - ٧١

(٢) هود : ١٠ (٣) يوسف : ٨٤ (٤) الروم : ٣٦

(٥) البقرة : ١٦٥ (٦) النساء : ١٩

(٧) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعي (مرجع سابق) ص ٣٠

قال تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَدُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ، فَاعْتَفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (٣) .

وقد يكون هنالك دافعان أو أكثر ، لكل منهما انفعاله الخاص به ، يتمالك الإنسان الواحد منهما تلو الآخر ، ليشعر بالتقلب والتذبذب السريع في نفسه ، دون أن يستأثر به أحدهما (٤) .

وإن الإنسان الذي تُسيِّره دوافعه وانفعالاتها ، دون تقييم ، وتغيير ، وتنظيم ، سيكون سلوكه مضطرباً ، لا وحدة فيه ، ولا استقرار ... كالمعتوه .

فإذا لم يكن لديه ضوابط ، واتجاه ثابت للترجيح والتقويم بين دوافعه وانفعالاته ، يصبح سلوكه متوقفاً على شهواته ، وأهوائه ، وظروفه المتغيرة .

وإن مثل هذه الشخصية لا تكون لها صفة الثبات والاستقرار ، التي ترجع إليها في تنظيم وضبط السلوك (٥) .

قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا تَتَّبِعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، بَلْ آتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (٦) .

(١) النساء : ٥٤ (٢) البقرة : ١٠٩ (٣) سورة الفلق .

(٤) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٦٩

(٥) عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٥

د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٧٤ - ٧٦ .

(٦) المؤمنون : ٧١

وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ، وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ أَقْمَنَ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (٢) .

وإن الانفعالات التي يمر بها الإنسان في حياته تبني لديه خبرات انفعالية طويلة ، ترجع إلى عوامل داخلية أكثر من رجوعها إلى عوامل خارجية ، تعمل على التنظيم الكلي للفرد ، وتوجهه بحيث ينظر إلى الحياة بمنظارها لتتصل الحياة ماضيها بحاضرها ومستقبلها (٣) .

ولذلك يجب أن تكون هذه الخبرات الانفعالية الطويلة متكاملة وإيجابية ، كالأمل ، والتفاؤل ، والاطمئنان ، والحب ...

وقد تكون الخبرات الانفعالية الطويلة سلبية كاليأس والقنوط والزهو والكبرياء

وقال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَسُوسُ قَنُوطٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوُوا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٦) .

(١) القصص : ٥٠ (٢) محمد : ١٤

(٣) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعي (مرجع سابق) ص ٣١

د . عبد الرحمن محمد عيسوي : علم النفس الفسيولوجي (مرجع سابق) ص ١٠٠ .

١٠٥ ، ١٠١

د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٣٣٤ - ٣٣٦

٥ (٦) المناقرون :

(٥) لقمان : ١٨

(٤) فصلت : ٤٩

وإن الخبرات الانفعالية التي تتكوّن لدى الإنسان مع كل مشير للانفعال كحب التملك ، وحب السيطرة ... تُشكّل أسلوبه ، وطريقته ونهجه في توظيف سلوكه ، ليتصف بعدة صفات أخلاقية إيجابية كالصدق ، والوفاء ، والجد ، والتواضع ، والصبر ، والقُدوة الحسنة ، والاستقامة ، والتنافس الشريف ، وحسن الاستماع والافتداء ، والظهارة من كل وسخ مادي أو معنوي ...

عن عبد الله بن عمر رضی الله عنهما قال : لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ، ولا متفحشاً ، وكان يقول : « إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً » (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) .

وقد يتصف السلوك بصفات أخلاقية سلبية كالكذب ، والخداع ، والتكبر ، والنميمة ، والغيبة ، والحسد ...

عن أبي هريرة رضی الله عنه قال : إن رسول ﷺ كان يدعو : « اللهم إني أعوذ بك من الشقاق ، والنفاق ، وسوء الأخلاق » (٣) .

كما أن الخبرات الانفعالية قد تنتقل من ذات المشير إلى ما يرتبط به ، أو ما حوله ، كانتقال حب الإنسان لزوجته ، أو كرهه لها ، إلى أهلها أو بلدها (٤) .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أن لمثل هذه الخبرات الانفعالية دوراً في حب المشركين لأوثانهم وأصنامهم .

قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُّنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٥) .

(١) رواه البخارى فى كتاب فضائل الصحابة ، باب : صفة النبي ﷺ . ج ٤ ص ١٦٦

(٢) القلم : ٤

(٣) رواه النسائى ، فى كتاب الاستعاذة ، باب الاستعاذة من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق -

شرح سنن النسائى دار الكتب العلمية بيروت ، ج ٨ ص ١٦٣ - ١٦٤

(٤) عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٥) الأعراف : ٧ .

وبذلك ندرك شيئاً من الضعف الإنساني ، فى مجال رسم منهجه فى الحياة ، فى مجال توظيف السلوك ، لما يتصف به من صفات هى من طبيعته (١) .

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾ (٢) .
وقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ، وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ، وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (٧) .

ولكن هذا الإنسان الموصوف بهذه الصفات ، يوصف بأنه أكمل المخلوق كما سبق فى قصة خلق الإنسان .

ولذلك يجب أن تكون انفعالات الإنسان شعورية واعية ، وليست عملية لا شعورية ، ليعى الفرد بها ، ويدركها ، ويستثمرها (٨) .

(١) سيد سابق : عناصر القوة فى الإسلام (مرجع سابق) ص ٣٨ - ٤١

(٢) النساء : ٢٨ (٣) إبراهيم : ٣٣ - ٣٤ (٤) الإسراء : ١١

(٥) الإسراء : ١٠٠ (٦) المعارج : ١٩ - ٢٣ (٧) العاديات : ٦ - ٨

(٨) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٧٦

وإن اشتراط النية فى الإسلام ، فيما يقوم به من عمل تقتضى التنبيه للشئ ، والتفكير فيه قبل القيام به ، لتحقيق النضج فى الانفعالات ، وقد يكون هنالك استجابات مرجئة لا ينفذها الشخص فى الحال ، وإنما تحتاج إلى بعض الوقت للتروى والتفكير ، والشعور بالحرية فى القيام بالعمل ، والعزم على التنفيذ (١) .

عن علقمة بن وقاص عن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « الأعمال بالنية ، ولكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » (٢) .

ولذلك نرى أن القرآن الكريم قد أشار إلى أن الترف من الأسباب القوية للفسوق ، لأن الترف قد يجعل الإنسان لا يشعر شعوراً واعياً بقيمة انفعالاته ، أو يتجاهلها ، لأنه أشبع دوافعه فلم يعد يشعر بقيمتها الكاملة ، مما يجعله يُصاب بالملل ، والسأم ، وفقر الحياة ، والذي قد يدفعه إلى استغلال فعالياته الاقتصادية والاجتماعية ... فى سبيل استثارة طاقته النفسية ، كمشاهدة الأفلام المزعجة ، أو المشاركة فى الرياضات العنيفة ... وربما دفعه إلى ما هو أشد من ذلك من ارتكاب الفحشاء والمنكر (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ (٤) .

والحياة الانفعالية تلعب دوراً رئيسياً فى تكوين الخبرات الانفعالية للأفراد ، التى تعمل على تنشيط الطاقة النفسية وتجديدها ، لتجعل للحياة طعماً ، بإثرائها ، وتخفيف الملل ... (٥) .

(١) عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ١٥٩

(٢) رواه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب : ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ، ج ١ ص ٢٠ .

(٣) عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٢

(٤) الاسراء : ١٦

(٥) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٧٤

عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٢

كما تعمل على تنظيم وتوظيف السلوك فى بناء الهيكل الاجتماعى كحب الرجل لزوجته ، وحب الوالدين لأبنائهما ، وحب الإنسان لمجتمعه (١) .

قال تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ، ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ ، هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ، إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) .

وكذلك تعمل على إغناء وإثراء الحياة الاجتماعية بالخبرات المختلفة والمتكاملة والإيجابية لتغطية احتياجات المجتمع من الكفاءات المختلفة ، والمتنوعة من أفرادها ، كل حسب إمكانياته ، وقدراته وخبراته ، فهناك العالم الذى أحب علمه ، وهناك المهنى الذى أحب مهنته ... (٤) .

قال تعالى : ﴿ أَهْمٌ يَقْسُمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا ، وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٥) .

وبهذا ندرك مدى خطورة الخبرات الانفعالية ، وأن المسيرة الإنسانية تلعب دوراً كبيراً فى هذه الخبرات ، ولا مأمّن من الآثار السلبية لهذه الخبرات إلا بامتزاجها حول الواجب والشعور به (٦) ، عن طريق رسم التصورات الغائية

(١) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٧٣

عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٦

(٢) آل عمران : ١٤ (٣) الأنفال : ٦٢ - ٦٣

(٤) عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٧

د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٠٦

(٥) الزخرف : ٣٢

(٦) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٥٠

العليا ، والمنهج المؤدى إليها ، وأن لا تكون من صنع البشر ، الذين يتأثرون بخيراتهم الانفعالية بسلبياتها - كما سبق - وإنما بشريعة الله تعالى المتصف بالأسماء الحسنى .

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰرْنَا لِبِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُولَٰئِكَ كَمَا لَانْعَامٍ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ، وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ، سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ، أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ، وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلِّ وَكَبِيرَةٌ تَكْبِيرًا ﴾ (٢) .

وان وجود التصورات والمنهج لوحدهما لا يكفيان ، ولكن لا بد من الصيانة المستمرة لهما عن طريق العبادات كخط دفاعى أول ، والعقوبات كخط دفاعى ثان ، ليشترك الإنسان مع شريعة الله تعالى فى إحلال النظام محل الفوضى بالحكمة والعمل ، والذي يؤدى به إلى الانضباط الذاتى فى أعلى مراحل الوعى ليصل الإنسان إلى أعلى درجات السمو ، وهى درجة الإحسان (٣) .

قال تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ، إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَكَذِكُرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ *

(٢) الاسراء : ١١ - ١١١

(١) الأعراف : ١٧٩ - ١٨١

(٣) حسن صعب : الإسلام والإنسان . دار العلم للملايين . بيروت ، ط ١ ، ١٩٨١ م ، ص ٨٤

(٤) العنكبوت : ٤٥

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
 بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿١﴾ .
 وقال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ
 لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢) .

ولذلك فإن رسم التصورات الأساسية العليا تُعطي الإنسان بعداً أقوى
 وأسمى ، لتخطى عقبات كثيرة تقف أمامه في انطلاقته في باب السعادة ،
 تكريماً له ، مما يمكن أن يبينه المجتمع لديه من خبرات انفعالية سلبية (٣) .

فالإنسان بالعبادة يحيا حياة أفضل ، حياة حرة كريمة ، وإن الفعاليات
 الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ... جزء من العبادة فإن لم تكن واجبة فهي
 محببة ، فالإسلام لا يسمح بالمزيد من العبادات المحضة كالصلاة والصوم ..
 على حساب الفعاليات الأخرى له ، وإلا فإنه سيتخلى عن الدور الكوني الذي
 أريد له ، وهو إحلال النظام الإلهي في الأرض وعمارتها (٤) .

وأستطيع أن أقول إن مكان الابتلاء والإمتحان للإنسان في هذه الحياة ، إنما
 هو في التحكم والترشيد لدوافعه وانفعالاته سواء أكانت فطرية أو مكتسبة ،
 مادية أو روحية ، لإيجاد التعادلية والاتزان في الشخصية .

قال تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ
 الْأَمْرِ لَعَنْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ
 الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ، أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (٥) .

* * *

(٢) البقرة : ١٧٩

(١) المعارج : ١٩ - ٢٧

(٣) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعي (مرجع سابق) ص ٥٠

د . عبد الرحمن محمد عيسوي : علم النفس الفسيولوجي (مرجع سابق) ص ١٠٥

د . محمد ظفر الله خان : الإسلام والإنسان المعاصر ، ترجمة محمد جلال شرف ، دار

النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٨١ م ، ص ٢٠٠ - ٢٠١

(٤) حسن صعب : الإسلام والإنسان (مرجع سابق) ص ٩٥

د . محمد ظفر الله خان : الإسلام والإنسان المعاصر (مرجع سابق) ص ١٩١ - ١٩٥

(٥) الحجرات : ٧

الفصل الثانى

خصائص الحياة القلبية

لقد ورد لفظ « القلب » فى القرآن الكريم (١٩ مرة) بصيغة المفرد ، ومرة واحدة بصيغة المثنى ، و(١١٢ مرة) بصيغة الجمع (١) ، كما ورد لفظ « الفؤاد » مرادفاً له (١٦ مرة) بصيغة المفرد والجمع (٢) ، وكذلك التعبير عنه مجازاً بـ « الصدر » (٤٤ مرة) بصيغة المفرد والجمع (٣) .

ولقد اتفقت الكثير من كتب التفسير على أن المقصود بـ « القلب » هو « العقل » (٤) خاصة عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ (٥) ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ (٦) .

وإن استعراض الآيات القرآنية التى وردت فيها كلمة « القلب » والتأمل فيها ، توحى بأن القرآن الكريم استعملها فى مواضع لا يمكن أن نستعمل فيها كلمة « العقل » ، فلو كان « القلب » هو « العقل » لصح العكس ، وهذا ما يتنافى مع استعماله لكل من اللفظين (٧) .

(١) محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٥٤٩

(٢) المرجع السابق : ص ٥١ . (٣) المرجع السابق : ص ٤٠٣ - ٤٠٤

(٤) فخر الدين الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) ج ١٢ ص ٤٦

القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٥ ص ٤٤٦٩

(٥) سورة ق : ٣٧ (٦) الحج : ٤٦

(٧) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب فى القرآن والسنة . دار العلم للملايين ،

وسمى « القلب » قلباً لتقلب وتغير ما فيه من المشاعر ، والأحاسيس الوجدانية ، من حال إلى حال من قبيل المجاز (١) ، كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (٢) . فالأنهار لا تجرى ، وإنما تجرى المياه التى فيها (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَىٰ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (٥) .

وعن سالم عن عبد الله قال : أكثر ما كان النبى ﷺ يحلف : « لا ومُقَلَّبِ القلوب » (٦) .

ولقد ورد استعمال لفظ « القلب » فى القرآن الكريم فى ثلاثة أوجه رئيسية وهى :

(أ) إن القلب مكان الخبرات الانفعالية :

إن الخبرات الانفعالية تكون مصحوبة بحالة وجدانية ، إيجابية أو سلبية ، سارة أو غير سارة ، وإن هذه الخبرات تمثل منهج ، وأسلوب الإنسان فى توجيه سلوكه كما سبق .

وإن استعراض بعض الآيات القرآنية التى وردت فيها كلمة « القلب » نلمح

(١) الراغب الأصفهاني : المفردات (مرجع سابق) ص ٤١١

(٢) التحريم : ٨

(٣) الراغب الأصفهاني : المفردات (مرجع سابق) ص ٤١١

(٤) النور : ٣٧

(٥) الأنعام : ١١ .

(٦) رواه البخارى فى كتاب التوحيد ، باب : مقلب القلوب ، ج ٨ ص ١٦٩

أنه هو مكان الخبرات الانفعالية الداخلية ، وبالذات الخبرات الانفعالية السائدة ، وهي ما تُعرف بالعواطف (١) ومن أمثلة ذلك :

١ - الحب :

قال تعالى : ﴿ وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ، إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ، أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاَسْمِعُوا ، قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ، قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٥) .

٢ - الكره والاشمئزاز :

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ، وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مَنْ دُونِكُمْ لَا

(١) عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوي (مرجع سابق) ص ١٥٥

(٢) آل عمران : ١٠٣ (٣) الأنفال : ٦٣ (٤) الحجرات : ٧

(٥) البقرة : ٩٣ (٦) الزمر : ٤٥

يَأْتُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ (١) .

٣ - الرحمة :

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً
ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ
رِعَايَتِهَا ، فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿ (٢) .

٤ - الغلظة والقسوة :

قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ قَطًّا غَلِيظًا
الْقَلْبَ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي
الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ
أَشَدُّ قَسْوَةً ، وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا
يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَمَا اللَّهُ
بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿ (٤) .

٥ - الشعور بالاطمئنان :

قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ، وَمَا
النُّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلَا بِذِكْرِ
اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿ (٦) .

(٣) آل عمران : ١٥٩

(٢) الحديد : ٢٧

(١) آل عمران : ١١٨

(٦) الرعد : ٢٨

(٥) الأنفال : ١٠

(٤) البقرة : ٧٤

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ، وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ، قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ، قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْأً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

٦ - الشعور بالاضطراب :

قال تعالى : ﴿ رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (٤) .

٧ - الشعور بالخشية :

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْقَائِمِينَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا

(٣) النور : ٣٧

(٢) البقرة : ٢٦٠

(١) الفتح : ٤

(٦) الأنفال : ٢

(٥) الحج : ٣٥

(٤) التوبة : ٤٥

(٧) المؤمنون : ٦٠

نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ
الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿ ١١ ﴾ .

٨ - الشعور بالخوف والرعب :

قال تعالى : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ
مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا ، وَمَا وَاهُمْ النَّارُ ، وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ
آمَنُوا ، سَأَلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ
وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ
يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ... ﴾ (٤) .

٩ - الشعور بالألم والحزن :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا
لَاخِرَتُنَاهُمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا
وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ، وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ ،
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً
وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ، رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ
أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٦) .

١٠ - الشعور بالغل والحقد :

قال تعالى : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ

(٣) الأنفال : ١٢

(٢) آل عمران : ١٥١

(١) الحديد : ١٦

(٦) يونس : ٨٨

(٥) آل عمران : ١٥٦

(٤) النازعات : ٦ - ٨

وَيَسْفُ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى
مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا
رَبَّنَا إِنَّكَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ النَّاسَ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ (٣)

١١ - التكبر والغطرسة :

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ، كَبُرَ
مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ
جَبَّارٍ ﴾ (٤)

وقال تعالى : ﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ
مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٥)

وقال تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ
الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ
التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٦)

وإذا كانت هذه بعض الانفعالات ، أو الخبرات الانفعالية للإنسان ، فلا شك
أن جميعها في حكمها ، وأن مكانها القلب .

(ب) إن القلب هو المؤشر للوجدان الباطني :

إذا كان الإنسان يتمتع بالدوافع النفسية العطرية الموروثة كحب التدين ،

(٣) البقرة : ٤ ، ٢

(٢) الحشر : ١٠

(١) التوبة : ١٤ - ١٥

(٦) الفتح : ٢٦

(٥) النحل : ٢٢

(٤) غافر : ٣٥

والتملك ، والمخلود ، فإن مثل ذلك ما أسندته الآيات القرآنية السابقة إلى « القلب » كدوافع نفسية مكتسبة - كما سبق - فالقلب اسم جامع يقتضى مقامات الباطن كلها (١) .

ولعل ورود كلمة « العقل » بالفعل دون المصدر يدل على أن ليس للعقل إلا ما هو مستجد على وجوده خارج الرحم .

قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً ﴾ (٢) .

فإن للعقل التفكير ، والتأمل المجرد ، كما أن للعين الرؤيا المجردة ، وأن للقلب الإدراك ، والأحاسيس ، والمشاعر الوجدانية الباطنية ، التي تشعره بحسن الحسن ، وقبح القبيح ، فالإنسان ليس عقلاً فقط ، ولكنه عقل وقلب (٣) .

قال تعالى : ﴿ أَقْلَمُ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٤) .

ولذلك فإن الدوافع النفسية تمثل أمراً نفسياً يساعد العقل على الوصول باستنتاجاته المنطقية إلى مرحلة الانتخاب منها ، وقد يكون هذا المؤشر قوياً أو ضعيفاً حسب خبراته الانفعالية إيجاباً أو سلباً (٥) .

عن وابصة بن معبد الأسدي أن رسول الله ﷺ قال لوابصة : « جئت تسأل عن البر ، والإثم » ؟ قال : قلت : نعم ، قال : فجمع أصابعه ، فضرب بها صدره ،

(١) د . محمد علي الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٢٦٦

د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٤٢

(٢) النحل : ٧٨

(٣) د . محمد علي الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٢٧٥ - ٢٧٩ ،

(٤) الحج : ٤٦

ص ٢٦٣

(٥) د . محمد علي الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٢٣٨

د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٤٣

وقال : « استفتت نفسك ، استفتت نفسك يا وابصة - ثلاثاً - البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في النفس ، وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » (١) .

عن نواس بن سمعان قال : أقيمتُ مع رسول الله ﷺ بالمدينة سنة ، ما يمنعني من الهجرة إلا المسألة ، كان أحدنا إذا هاجر لم يسأل رسول الله ﷺ عن شيء ، قال : فسألته عن البر والإثم ، فقال رسول الله ﷺ : « البر حُسن الخلق ، والإثم ما حاك في نفسك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس » (٢) .

وعن أبي الجوزاء السعدي قال : قلتُ للحسن بن علي : ما تحفظ من رسول الله ﷺ ؟ ، قال : سأله رجل عن مسألة ما أدري ما هي ، فقال : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » (٣) .

ولذلك فإن الاستنتاجات العقلية التي تدور في خلد الإنسان والمخارجة عن مدلول النص القرآني الكريم والسنة الصحيحة ، والتي تؤدي به إلى الخروج من الملة ، لا يحاسب عليها إلا إذا أظهرها ، أو لقيت قبولاً في قلبه (٤) .

عن أبي هريرة قال : جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ ، فسألوه : إننا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ، قال : « وقد وجدتموه » ؟ قالوا : نعم . قال : « ذاك صريح الإيمان » (٥) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي الشيطان أحدكم فيقول : مَنْ خَلَقَ كذا ؟ مَنْ خَلَقَ كذا ؟ حتى يقول : مَنْ خَلَقَ ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ، ولينته » (٦) .

(١) رواه الدارمي في كتاب البيوع ، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، ج ٢ ص ٢٤٥

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب : تفسير البر والإثم ، ج ٤ ص ١٩٨ .

(٣) رواه الدارمي في كتاب البيوع ، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، ج ٢ ص ٢٤٦

(٤) النووي : شرح صحيح مسلم (مرجع سابق) ص ١٤٤ - ١٥٣

(٥) رواه مسلم في كتاب الإيمان ، حديث ٢٠٩ ، ج ١ ص ١١٩

(٦) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب : صفة إبليس وجنوده ، ج ١ ص ٩٣

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال الناس يتساءلون حتى يُقال هذا خلقَ الله الخلق ، فمن خلقَ الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقلل أمنتُ بالله » (١) .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ، ما لم تعمل ، أو تكلم به » (٢) .

وإن ذلك المؤشر الباطنى الوجدانى قد يُخطئ ، إما لتكون خبرات انفعالية خاطئة ، أو لأن استنتاجاته العقلية خاطئة أو منقوصة ، ولذلك فإن الإنسان لا يُؤاخذ على اجتهاده إذا أخطأ ، وإنما يُزجر عليه .

قال تعالى : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ، فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ (٣) .

وعن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان ، وما استكروها عليه » (٤) .

وعن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » (٥) .

(ح) إن القلب مركز الذات الانسانية :

إن القلب هو مكان الخبرات الانفعالية ، وهو المؤشر الباطنى الوجدانى للإنسان ، الذى يجعله يحس بحسن الحسن ، وقبح القبيح ، وإن لفظ « النفس » فى القرآن الكريم يعنى الذات الإنسانية (٦) كما سبق .

(١) رواه مسلم فى كتاب الإيمان ، حديث ٢١٢ ، ج ١ ص ١١٩

(٢) رواه مسلم فى كتاب الإيمان ، حديث ٢٠٢ ، ج ١ ص ١١٦

(٣) الأحزاب : ٥

(٤) رواه ابن ماجه فى كتاب الطلاق ، باب : طلاق المكره والناسى ، ج ١ ص ٦٥٩

(٥) رواه البخارى فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب

أو أخطأ ، ج ٨ ص ١٥٧

(٦) د . عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان (مرجع سابق) ص ١٨٢

د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٤٣

وإن الكثير مما أسند إلى « النفس » تم إسناده إلى « القلب » كالإيمان ،
والكسب ، والخوف ... إلخ ، ومن أمثلة ذلك :

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ
أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا
وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ، وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ
أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ، إِنَّ
اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ
بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ... ﴾

وقال تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرُجَفُ الرَّاجِفَةُ * تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ
يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ (٦) .

وإن بين الذات الإنسانية والقلب عموماً وخصوصاً ، يجعلنا نقول : إن القلب
هو مرتكز الذات الإنسانية ، كما أنه هو مرتكز الذات من الناحية العضوية (٧) .
عن النعمان بن بشير قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « الحلال بَيْنَ
والحرام بَيْنَ ، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات
استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى ، يُوشك أن

(٣) غافر : ١٧

(٢) الحجرات : ١٤

(١) الشمس : ٧ - ١٠

(٦) النازعات : ٦ - ٨

(٥) طه : ٦٧

(٤) البقرة : ٢٢٥

(٧) د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٤٣

وقاوعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا إن حمى الله محارمه ، ألا وإن فى الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب « (١) .

● أقسام القلوب :

لقد سبق وأن قلتُ بأن الإنسان يتمتع بالخبرات الانفعالية لدوافعه الفطرية والمكتسبة ، وبالذات الدوافع النفسية التى تعمل على بناء الشخصية .

وإن الخبرات الانفعالية الإيجابية والسلبية كالحب والكراهة ... قابلة للتغيير ، والتنظيم ، والتوجيه كما سبق ، وإن القلب هو مركز الذات ومؤشرها .

ولذلك فإن القلوب تنقسم إلى أقسام كثيرة بين الإيجابية والسلبية ، لأن التفاعل والتناغم الوجدانى الباطنى ذو مسافة طويلة (٢) بين السليم جداً والمرضى جداً فى اصطلاح القرآن الكريم ، ومن هنا جاء تقسيمه للقلوب بشكل عام إلى قسمين وهما :

(أ) القلب السليم :

وهو الذى نجح فى إيجاد التعادلة والاتزان بين مقومات الذات المختلفة ، فدوافعه تم الاستجابة لها بطريقة سليمة ، مما كون لديه خبرات انفعالية إيجابية ، يجد فيها الاطمئنان والسعادة والرضا إلخ .

قال تعالى : ﴿ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوْابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٥) .

(١) رواه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب : فضل من استبرأ لدينه ، ج ١ ص ١٩

(٢) عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٦٨ - ٧١

(٣) سورة ق : ٣٢ - ٣٣ (٤) الصفات : ٨٣ - ٨٤

(٥) الشعراء : ٨٨ - ٨٩

ولذلك فهو يحافظ على هذه التعادلية ، ولو كان ذلك عن طريق تحمل بعض الآلام والمشاق ، لأن تحملها أسهل وأيسر من خرق التعادلية في خبراته الانفعالية ككل ، والتي يأتى فى قمتها حبه لله تعالى ورسوله (١) .

قال تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَاتِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (٣) .

وبما أن الإنسان خلق ضعيفاً فقد يكون منه الاجتهاد الخاطيء ، والله مطلع على أسراره ، فمنه الاجتهاد ، ومن الله تعالى الثواب والهداية والتوفيق والسداد الذى يصل به إلى أعلى درجات السمو جزاء له (٤) .

قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَكَتَمْنَاهُ بِقُلُوبِكُمْ ، وَمَا نُنصِرُ إِلَّا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ (٧) .

(١) د . عثمان نجاشى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٨٢ - ٨٤

(٢) المجادلة : ٢٢ (٣) الحج : ٣٢

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٢٨ ص ٥٥٨٨ - ٥٥٨٩

(٥) التغابن : ١١ (٦) الأعراس : ١٠ - ١١ (٧) الكهف : ١٤

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (١) .

فإن الكثير من خصائص الإنسان ودوافعه وانفعالاته لا تعود إليه عن اختيار ذاتي ، ولكنها تعود إلى خصائص تكوينه ، والبيئة التي نشأ فيها ، لحكمة عالية في عمارة الأرض .

وبما أن بعض الدوافع النفسية الفطرية لها تأثيرها وارتباطها بما هو عضوى مباشرة ، فالاستجابة لها تكاد تكون إلزامية ، فهي للإلزام أقرب منه للاختيار كحب التملك والخلود ...

ولكن دافع التدين - هو دافع نفسى فطرى - لا يرتبط بما هو عضوى مباشرة ولكنه أقرب إلى الارتباط الروحى ، وبالتالي فقضية الإيمان والكفر أقرب للاختيار منه للإلزام .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ، إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ، وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ، بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (٣) .

وإن الاستجابة لدافع التدين فيه إعلاء واستثمار لتلك الخصائص والدوافع والانفعالات ، التى يتصف بها الإنسان بطريقة أفضل ، لما يوفره من التصورات الغائية العليا ، والمنهج الذى به يمكن صيانة نهجه فى مسيرته نحو هذه التصورات عن تعادلية واتزان فى الشخصية ، وما يكونه هذا النهج من خبرات

(٣) الكهف : ٢٩

(٢) الشمس : ٧ - ١٠

(١) الفتح : ١٨

انفعالية إيجابية ، تجعل قضية الإيمان دافعاً أقرب للإلزام منه للاختيار ، وهو ما عبر عنه الرسول ﷺ بحلاوة الإيمان .

قال تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنْ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ، أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ، وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثلاثة من كُن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يُحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار » (٣) .

(ب) القلب المريض :

وهو الذى لديه أعمال أو خبرات انفعالية سلبية ، تخرق التعادلية والاتزان فى الشخصية ، وقد يكون هذا المرض بليغاً يخرج من الملة كالكفر والنفاق .

قال تعالى : ﴿ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ، وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا ، قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَاتَّبِعْنَاكُمْ ، هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (٥) .

(١) الحجرات : ٧

(٢) الحجرات : ١٤

(٣) رواه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب : حلاوة الإيمان ، ج ١ ص ٩ - ١٠

(٤) البقرة : ٨ - ١٠

(٥) آل عمران : ١٦٧

وقد يكون المرض أقل من ذلك كعمل أو حب بعض المعاصي والآثام ، التي لا تُخرج من الملة كالتكبر ، والغل ، والحقد ، والحسد ... وإن كانت هذه الصفات من صفات أو مما دفع الكافرين والمنافقين لكفرهم ، فالبعد الوجداني الباطني للإنسان أعمق من القدرات العقلية (١) .

قال تعالى : ﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ (٤) .

وإذا كان الله تعالى خلق الإنسان لعبادته ، فمنه الجزاء كُلُّ بما عمل ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فللمؤمن الثواب ، ومنه الهداية والتوفيق والسداد ، وللكافر العقاب ، ومنه الإضلال والختم على القلوب ، لعلمه تعالى الأزلي بما عليه الكافر من خبرات انفعالية موجهة لسلوكه ، وتفكيره ، وما سيكون عليه مصيره (٥) ، كما أن الإنسان يعمل على دراسة الجدوى الاقتصادية لمشروعاته ، فإذا ثبت أو غلب على ظنه عدم جدواها عمل على عدم تنفيذها ، فهل يعني ذلك أنه هو الذي حكم عليها بذلك ؟ أم أنها هي كذلك ؟ فما رأيك بعلم الله تعالى بجانب علم الإنسان ؟

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ

(١) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٨٩

(٢) النحل : ٢٢ (٣) غافر : ٣٥ (٤) البقرة : ٢٠٤

(٥) محمد القاسمي : الاسلام كما فهمت ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٠ هـ ، ص ٢٦٩ - ٢٧٥

د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٢٠٠ - ٢٠١

بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ، كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿١﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نُظِرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ، صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يُكذِّبُ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٣) .

وعن عمران بن الحصين رضى الله عنهما قال : دخلتُ على النبى ﷺ ، وعقلتُ ناقتى بالباب ، فأتاه ناس من بنى تميم فقال : « اقبلوا البشرى يا بنى تميم » ، قالوا : قد بشرتنا فأعطنا - مرتين - ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم » ، قالوا : قبلنا يا رسول الله ، قالوا : جئناك نسألك عن هذا الأمر ، قال : « كان الله ولم يكن شىء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب فى الذكر (٤) كل شىء ، وخلق السماوات والأرض » (٥) .

* * *

● وحدة القلب :

إن القلب واحد ، وهو مرتكز الذات التى لها خبراتها الانفعالية الإيجابية والسلبية كالحب والكراه والفرح والحزن ...

ولذلك فإن حب الإنسان لشىء ما حباً داخلياً ، وإظهار كرهه له ظاهرياً يجعله كأن له قلبين ، بحيث يحب أحدهما الإيمان ، ويحب الآخر الكفر ، وهذا ما يخالف الواقع ، لأن الخبرة الانفعالية واحدة فى قلب واحد ، ولا يمكن أن يكون له خبرتان متناقضتان لشىء واحد فى وقت واحد ، إلا إذا كان له قلبان (٦) .

(١) يونس : ٧٤ (٢) التوبة : ١٢٧ (٣) المطففين : ١٢ - ١٤

(٤) الذكر : اللوح المحفوظ

(٥) رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق ، باب قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ... ﴾ (الروم : ٢٧) ، ج ٤ ص ٧٣

(٦) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٦٩

د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٢١٢ - ٢١٣

قال تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ، وَمَا جَعَلَ
أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ، وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ،
ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ، وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (١) .

ولذلك فإن إظهار الإنسان لأمر ما ، على أنه خيرة إنفعالية له - كالحب
والكره - بينما يبطن ما هو خلاف ذلك بعد تناقضاً بين الظاهر والباطن للإنسان ،
وقد يصل مثل هذا إلى موضوع الإيمان والكفر ، وهو ما يُعرف بالنفاق في الدين (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَلْيَعْلَمْ الَّذِينَ نَافَقُوا ، وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا ، قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَاكُمْ ، هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ
أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (٣) .

وقد يكون التناقض بين الظاهر والباطن فيما هو أخف من النفاق في الدين
كالصدق والكذب ، وكالظهار من الزوجة ادعاءً بأنها مثل محرم له كما في آية
الأحزاب السابقة .

قال تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ
يَشَاءُ ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (٤) .

* * *

(١) الأحزاب : ٤

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٢١ ص ٢٨٢٣ - ٢٨٢٤

(٤) النساء : ٤٨

(٣) آل عمران : ١٦٧

الفصل الثالث

خصائص الحياة العقلية

لقد ورد لفظ « العقل » فى القرآن الكريم (٤٩ مرة) (١) ، بالصيغة الفعلية التى تدل على الحدث مضافاً إليه زمن ، لتدل على الماضى ، أو الحاضر ، أو المستقبل (٢) .

وإن أكثر الصيغ وردت بالمضارع المقرون بالاستفهام « أفلا يعقلون » ، أو الترجى « لعلكم تعقلون » ، أو التقرير « لقوم يعقلون » أو النفى « لا يعقلون » (٣) .

كما جاء بصيغة الماضى ليدل على اللوم لمن لم يتأمل ويفكر تأملاً وتفكيراً مؤدياً للفهم ، والإدراك ، والاستجابة (٤) .

قال تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرَّفُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) .

أما المصدر فلم يرد فى القرآن الكريم ، وهو يدل على الحدث فقط ، دون أن يكون له زمن (٦) .

(١) محمد إسماعيل إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (مرجع سابق) ص ٣٥١

(٢) على رضا : المرجع فى اللغة العربية ، دار الفكر ، ج ١ ص ٢٢

(٣) د . محمد عثمان نجاشى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢٧

(٤) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٨٩ - ٩٠

(٥) البقرة : ٧٥

(٦) على رضا : المرجع فى اللغة (مرجع سابق) ج ١ ص ٧٢

فالقرآن الكريم يدعو الإنسان إلى التأمل والتفكير المؤدى إلى الإدراك ،
والفهم ، والاستجابة ، فهو يدعو إلى العلم والعمل به ، والعلم يحصل بالنسبة
للإنسان بعد الولادة ، فهو يُولد جاهلاً (١) .

قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا
وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

فالعقل هو مرتكز التعلم ، والعلم هو المعلومات التي تم تحصيلها ومعالجتها
فيه بعد الولادة ، ولذا فالتكليف للإنسان إنما يكون بعد البلوغ ، الذي يكون فيه
قد حصل على المعلومات الكافية لمعرفة الواجبات على الأقل .

عن عائشة عن النبي ﷺ قال : « رُفِعَ القلمُ عن ثلاثة : عن النائم حتى
يستيقظ ، وعن الصغير حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل » (٣) .

والتعلم والعلم إنما هما من خصائص العقل وحده ، رغم تدخل عوامل أخرى
مباشرة في تحصيله ، وفي إمكانياته وفي توجيهه .

وإذا كان الإنسان له إدراكاته الحسية ، فهي كمقدمات ترسم تصورات تُوجهه
إلى القيام بالدراسة والمقارنة ، لاستخلاص نتائج كمعاني مجردة كالخير والشر ،
والحُسن والقبح ، والفضيلة والرذيلة ... فيعلو الإنسان بعقله على
المحسوسات (٤) .

ولقد كانت القضايا الفكرية التي وضعها القرآن الكريم أمام عقل الإنسان

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٤ ص ٢١٨٦

(٢) النحل : ٧٨

(٣) رواه الدارمي في كتاب الحدود ، باب : رُفِعَ القلمُ عن ثلاثة ، ج ٢ ص ١٧١

(٤) الحارث بن أسد المحاسبي : العقل وفهم القرآن ، قدّم له وحققه د . حسن القوتلي ، دار

الكندي ودار الفكر ، ط ٣ ، ٢ ، ١٤ هـ ، ص ٢٠٦

د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٩٩

د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١١٢ - ١١٣

متنوعة تفرع جميع جوانب النفس ، من أجل تحقيق هداية الإنسان التي هي هدفه (١) .

فنجد القضايا الفكرية التي تتعلق بالتنوع والتناقض بين المخلوقات .

قال تعالى : ﴿ إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَاتٌ مِنْ أُعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرٌ صِنَوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ، إِن فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أُعْنَابٍ وَالزَّيْتُونِ وَالرُّمَّانِ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُشْتَبِهٍ ، انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ، إِن فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٥) .

كما نجد القضايا الفكرية التي تتعلق بمراحل الخلق .

قال تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ (٦) .

(١) د . عبد الحكيم محمود : الإسلام والعقل ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٣ .

د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٥٧ - ٦٤

د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢٤ - ١٢٦

(٢) البقرة : ١٦٤ (٣) الرعد : ٤ (٤) الأنعام : ٩٩

(٥) المؤمنون : ٨ . (٦) الطارق : ٥ - ٧

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (١) .

وكذلك نجد القضايا الفكرية التي تتعلق بالتاريخ البشري (٢) .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسئَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٤) .

(١) المؤمنون : ١٢ - ١٤

(٢) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٧٤ - ٧٨

د . عبد المجيد النجار : العقل والسلوك في البنية الإسلامية (مرجع سابق) ص ٩٩ - ١٠٠

(٤) آل عمران : ٦٥

(٣) الأنبياء : ٥٢ - ٧٠

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ، أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَكَلِدَارٌ الْأَخِرَةَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَلَّا تَعْقِلُونَ ﴾ (١) .

فالقرآن الكريم تطرق إلى القضايا الفكرية الكلية ، كما تطرق إلى القضايا الفكرية الجزئية دون أن يفصل بينهما ، لأن هنالك سنناً وقوانين مشتركة وثابتة تدل على الإبداع والوحدة في الخلق (٢) .

فالقرآن الكريم جعل جميع القضايا الفكرية تحت تفكير الإنسان بما يوافق خصائصه ، بالنظر إلى القضايا الفكرية الكلية من جهة ، والقيام بتجزئتها مع الربط بينهما من جهة أخرى ، ليكون لكل إنسان تأمل وتفكير حسب قدراته وإمكانياته .

قال تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ ، فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ، ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خَلَقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ (٦) .

(١) يوسف : ١٠٩

(٢) د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢٤

د . عبد المجيد النجار : العقل والسلوك في البنية الإسلامية (مرجع سابق) ص ٧٣ - ٨٨

(٤) فصلت : ٥٣

(٣) الأعراف : ١٨٥

(٦) الغاشية : ١٧ - ٢١

(٥) العنكبوت : ٢٠

فإذا كان الإنسان يعلو بعقله على المحسوسات ، فهو الذى يحس بالمشكلة وهو الذى يفرض الفروض لحلها ، كما يقوم بمناقشتها وانتخاب الحل الأمثل (١) .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ، إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ، قَالَ هَذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ، فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢) .

فالإنسان لديه القدرة على التنبؤ والتوقع للنتائج قبل وقوعها ، واستحضار ما ليس فى الواقع ، مما يُساعد الإنسان على إجراء المقاييسات فى خياله ، مما يجنبه أن يكون ميدان للتجربة ، أو يضيق هذا الميدان (٣) .

« وقيل لعمر بن العاص : ما العقل ؟ فقال : الإصابة بالظن ، ومعرفة ما يكون بما قد كان .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من لم ينفعه ظنه لم ينفعه يقينه » (٤) .
وهكذا فإن المعلومات التى يُخزنها الإنسان فى عقله هى آتته ، بل ويقارن

(١) د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢٧ - ١٣١

د . على عبد العظيم : فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم ، مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٣ م

ص ٢٤٤ - ٢٥١

(٢) الأنعام : ٧٤ - ٧٩

(٣) د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٤٦ - ٤٧

د . محمد عبد الرحمن مرجبا : من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، دار عويدات ،

باريس ، ط ٢ ، ١٩٨١ م ، ص ٢٤ - ٢٥

(٤) أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى : العقد الفريد ، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة ،

دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج ٢ ص ١٠٥

بينها للخروج بمعلومات جديدة ليضيفها إلى معلوماته القديمة ، وكل إنسان يقوم بذلك ، فيستمر الكشف عن حقائق ومعلومات جديدة ، فيستفيد من خبراته ومعلوماته ، ومعلومات وخبرات الآخرين ، وهذا هو أساس التقدم العلمي والرقي الإنساني (١) .



● الحواس والعقل :

إن الحواس الخمس تُعتبر هي نوافذ العقل على العالم الخارجى المحسوس ، الذى يمثل له ميدان تأمل وتفكير ، والذى يؤدي به إلى إدراك للمعاني المجردة .
ولذلك فإن التفكير والتأمل الإنسانى له حدوده التى لا يتعداها إلا عن إيمان وإلهام ، وهو إدراك ما تقع عليه حواسه وليس ما تقع عليه حواسه كل الحقيقة ، فقد تقع الحواس على آثارها دون حقيقتها كالكهرباء الذى أدرك الإنسان آثاره دون إدراك حقيقته (٢) .

وإن إدراك الإنسان إلى أن هنالك حقيقة غائبة ، يؤمن بها ، من إدراك آثارها ، إنما هو من التفكير المجرد للمعاني ، ولذلك يمكن له الاستدلال على الخالق من المخلوق (٣) .

كما أن الخيال عند الإنسان يُعتبر ميداناً رحباً لإجراء التجارب والملاحظات

(١) د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢٤

سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ٦٥

أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، علم الكتب ، دمشق ، ج ١ ص ٧٦ ، ٧٨

(٢) د . عبد الحليم محمود : الإسلام والعقل (مرجع سابق) ص ١٨ - ١٩

د . محمد عماد الدين إسماعيل : المنهج العلمى وتفسير السلوك (مرجع سابق)

ص ١٠٨

د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٣٩٩

(٣) الحارث بن أسد : العقل وفهم القرآن (مرجع سابق) ص ١١٦

سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ٥٢ - ٥٥

المتوقعة ، للتنبىء بنتائجها ، ولكنه لا ينفصل كثيراً عن المحسوسات ، وإنما نجد أنها ترسم فى تفكيره (١) .

* * *

● الحواس الخمس :

١ - السمع :

لقد ورد لفظ « السمع » فى القرآن الكريم (١٢ مرة) (٢) ، وكثيراً ما يرد مقروناً بلفظ « البصر » من تقدمه عليه ، ولعل ذلك راجع إلى كونه يقوم بوظيفته المستمرة بعد الولادة مباشرة دون انقطاع ، وفى جميع الأوقات ، بخلاف البصر الذى يقوم بوظيفته بعد الولادة بزمان ، مع انقطاعه وقت النوم ، وانقطاع الضوء ، كما أن السمع أهم فى عملية الإدراك الحسى وبالذات فى موضوع التعلم (٣) .

قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ، قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ، قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٥) .

٢ - البصر :

لقد ورد لفظ « البصر » فى القرآن الكريم (٤٨ مرة) ، وبصيغة الجمع (٣٨ مرة) (٦) .

(١) جان برنيسى : المخيلة ، ترجمة الدكتور خليل الجر ، المطبعة البوليسية ، جونية ، ١٩٧٧ م ص ٨٨ - ٨٩

(٢) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٣) د . محمد عثمان نجاشى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١١٥ - ١٦٦

د . خالص الحلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٢٠٣

(٤) الملك : ٢٣ (٥) المؤمنون : ٧٨

(٦) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ١٢٢ -

فأكثر الصيغ بصيغة الجمع ، ولعل ذلك راجع إلى أن الإنسان له عينان يرى بهما ، ولكنه يرى بكل عين جزءاً من المشهد الذى أمامه كما أنه يستطيع أن يرى الكثير من المشاهد فى وقت واحد بوضوح ، ولكنه لا يستطيع أن يسمع الكثير من الأصوات بوضوح ، كما أنه لا يستطيع أن يرى إلا أمامه بينما يسمع الأصوات من جميع الجهات (١) .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ، قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٣) .

كما أن الإدراك قد لا ينطبق على حقيقة الشيء المرئى كعماء الألوان وخداع البصر (٤) .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى خداع البصر .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٥) .

٣ - حاسة اللمس :

لقد أثبتت الدراسات العضوية الحديثة أن البشرة تنقسم إلى مربعات صغيرة ، تحتوى على خلايا حسية كثيرة ومتنوعة ومتخصصة لاستقبال أنواع معينة من الإحساسات ، فهناك الخلايا الحسية المختصة بالبرودة ، وكذا المختصة بالحرارة ،

(١) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١١٦ - ١١٧

د . خالص الحلبي : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٢١٦

(٢) السجدة : ٩ (٣) النحل : ٧٨

(٤) عبد الرحمن العيسوى : لماذا أنا مسلم ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٣٧٣ هـ ، ط ٤ ص ١٨

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢١

(٥) النور : ٣٩

وكذلك المختصة بالألم .. فإذا زالت هذه الخلايا الحسية بطل الإحساس (١) .
ولقد أشار القرآن الكريم إلى أن موقع الإحساس إنما هو بالبشرة وأن زوالها فيه زوال للإحساس .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (٣) .

٤ - ٥ - حاسة الشم والذوق :

إن علماء الدراسات العضوية يجعلون الإحساسات الجلدية تشمل حاسة الشم والذوق واللمس لاتفاقها في كثير من الخصائص ومنها الخلايا الحسية المتنوعة والمتخصصة كما سبق (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ، لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (٦) .

فالحواس هي وسيلة التحصيل والتعلم ، وهذه الحواس محدودة ، فإدراكات الإنسان محدودة ، والإنسان دون هذه الحواس عالم مظلم لا يدرك حدوده ،

(١) د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١١٧ - ١١٨

د . خالد حليبي : الطب مجراب الإيمان (مرجع سابق) ص ٣٣٣

(٢) الأنعام : ٧

(٣) النساء : ٥٦

(٤) د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١١٧ - ١١٨

(٥) النحل : ١١٢

(٦) يوسف : ٩٤

بدليل أن سؤال الميت فى القبر إنما يكون له بعد عودة روحه إلى جسده كما سبق ،
فالتعذيب والتنعيم له إنما يكون عن طريق الحواس .

* * *

● العوامل المؤثرة على العمليات العقلية :

(أ) الدوافع والخبرات الانفعالية .

إن الدوافع الفطرية العضوية والنفسية تُعتبر قوة ضاغطة على الإنسان توجهه
لإشباعها (١) ، كما أن الخبرات الانفعالية تُعتبر دوافع نفسية مكتسبة ،
فالدوافع الفطرية والمكتسبة لها دور فى توجيه وتوظيف العمليات العقلية (٢) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يُولد
على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج
البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء » (٣) .

وإن توجيه السلوك ليس آلياً ، ولكنه عن إرادة واختيار من قبَل الإنسان ، مما
يجعل للعمليات العقلية دوراً كبيراً فى توجيه السلوك وتقييمه عن طريق إدراك
المشكلة ، وجمع البيانات حولها وفرض الفروض لحلها ومناقشتها ، والأخذ
بالحل الأسلم كما سبق .

فإذا كانت الخبرات الانفعالية إيجابية كانت مساعدة للعقل فى عملية إدراكه
للمشكلة ، وما يتبع ذلك من عمليات عقلية إلى أن يصل إلى انتخاب الحل
الأمثل (٤) .

(١) د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٤٧

أحمد يوسف : أسس التربية وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٦ - ٣٠ .

(٢) سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٥٠ .

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢٧ - ١٣١

(٣) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : ما قيل فى أولاد المشركين ، ج ٢ ص ١٠٤ .

(٤) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤٤٢ - ٤٤٤

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢٧ - ١٣١

فإذا كانت هناك خبرات انفعالية سلبية ، فإنه حسب سلبية هذه الخبرات تكون درجة الصعوبة فى مجابهة العقل فى التقييم والتوجيه والتوظيف للأفكار ، مما يكون لها أثر فى درجة إدراك حقيقة الشئ ، كالكثرة والحب السلبى ... فإنهما يجعلان الإنسان غير متهىء ، نفسياً للاستماع سماع قبول فيه تدبر وتفهم (١) .

قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوهُ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (٣) .

كما أن للإنسان أفكاره القديمة ، وله تفاعلاته معها ، مما يكون لها أثر فى تحريف عملية الإدراك والفهم إذا كانت هذه الأفكار خاطئة (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي تَحْرِيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ (٦) .

ولذلك نجد أن الإدراك والفهم الواعى للقرآن الكريم من قِبَلِ المسلمين ، يختلف عن الإدراك والفهم له من قِبَلِ المشركين ، كما أن المشركين الذين أسلموا

(١) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٣٩

د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤٤٢ - ٤٤٤

(٢) الجاثية : ٢٣ (٣) محمد : ١٤

(٤) الحارث بن أسد المحاسبى : العقل وفهم القرآن (مرجع سابق) ص ٢١٣

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٣٣ - ١٣٥

سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٥٨

(٥) البقرة : ١٧٠ (٦) الزخرف : ٢٢ - ٢٣

يختلف إدراكهم وفهمهم له عن فهمهم وإدراكهم له قبل إسلامهم (١) .
 قال تعالى : ﴿ وَكُوِّجَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لِقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ،
 أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ، قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ ، وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ، أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (٢) .
 (ب) القدرات العقلية والإدراكات الحسية :

إن القدرات العقلية الكامنة في الذات تختلف من إنسان لآخر ، فنجد الذكي ،
 كما نجد الأبله والمعتوه ، وذلك للاختلاف في درجة الذكاء (٣) .

وإن إدراكات الإنسان حسية محدودة بحدود المادة ، ولذا ليس له القدرة على
 إدراك ما لم تقع عليه حواسه كالغيبيات ، وإن كان له إدراك بعض منها عن
 طريق آثارها كالكهرباء ، ولكن ليس له إدراك حقيقته (٤) .

ولذلك فإن الإدراكات الحسية ، لا تتعد كثيراً عن المادة ، حتى في موضوع
 الخيال نجد أنه لا ينفصل كثيراً عنها ، ولذلك جاء في القرآن الكريم في الأسماء والصفات
 لله تعالى قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٥) .

فالعقل والحواس وسيلتان يُستعان بهما على الإدراك والمعرفة ، ولكنهما
 ليستا كافيتين في الوصول إلى حقيقة ما لم تقع عليه الحواس بيقين (٦) .

-
- (١) د . محمد على الجوزر : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٩١ - ٩٢ .
 د . محمد عثمان نجاتي : علم النفس في حياتنا اليومية ، دار القلم ، الكويت ، ط ٨ ،
 ١٩٨٠ م ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ (٢) فصلت : ٤٤ .
 (٣) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤٥ - ٤٥١ .
 (٤) عبد الرحمن العيسوي : لماذا أنا مسلم (مرجع سابق) ص ١٨ .
 د . محمد عماد الدين إسماعيل : المنهج العلمي وتفسير السلوك (مرجع سابق)
 ص ١.٨ - ١.٩ .
 عبد الكريم الخطيب : الدين (مرجع سابق) ص ٣٨ .
 (٥) الشورى : ١١ .
 (٦) د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١١٣ .

ولهذا كان الوحي الإلهي للإنسان الذي يعطيه اليقين في الغيبات ، وإن كان بعضها أدلة وآثار وعلامات تدل عليها (١) .

قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ، ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) .

ولذلك فالعوامل المؤثرة على العمليات العقلية كثيرة ، ومعقدة فكان الوحي هداية للإنسان عن طريق رسم التصورات والغايات العليا ، والمنهج المؤدى إليها ، والصيانة المستمرة له .

* * *

● التشريع هداية للعقل :

لقد سبق إيضاح العوامل المؤثرة في العمليات العقلية ، وأن الإنسان بحاجة إلى الشعور بالواجب (٤) - في مجال توظيف السلوك - الذي يكون له أثر في تنظيم وتوجيه دوافعه وانفعالاته وخبراته ، وأن التصور للغايات العليا ، لا يكفيه لرسم منهجه الذي له أثر في تكوين خبراته الانفعالية ، وإنما لا بد من رسم المنهج المؤدى إلى هذه التصورات الغائية العليا .

وبما أن الإنسان يتمتع بالحرية والإرادة والاختيار ، وهو خليفة لله في أرضه ، فإن له حركيته التي لها أثر في هذا المنهج ، ولذا لا بد من صيانة هذا المنهج بالجانب التعبدي كخط دفاعي أول ، والعقوبات كخط دفاعي ثان (٥) .

(١) د . عبد الحكيم محمود : الإسلام والعقل (مرجع سابق) ص ٢٤ ، ٢٧ - ٢٨

د . محمد عماد الدين إسماعيل : المنهج العلمي وتفسير السلوك (مرجع سابق)

ص ١.٨ - ١.٩

(٣) العنكبوت : ٢ .

(٢) فصلت : ٥٣

(٤) محمد مظهر سعيد : علم النفس الإجتماعي (مرجع سابق) ص ٥٠ .

(٥) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤٤٢ - ٤٤٤

قال تعالى : ﴿ اَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ، إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢) .

فالتشريع السماوي إنما هو هداية للعقل الإنساني (٣) من أن يتأثر بالعوامل السلبية التي لها أثر عليه من جهة ، وتكريم له من أن يكون محطاً للتجارب من جهة أخرى .

وإن التشريع الإلهي يوافق العقل الإنساني ، ولا يعارضه (٤) ، إلا لعوامل سلبية يمكن له إدراكها ولو بعد حين ، وذلك لأن ما يمكن للإنسان إدراكه بحواسه يتفق فيه العقل والشرع إلا إذا كان إدراكه للدلالة الشرعية أو العقلية أو لإحداهما منقوصاً ، وأما ما لم تقع عليه حواسه فلا يمكن له إدراك حقيقته إلا بإيمان في وجوده حقيقة ، عن طريق وحى إلهي أو إدراك لآثارها ، أو لهما .
ولذلك يجب تقديم الشرع على العقل وهو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة ، بخلاف ما ذهب إليه المعتزلة (٥) .

وإن قضية الصراع بين أهل السنة والجماعة والمعتزلة في موضوع العقل إنما

(٢) البقرة : ١٧٩

(١) العنكبوت : ٤٥

(٣) الحارث بن أسد المحاسبي : العقل ومفهوم القرآن (مرجع سابق) ص ٢١٨ - ٢١٩

د . عبد الحلیم محمود : الإسلام والعقل (مرجع سابق) ص ١٨ - ٢١

ابن القيم : مدارج السالكين ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،

١٣٩٢ هـ ، ج ١ ص ٢٢

(٤) د . عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان (مرجع سابق) ص ١١٣ ، ١١٦ - ١١٧

(٥) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٨٣

د . عبد الحلیم محمود : الإسلام والعقل (مرجع سابق) ص ١٩ - ٢٠

الحارث بن أسد المحاسبي : العقل ومفهوم القرآن (مرجع سابق) ص ١٣٦

عد : إلى الاتجاه الفلسفى الذى أخذ به المعتزلة من الفلسفة اليونانية التى تقول بالعقل الأول مما لا يتفق مع روح الإسلام ، اعتماداً على أحاديث ضعيفة أو موضوعة عند أهل الجرح والتعديل .

ولعل أول كتاب فى « العقل وفضله » ما يُنسب إلى ابن المحبر ^(١) ، وهو الذى يعتمد عليه المعتزلة فى الكثير من الأدلة ، وقد قال الخطيب البغدادي عن هذا الكتاب : حدثنى محمد بن على الصورى قال : سمعت عبد الغنى بن سعيد عن الدارقطنى قال : كتاب العقل وضعه أربعة ، أولهم ميسرة بن عبد ربه ، ثم سرقه منه داود بن المحبر ، فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة ، وسرقة عبد العزيز بن أبى رجاء ، فركبه بأسانيد أخرى ، ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزي فأتى بأسانيد أخرى ^(٢) .

كما قال علماء الجرح والتعديل عن ابن المحبر ^(٣) :

قال الذهبى : إنه صاحب « العقل » وليته لم يصنفه .

وقال الدارقطنى : متروك .

وقال أبو حاتم : ذاهب الحديث ، غير ثقة .

وقال ابن معين : « ما زال معروفاً بالحديث يكتب الحديث ثم تركه ، وصاحب قوماً من المعتزلة فأفسدوه وهو ثقة » وقال : « كان داود ثقة ، ولكنه جفا الحديث ثم حدث » ^(٤) .

(١) داود بن المحبر بن قحذام أبو سليمان البصرى ، توفى سنة ٢٠٦ هـ .

(٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، مطبعة الخاجي ، القاهرة ط ١ ، ١٣٤٩ هـ ، ج ٨ ص ٣٦ .

(٣) الذهبى : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ، تحقيق على محمد البجارى ، دار المعرفة ببيروت ،

ج ٢ ص ٢٠ .

محمد ناصر الدين الألبانى : الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، المكتب الإسلامى ، ط ١ ،

١٣٩٩ هـ ص ١٣ .

أحمد بن على بن حجر العسقلانى : تقريب التهذيب ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٢ ،

١٣٩٥ هـ ، ج ١ ص ٢٣٤ .

(٤) الذهبى : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال (مرجع سابق) ج ٢ ص ٢٠ .

ابن أبى الدنيا : العقل وفضله ، تحقيق محمد زاهد الكوثرى ، مكتب نشر الثقافة

الإسلامية ص ٣ - ٤

ومن الأدلة التي أخذ بها المعتزلة من كتاب « العقل وفضله » لتأييد مذهبهم حديث « أول ما خلق الله العقل قال : له أقبل ، فأقبل ، وقال له : أدبر ، فأدبر ، قال : ما خلقتُ خلقاً أكرم على منك ، فيك آخذ ، وبك أعطى ، وبك الثواب ، وبك العقاب ... » .

ولقد روى ابن أبي الدنيا في كتابه « العقل وفضله » عن ابن المحبر (١) ، كما روى هذا الحديث بإسنادين بلفظ آخر وهما : « لما خلق الله العقل قال له : أقبل فأقبل .. » (٢) و« لما خلق الله تعالى العقل قال له : قم ، فقام .. » (٣) . وهذا يؤيد قول ابن معين : « ما زال معروفاً بالحديث يكتب الحديث ثم تركه ، وصاحب قوماً من المعتزلة فأفسدوه ... » وقوله : « جفا الحديث ثم حدث » . وإن أفضل ما قيل عن هذه الأحاديث الثلاثة السابقة ، أنها أحاديث ضعيفة (٣) .

كما أن قوله : « قال : ما خلقتُ خلقاً أكرم على منك » في مقام رواية ابن المحبر يدل على أن هنالك خلقاً قبله لغيره ، وهذا لا ينطبق عليه اصطلاح « العقل الأول » عند الفلاسفة ، وهو ما ليس قبله مخلوق (٤) . ولقد كان للمبالغة في العقل عند المعتزلة أثر كبير في إعطائه الحرية المطلقة ، والاختيار الكامل ، والمعرفة التي تسبق الشرع ، ووجوب الهداية على الإنسان بالعقل ، فهو مكلف عندهم قبل ورود التبليغ (٥) .

وذلك مردود لما يأتي :

(١) ابن أبي الدنيا : العقل وفضله (مرجع سابق) ص ١١

(٢) المرجع السابق : ص ١٢

(٣) محمد ناصر الدين الألباني : الأحاديث الضعيفة والموضوعة (مرجع سابق) ص ١٣

(٤) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مكتبة المعارف

بالباط . ج ١٨ ص ٣٣٧

(٥) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٥٨ - ١٥٩

١ - لو كان الأمر كذلك لكان القائد الحقيقي للإنسان العقل لا الكتب المقدسة ، كما أن التكليف إنما يكون بعد التبليغ وهو ما ذهب إليه أهل السنّة والجماعة (١) .

قال تعالى : ﴿ رُسُلًا مَّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ هَمَّحْنَاهُمْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (٣) .

٢ - إن المعتزلة يُحمّلون الإنسان فوق طاقته ، وقدراته ، وإمكانياته ، لأن قضية الخير والشر ، وقضية الحُسن والقُبْح ، إنما هما من القضايا النسبية (٤) .

٣ - إن العقل وإن اكتشف شيئاً من الحقيقة ، فلا يرى أنه ملزم بها إلا بإيمان يبدي له حق الاحترام (٥) .

٤ - إن هناك عوامل كثيرة مؤثرة في العمليات العقلية تحيط به كالدوافع الفطرية ، والخبرات الانفعالية ، وطبيعة الانفعالات ، لتؤثر عليه تأثيراً مباشراً وغير مباشر ، فالإنسان ليس آلياً .

(١) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب . (مرجع سابق) ، ص ١٨٣

د . عبد الحليم محمود : الإسلام والعقل ص ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ .

فخر الدين الرازي : التفسير الكبير (مرجع سابق) ج ١١ ص ١١٢ - ١١٣

ابن القيم : مدارج السكاكين (مرجع سابق) ج ١ ص ٢١٧

(٢) النساء : ١٦٥ (٣) الإسراء : ١٥

(٤) د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية في النفس البشرية (مرجع سابق) ص ١٨٥

د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٦٢

(٥) المرجع السابق : ص ١٨١ ، ١٨٣

٥ - إن النزعة العقلية هذه لا تتناسب مع مقام العبودية لله تعالى ، كما تجعل للعقل حق السيطرة والتحكيم على النص الشرعي (١) .

قال تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءً ، وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي أَذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ، أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٤) .

٦ - إن العودة إلى قصة خلق آدم عليه السلام ، وأن خلقه إنما كان بأمره تعالى « كن » فكان ، وليس فيه إشارة إلى هذا الجدل (٥) الذي يُذَكَّر إلى حد ما بالخلاف عند الماركسيين في أيهما أسبق في الوجود : المادة أو الفكر (٦) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٧) .

٧ - إن ما يراه المعتزلة من إعطا الحرية المطلقة ، والاختيار الكامل للإنسان ، دفعاً لنسبة الظلم لله تعالى ، وأن الخير من إرادة الله ، وأن الشر من إرادة

(١) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٥٩

د . عبد الحليم محمود : الاسلام والعقل (مرجع سابق) ص ٢٣

الحارث بن أسد المحاسبي : العقل ومفهوم القرآن (مرجع سابق) ص ٢٧١ - ٢٧٤

(٢) البقرة : ١٥١ (٣) فصلت : ٤٤ (٤) الجاثية : ٢٣

(٥) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٦٦

(٦) المرجع السابق ص ١٦٦

م . روزنتال وآخرون : الموسوعة الفلسفية (مرجع سابق) ص ٣٣٦

(٧) آل عمران : ٥٩

الإنسان ، فإنه يوقع فى المعارضة بين إرادة الخالق ، وإرادة المخلوق (١) .
قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

فإن لله تعالى إرادة كونية ، وإرادة شرعية ، وللمخلوق إرادة واختيار لا تخرج عن إرادته تعالى ، لأن قضية الخير والشر ، وقضية الحسن والقبح ، إنما هى أمور مخلوقة لله تعالى ، والإنسان فاعل مختار بإرادة خلقها الله فيه ، والله مُطَّلِعٌ على إرادته واختياره اطلاقاً أزلياً كان لهما الإقرار فى الوجود ، كما أن الانسان يقع له ما لم يردده ، ولم يختره جزاءً أو امتحاناً (٤) .

قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (٧) .

* * *

● العقل .. هو مناط التكليف :

لقد سبق القول بأن ما يكتشفه العقل من حقائق ليس لها صفة الإلزام إلا

(١) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٦٤

(٢) الإنسان : ٣٠ . (٣) التكوير : ٢٩

(٤) عبد العزيز بن ناصر الرشيد : التنبهات السنوية على العقيدة الواسطية ، مطبعة الإمام بمصر ، ص ٦٦

د . عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الانسان (مرجع سابق) ص ١٤٧ - ١٤٨

(٥) الحديد : ٢٢ (٦) التغابن : ١١ (٧) البقرة : ١٥٦

بالتكليف الشرعى ، والعقل هو وسيلة للإدراك والمعرفة والعمل ، وإن العقل ينسجم مع العقيدة الإسلامية ، بل وتفتح له أبواب البحث وتستميله وتدفعه بأن يقوم بوظيفته .

وإن القرآن الكريم يذكر العقل فى مقام التعظيم ، والإشارة إلى العمل به وتحكيمه (١) .

قال تعالى : ﴿ سُنُرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٣) .

وإن الإنسان له الحرية والاختيار فى أن يكون خليفة لله تعالى فى أرضه متحملاً لمسئوليته ، لتلتقى إرادة الإنسان مع إرادة الخالق الشرعية فى إحلال النظام ، أو أن يكون منهجه هواه ، مكتفياً بدوافعه ، وانفعالاته ، وخبراته كالحيوان (٤) .

قال تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ ﴾ (٦) .

(١) د . عبد الغنى عبود : الله والإنسان المعاصر (مرجع سابق) ص ١٣٤ - ١٣٥

أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين (مرجع سابق) ج ١ ص ٧٣

(٢) فصلت : ٥٣ (٣) البقرة : ١٦٤

(٤) د . عبد الغنى عبود : الله والإنسان المعاصر (مرجع سابق) ص ١٣٥

حسن صعب : الإسلام والإنسان (مرجع سابق) ص ٦٥

(٥) البقرة : ١٥١ (٦) الأنفال : ٢٢

وقال تعالى : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ، إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (١) .

وإن العقل حقيقة باطنية يحدث نموه بالتدرج (٢) ، ولذلك كان البلوغ من شروط التكليف ، والتكليف ساقط عن غير العاقل ، لأحد الأسباب التالية (٣) :

(أ) حداثة السن الذى يجعله يفتقر إلى الخبرات التى تؤهله إلى التفكير السليم .

عن عائشة عن النبى ﷺ قال : « رُفِعَ القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصغير حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل » (٤) .

وعن عائشة زوج النبى ﷺ قالت : « لم أعقل أبوى إلا وهما يدينان الدين » (٥) .

(ب) عدم القدرة على الإدراك والفهم لعوامل كامنة فى الذات ، أو فى القدرات العقلية كالأبله ، والمعتوه ، والمجنون .

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن ماعز بن مالك الأسلمى أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ؛ إنى ظلمت نفسى وزنيتُ ، وإنى أريد أن تطهرنى ... فأرسل رسول الله ﷺ إلى قومه فقال : « أتعلمون بعقله بأساً تنكرون فيه شيئاً ؟ ، فقالوا : ما نعلمه إلا وفى العقل من صالحنا فيما نرى ... » (٦) .

وعن عائشة عن النبى ﷺ قال : « رُفِعَ القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصغير حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل » ، وفى رواية : « وعن المعتوه حتى يعقل » (٧) .

(١) الفرقان : ٤٤

(٢) د . خالص الحلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ١٨٤

(٣) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٤٢ - ١٤٦

(٤) رواه الدارمى فى كتاب الحدود ، باب : رُفِعَ القلم عن ثلاثة ، ج ٢ ص ١٧١

(٥) رواه البخارى فى كتاب الصلاة ، باب : المسجد يكون فى الطريق من غير ضرر ، ج ١ ص ١٢

(٦) رواه مسلم فى كتاب الحدود ، الحديث ٢٣ ، ج ٢ ص ٢٣٢٣

(٧) رواه الدارمى فى كتاب الحدود ، باب : رُفِعَ القلم عن ثلاثة ، ج ٢ ص ١٧١

(ج) فقد الوعى كالنوم والمرض الذى قد يشل التفكير .

عن محمد بن المنكدر قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : « دخل على رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل ، فتوضأ فصبوا على من وضوئه ، فقلت » (١) .
وعن عائشة عن النبي ﷺ قال : « رُفِعَ القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ... وعن المجنون حتى يعقل » ، وفى رواية : « وعن المعتوه حتى يعقل » (٢) .

(د) النسيان الذى يعنى ضعف الذاكرة والحافظة :

عن أبى سعيد الخدرى قال : خرج رسول الله ﷺ فى أضحى - أو فطر - إلى المصلى ، فمر على النساء فقال : « يا معشر النساء ! تصدقن فإنى رأيتكن أكثر أهل النار » فقلن : وبم يا رسول الله ؟ قال : « تُكثرن اللعن ، وتكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن » ، قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله قال : « أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل » ؟ قلن : بلى . قال : « فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تُصلِّ ، ولم تصم » ؟ قلن : بلى . قال : « فذلك نقصان دينها » (٣) .

ولقد جاء تعليل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل فى القرآن الكريم بما يرجع إلى الذاكرة والحافظة (٤) .

قال تعالى : ﴿ ... وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّاهِدَاتِ ، أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ... ﴾ (٥) .

* * *

(١) رواه مسلم فى كتاب الفرائض ، حديث ٨ ، ج ٣ ص ١٢٣٥

(٢) رواه الدارمى فى كتاب الحدود ، باب : رفع القلم عن ثلاثة ج ٢ ص ١٧١

(٣) رواه البخارى فى كتاب الحيض ، باب : ترك الحائض الصوم ، ج ١ ص ٧٨

(٤) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) ج ١ ص ١٧ .

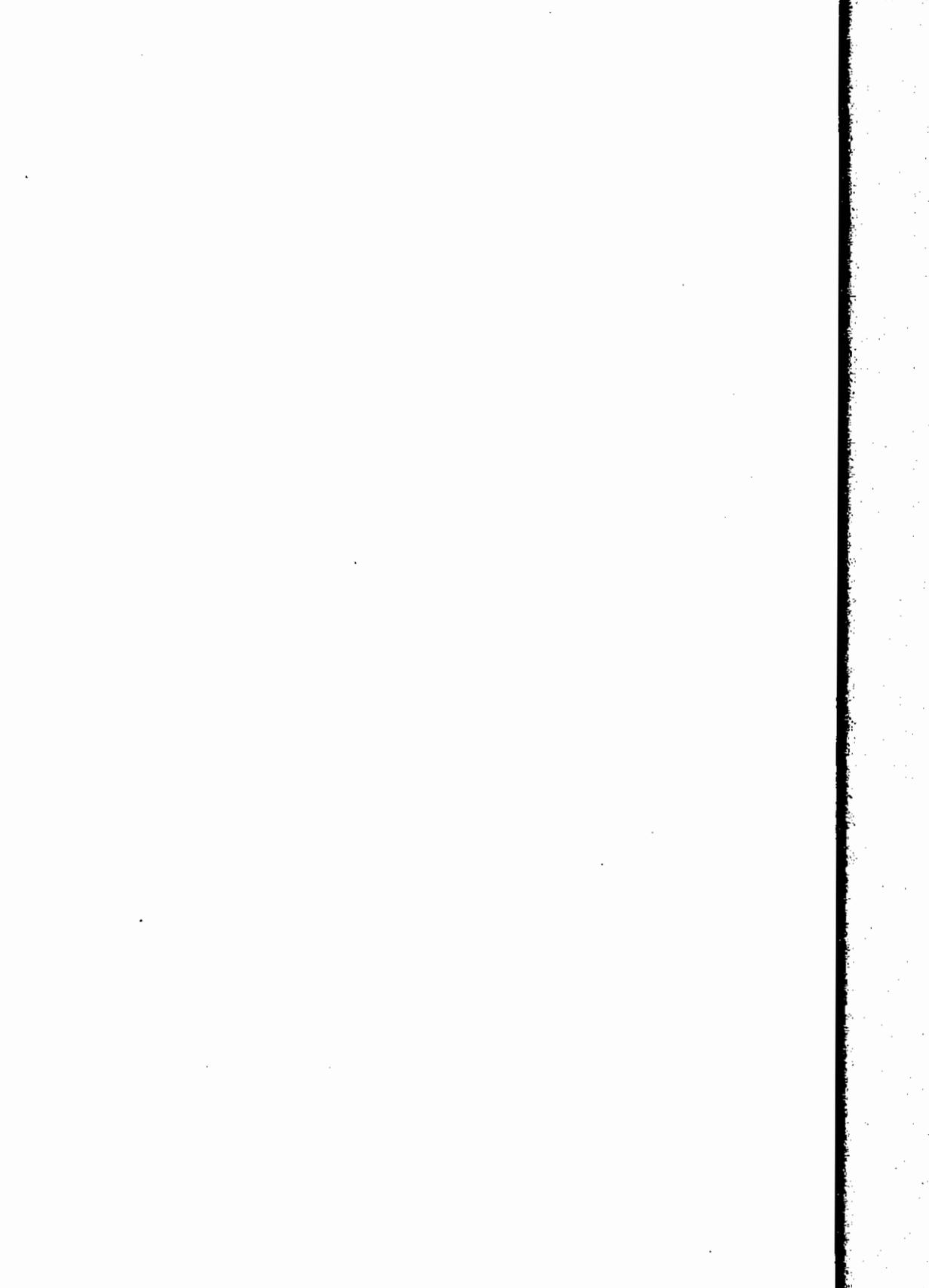
سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ١ ص ٣٣٦

(٥) البقرة : ٢٨٢

الباب الرابع

الإنسان والدوافع

- الدوافع الفطرية .
- الدوافع المكتسبة .
- تعديل الدوافع .



تمهيد

إن الدوافع الإنسانية تعتبر المحرك الأول له فى حياته المعيشية ، والفكرية ،
والخُلُقِيَّة (١) .

وتتعدد الدوافع إلى دوافع فطرية عضوية ، وفطرية نفسية ، ومكتسبة نفسية ،
وإن الالتقاء بينهما وبين القدرات العقلية خلق اختلافاً فى أسلوب الاستثمار
والتوجيه والتوظيف لها ، حسب الإرادة والاختيار ، لأنها مصحوبة بالرعى
والشعور الوجدانى ، فليست دوافع عمياء كالدوافع عند الحيوانات والطيور (٢) .

ولذلك فهى قابلة للتعديل والتغيير بالإعلاء والإبدال ، مما جعل الإنسان أهلاً
للكليف ، وإن التفاعل بين الدوافع الإنسانية تتطلب إيجاد التعادلية والاتزان
بينها (٣) .

كما أن الدوافع الفطرية العضوية ، والدوافع النفسية التى ترتبط بها مباشرة
ارتباطاً قوياً ، كدوافع الخلد والتملك .. تعتبر دوافع أقرب للإلزام منه
للاختيار ، بينما نجد أن دافع التدين ليس له ارتباط مباشر بالدوافع العضوية ،
ولذلك فهو أقرب للاختيار منه للإلزام ، فهو أقرب للارتباط الروحى ، وهو الذى
يمكن له إيجاد التعادلية بين الدوافع من جهة ، والاستثمار والتوجيه من جهة
أخرى ، عن طريق الدوافع الإيمانية .

ولقد قسم علماء النفس الدوافع الإنسانية بطرق شتى ، وطرق متباينة ،
فهناك من جعلها قسمين ، وهما : الدافع الجنسى ، ودافع العدوان ، وهما
فطريان عند فرويد وتلاميذه ... (٤) .

(١) انظر د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٢

(٢) انظر د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٠٤

محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٠

محمد متولى الشعراوى : الإسلام حدانة وحضارة ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ١٧٥

(٣) انظر د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٥

(٤) كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ٦٩

كما أن ماكدوجال^(١) جعلها (١٤ غريزة) ، وجعلها وليم جيمس^(٢) (٣٢ غريزة) (٣) ... ولا داعى لإيضاحها لأنها تدخل من ضمن التقسيم الذى عملت به كدوافع مشتقة أو مركبة منها (٤) .

وقبل الشروع فى تفصيل ذلك أحب أن أشير إلى حرصى على عدم التكرار والإعادة قدر الإمكان ، لأن هناك تداخلاً وتفاعلاً بين الدوافع من جهة ، كما سبق الحديث عن جوانب منها من جهة أخرى .

وإن الدوافع الإنسانية تنقسم إلى قسمين رئيسيين وهما : الدوافع الفطرية والدوافع المكتسبة .

ولتفصيل ذلك عقدتُ لها الفصول التالية :

الفصل الأول : الدوافع الفطرية .

الفصل الثانى : الدوافع المكتسبة .

الفصل الثالث : تعديل الدوافع .

* * *

(١) ماكدوجال ، وليم : عالم نفس بريطانى عاش فيما بين (١٨٧١ - ١٩٣٨) ، وكان لدراساته أثر كبير فى إرساء قواعد علم النفس التجريبي والفيولوجي فى إنجلترا ، ومن أشهر كتبه « مقدمة لعلم النفس الاجتماعى » عام ١٩٠٨

انظر : منير البعلبكي : موسوعة المورد (مرجع سابق) ج ٦ ص ٢١٨

(٢) جيمس ، وليم : فيلسوف وعالم نفس أمريكى عاش فيما بين (١٨٤٢ - ١٩١٠) ، وأشهر كتبه « مبادئ علم النفس » عام ١٨٩٠ ، و« ضروب الخبرة الدينية » عام ١٩٠٢ م

انظر : منير البعلبكي : موسوعة المورد (مرجع سابق) ج ٥ ص ٢٢٣

(٣) د . نبيل محمد السمالوطى : الإسلام وقضايا علم النفس الحديث . دار الشروق بجدة ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٩٢ - ٩٣

(٤) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفيولوجي (مرجع سابق) ص ١٣٥

الفصل الأول

الدوافع الفطرية

إن الدوافع الفطرية هي التى خُلِقَ الإنسان عليها بطبعه ، فهى صفات موروثة ، وتنقسم إلى قسمين وهما :

• الدوافع الفطرية العضوية :

وهى التى ترجع إلى أساس فى طبيعة التكوين العضوى للإنسان ولعل أهمها :

(أ) الدافع الجنسى :

وهو من الدوافع الفطرية العضوية التى يجدها كل إنسان سَوَّى فى تكوينه ، وهو ضرورى لبقاء النوع ، وهو مما يعمل على تكوين الأسرة التى تُعتبر الخلية الأولى فى المجتمع (١) .

وإن قانون الزوجية من السُّنن التى تسير عليها جميع المخلوقات .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

فنظام الزوجية للمخلوقات إجبارى فى التوافق والتوازن والانسجام والثبات ،

(١) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٤٨

د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس ص ٣٤

د . نبيل محمد السالموطى : الإسلام وقضايا علم النفس الحديث (مرجع سابق) ص ٨٧

(٣) يس : ٢٦

(٢) الذاريات : ٤٩

لأنها ليس لها صفة الإرادة والاختيار ، عدا الإنسان والجان - فيما نعلمه -
اللذين وقع عليهما التكليف الشرعى ، فهما يتصفان بالإرادة والاختيار
والمسئولية .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ
فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا
جَهُولًا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا
سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ، وَكُنْ نَشْرِكَ بَرَبِّنَا
أَحَدًا ﴾ (٣) .

وإن الإسلام ينظر إلى الزواج على أنه رباط قوى وتكملة للنسق المادى
والمعنوى لكل من الزوجين (٤) - نعمة من الله تعالى على عباده - يعقبها
النسل المحبب للنفس .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٥) .

فإن آدم عليه السلام لم يُغنه وجوده فى الجنة عن العلاقة الزوجية (٦) .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٧) .

كما أن أصحاب الجنة فى الآخرة لم يُغنهم وجودهم فيها عن العلاقة الزوجية .

(١) الأحزاب : ٧٢ (٢) الذاريات : ٥٦ (٣) الجن : ١ - ٢

(٤) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٦٩

(٥) الروم : ٢١

(٦) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٧٠

(٧) البقرة : ٣٥

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ (١) .

فإن الإسلام يقر بهذا الدافع ، ويأمر برعايته وتوجيهه واستثماره ، فلا ينكره ، ولا يحقره ، ولكن يعمل على وضع القواعد المشروعة والمبادئ الأخلاقية الثابتة التي تعمل على إنجاحه ، وتضمن استمراريته المقرونة بالموثوقية ، والرحمة ، والألفة ، والمعاشرة بالمعروف ، لبناء الأسرة الصالحة ، وفق الغاية المطلوبة من الفرد في إصلاح ذاته وأسرته ومجتمعه ، والذي يحقق نقاء النسل ، وعدم اختلاطه (٢) .

وإن قوة العلاقة الزوجية ، والأمن والطمأنينة التي تتمتع بها ، لها دور كبير في رعاية وتربية الأفراد ، ليصبح كل فرد عضواً صالحاً في المجتمع ، وبهذا يتحمل كل فرد قطاعاً من المجتمع ، يرعاه ولا يدخر وسعاً في أن ينهض به ، فتتضافر الجهود الأسرية والاجتماعية في خدمة المجتمع (٣) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٥) .

(١) الدخان : ٥١ - ٥٤

(٢) د . أحمد محمد العسال : الإسلام وبناء المجتمع (مرجع سابق) ص ١٤٧ - ١٥١

د . محمود بن الشريف : الإسلام والحياة الجنسية ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط ١ ،

١٩٨٣ م ، ص ٤٩

محمد قطب : في النفس والمجتمع . دار الشروق ببيروت ، ط ٥ ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٦٧

(٣) محمد متولى الشعراوي : الإسلام حدثاً وحضارة (مرجع سابق) ص ١٤٥ - ١٤٦

(٥) الحجرات : ١٣

(٤) النساء : ١

عن عبد الله بن عمر قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « كلکم راع ، وكلکم مسئول عن رعيتہ ، الإمام راع ومسئول عن رعيتہ ، والرجل راع فى أهله ، وهو مسئول عن رعيتہ ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ، ومسئولة عن رعيتها ، والخدام راع فى مال سيده ، ومسئول عن رعيتہ » (١) .

وإن الرسول ﷺ لإحساسه المرفه وأخلاقه العالية ليأنس بهذه السُنَّة الإلهية - العلاقة الزوجية - حتى فى جهاده (٢) .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه (٣) .

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : كان النبى ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه ، فأيتهن يخرج سهمها خرج بها النبى ﷺ ، فأقرع بيننا فى غزوة غزاهما فخرج فيها سهمى ، فخرجتُ مع النبى ﷺ بعدما أنزل الحجاب (٤) .

ولقد حرّم الله تعالى إشباع هذا الدافع وفق مبدأ اللذة الفوضوية الإباحية ، التى تقضى على قيمة الإنسان الحقيقى ، وتجعل بناء الأسرة هشاً ، وبناء المجتمع أشس منها ، وما تؤدى إليه من اختلاط الأنساب وتعكر النسل ، وقد يصل الأمر إلى انعدام الأسرة ، لفقدان القيمة الحقيقية للحياة الزوجية ، المقرونة بالمحبة والمودة والألفة ، التى تُرسى بناء الأسرة ، فالمنافرة بين الطيب والخبيث ثابتة قدراً وشرعاً ، ويترتب على هذه الإباحية أمراض اجتماعية كثيرة ومحزنة (٥) .

(١) رواه البخارى فى كتاب الجمعة ، باب : الجمعة فى القرى والمدن ، ج ١ ص ٢١٥

(٢) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٧١

(٣) رواه البخارى فى كتاب الهيئة ، باب : هبة المرأة لغير زوجها ، ج ٣ ص ١٣٥

(٤) رواه البخارى فى كتاب الجهاد ، باب : حمل الرجل امراته فى الغزو دون بعض نسائه ، ج ٣ ص ٢٢١

(٥) أحمد محمد العسال : الإسلام وبناء المجتمع (مرجع سابق) ص ١٦ - ١٦٣

ابن القيم : إغائة اللهفان من مصائد الشيطان (مرجع سابق) ج ١ ص ٨١ - ٨٢

محمد قطب : الإنسان بين يديه والإسلام . دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٨٨ هـ ،

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ
وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وعن أبي أمامة رضى الله عنه « أن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال :
يا رسول الله ، إنذن لى بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا مه ، فقال :
أدن ؛ فدنا منه قريباً ، قال : إجلس ، فجلس . قال ﷺ : أنجبه لأمك ؟ قال : لا
والله ، جعلنى الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، قال ﷺ :
أفتجبه لابنتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، جعلنى الله فداك ، قال : ولا
الناس يحبونه لبناتهم ، قال ﷺ : أفتجبه لأختك ؟ قال : لا والله ، جعلنى الله
فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم ، قال ﷺ : أفتجبه لعمتك ؟ قال :
لا والله ، جعلنى الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم ، قال ﷺ :
أفتجبه لخالتك ؟ قال : لا والله ، جعلنى الله فداك ، فقال : ولا الناس يحبونه
لخالاتهم ، قال : فوضع يده ﷺ عليه ثم قال : اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ،
وأحسن فرجه ، قال : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء » (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَلَيْسَتَعْتَفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ ... ﴾ (٣) .

ولقد جاء التوجيه الإسلامى للفرد بالعفاف والطهارة من الدنس ، ووجوب
الزواج الشرعى عليه فى حالة الخوف على النفس من الوقوع فى الفحشاء مع
مقدرته عليه ، أما إذا لم يخف على نفسه من ذلك مع مقدرته عليه فإنه
يُسَنُّ له ذلك (٤) ، أما مَنْ لم يقدر عليه فليصبر حتى يُغْنِيَهُ اللهُ من رزقه ،

(١) الأعراف : ٣٣

(٢) النور : ٣٣

(٣) رواه الإمام أحمد ج ٥ ص ٢٥٦

(٤) أبو بكر جابر الجزائري : منهاج المسلم - دار الفكر ، ط ٨ ، ١٣٩٦ هـ ، ص ٣٧٢

وإن كان يجد لهذا الصبر ما يقابله ، من الإلحاح والضغط الذى يُشعره بالضعف فإن عليه بالصوم .

عن علقمة قال : بينما أنا أمشى مع عبد الله رضى الله عنه فقال : كنا مع النبى ﷺ فقال : « مَنْ استطاع منكم الباءة ^(١) فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ^(٢) » ^(٣) .

وإن للصوم فى هذه الحالة فوائد كبيرة على مستوى الفرد والمجتمع ، ففيه الأجر ، والانتصار على هذا الدافع والعواطف المصاحبة له ، كما أنه يعمل على نقل الفرد من الحالة التى يشعر فيها بالحُرمان ، والذى قد يبنى لديه خبرات انفعالية سلبية كالحقد والحسد والاعتداء ... إلى الحالة التى يطمئن فيها بالعبادة ، والمراقبة لله تعالى ، والتى تمنحه الرضا والسعادة النفسية والأمل والثواب ... وهذا يُعد علاجاً نفسياً سامياً .

كما أن الصيام يعمل على إضعاف هذا الدافع ، لأن دافع الجوع أقوى من الدافع الجنسى ^(٤) ، والصيانة للفرد فيها صيانة للمجتمع من أمراض الانحراف كما سبق .

وبما أن الإسلام دين الفعاليات الحياتية للإنسان الاجتماعية والاقتصادية ... فإنه يمنع من أن يقوم بعملية الرهينة والتبتل ، فهما ليسا مما يرضاها الله ورسوله .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ ، يسألون عن عبادة النبى ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا :

(١) الباءة : القدرة على الجماع ومؤنثه .

(٢) الرجاء : رض الخصيتين ، والمراد به دفع الشهوة وشرها .

(٣) رواه البخارى فى كتاب الصوم ، باب : الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة ، ج ٢ ص ٢٢٨

(٤) النووى : صحيح مسلم بشرح النووى (مرجع سابق) ج ٩ ص ١٧٣

د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ١٦٩

وأين نحن من النبي ﷺ ، قد غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم :
 أما أنا فإنى أصلى الليل أبداً ، وقال آخر ، أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال
 آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم
 الذين قلتم كذا وكذا ، أما الله إنى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم
 وأفطر ، وأصلى وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » (١) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ
 الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،
 كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

وكما أن الإسلام عمل على بناء الفرد للتحكم والتوجيه لهذا الدافع ، فقد
 عمد إلى سد أبواب ودواعى الإثارة الجنسية ، فأمر بصيانة الجوارح كغض
 البصر ، وتطهير السمع .. وأمر بالتستر الشرعى ، وحرّم التطيب والتزين للمرأة
 فى خروجها من بيتها ، ومنع الاختلاط غير الشرعى (٣) .

وذلك لإعانة الفرد على صيانة نفسه من الانزلاق والوقوع فى الفحشاء .

قال تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ،
 ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ
 مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ،
 وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ
 آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ
 بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ

(١) رواه البخارى فى كتاب النكاح ، باب : الترغيب فى النكاح ، ج ٦ ص ١١٦

(٢) الأعراف : ٣٢

(٣) د . محمود بن الشريف : الإسلام والحياة الجنسية ، ص ٣٩ ، ٦٣ - ٦٨

سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٠٦

التَّابِعِينَ غَيْرِ أَوْلَىٰ الْإِرْتَبَةِ مِنَ الرَّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ، وَلَا يَضُرُّنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيَعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ، وَتَوَيَّأُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ ١١ ﴾ .

عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « لا يَخْلُونَ رَجُلًا بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ ... » (٢) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاءت امرأة من الأنصار إلى النبي ﷺ فخلا بها ، فقال : « والله إنكن لأحب الناس إلى » (٣) .

(ب) دافع الأمومة :

إن الدراسات العضوية الحديثة أثبتت أن هناك إفرازات هرمونية لهذا الميل ، وهو ميل الأم لابنها ورعايته ، وقد تم إجراء التجارب المعملية على الحيوانات ، والقرود ، كما تم إثارة العذراء به ، لتحس بعاطفة المحبة للطفل والعناية به ، مما يدل على أن هذا الدافع له ارتباط بجوانب عضوية ، بالإضافة إلى ما يمكن أن يكون من دوافع نفسية فطرية أو مكتسبة (٤) .

قال تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ، ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ (٥) .

وإن ورود لفظ « البنين » بين لفظ « النساء » ، وهو يمثل الدافع الجنسي - ولفظ « القناطر » ... ، وهو يمثل دافع حب التملك قد يكون إشارة إلى أن دافع حب الأبناء دافع فطري .

(١) النور : ٣٠ - ٣١

(٢) رواه البخارى فى كتاب النكاح ، باب : لا يخلو رجل بامرأة إلا ذو محرم ، ج ٦ ص ١٥٩

(٣) رواه البخارى فى كتاب النكاح ، باب : حوز أن يخلو الرجل بالمرأة عند الناس ، ج ٦

ص ١٥٩

(٤) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع -) ص ١٧٧ - ١٧٨

د . عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٣٤

(٥) آل عمران : ١٤

ولذلك يجب على الوالدين أن يكون هذا الدافع للأبناء موجهاً ، لا إفراط ، ولا تفريط ، لتكون تربيتهم تربية صالحة ، وأن يحذرا التفريق بينهم فى المعاملة ، وأن يحرصا على المساواة والعدل بينهم ، ليتجنبنا ما قد يجعل البعض منهم يحس بالحرمان من العطف والعناية والرعاية ، والذى قد يبنى لديهم خبرات انفعالية سلبية كالحقد والحسد على إخوانهم وأخواتهم الذين حصلوا على التفضيل (١) ، كما جاء فى قصة يوسف عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَأَخَوَتِهِ آيَاتٍ لِّلسَّائِلِينَ * إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا وَنَحْنُ عَصَبَةٌ إِنَّا أَيْتَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (٢)

وعن النعمان بن بشير قال : تصدق على أبى ببعض ماله ، فقالت أمى - عمرة بنت رواحة - : لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ ، فانطلق أبى إلى النبى ﷺ ليُشْهده على صدقتى ، فقال له رسول الله ﷺ : « أفعلت هذا بولدى كلهم » ؟ قال : لا ، قال : « اتقوا الله ، واعدلوا فى أولادكم » ، فرجع أبى فرد تلك الصدقة (٣) .

وعن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال : « ألك بنون سواه » ؟ قال : نعم ، قال : « فكلهم أعطيت مثل هذا » ؟ قال : لا ، قال : « فلا أشهد على جور » (٤) .

(١) الفخر الرازى : التفسير الكبير (مرجع سابق) ج ١٨ ص ٩٥

النورى : صحيح مسلم بشرح النووى (مرجع سابق) ج ١١ ص ٦٦

محمد متولى الشعراوى : الإسلام حضارة وحادثة (مرجع سابق) ص ١٣٥ - ١٣٦

د . عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ٦٧

(٢) يوسف : ٧ - ١٠ .

(٣) رواه مسلم فى كتاب الهبات ، حديث ١٣ ، ج ٣ ص ١٢٤٢

(٤) رواه مسلم فى كتاب الهبات ، حديث ١٥ ، ج ٣ ص ١٢٤٣

وإن ذلك إذا لم يكن هنالك ضرورة للتفريق (١) كالمرض والفقر ... وإلا
فينبغي إيضاح هذه الضرورة والمبررات للإخوان والأخوات ، حتى تطيب أنفسهم
بها .

كما أن هناك دوافع فطرية عضوية أخرى كالتنفس للهواء الطلق ، والجوع ،
والعطش ، والحرارة ...

٢ - الدوافع الفطرية النفسية :

لقد ذهب بعض علماء النفس إلى أن الدوافع النفسية ، دوافع مكتسبة من
البيئة (٢) ، ولكن اطلاع العلماء على بعض الحيوانات والطيور والحشرات ،
أثبتت أن هناك دوافع لا يمكن أن تكون مكتسبة .

« فهناك نوع من الزنابير عندما توشك أنثاه على وضع البيض ، فإنها تحفر
حفرة فى الأرض ، ثم تذهب لكى تصطاد نوعاً من العناكب ، وبعد أن تصطاده
تؤخزه وخزة خفيفة بحيث لا يموت فى الحال ، ثم تحمله إلى حفرتها حيث يوجد
بيضها ، فإذا ما خرجت صفارها وجدت أمامها العناكب طعاماً شهياً ،
والعجيب فى هذا الحيوان أن الأم تهجر بيضها بعد وضعه ، وإعداد الطعام
لأفراخها الصغار ، ولا تراها بعد ذلك طوال حياتها .

هذه الأفعال وأمثالها أفعال فطرية موروثية ، لم يكتسبها الحيوان عن طريق
الخبرة ، أو التعلم ، أو التقليد والمحاكاة ، فالزنابير لم يسبق لها أن رأت
أمهاتها تقوم بهذا العمل » (٣) .

(١) أحمد بن على بن حجر : فتح البارى ، شرح صحيح البخارى ، رَقْم كُتُبِهِ وَأَبْوَابِهِ وَأَحَادِيثِهِ
محمد فؤاد عبد الباقي ، دار المعارف ببيروت ، ج ١ ص ٢١٤ - ٢١٥

(٢) د . محمد عثمان نجاشى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٣٧

(٣) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس السلوكى (مرجع سابق) ص ١١٤

انظر : شوقى أبو خليل : غريزة أم تقدير إلهى . دار الفكر بدمشق ، ط ١ ، ١٣٩٥ هـ ،

وكذلك الطيور الصغيرة التي تتربى فى أعشاش صناعية إذا ما شعرت بقرب موعد وضع البيض ، بدأت فى بناء أعشاشها الطبيعية دون سابق تعلم أو تدريب (١) .

ولقد جاءت الإشارة فى القرآن الكريم إلى ثلاثة دوافع نفسية ، وهى : دافع التدين ، ودافع الخلود ، ودافع التملك ، وقد يدخل تحتها بعض الدوافع النفسية مما ذكره علماء النفس كدوافع مشتقة أو مركبة .

وفيما يلى شىء من التفصيل لذلك :

● دافع التدين :

إنه دافع نفسى يجده الإنسان فى أعماق الذات ، يجد فى رعايته الأمن ، والطمأنينة ، واليقين ، والاتزان .

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ، فطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، وينصرّانه كما تنتجون البهيمة ، هل تجدون فيها من جدعاء ؟ حتى تكونوا أنتم تجدعونها ، قالوا : يا رسول الله ! أفرأيت من يموت وهو صغير ؟ ، قال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » (٣) .

فإن الإنسان يتمتع بقدرات عقلية ، يميز بها بين الخير والشر ، والحسن والقيبح ، وتتيح له فرصة التأمل والتفكير فى الكون والنفس ، الذى يرشده إلى ما يطمئن إليه .

(١) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٠

د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١١٤

(٢) الروم : ٣٠

(٣) رواه البخارى فى كتاب القدر ، باب : الله أعلم بما كانوا عاملين ، ج ٧ ص ٢١١

فالعقل يدرك الترابط بين السنن والقوانين في المخلوقات المتنوعة والمختلفة ، ويرجعها دائماً إلى علة واحدة (١) .

قال تعالى : ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ * بَلْ آتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لِكَاذِبُونَ ﴾ (٢) .

وكذلك التأمل والتفكير في القرآن الكريم والسنة النبوية ، يجد بهما الطمأنينة ، لموافقتها العقل ، وما تدعو إليه الفطرة ، فالعقل أساس النقل ، والنقل الصحيح لا يخالف العقل الصريح (٣) .

قال تعالى : ﴿ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ ﴾ (٥) .

فالعقل قيم على الفطرة بالرعاية ، فتتلون بألوان مختلفة مضيئة ومظلمة (٦) .

(١) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٥٧ - ٥٩

د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس ، ص ١٢٤

د . عبد المجيد النجار : العقل والسلوك في البنية الإسلامية (مرجع سابق) ص ٧٣ -

(٢) المؤمنون : ٨٤ - ٩٠

٨٨

(٣) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٤٧ - ٤٨

(٥) الطارق : ٥ - ٨

(٤) البقرة : ١٦٤

(٦) عبد الكريم الخطيب : الدين (مرجع سابق) ص ٧٠

فإذا لم يكن ناضجاً ، أو لم يكن ثابتاً فى الأساس ، لعوامل ذاتية أو اجتماعية ، فإن هذا الدافع ليس له قوة داخلية تصونه من العوارض الانحرافية (١) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعاء » ؟ (٢) .

ففى فطرته يجد دافع التدين ، وفى عقله يجد الأدلة والبراهين على توحيد الله تعالى ، وعظمته ، والافتقار إليه ... وحيث إن الإنسان ليس له القدرة على رسم التصورات العليا ، والمنهج الذى يُشبع هذا الدافع ، ويرضى العقل ، لعدم إدراكه أسرار المسائل المتعلقة به من فعالياته الحياتية (٣) ، فضلاً عن التصورات العليا للوجود .

ولذلك لا بد أن يكون رسم هذه التصورات العليا والمنهج ممن يملك القدرة على إدراك أبعادها ، ولذلك فالوحي ضرورى لهداية الفطرة بنوره ، ووجوده ، ويكون للعقل القيادة والإرشاد لها (٤) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٥) .

(١) عبد الكريم الخطيب : الدين (مرجع سابق) ص ٥٤

(٢) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، ما قيل فى أولاد المشركين ، ج ٢ ص ١٠٤ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ١ ص ٢١٦٧

محمد باقر الصدر : اقتصادنا . دار الكتاب اللبنانى ببيروت ، ١٤٠٣ هـ ، ص ٢٨٠ - ٢٨١

(٤) الفخر الرازى : التفسير الكبير (مرجع سابق) ج ١١ ص ١١٢ - ١١٣

الحارث بن أسد المحاسبى : العقل ومفهوم القرآن (مرجع سابق) ص ٢١٨ - ٢١٩

عبد الكريم الخطيب : الدين (مرجع سابق) ص ٦٩

(٥) المائدة : ١٥ - ١٦

ولذلك فالدين ضرورى للإنسان ، ووجوب ربطه بالحياة ، ففطرة التدين ثابتة والدين ثابت ، وفيه يمكن إيجاد الدوافع الإيمانية التى تصون الفطرة من عوارض الانحراف ، فتتكون الدوافع النابعة من الداخل ، فتعمل الرقابة الذاتية للإنسان فى توجيه وتوظيف واستثمار قدراته وسلوكه التى تُشبع دافع التدين ، وتُرضى العقل ، وتخلق الانضباط الذاتى عن يقين واطمئنان ^(١) ، والذى له دور كبير فى بناء الخبرات الانفعالية الإيجابية كحب العلم ، وحب الخير ، ونبذ الشر . وتخلق عنده الشفافية والظُهر ... وتصونه من الخبرات الانفعالية السلبية كالحقد ، والحسد ، والحب السلبى ، والكُره السلبى ، ليصل الإنسان إلى أعلى درجات السمو رهى درجة الإحسان .

عن عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه على ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، قال : يا محمد ؛ أخبرنى عن الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتُقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » ، قال : صدقت ، فعجبنا له يسأله ويُصدِّقه ، قال : فأخبرنى عن الإيمان ، قال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » ، قال : صدقت ، قال : فأخبرنى عن الإحسان ، قال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ... » ^(٢) .

وإن دافع الدين كأى دافع فطرى إنسانى ، ليس دافعاً أعمى ، كالدوافع عند

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٢١ ص ٢٧٦٧

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٨٨

سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٠٩ - ١١٠

(٢) رواه مسلم فى كتاب الإيمان ، حديث ١ ، ج ١ ص ٣٦ - ٣٨

الحيوانات والطيور (١) ... ولكنه دافع مصحوب بالوعى ، والشعور الوجدانى ، الذى يملك الإنسان معه الاستجابة له ، ويملك عدم الاستجابة له ، ولكن الاستجابة له يخلق التوازن بين العقل والفترة ، وعدم الاستجابة له يفقده الاتزان بينهما ، ولذلك كان التكليف له ، لأنه يملك الإرادة والاختيار .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾ (٤) .

فالفترة الإنسانية قابلة للتغيير فى وجهتها ، لعوامل ذاتية وعوامل اجتماعية ، تخلق عنده دوافع نفسية مكتسبة ، لينطوى هذا الدافع فى اللاشعور ، لإهماله والغفلة عنه (٥) .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٧) .

فدافع التدين عنصر مما فطر الإنسان عليه ، ولا تفارقه طول حياته ، وإن تأثر

(١) محمد متولى الشعرواوى : الإسلام حضارة وحداثة (مرجع سابق) ص ١٧٥

محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٠

(٢) الشمس : ٧ - ١٠ (٣) البلد : ٨ - ١٠ (٤) القيامة : ١٤ - ١٥

(٥) د . محمد عثمان نجباتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٤٧

(٧) المائدة : ٧

(٦) الحشر : ١٩

بتلك العوامل ، لأن هذا الدافع المخبوء يبرز إلى الظهور (١) . فى عدة أوجه :

١ - الوقوع فى الشدة والمحنة التى تتطلب النجدة والخلص (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغِيًّا وَعَدْوًا ، حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * ءالآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ بَرِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٤) .

٢ - التأمل والتفكير الصحيح المجرد من المركبات الانفعالية السلبية فى الكون والحياة والنفس ، وفى القرآن والسنة الصحيحة ، والذى يقرع لدى الإنسان أبواب الهداية كما سبق .

قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٥) .

٣ - الوقوع فى بعض المعاصى التى تنقص من إيمانه ، فيعمل هذا الدافع على تصحيح الوضع عن طريق النفس اللوامة (٦) .

(١) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٣٥ - ١٣٦

عبد الكريم الخطيب : الدين (مرجع سابق) ص ٥٤ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٤ ص ٣١٦٤

(٣) يونس : ٩٠ - ٩١ (٤) يونس : ٢٢ (٥) فصلت : ٥٣

(٦) الزمخشري : الكشاف (مرجع سابق) ج ٤ ص ١٩٠ .

الفرأء : معانى القرآن (مرجع سابق) ج ٣ ص ٢٠٨

ابن تيمية : الإيمان ، المكتب الإسلامى بدمشق ، ١٣٨١ هـ ، ص ٢٨٠ .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن » (١) .

وقال تعالى : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّٰوِيَّةِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجِسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

وبما أن الفطرة ثابتة ، والدين ثابت ، وكلاهما من صنع الله تعالى ، وبينهما تناسب فى الطبيعة والاتجاه ، فإنه يجب أن يكون الدين هو القيم على الحياة ، لاستيعابه جميع الدوافع الذاتية ، والفعاليات الاجتماعية والاقتصادية ... لأنه هو القادر على التحكم فيها ، ووضعها فى إطارها العام الصحيح (٤) .

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ، فطَرَتِ اللَّهُ التِّي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ، وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٦) .

والدين الحنيف - عقيدة وشريعة - هو القوة التى تخلق الانضباط الذاتى ، للالتزام بالنظام والانسجام الاجتماعى ، وإيجاد أسباب الأمن والطمأنينة

(١) رواه البخارى فى كتاب الحدود ، باب : لا يشرب الخمر ، ج ٨ ص ١٣

(٢) القيامة : ١ - ٢ (٣) آل عمران : ١٣٥

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٢١ ص ٢٧٦٧

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع س) ص ٢٨٨

محمد باقر الصدر : اقتصادنا (مرجع سابق) ص ٢٧٨

(٦) آل عمران : ١٩

(٥) الروم : ٣٠

والاستقرار ، وهذا يخفف على الرقابة الخارجية - السلطة - أعباء كبيرة فى الأموال والرجال ، مما يجعلها تستثمرها فى نشاطات اجتماعية أخرى .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُحْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢) .

« وإن كل الشعوب الإنسانية تتفق على فطرية التدين ، وإن اختلفت فى أسلوب إشباعها للاختلاف فى تصورها للإله ، وطريقة عبادته » (٣) ، لعجزهم عن رسم التصورات العليا ، والمنهج الذى يجب أن تسير عليه .

ولذلك فإن أى دين من الأديان - غير الدين الإسلامى الحنيف - لا يستطيع أن يكون قيماً على الحياة لعدم استيعابه الفطرة الإنسانية من جهة ، وفعاليتها الذاتية والاجتماعية من جهة أخرى (٤) ، فينفرط عقد التعادلية عند الإنسان ، فتجعله يعيش حياة الحيرة والشك والقلق ... كما تضعف الرقابة الذاتية ، لتتحمله الرقابة الخارجية ، التى ليس لها إلا ما أدركته من الظاهر ، وهو ما لا يكفى لضبط السلوك وتوجيهه (٥) ، فتكثر عوامل الضغط والكبت الخارجية على الفرد ، فيكون لها آثار سلبية على الصحة النفسية كما تخلق خبرات انفعالية سلبية (٦) .

(٢) غافر : ٤٠ .

(١) الحجرات : ١٣ .

(٣) د . محمد عبد الله دراز : الدين . دار القلم ، الكويت ، ط ٣ ، ١٣٩٤ هـ ، ص ٨٠ - ٨٣ .

ص ٨٧

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٤٥ - ٤٦

سميح عاطف الزين : عن الحكم (مرجع سابق) ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٢١ ص ٢٧٦٧

(٥) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٠٧ .

(٦) كلثوم هال : اصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ١٠٤ - ١٠٥ .

قال تعالى : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا ، كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعُشب الكثير ، وكانت منها أجادب (٢) أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تُمسك ماءً ، ولا تُنبت كلاً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثنى الله به ، فَعَلِمَ وَعَلِمَ ، ومثل من يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » (٣) .

وبذلك يتضح أن الالتقاء بين الفطرة والعقل يخلق اختلافاً في أسلوب استثمار وتوجيه وتوظيف السلوك الإنساني حسب الإرادة والاختيار ، لما منح الإنسان من صفات هي قبس من صفاته تعالى ، وأن عليه مسئولية عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٤) .

وإن الدين الإسلامي هو دين الفعاليات الإنسانية ، وهو الإطار العام الذي يمكن له أن يكون قيماً عليها ، وإن كل عمل عباده ، ولا يُسمح في تغليب العمل بالعبادات المحضة كالصلاة والصوم ... على حساب الفعاليات الأخرى للإنسان (٥) ، فالله تعالى أراد منه عمارة الأرض ، والاستفادة من سننها

(١) الأعراف : ٥٨

(٢) أجادب : قاحلة يابسة ، ضد الخصبية

(٣) رواه البخاري في كتاب العلم ، باب : فضل من عَلم وعَلِمَ ، ج ١ ص ٢٨

(٤) الزلزلة : ٦ - ٨

(٥) حسن صعب : الإسلام والإنسان (مرجع سابق) ص ٩٥

وقوانينها بالتغيير والتبديل ، لاستثمار خصائصها وإن لم يقدر على ذلك عمد إلى مجاراتها (١) .

قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ تُوْبُوا إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (٣) .

وإن هذا لشرف عظيم ، حظى به الإنسان ، لم يكن لغيره من المخلوقات ابتلاءً وامتحاناً ، لأداء وظيفته والوفاء بحقها ...

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٥) .

* * *

● دافع الخلود :

إنه من الدوافع النفسية الفطرية ، التي يجدها كل إنسان في أعماق ذاته ، فهو اتجاه طبيعي غير منقطع ، والأمل يسير به دائماً إلى الأمام في طلب المزيد من الحياة (٦) .

(١) البهي الخولي : الثروة في ظل الإسلام . دار الاعتصام ، ط ٣ ، ١٣٩٨ هـ ، ص ٦٢ - ٦٣

(٢) الأعراف : ٣٢

(٣) هود : ٦١

(٤) الأعراف : ٧٢

(٥) الإسراء : ٧

(٦) البهي الخولي : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٧٣ - ١٧٤

ولقد استغل إبليس - لعنه الله - هذا الدافع القوي في الإيقاع بآدم وزوجه في المعصية ، عن طريق الإيحاء لهما بأن ما أمرا بتركه هو ما يمنحهما الخلود - حب البقاء - فاستجابا لهذا النداء والإيحاء (١) .

قال تعالى : ﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ (٣) .

وإن الإنسان يتعلم الكثير مما يحفظ ذاته كدافع المقاتلة والهروب والاستغاثة (٤) .

وإن الإيمان بالله تعالى وامتثال تشريعه هو الطاقة التي تمنح الخلود الحقيقي ، خلوداً مؤقتاً في الحياة الدنيوية مليئاً بالسعادة والطمأنينة والرضا والأمن ... وخلوداً دائماً في الحياة الأخروية ، فيها النعيم المقيم ، فالموت الدنيوي ما هو إلا عملية انتقال من الدار الفانية إلى الدار الباقية (٥) .

قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ، وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٦) .

وإن هذا الإيمان له أثر كبير في عملية بناء علاقة الإنسان ومفهومه وتفكيره

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٣ ص ١٢٦٨

(٢) الأعراف : ٢٠ (٣) طه : ١٢٠

(٤) اليهي الخولي : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٧٣

(٥) د . يوسف القرضاوي : الإيمان والحب ، (مرجع سابق) ص ١٠٧ ، ٢٧٧

محمد المبارك : نظام الإسلام (مرجع سابق) ص ١٥٨ - ١٥٩

(٦) التوبة : ٧٢

للوجود كله ، فالغاية وطريقها واضح عند المؤمن ، فالمؤمن دائماً له الريح ، وإن لم يكن ريحاً دنيوياً مادياً ، فهو ريح يُضيفه فى رصيده الأخرى ، بل إن الخسارة المادية فى الحياة الدنيوية فى سبيل مصلحة المجتمع تُعدُّ ريحاً فى رصيد الآخرة (١) .

قال تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ (٣) .

وبذلك تترابط المصالح الذاتية والاجتماعية بالدوافع الذاتية التى تضمن لها حياة أسمى وأرقى .

وإن الإيمان بالآخرة ركن من أركان الإيمان ، والذي به يعرف الإنسان مصيره ، وماله ، وهو ما يمنحه دافعاً أقوى من الدوافع الخارجية فى الحياة الدنيوية كالثواب والعقاب .

عن عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبته على ركبته ، ووضع كفيه على فخذيه ، قال : يا محمد : أخبرنى عن الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » قال : صدقت ، فعجبنا له يسأله ويُصدِّقه ، قال : فأخبرنى عن الإيمان .

(١) الزمخشري : الكشاف (مرجع سابق) ج ٤ ص ١٩٦ - ١٩٧

محمد القاسمى : الإسلام كما فهمت (مرجع سابق) ص ٢٥٥ - ٢٥٦

(٣) الإنسان : ٨ - ١٠ .

(٢) النساء : ١١٤

قال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ،
وتؤمن بالقدرِ خيره وشره ... » (١) .

فالمؤمن ينظر إلى الموت باطمئنان ، لأنه انتقال من دار فانية إلى دار باقية ،
فلا يُرهبه ولا يُخيفه هذا الانتقال ، إن كان محسناً ، مطمئناً إلى رحمة الله
تعالى (٢) .

قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ
وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ،
إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً
مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (٤) .

وإن الإسلام لا يدعو الإنسان إلى الرهينة ، وإهمال الحياة الدنيوية ، لأنه دين
الفعاليات الحياتية ، الاجتماعية ، والاقتصادية ... ولكن يدعو إلى أن ينظر
إلى كل من الحياتين في وقت واحد ، فله من الحياة الدنيوية منافعها وملذاتها
المشروعة ، بالعمل الجاد المخلص والثمر ، ابتغاءً لمرضاة الله تعالى ، والذي
يُحقق للإنسان الخلود الأبدي (٥) .

قال تعالى : ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان ، باب : سؤال جبريل للنبي ﷺ عن الإيمان والإسلام
والإحسان وعلم الساعة ، ج ١ ص ١٨

(٢) أبو السعود : تفسير أبي السعود (مرجع سابق) ج ٩ ص ١٥٨ - ١٥٩

محمد المبارك : نظام الإسلام (مرجع سابق) ص ١٥٨

(٣) الزمر : ٩ (٤) الفجر ٢٧ - ٣٠

(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، المطبعة التجارية الكبرى بمصر ، ج ٣ ص ٣٩٩

محمد المبارك : نظام الإسلام (مرجع سابق) ص ١٥٨ - ١٥٩

مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسَنُ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلَا تَبْغِ الفَسَادَ فِي
الأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ ﴿ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢) .

وإن أعمال الكافرين الصالحة الدنيوية على العكس من أعمال المؤمنين ، فلا
قيمة لها في ميزان الآخرة (٣) .

قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ
أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أولئك الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ
إِلَّا النَّارُ ، وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .

وهذا هو الدافع الذي يدفع المؤمن إلى الاستشهاد في حياته الدنيوية ،
لتحقيق مصالح المجتمع الإسلامي ، والإنساني ، وأهداف الإسلام ، فهو
يُضْعَى في ذاته من أجل الربح الذي سيحصل عليه بعد مماته في دار الخلد
الحقيقي (٥) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ
الجَنَّةُ ، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا
بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ (٦) .

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : « قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد :

(١) القصص : ٧٧ (٢) البقرة : ٢٠١

(٣) الزمخشري : الكشاف (مرجع سابق) ص ٢ ص ٢٦٢

(٤) هود : ١٥ - ١٦

(٥) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٧٧

(٦) التوبة : ١١١

أرأيتَ إن قُتِلتُ فأين أنا ؟ قال : فى الجنة ، فألقى تمرات فى يده ، ثم قاتل حتى قُتِل « (١) .

وإن هذا الدافع يُقوِّى العزيمة للجد فى العمل الصالح ، والإخلاص به ، ابتغاءً لمرضاة الله تعالى ، والذي يُحقِّق الربح العظيم فى ميزان الآخرة ، فتتآزر المصالح الذاتية والاجتماعية مع الدوافع الذاتية .

قال تعالى : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٣) .

وليس هناك مذهب يعمل على إشباع هذا الدافع إلا فى الأديان السماوية ، مع تمامه وكماله فى الإسلام ، وانتقاصه فى الأديان الأخرى .

وإن من الضعف العقلى الإيمان بالخلود الزائف كالتماثيل والقبور الزائلة ، والأضعف منه الاعتقاد بالانتفاع منها .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ (٤) .

وإن من لم يؤمن بيوم القيامة ، وأن الحياة للفناء ، وأن الخلود إنما هو خلود الحياة الدنيا ، له أثر كبير فى توجيه السلوك وتوظيفه ، لحرصه على حياته ومصالحه الذاتية ، ومنافعه وشهواته ورغباته فى شتى الوسائل ، فيكثر الجزع

(١) رواه البخارى فى كتاب المغازى ، باب غزوة أحد ، ج ٥ ص ٣ .

(٢) النجم : ٣٩ - ٤١ (٣) الحديد : ٢١ (٤) المتحنه : ١٣

والياس والقنوط والظلم ... لكثرة الصراع على المصالح الذاتية فى مجتمعات لا تحتكم إلا لرقابة خارجية غالباً (١) .

قال تعالى : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلِبًا ﴾ (٢) .

وإن هذه النظرة لا تخلو عند كل فرد منهم من الحيرة والشك والقلق فى مآله ومصيره ، وإن سعادة الإنسان إنما هى فى داخله (٣) .

ولذلك نجد اليائسين والقانطين الذين يُقدمون على الانتحار .

قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأَيْسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ (٦) .

ولقد استغل هذا الدافع من الحاكم على المحكوم ، ومن القوى على الضعيف ، ومن طبقة على طبقة من المجتمع فى الإرهاب والسيطرة إشباعاً للدوافع الذاتية ، والذي له آثار سلبية على مسيرة الأمة .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ، وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (٧) .

* * *

(١) . سميع عاطف الزين : : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ٩٧ - ٩٩ .

محمد القاسمى : الإسلام كما فهمت (مرجع سابق) ص ٢٥٦

(٢) الكهف : ٣٥ - ٣٦

(٣) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٨٨ - ٨٩

(٤) يوسف : ٨٧ (٥) العنكبوت : ٢٣

(٦) الحجر : ٥٦ (٧) البقرة : ٤٩

• دافع التملك :

إنه من الدوافع النفسية الفطرية ، وهو الذى يدفع الإنسان إلى حب التملك ، والسيطرة ، والظهور ، وهو عام وشائع بين البشر (١) .

وإن هذا الدافع من العوامل التى استطاع به إبليس - لعنه الله - الإيقاع بآدم وزوجه فى المعصية .

قال تعالى : ﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ (٣) .

وإن هذا مما يُرَجَّحُ أن يكون هذا الدافع من الدوافع الفطرية ، لأن الإيحاء والإثارة لهذا الدافع من إبليس ، والاستجابة له ، يعنى أن لآدم وزوجه الاستعدادات والقدرات الكامنة فى الذات ، لأنهما ليس لهما بيئة اجتماعية يمكن أن يتعلما منها هذا الدافع ، كما أن لهذا الدافع أساساً وعلاقة بدوافع فطرية أخرى، كالجوع والعطش ، وحب الخلود ... فهو يحقق نوعاً من الأمن والطمأنينة والاستقرار فى عملية إشباعها .

وإن الله تعالى علّم آدم ﴿ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (٤) والعلم يحتاج إلى القدرات والإمكانيات الكامنة فى الذات كحب الاطلاع وامتلاك وسائله ، ولعل أهمها حب التملك ، والسيطرة والظهور .

ولذلك فإن من الأولى أن يكون هذا الدافع فطرياً نفسياً جعل آدم يستجيب للوسوسة الشيطانية .

(١) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ١٨٨ - ١٩١

(٤) البقرة : ٣١

(٣) طه : ١٢٠

(٢) الأعراف : ٢٠

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الدافع في عدة مواضع منه :

كقوله تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ، ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴾ (٢) .

وإن الملك لله تعالى ، وما يمتلكه الإنسان إنما هو امتلاك عرْفى ، لعوامل واعتبارات ذاتية واجتماعية ، فهو مستخلف فيه ، ووكيل ونائب عن الله تعالى فيه ، فيجب أن يكون تحصيله واستثماره وفق أوامر مستخلفه وموكِّله ، فيحس الإنسان بافتقاره إلى الغنى سبحانه (٣) .

قال تعالى : ﴿ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٧) .

(٢) الكهف : ٤٦

(١) آل عمران : ١٤

(٣) البهي الخولى : الثروة في ظل الإسلام (مرجع سابق) ص ٥٧ - ٥٨

أبو السعود : تفسير أبي السعود (مرجع سابق) ج ٨ ص ٢٠٤

القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ص ٧٠٨ - ٦٤٨

(٥) الملك : ١٥

(٤) الحديد : ٧

(٧) فاطر : ١٥

(٦) مريم : ٤٠

فإذا أدرك الإنسان ذلك وانغرس في وجدانه الباطنى ، فإن له الهيمنة والتحكم والتوجيه لإرادته وسلوكه ، فتزكو النفس وتبدو له جميع مواهبه نعمة وإرادة من الله تعالى ، تستحق الحمد والشكر له تعالى ، وهذا الإحساس يمنحه صفات إيجابية متكاملة تخلق لديه نهجاً سوياً (١) .

قال تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢) .

وإن الإنسان يعيش فى صراع بين المتناقضات ، بين الخير والشر ، وبين الحسن والقبيح ، بين الهداية والضلال ، وبين الحلال والحرام ... (٣) .

وإن إشباع هذا الدافع يجب أن يكون عن طريق التوازن بين المصالح الذاتية والاجتماعية ، لتحقيق التعادلة العادلة بين المصلحتين (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ١٩ ص ٢٦٣٦ - ٢٦٣٧

البهى الخولى : الثروة فى ظل الإسلام (مرجع سابق) ص ٥٣

(٢) النمل : ١٧ - ١٩

(٣) د . عزت الطويل : دراسات نفسية وتأملات قرآنية ، مكتبة نشر الثقافة ، الإسكندرية ،

١٩٧٧ م ، ص ٨٧ - ٨٨

(٤) د . عزت الطويل : دراسات نفسية وتأملات قرآنية (مرجع سابق) ص ٨٨

محمد باقر الصدر: اقتصادنا (مرجع سابق) ص ٢٨١

(٥) الفرقان : ٦٧

تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرِ فَلَانْفُسِكُمْ ، وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، وَمَا
تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَمُونَ ﴿١﴾

وقال تعالى : ﴿ ... كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ،
وَلَا تُسْرِفُوا ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا
وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ،
فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) .

فإن إشباع هذا الدافع لا يمكن أن يكون عن طريق الفوضى ولكن عن طريق
الانضباط الذاتى من جهة ، والانضباط الاجتماعى من جهة أخرى ، لإشباعه
وفق مبادئ ، سامية تربط بين المصالح الذاتية والاجتماعية (٤) .

وإن البيئة الاجتماعية لها قيمة كبيرة ، لما تفرضه من مبادئ ، وقيم ،
وعادات ، تلعب دوراً أساسياً فى عملية التوجيه والتوظيف لهذا الدافع ،
فيتعرض للتعديل والتغيير عن طريق الصعود به إلى الأعلى والأسمى ، أو عن
طريق الهبوط والتنازل به إلى الحضيض .

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنِيسِرُهُ
لِلْيَسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنِيسِرُهُ
لِلْعُسْرَى ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ
هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ وَكُلُوا كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةً وَمَنْ يَوْقَ شَحِّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٦) .

(٣) التوبة : ٦٠ .

(٢) الأنعام : ١٤١

(١) البقرة : ٢٧٢

(٤) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٠٨ .

محمد باقر الصدر (مرجع سابق) ص ٢٧٢ - ٢٧٤

(٥) الليل : ٥ - ١٠ (٦) الحشر : ٩

وقال تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ، وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

فالإسلام له عقيدته وشريعته ، كما أن له نظرتة للحياة والكون والإنسان التي يطمئن الإنسان إليها ، وإطاره العام الذين يبنى في المجتمع العواطف والأحاسيس الوجدانية السامية ، فتتلاحم وتتضافر الجهود لتحقيق المصلحة الفردية والاجتماعية في جو يسوده التكامل والتضامن ، والذي لا يمكن تحقيقه إلا بدوافع إيمانية قوية ، تصون الإنسان من الانحراف .. (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٤) .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم يُنتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » (٥)

فإن أسلوب إشباع هذا الدافع أسلوب إيجابي ، وكذلك الاستثمار له ، فالكون مُسَخَّرٌ للإنسان لخدمته ، بإطار تعبدى ، وهدف سام ، فحب التملك ليس هدفاً في ذاته ، ولكنه وسيلة لهدف أسمى وأعظم وهو عمارة الأرض ، فتكون هادفة إلى الخير وراعية له ، وبإذلة الجد في العمل الصالح لامتلاك الخيرات

(١) البقرة : ٢٦٨

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٢١ ص ٢٧٦٧

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٨٨

محمد باقر الصدر : اقتصادنا (مرجع سابق) ص ٢٧٢ - ٢٧٤

(٤) البقرة : ٢٧٢

(٣) التوبة : ١٠٥

(٥) رواه مسلم في كتاب الوصية ، حديث ١٤ ، ج ٣ ص ١٢٥٥

والطيبات ، واستثمار الأرض ومنافعها وسُننها وقوانينها فى التغيير والتبديل حتى تتلاءم معه ، وإن لم يقدر على ذلك عمد إلى مجاراتها (١) .

وإن الإسلام يمنح الإنسان مفهوماً سامياً للريح والخسارة ، يختلف عما يتعارف عليه فى حياته المادية الدنيوية ، فالخسارة المادية فيها فى سبيل الله ومصلحة المجتمع ربح عظيم فى رصيد الآخرة (٢) ، وكما أن له الأجر فى إنفاقه فإن له الأجر فى تحصيله .

قال تعالى : ﴿ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٥) .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحاسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله القرآن ، فهو يتلوه آناء الليل والنهار ، يقول : لو أوتيتُ مثل ما أوتيتُ هذا لفعلتُ كما يفعل ، ورجل آتاه الله مالاً ينفقه فى حقه ، فيقول : لو أوتيتُ مثل ما أوتيتُ هذا لفعلتُ كما يفعل » (٦) .

فبالإسلام يكون المجتمع آمناً مطمئناً تسوده العدالة والمساواة والاستقرار ، وهذا المجتمع الفاضل له دور كبير فى التوجيه والتوظيف للسلوك ، وتخلق

(١) البهى الخولى : الثروة فى ظل الإسلام (مرجع سابق) ص ٦٢ - ٦٣ .

(٢) الزمخشري : الكشاف (مرجع سابق) ج ٤ ص ١٥٦ - ١٥٧ .

محمد القاسمى : الإسلام كما فهمت (مرجع سابق) ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

محمد باقر الصدر : اقتصادنا (مرجع سابق) ص ٢٥٦ - ٢٨٥ .

(٣) الحديد : ٧ (٤) الملك : ١٥ (٥) الجمعة : ١٠ .

(٦) رواه البخارى فى كتاب التمنى ، باب : تقنى النران والعالم ، ج ٨ ص ١٢٩ .

الخبرات الانفعالية الإيجابية عند النشأ ، والتي تتمثل فى مجموعة من العواطف والأحاسيس الوجدانية القيّمة كحُب الخير وكُره الشر ، وحُب الحسن وكُره القبيح ، وحُب الحلال وكُره الحرام ...

ولذلك فإن دافع التملك موجه فى وسائل تحصيله ، كما هو موجه فى وسائل إنفاقه ، وكذلك حب السيطرة والظهور والاطلاع ، فهى هادفة وموجهة ، وليست عمياء ، ولكن لكل شىء الأسلوب المناسب له .

ولذلك يُوجه حب السيطرة إلى السيطرة على نقاط الضعف فى الذات ، والأسرة ، والمجتمع ، للقضاء عليها ، لتحقيق الخير له ولمجتمعه ، فيحل العدل والإحسان والمعروف محل الجور والظلم والمنكر ...

وكذا السيطرة على الأرض ومنافعها بالتعديل والتغيير حتى تلائمها ، وإن لم يقدر عمد إلى مجاراتها كما سبق .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ، مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٣) .

(٣) آل عمران : ١١٠

(٢) النساء : ١١٤

(١) الحشر : ٩

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ تَوْبُوا إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (١) .

وكذلك توجيه حُب الاطلاع إلى التحصيل ، والاستكشاف لتحقيق التفوق العلمى ، فيما ينفعه وينفع الناس ، وتجنبه الانحراف به كالتجسس والغيبة والنميمة ... أو فيما يضره ويضر المجتمع .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) .

فإن البيئة الاجتماعية بمبادئها وقيمها وعاداتها لها أثر كبير فى عملية التوجيه والاستثمار لهذا الدافع .

وبما أن الفطرة ثابتة ، والدين ثابت ، وموافق للعقل ، فإن الإضطراب فى المجتمعات فى ذلك يجعل عقائدها غير مطمئن إليها ، لأنها لا تعطى النظرة الصحيحة للحياة والكون والإنسان والمنهج الذى يحتذى به ، فتخلق الاضطراب والحيرة والشك فى كل ذلك .

وإن هذه النظرة لا يمكن أن تكون أداة لضبط السلوك الإنسانى ، وخاصة فى موضوع حُب التملك والسيطرة والظهور ، لأن من هذه نظراته مع عقيدته ومنهجه ، ومفهومه للحياة والكون ، لا يمكن أن تكون لديه رقابة داخلية على أسلوب التحصيل والاستثمار والتوجيه كالدوافع الإيمانية التى نجدها عند المؤمن ، فتتكون لديه خبرات انفعالية سلبية على مستوى الفرد والمجتمع ، والتى لها آثار سلبية فى بناء المجتمع .

فالدوافع الذاتية لأفراد هذه المجتمعات تدفعهم إلى تقديم مصالحهم الذاتية

على المصالح الاجتماعية ، لعوامل تحول دون استثمار الوعى العملى عند الإنسان استثماراً مخلصاً فى توفير المصالح الاجتماعية ورعايتها (١) .

قال تعالى : ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ، وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤) .

فهذه المجتمعات تعتمد على الرقابة الخارجية بنسبة كبيرة والتي تكون على ما تُدرك من الظاهر ، مما لا يكفى فى توجيه السلوك (٥) .

لذلك تجد الأساليب غير المشروعة فى سبيل إشباع هذا الدافع إما لضعف فى الرقابة الخارجية ، والتي لا تستطيع أن تقضى عليها لمعرفة الأفراد بأساليب الاحتيال والمكر ، والطرق التى لا يمكن أن يصل إليها القانون ، أو أن تكون هذه الأساليب ممن يملك نفوذاً لا يمكن للرقابة الخارجية أن تصل إليه ... فيتغذى فى أفراد المجتمع السخط والحقد والحسد والكراهية ... فيزداد الضعف فى الانضباط الذاتى فى المجتمع .

ولذا يصل الأمر إلى أن يرى الإنسان أن الحياة كل شىء ، وأنه الأجدر والأولى فى كل خير (٦) .

(١) محمد باقر الصدر : اقتصادنا (مرجع سابق) ص ٢٨١ - ٢٨٢

(٢) الكهف : ٣٤ (٣) آل عمران : ١٨٠ (٤) البقرة : ٢٦٨

(٥) د. يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٠٧

(٦) البهى الخولى : الثروة فى ظل الإسلام (مرجع سابق) ص ٥٥

قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ، أَوَلَمْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ، وَلَا يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلِبًا ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ (٣)

* * *

الفصل الثانى

الدوافع المكتسبة

لقد سبق الحديث عن الدوافع الفطرية ، العضوية ، والنفسية ، وأن هناك قدرات عقلية تجعلها دوافع شعورية واعية ، والاستجابة لها عن إرادة واختيار ، فتختلف أساليب الاستثمار والتوجيه للتوفيق بين الدوافع من جهة ، وبينها وبين البيئة الاجتماعية من جهة أخرى وذلك عن طريق التعديل لهذه الدوافع بالدوافع المكتسبة - المتعلمة - التى تُعتبر مشتقة ومتنوعة منها نتيجة للتفاعلات المتعددة (١) .

ولذلك فإن كثيراً من الفضائل والقيم والمبادئ الاجتماعية معيارية ونسبية فى الظروف المختلفة للأفراد والمجتمعات وإن كان هناك ما هو مشترك إلا أن المعيار مختلف (٢) .

ولذلك يختلف الأفراد والمجتمعات فى أسلوب استثمار وتوجيه الدوافع الفطرية بالدوافع المكتسبة عن طريق الإعلاء والصعود بها أو الانحطاط والتنازل بها (٣) .

(١) د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٣٥ ، ص ١٤٣ -

١٤٤

د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٦٧

(٢) عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس البشرية (مرجع سابق) ص ١٨٥

(٣) د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١١٧

د . عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٣٠ - ١٣٢

د . جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٦١٤

قال تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ، وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤) .

ولذلك لا بد من مبدأ قوى له صفة الثبات والاحترام عند الأفراد والمجتمعات (٥) ، والذي يمنحهم التصورات الغائبة العليا والمنهج الذي يرشدهم والصيانة المستمرة له عن الانحرافات .

وإن هذا مما لا يملكه الإنسان - كما سبق - وأنه حسب مفهومه للحياة والكون والإنسان يكون أسلوب الاستثمار للدوافع الفطرية .

وإن الإسلام له نظرته للحياة والكون والإنسان التي يطمئن إليها لإشباعها ودوافعه من جهة ، وموافقته للعقل من جهة أخرى .

فإن الدين ثابت ، والفطرة ثابتة مما يجعله هو القادر على إيجاد التعادلية

(١) النساء : ١١٤ (٢) الحشر : ٩

(٣) الليل : ٥ - ١٠ (٤) البقرة : ٢٦٨

(٥) محمد مظهر سعيد : علم النفس الإجتماعى (مرجع سابق) ص ٥ .

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٥ ، ص ٤٨

والاتزان فى الاستجابة لدوافعه ، وفق مبدأ له حق الاحترام يعمل على ضبط الدوافع ، ويعمل على إعلائها وحمايتها بالرقابة الداخلية (١) .

ولذلك تُحاط الدوافع الشعورية الواعية ، بصفات مكتسبة إيجابية وثابتة لها تأثيرها على تكوين الشخصية ، فالخبرة السائدة التى تدور حولها خبراته الانفعالية (٢) جميعاً ، هى حبه لله تعالى ولرسوله ﷺ مما يكون له أثر فى توجيه السلوك .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ النَّاسَ مَن يَتَّخِذْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ، وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥) .

فهذه الدوافع المكتسبة ، إمكانيات تكمن فى الذات على أساس فطرى

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٢١ ص ٢٧٦٧

محمد نبيل السمالوطى : الإسلام وقضايا علم النفس الحديث (مرجع سابق) ص ٨٧ - ٨٨

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٤٧ - ٤٨

(٢) د . محمد مصطفى زيدان وآخرين : علم النفس التربوى ، دار الشروق بجدة ، ط ١ ،

١٤٠٠ هـ ، ص ٧ .

د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٢٧ - ١٢٨ ، ١٤٣

(٥) آل عمران : ٣١

(٤) البقرة : ١٦٥

(٣) التوبة : ٢٤

لتسمو وتعلو بالدوافع الفطرية ، إلى الدرجات العليا لتحقيق الرقى ، لمعالجة
المواقف عن إرادة واختيار بنجاح » (١) .

قال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكُوعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ... ﴾ (٢) .

فإن النظرة الإسلامية تعمل على إيجاد الخبرات الانفعالية الإيجابية كالحب ،
والكره ، والتنافس الشريف ... وغيرها من العواطف والأحاسيس الوجدانية
الإيجابية ، التي تُحقِّق للإنسان الاطمئنان ، والأمن ، والاستقرار .. كما تحقق
للمجتمع التلاحم والتضامن ، والتراحم ... فتتحقق المصالح الذاتية والمصالح
الاجتماعية عن دوافع نابعة من الداخل (٣) . وليست عن طريق الكبت ،
والضغوط الخارجية التي يحس الإنسان بشقلها (٤) .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ
تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ * الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ
مَثَابُ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ
الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٦) .

(١) د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٣٥

د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية^١ (مرجع سابق) ص ٦٧ - ٦٨

د . جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٦١٤

(٢) الفتح : ٢٩

(٣) محمد باقر الصدر : اقتصادنا (مرجع سابق) ص ٢٨٥ ، ٢٨٧ - ٢٨٨

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٨٨

(٤) كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ١.١ - ١.٥

محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٢

(٥) الرعد : ٢٨ - ٢٩ (٦) الأنعام : ٨٢

وقال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِيناً وَتَيْمِماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً ﴾ (٣) .

وإن النظرة البشرية تختلف للاختلاف في مفهومها للحياة والكون والإنسان فتختلف القيم والمبادئ ، الاجتماعية بين المجتمعات وربما في المجتمع الواحد ، وإن كان منها ما هو مشترك إلا انها تظل معيارية كما سبق .

وإن أى نظرة لا تتفق مع الفطرة ، ولا مع القدرات العقلية تخلق اختلالاً في التعادلية والاتزان في إشباع الدوافع وما سيكون لها من آثار سلبية في إيجاد الخبرات الانفعالية السلبية ، فتتكون الدوافع المكتسبة السلبية التي لها أثر في منهج الإنسان الحياتي ، وبناء الشخصية كالحقد ، والحسد ، والبخل ، والأنانية ، والاعتداء ... (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفراً ﴾ (٥) .

وفى قصة يوسف عليه السلام قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ وَعَصْبَةُ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ (٦) .

(١) آل عمران : ١٠٣ (٢) الحشر : ٩ (٣) الإنسان : ٨ - ٩

(٤) الفخر الرازي : التفسير الكبير (مرجع سابق) ج ١٨ ص ٩٥

محمد متولى الشعراوى : الإسلام حضارة وحداثة (مرجع سابق) ص ١٧٥

عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٤٨

(٥) الكهف : ٣٤ (٦) يوسف : ٨ - ٩

وفى قصة هابيل وقابيل قال تعالى : ﴿ وَآتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَكَمْ يَتَقَبَّلُ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطْتَ إِلَىٰ يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمَكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ، وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١) .

ففى كل من القصتين يتضح أن الحرمان ، وما يترتب عليه من الحقد والحسد ، هما مما يبنى فى الإنسان دافع العدوان وبالتالي فهو دافع مُكتسب لخبرات انفعالية ذاتية سلبية .

وهذا بخلاف ما يزعمه فرويد من أن دافع العدوان دافع فطرى موروث (٢) بالإضافة إلى أن هذه النظرة تعطى مفهوماً متشامماً للإنسان .

ولذلك تختلف الخبرات الانفعالية السائدة عند أفراد المجتمع والتي يدور حولها توجيه السلوك كحب المال ، وحب السيطرة ، وحب الظهور ، وحب الاعتداء ... فيكون السلوك مرتكزاً فيما يدور حول إشباعها ، فتتضارب مصالح الأفراد فيما بينها من جهة ، كما تتضارب المصالح الذاتية مع المصالح الاجتماعية من جهة أخرى فتضعف الرقابة الداخلية أو تنعدم .

ولذلك تعمل الرقابة الخارجية - السلطة - للحد من ذلك عن طريق الكبت والضغوط الخارجية المتغيرة ، والتي يحس الفرد بثقلها والتي لها آثار سلبية على الصحة النفسية (٣) كالقلق ، والحيرة ، والشك ، والاضطراب .

وإننى أوافق فرويد فى رأيه إذا كان رسم المنهج ومبادئه وقيمه من صنع البشر ،

(١) المائة : ٢٧ - ٣٠ .

(٢) كلثن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ٤٤

(٣) كلثن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ١٠١ - ١٠٥

محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٢

وأن الصيانة له عن طريق الرقابة الخارجية فقط ، فى أن لها آثاراً سلبية على الصحة النفسية نتيجة للكبت والضغط الخارجية ، كعقدة الخوف ، وعقدة النقص، وعقدة الشعور بالعظمة ، والشعور بالذنب ...

ولكننى أعتقد أن فرويد يجهل أو يتجاهل التاريخ البشرى ، وخاصة التاريخ الإسلامى ، الذى لعبت فيه الرقابة الداخلية دوراً كبيراً فى الانضباط الذاتى عن يقين ، واطمئنان ، وأمن واستقرار نفسى ، ورضى بحكم الرقابة الخارجية ، بل إن الرقابة الذاتية تدفع الفرد للاعتراف بجريمته للسلطة .

وكما يشهد التاريخ الإسلامى بما منح الفرد من الصحة النفسية فى أعلى قممها .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءً ، وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ، أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (٢) .
وإن الإنسان فى حياته يواجه الكثير من المواقف المحزنة والمؤلة لما يتمتع به من الحرية والإرادة والاختيار .

وإن هناك فرقاً بين المؤمن وغير المؤمن فى تعامله معها ، فالمؤمن يقابلها بالرضا وطلب الأجر عليها ، والكافر يقابلها بالفزع والجزع وأحياناً باليأس والقنوط ما دامت فى مرحلة الوعى (الشعور) وعن طريق الكبت لها من الوعى إلى اللاوعى (اللاشعور) يتم معالجتها بطريقة طبيعية - النسيان - لتخفيف التوتر ، ولكن يظل تأثيرها على سلوكه من حيث لا يدرى (٣) .

(٢) فصلت : ٤٤

(١) الرعد : ٢٨

(٣) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ١٦٦ ، ص ١٩٤ - ١٩٧

د . جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٥٦ - ٦٦

د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٢٥ - ١٢٨

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا أذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ، وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ النَّاسَ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٣) .

ويمكن تنشيط الدوافع الداخلية ، وترضيتها بالدوافع الخارجية كالشواب والعقاب ، مادياً ، أو معنوياً ، والذي لها أثر فى توظيف السلوك كما وكيفاً ، كما أن لها أثراً فى الصحة النفسية (٤) .

ولا شك أن هناك فرقاً بين المؤمن وغير المؤمن فى تقييم هذه الدوافع ، للاختلاف فى نظرتهما للحياة والكون والإنسان .

قال تعالى : ﴿ ... الْيَوْمَ يَنْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ ، الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ، فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥) .

(٣) البقرة : ٨ - ١٢

(٢) الروم : ٣٦

(١) البقرة : ١٥٦

(٤) د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٦٧

برسيغال سيموندر : الدروس التى تتعلمها التربية من علم النفس (مرجع سابق) ص ١٦ - ٢١

محمد مصطفى زيدان : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ٧٣

سيد أحمد عثمان : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣٩

(٥) المائدة : ٣

وقال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْثُوا بِهَا إِلَى
الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

* * *

الفصل الثالث

تعديل الدوافع

إن الدوافع الإنسانية الفطرية دوافع واعية شعورية قابلة للتعديل والتغيير فى وجهتها ، حسب الإرادة والاختيار ، ليكتسب الإنسان دوافع متعلمة ذاتية وبيئية ، للاستفادة من خبراته وتجاربه فى معالجة المواقف ، وإن لها اتصالاً عاماً ، وليس خاصاً ووثيقاً بالدوافع الفطرية ، فلا يصل الإنسان إلى البلوغ إلا وقد حصل على التجارب والملاحظات التى تُفيده فى إشباع دوافعه الفطرية (١) .

وإن هذه المرونة هى التى جعلت الإنسان مكلفاً كما جعلته يستطيع أن يتأقلم مع البيئة المتغيرة ، فليست دوافعه عمياء كالحیوان ولولا ذلك لما استطاع أن يكون هو سيد المخلوقات (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٣) .

وليس معنى ذلك أن التعديل للدوافع الفطرية قانون ثابت على جميع القوى الثابتة فى الذات ، ولكنه فى الدوافع المكتسبة التى تمثل الأسلوب فى الاستثمار والتوجيه فى إشباع الدوافع الفطرية .

وذلك لأن الدوافع لها عنصران أساسيان وهما (٤) :

(١) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ١٨٣

(٢) جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٦١٤

(٣) الإسراء : ٧٠ .

(٤) أنور الجندى : قضايا العصر ، مؤسسة الرسالة ببيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ ، ص ١٦٦

(أ) ما له صفة الثبات والإستقرار :

وهى الأصول ، والحقائق الثابتة ، والمقدمات ، والجوهر ، فلا يستطيع أن يقضى عليها كحقيقة الدوافع الفطرية .

(ب) ما له صفة التحول والانتقال :

وهو ما يتعلق بأسلوب التوجيه للسلوك لإشباع الدوافع الفطرية والمكتسبة كالعبادات ، والمعاملات ... وكالمبادئ والعادات والتقاليد ...

وليس معنى التطور أو التعديل الاتجاه دائماً إلى الأفضل ، لأنه مثل ما أنه يكون إلى الصعود بصفات الإنسان ، يكون إلى الهبوط والانحطاط بها (١) .

وإن الإسلام - عقيدة وشريعة - يعمل على أن يكون هذا التطوير إلى الحياة الأفضل والأسمى للفرد والمجتمع ، فى توجيه السلوك عن طريق الانضباط الذاتى برقابة داخلية ، ويأتى فى قمتها درجة الإحسان كما سبق .

كما يعمل على إيجاد الرقابة الخارجية التى تتمثل بالقيادات الصالحة والدعوات المباركة ، التى تحترم الفرد ، ويضمنن إليها ويحترمنها . وفق الشريعة السماوية التى يؤمن بها فى مختلف نواحي الحياة ، والتى تتفق مع كل زمان ومكان (٢) .

ولذلك فإن التعديل يكون عن طريقين رئيسيين وهما :

(أ) الإعلاء :

إن الدين الحنيف قد عَنَى فى منهجه بصيانة السلوك الإنسانى بتوجيهه إلى

(١) أنور الجندى : قضايا العصر (مرجع سابق) ص ١٦٩ - ١٧٠ .

د . عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٣٠ - ١٣٢ .

د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١١٧ ، ١٣٥ .

١٣٦ ، ١٤٨

(٢) أنور الجندى : قضايا العصر (مرجع سابق) ص ١٦٩ - ١٧٠ .

أن يتحلى بالصفات الحميدة التي تُكسبه دوافع مُكتسبة إيجابية تعمل على إشباع دوافعه بطريقة إيجابية تضمن الاستغلال الأمثل للقوى الكامنة في الذات - كما سبق - ولكن نقتصر هنا على بعض الأمثلة بإيجاز شديد .

١ - دافع الدين :

وهو دافع طبيعي يمكن عن طريقه إيجاد الدوافع الإيمانية والتي تمثل خبرة انفعالية سائدة ، فإذا كانت على أساس من الدين الثابت ، والفطرة الثابتة ، تخلق التعادلية في الشخصية والتي تحقق البناء الصالح للفرد والمجتمع (١) .

أما الانحراف بها فيخلق اختلافاً في الخبرات الانفعالية السائدة ليكون لكل فرد مشربه الذي يدور حوله سلوكه لتتضارب المصالح بين الأفراد وبين الأفراد والمجتمع وبين مصالح المجتمعات ولا شك أن هذا له آثار سلبية في بناء الفرد والمجتمع .

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ، فطَرَتِ اللَّهُ التِّي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

٢ - الدافع الجنسي :

دافع طبيعي لا ينكره الإسلام ، ولكن يُحبِّذه ، لأنه استئناس بسُنَّة من سُنَّته تعالى ، ووضع له التنظيم ، لإشباعه بأسلوب يضمن نجاحه واستمرارته في بناء الفرد والأسرة والمجتمع ، في جو تسوده المحبة والمودة والألفة والتضامن والتلاحم (٣) .

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٢١ ص ٢٧٦٧

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٤٧

سميح عاطف الزين : عن الحكم (مرجع سابق) ص ١٠٩ - ١١٠

د . عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوي (مرجع سابق) ص ٧٠

(٢) الروم : ٣٠

(٣) د . أحمد محمد العسال : الإسلام وبناء المجتمع (مرجع سابق) ص ١٤٧ - ١٥١

محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام (مرجع سابق) ص ٢١١ - ٢١٢

د . محمود بن الشريف : الإسلام والحياة الجنسية (مرجع سابق) ص ٤٩

أما الفوضى الإباحية فى إشباعه فإنها تؤدى إلى اختلاط الأنساب وأمراض اجتماعية محزنة على مستوى الفرد ، والأسرة ، والمجتمع (١) .

٣ - دافع التملك :

وهو دافع طبيعى ، وقد وضع الإسلام له القواعد المشروعة فى تحصيله وإنفاقه ، وأوجد باب المنافسة فى توجيهه ، بالإضافة إلى ما أوجبه فيه .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحاسد إلا فى اثنتين : رجل أتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار ، يقول : لو أوتيت مثل ما أوتى هذا لفعلت كما يفعل ، ورجل أتاه الله مالا يُنفقه فى حقه فيقول لو : أوتيت مثل ما أوتى هذا لفعلت كما يفعل » (٢) .

وإذا كانت هذه المنافسة فى إنفاقه فى سبيل الله ومرضاته فلا شك أن هناك انضباطاً ذاتياً فى أساليب التحصيل له ... ومثل هذا لا نجد إلا عند المؤمن .

٤ - حب الاستطلاع :

فليكن موجهاً إلى التعلم ، والتأمل ، والتفكير فى سنن الله تعالى فى الكون والحياة والنفس للاستفادة منها فى تعديلها أو مجاراتها ، لما فيه مصلحة الفرد والمجتمع ... ومنزه عما يضر المجتمع كالتجسس .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ، أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤) .

(١) ابن القيم : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (مرجع سابق) ص ٨١ - ٨٢

(٢) رواه البخارى فى كتاب التمنى ، باب : قنى القرآن والعلم ، ج ٨ ص ١٢٩

(٤) الحجرات : ١٢

(٣) هود : ٦١

٥ - حب السيطرة :

ليكون موجهاً توجيهاً سامياً نحو السيطرة على الطبيعة ، والأعداء والجهاد
فى سبيل الله ... ونقاط الضعف فى الذات ، والمجتمع لتحقيق الأمن ،
والعدالة والسلامة ... والذى يمنع الظلم والجور ...

قال تعالى : ﴿ ... وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ
يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ
يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ
مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

(ب) الإبدال :

هو عملية الانتقال من خبرة انفعالية إلى خبرة انفعالية أخرى معارضة
للأولى (٣) ولذلك فإن هذه العملية قد تكون بالصعود والسمو إلى الخبرات
الانفعالية الإيجابية ، وقد تكون بالعكس إلى خبرات انفعالية سلبية . كالكُره ،
أو الحب السلبي ، المعارض بالكُره والحب الإيجابى . وكالعادات والتقاليد
السيئة ، المعارضة بأخرى إيجابية .

ولذلك فإن الخبرة الانفعالية المعارضة يجب أن تكون قوية ومخططة فى غاية
الدقة وليس هناك قوة أقوى من الإقرار بالإيمان وتنشيطه كدافع قوى يُسهل

(٢) المائة : ٥٤

(١) المائة : ٢

(٣) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٧٠

د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٣٩ - ١٤١

د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٦٧

عملية التخلص من الخبرة الانفعالية السلبية فتكون عملية التعديل ليست عن ضغوط خارجية تسبب الكبت والأمراض النفسية ، ولكن عن دوافع ذاتية نابعة من الداخل (١) ولقد عمل الرسول ﷺ ثلاث عشرة سنة قبل الهجرة لإقرار الإيمان وتنشيطه .

ولذلك نجد أن المشركين في مكة المكرمة - الذين أحبوا أوثانهم وأصنامهم ودافعوا عنها بكل ما أوتوا من قوة ، وكرهوا الرسول ﷺ وعقيدته - بإسلامهم حل محل هذه الخبرة الانفعالية السلبية خبرة انفعالية إيجابية وهي الكره والنفور من هذه الأصنام والأوثان ، وحب الله ورسوله ﷺ .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ النَّاسَ مَن يَتَّخِذْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ، وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (٢) .

فإن الإبدال يمثل حدوث اختيار جديد بناءً على تأثيرت داخلية وخارجية ولذلك فإنه يجب أن تكون عملية الانتقال مخططة ، وقوية وبالتدرج إذا كانت الخبرة الانفعالية السلبية قوية كمعالجة الإسلام لموضوع تحريم الخمر والربا .. (٣) .

(١) د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٧١

د . محمد نبيل السمالوطي : الإسلام وقضايا علم النفس (مرجع سابق) ص ٨٧ - ٨٨

د . محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعي (مرجع سابق) ص ٢٢

(٢) البقرة : ١٦٥

(٣) د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٧١ - ١٧٦

مصطفى الرفاعي : الإسلام ومشكلات العصر . دار الكتاب اللبناني بيروت ، ١٩٧٢ م ، ص ٢٠٠ - ٢٠١

د . وسيلة بلعيد بن حمدة : مباحث في علوم القرآن . دار الجويني للنشر ، تونس ،

ص ١٥ - ١٦

فبعد تثبيت العقيدة لدى المسلمين ، والطاعة لله ورسوله ﷺ عمد الإسلام إلى معالجة الخبرات الانفعالية السلبية .

فعالج موضوع حبهم لشرب الخمر ، بالخبرة الانفعالية المعارضة بالتدرج كما يأتي :

(أ) الإشارة إليها بالكراهية ، وأن مضارها أكثر من نفعها (١) .

قال تعالى : ﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ، قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ (٢) .

(ب) العمل على تحديد أوقات شربها وتضييقه وتحريم القيام بالصلاة للسكرارى (٣) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ﴾ (٤) .

(ج) بعد هذه التهيئة لقبول الخبرة الانفعالية الإيجابية المعارضة للخبرة الانفعالية السلبية السابقة ، جاء التحريم للخمر (٥) ، فحل محل الكره لها ، فقام المسلمون بالاستجابة لعملية الإبدال بدافع ذاتى متدرج ومخطط وقوى .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ ﴾ (٦) .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ١ ص ٨٦ .

(٢) البقرة : ٢١٩

(٣) الفخر الرازى : التفسير الكبير (مرجع سابق) ج ١ ص ١١١ - ١١٢

(٤) النساء : ٤٣

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٣ ص ٢٢٨٢ - ٢٢٨٦

(٦) المائدة : ٩٠ - ٩١

وكذلك موضوع الربا فقد مرّ في أربع مراحل أساسية للانتقال من الحب له ، إلى النفور منه وهي بإيجاز :

(أ) عدم رضا الله تعالى عنه (١) .

قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّاً لِيَرْبُؤُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُؤُوا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (٢) .

(ب) الإشارة إلى أنه مُحَرَّمٌ عند اليهود (٣) .

قال تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدَّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً * وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ (٤) .

(ج) التحريم للربا الفاحش (٥) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفاً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٦) .

(د) التحريم للربا (٧) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٨) .

(١) الشوكاني : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٤ ص ٢٢٧

(٢) الروم : ٣٩

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) ج ١ ص ٥٨٤

(٤) النساء : ١٦٠ - ١٦١

(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) ج ١ ص ٢٥٥

(٦) آل عمران : ١٣٠

(٧) سيد قطب : في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٣ ص ٣٣ - ٣٣٢

(٨) البقرة : ٢٧٨ - ٢٧٩

فإن التدرج المنظم والقوى فى عملية الانتقال من خبرة انفعالية إلى أخرى معارضة لها يضمن لهذه العملية النجاح (١) .

عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها « إذ جاءها عراقى فقال : أى الكفين خير ؟ قالت : ويحك وما يضرك ، قال يا أم المؤمنين ؛ أرىنى مصحفك ، قالت: لم ؟ قال : لعلى أولف القرآن عليه ، فإنه يُقرأ غير مؤلف ، قالت : وما يضرك آية قرأت قبل ، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المُفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا أثناب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شىء لا تشربوا الخمر ، لقالوا : لا ندع الخمر أبداً ، ولونزل : لا تزنوا ، لقالوا : لا ندع الزنا أبداً ... » (٢) .

ولذلك نرى أثر التدرج المخطط والمنظم فى عملية الانتقال من خبرة انفعالية إلى أخرى ، كحب الخمر ، والكُره له .

عن أنس بن مالك قال : « كنتُ ساقى القوم يوم حرّمت الخمر فى بيت أبى طلحة ، وما شرابهم إلا الفضيخ - البُسْر والتمر - فإذا مناد ينادى فقال : اخرج فانظر ، فخرجت فإذا مناد ينادى : ألا إن الخمر قد حرّمت . قال : فجرت فى سكك المدينة ، فقال لى أبو طلحة : اخرج فأهرقها ، فهرقتها ... » (٣) .

فالخبرة الانفعالية تمثل تنظيمياً نفسياً له صفة الإلزام والدوام ، إلا باختيار جديد قوى يستطيع أن يحل محل الخبرة الانفعالية السابقة (٤) .

وقد تكون هذه الخبرة الانفعالية حول شىء مادى كحب الرجل لزوجته وأبنائه وحب الطالب لجامعته ، والإنسان لمنزله ...

وقد يكون لشىء معنوى كحب الخير ، وكُره الشر ، وحب العدالة ، وكُره الظلم ...

(١) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٧١

(٢) رواه البخارى فى كتاب فضائل القرآن ، باب : تأليف القرآن ، ج ٦ ص ١٠٠ .

(٣) رواه مسلم فى كتاب الأشربة ، حديث ٣ ، ج ٣ ص ١٥٧ .

(٤) د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٣٧ - ١٤٠ .

د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٦٧

فإذا حدث اختيار جديد قوى يستطيع أن يحل محل هذه الخبرات ككثرة الرجل لزوجته بعد حبه لها ، لأى سبب قوى كالحيانة الزوجية مثلاً ...

وإذا كان الفرق بين الإنسان والحيوانات أن دوافعه شعورية واعية وأن دوافعها عمياء ، فلا بد أن يُدعم صفاته السلوكية بما يصنعه هو فى نفسه ، والذي لا يمكن أن يكون إلا مبدئاً له حق الاحترام (١) .

ولذلك نرى القيمة العظيمة للمربين ، والأسرة ، والمدرسة والمجتمع فى بناء الفرد الصالح ، لبناء المجتمع الصالح ، فيجب أن تكون الدوافع الخارجية المنشطة كالثواب ، والعقاب ، منظمة ومتدرجة فى إيجاد عملية الإبدال لتعديل الدوافع وضمان نجاحها (٢) .

ولقد رأى بعض العلماء ، الإبقاء على الدوافع دوماً دون تعديل ، لأنها دوافع فطرية موروثية ، لا يمكن القضاء عليها أو تغييرها .

ولذلك فإن تنظيم العلاقة الزوجية ، يعترض عليه الدافع الجنسى ، ومنع الحرب والاقتيال ، يعترض عليه دافع العدوان ، وكذلك تحديد الملكية والتعاون والعدل ... (٣) .

بل ويرون أن المصلحين ما هم إلا أصحاب أحلام جميلة مثالية لا يمكن تحقيقها . كأرسطو مثلاً ، يرى أن العبيد خُلِقوا ليكونوا عبيداً كما أن السادة خُلِقوا ليكونوا سادة (٤) .

وفيما سبق ما يكفى للرد على هذه النظرة الساذجة للإنسان .

* * *

(١) جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٦١٤

(٢) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ١٨٥

د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٦٧

(٣) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ١٨٤

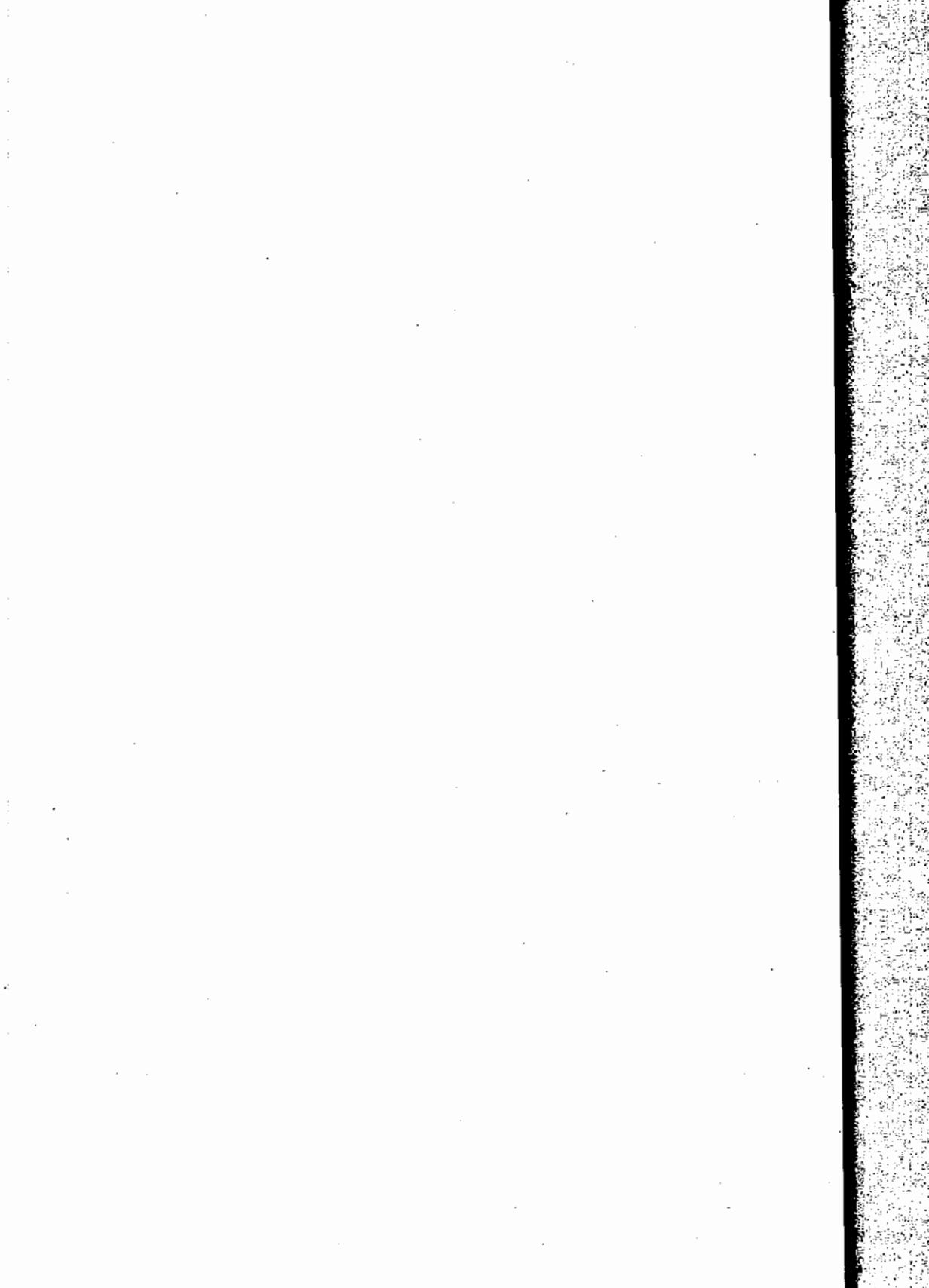
(٤) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ١٨٤

أرسطو : السياسية ، ترجمة لطفى السيد . الدار القومية للطباعة والنشر ، بصر ، ص ٩٢

الباب الخامس

الإنسان والخلافة

- الخلافة .
- الإنسان والخلافة .



الفصل الأول

الخلافة

• التحليل اللفظي :

« خلف » ضد قدام ، وَخَلَفَ الشَّيْءُ : تركه وراءه (١) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ، وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٢) .

و « تخلف » بمعنى تأخر (٣) ، كقولك : تخلف فلان عن فلان .

قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ (٤) .

وخلف فلان فلاناً - بتحريك اللام وسكونها - أى حل محله وقام مقامه إما بعده كالوارث والموروث ، والجيل بعد الجيل ، والقرن بعد القرن ...

وإما معه أى يحل محله ، ويقوم مقامه - وهو موجود - فى

(١) ابن منظور : لسان العرب المحيط ، إعداد وتصنيف يوسف خياط . دار لسان العرب ،

بيروت ، ج ١ ، ص ٨٨٢

الراغب الأصفهاني : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ١٥٥

(٢) فصلت : ٤١ - ٤٢

(٣) ابن منظور : لسان العرب المحيط (مرجع سابق) ج ١ ص ٨٨٣

الفيروز آبادى : القاموس المحيط (مرجع سابق) ج ٣ ص ١٣٨

(٤) التوبة : ١٢٠

تصرف أموره معه ، أو بتفويضه نيابة عنه ، كالوكيل والموكِّل ... (١) .
وقيل إن « خَلَفَ » بتحريك اللام تكون فى الخير ، فتقول : خَلَفُ صَدَقَ ،
وفى السكون تكون للشر : فتقول : خَلَفُ سَوْءٌ وهو خلاف مشهور عند
اللُّغَوِيِّينَ (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَكَوْنُ نَشَاءٍ لِّجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴾ (٣) .
وقال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا
الشُّهُوتَ ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ (٤) .

و« أخلف » بمعنى عوض وأبدل (٥) ، فإذا ذهب له ما يخلفه عادة كالمال
والولد مما يمكن إبداله وتعويضه بمثله قيل له : أخلف الله عليك ، ولك . أما
إذا ذهب له ما لا يخلفه غالباً كالأب والأم فيقال له : خَلَفَ اللَّهُ عَلَيْكَ (٦) .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ رِئَىٰ بَيْسُطُ الرِّزْقِ لَمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ
لَهُ ، وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا
يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (٨) .

-
- (١) الراغب الأصفهاني : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ١٥٥ - ١٥٦ .
أيوب بن موسى الحسينى : الكلبيات . منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومى بسوريا ،
١٩٨٢ م ، ج ٢ ص ٣٠٠ .
أحمد رضا : معجم متن اللغة ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٧٧ هـ (١٩٥٨ م)
ج ٢ ص ٣٢٢ .
- (٢) ابن منظور : لسان العرب المحيط (مرجع سابق) ج ١ ص ٨٨٣ .
ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث والأثر ، تحقيق محمود محمد الطناحى وطاهر أحمد
الزاوى . المكتبة الإسلامية ، ط ١ ، ١٣٨٢ هـ ، ج ٢ ص ٦٥ - ٦٦ .
- (٣) الزخرف : ٦٠ . (٤) مريم : ٥٩ .
- (٥) مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ١٨٣ .
- (٦) ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث والأثر (مرجع سابق) ج ٢ ص ٦٦ .
الفيروز آبادى : القاموس المحيط (مرجع سابق) ج ٣ ص ١٣٨ .
- (٧) سبأ : ٣٩ . (٨) آل عمران : ٩ .

و « اختلف » ضد اتفق ، والاختلاف والمخالفة أعم من الضد ، فليس كل مختلفين ضدّين ، وإن كان كل ضدّين مختلفين (١) .

قال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ... ﴾ (٣) .

و « اختلف » بمعنى التبس (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ، بَلَى وَعَدُوا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾ (٥) .

ونكتفى بهذا القدر من التحليل اللفظي ، لأن ما يهمنا في هذا الباب من مادة « خلف » المعنيين التاليين :

(أ) أن يخلف المستخلف خليفة في مكانه بعده ، دون أن يكون للمستخلف أى قوامه على خليفته كالوارث والموروث والجيل بعد الجيل ، والرئيس بعد الرئيس ، والوكيل بعد الوكيل ... (٦) .

(١) الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن (مرجع سابق) ص ١٥٦

أيوب بن موسى الحسيني الكفوي : الكلبيات (مرجع سابق) ج ٢ ص ٢٩٩

ابن منظور : لسان العرب المحيط (مرجع سابق) ج ١ ص ٨٨٣

(٢) الزمر : ٤٦ (٣) البقرة : ٢١٣

(٤) أيوب بن موسى الحسيني : الكلبيات (مرجع سابق) ج ٢ ص ٣٠١

مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ١٨٤

(٥) النحل : ٣٨ - ٣٩

(٦) ابن منظور : لسان العرب المحيط (مرجع سابق) ج ١ ص ٨٨٣

وبذلك يكون المعنى المقصود بـ « خلف » خلف غيره بعده (١) .

قال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ ﴾ (٢) .

(ب) أن يخلف المستخلف خليفة في مكانه ، أو في عمله معه ، أو بتفويضه نيابة عنه (٣) وللمستخلف حق القوامة عليه ، فمتى حدث منه تقصير في مهمته التي أسندت إليه ، أو تم الاستغناء عنه ، فإن للمستخلف حق عزل خليفته .

ولذلك لا يلزم من الخلافة موت المستخلف له كالوكيل والموكل ، والنائب والمنوب عنه (٤) .

وبذلك يكون المعنى المقصود بـ « خلف » غيره معه أو بتفويضه .

وإن هذين المعنيين يتحققان ويتطابقان في آن واحد (٥) كقولك : استخلفتك بعد زيد ، أى جعلتك خليفة لى مكان زيد ، فيخلف المخاطب زيدا ويحل محله ، كما أن المخاطب يكون خليفة للمتكلم .

* * *

● المقصود بالخلافة فى القرآن الكريم :

لقد ورد فى القرآن الكريم لفظ « خليفة » مرتين ، ولفظ « خلفاء » ثلاث مرات ، ولفظ « خلافت » أربع مرات ، ولفظ « استخلف » مرة واحدة ،

(١) الراغب الأصفهاني : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ١٥٥ - ١٥٦

الفيروز آبادى : القاموس المحيط (مرجع سابق) ج ٢ ص ١٢٧

(٢) الأعراف : ١٦٩

(٣) الراغب الأصفهاني : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ١٥٥

ابن منظور : لسان العرب المحيط (مرجع سابق) ج ١ ص ٨٨٣

(٤) الراغب الأصفهاني : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ١٥٦

أيوب بن موسى الحسينى : الكلبيات (مرجع سابق) ج ٢ ص ٢٩٩

(٥) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٧٩

ولفظ « يستخلف » أربع مرات ، ولفظ « مستخلفين » مرة واحدة (١) .
و « خليفة » على وزن « فعيلة » ، وتُجمع على التأنيث « خلائف » ككرائم
وصحائف ، لأن وزن « فعيلة » لا تُجمع على « فعلاء » ، ولكن « خليفة »
جُمِعَت على « خلفاء » ، لأن اللفظ مذكر المعنى و « خلفاء » جمع « خليف » (٢) .
والتاء في « خليفة » للمبالغة في الدلالة على عظم حاله وأوصافه ، وأنه
الغاية في ذلك كعلامة (٣) .

وقيل « خليفة » على وزن « فعيلة » بمعنى « مفعول » كقتيل بمعنى مقتول ،
فخليفة بمعنى مخلوف أى يخلفه مَنْ كان بعده وقيل « خليفة » على وزن
« فعيلة » بمعنى « فاعل » أى يخلف ما كان قبله (٤) .
و « خليفة » تأتي بمعنى السلطان الأعظم (٥) كالخليفة أبو بكر ، والخليفة
عمر بن الخطاب

و « خلفه خلافة » أى كان خليفته ، فالخلافة هى « النيابة عن الغير إما
لغيبية المنوب عنه ، وإما لموته ، وإما لعجزه ، وإما لتشريف المستخلف » (٦) .
ونجد أن ما ينطبق على خلافة الإنسان لله تعالى فى الأرض ، أن يكون
تشريفاً للخليفة من قبله تعالى .

(١) محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (مرجع سابق) ص ٢٤ - ٢٤١

(٢) ابن منظور : لسان العرب المحيط (مرجع سابق) ج ١ ص ٨٨٣

ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث والأثر (مرجع سابق) ج ٢ ص ٦٩

(٣) أيوب بن موسى الحسينى : الكليات (مرجع سابق) ج ٢ ص ٣٠٠

(٤) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) ج ١ ص ٦٢

القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ١ ص ٢٢٥

(٥) الفيروز آبادى : القاموس المحيط (مرجع سابق) ج ٣ ص ١٣٧

ابن منظور : لسان العرب المحيط (مرجع سابق) ج ١ ص ٨٨٣

(٦) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب فى القرآن (مرجع سابق) ص ١٥٦

ولقد اختلف العلماء فى تحديد معنى « خليفة » فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴾ (١) .

ولقد ترتب على هذا الاختلاف ، اختلافهم فى المراد بالخليفة والمستخلف له .

● الخليفة :

لقد اختلف العلماء فى المراد به على أقوال وهى :

١ - بنو آدم وذريتهم :

فإن « خليفة » على وزن « فعيلة » بمعنى « فاعل » أى يخلف ما كان قبله ، وآدم عليه السلام هو أول من عمر الأرض وخلغه بعده ذريته ، ولم يخلف غيره (٢) .

ولقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

ففى قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ إشارة إلى من يخلفون آدم عليه السلام ، وهم ذريته الذين يتصور منهم مثل ذلك (٤) .

(١) البقرة : ٣ .

(٢) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) ج ١ ص ٦٢

الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) ج ٢ ص ١٨ .

الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) ج ١ ص ٢٧١

(٣) البقرة : ٣ .

(٤) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) ج ١ ص ٨٢

القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ١ ص ٢٢٥

٢ - آدم عليه السلام :

فإن « خليفة » على وزن « فعيلة » بمعنى « مفعول » أى يخلفه من كان بعده من ذريته ، وهو لم يخلف غيره (١) .

كما أن آدم عليه السلام - وهو فى الملا الأعلى - هو الذى علم مسميات الأشياء كلها ، وسجدت له الملائكة تكريماً له ، وهو الذى فاز على الملائكة فى المناظرة معهم .

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) .

٣ - آدم عليه السلام وكل نبي :

فإن المراد بـ « خليفة » فى قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴾ (٣) . هو آدم عليه السلام ، وهو نبي .

عن أبى ذر : « ... قلت : يا رسول الله ! أى الأنبياء كان أول ؟ قال : آدم . قلت : يا رسول الله : ونبي كان ؟ قال : نعم نبي مكرم ... » (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ

(١) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) ج ٢ ص ١٨ .

الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) ج ١ ص ٦٢

القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ١ ص ٢٢٥

(٢) البقرة : ٣٠ .

(٢) البقرة : ٣١ - ٣٤

(٤) رواه أحمد ، ج ٥ ص ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٦٥

فَأَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١﴾ .
 أى جعلناك خليفة لمن كان قبلك من الأنبياء لتحكم بالحق ولا تتبع الهوى (٢).
 فكل نبي هو خليفة لله تعالى فى إجراء أحكامه ، وتنفيذ إرادته فى عمارة
 الأرض وسياستها ، فهم ناثبون عن الله تعالى لا حاجة له ، ولكن لقصور
 المستخلف عليه عن قبول فيضه تعالى ، وتلقى أمره سبحانه بغير وسيط (٣) .
 ويكون المقصود بـ « الخليفة » السلطان الأعظم الذى تم تعيينه من قبله
 تعالى بالوحي إليه نبياً .

٤ - آدم عليه السلام وذُرِّيَّته :

فإن المراد بـ « الخليفة » هو النوع الإنسانى ، وإن كان المراد بـ « خليفة »
 آدم عليه السلام فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى
 الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٤) . فإن ذلك إنما اكتفاء بذكره عليه السلام عن ذكر أبناءه
 وذُرِّيَّته ، لأن ذكره يشملهم ، وبدل عليهم كقولك : قبيلة مُضَر ، أى بنو مُضَر .
 فإن الله تعالى لم يرد آدم عليه السلام وحده ، وإنما أراد النوع الإنسانى (٥)
 وهذا هو الراجع لما يأتى :

(١) سورة ص : ٢٦

(٢) الزمخشري : الكشاف (مرجع سابق) ج ٣ ص ٣٧٢

البيضاوى : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (مرجع سابق) ص ٦٠٢

الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) ج ٢٦ ص ١٩٩

(٣) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) ج ٧ ص ٢٢٣

الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) ج ٢٦ ص ١٩٩

أيوب بن موسى الحسينى : الكليات (مرجع سابق) ج ٢ ص ٣٠٠

(٤) البقرة : ٣٠

(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) ج ١ ص ٦٩

الزمخشري : الكشاف (مرجع سابق) ج ١ ص ٢٧١

الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) ج ١ ص ٦٢

(أ) إن في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

ففيه ما لا يُتصور وقوعه إلا من ذرئته ، وهو ما فهمته الملائكة من أن الخلافة له ولذرئته (٢) .

وكذلك ما فهمه إبليس - لعنه الله - في الملا الأعلى .

قال تعالى : ﴿ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ (٣) .

أما كيف فهمت الملائكة ذلك فقد اختلف العلماء فيه على أقوال وهي :

١ - إن في الآية محذوفاً تقديره (٤) : « إني جاعل في الأرض خليفة يفعل كذا وكذا فقالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ... » ؟

٢ - إن ما فهمته الملائكة إنما هو من إعلام الله تعالى لهم بذلك (٥) .

٣ - إن الملائكة عرفوا ذلك من اللوح المحفوظ (٦) .

(١) البقرة : ٣٠

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) ج ١ ص ٦٩

الزمخشري : الكشاف (مرجع سابق) ج ١ ص ٢٧١

البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (مرجع سابق) ص ٢٣

(٣) الحجر : ٣٢ - ٤٠

(٤) الشوكاني : فتح القدير (مرجع سابق) ج ١ ص ٦٢

(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) ج ١ ص ٦٩

(٦) الزمخشري : الكشاف (مرجع سابق) ج ١ ص ٢٧١

٤ - إن ذلك مما شاهدته وعرفته الملائكة عن طبيعة المخلوقات الأرضية كالحیوانات ، والطيور ... والتي سبقت الإنسان فی وجوده ، وأنه یشاركها فی طبيعتها (١) .

٥ - إن الملائكة قاسوا الإنسان على الجن الذين سكنوا الأرض قبله (٢) .

٦ - إن الملائكة فهموا « خليفة » بالسلطان الأعظم الذى یفصل بین الناس فی المظالم (٣) .

٧ - إن الملائكة یعلمون أنهم المعصومون ، وأن غیرهم لا یكونون بصفتهم (٤) .

وإن التأمل فی هذه الأقوال یظهر التقارب بین الأقوال الثلاثة الأولى وهى تأتى فی الدرجة الأولى فی الترجيح ، ثم يليها القول الرابع ، ثم القول الخامس . والله أعلم .

(ب) إن عناصر وخصائص التكوين لآدم عليه السلام هى عناصر وخصائص التكوين لذريته فكل منهم يتكون من الطين ونفخة الروح كما سبق .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ، قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٦) .

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) ج ١ ص ٦٩

(٢) الزمخشري : الكشاف (مرجع سابق) ج ١ ص ٢٧١

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) ج ١ ص ٦٩

(٤) الزمخشري : الكشاف (مرجع سابق) ج ١ ص ٢٧١

(٦) السجدة : ٧ - ٩

(٥) سورة ص : ٧١ - ٧٢

(ج) إن عمارة الأرض له عليه السلام ولذريته ، وليس له وحده وكذلك التكليف ، وكذا الغاية من الوجود .

قال تعالى : ﴿ وَآلِي تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٣) .

(د) إن التكريم لآدم عليه السلام في الملا الأعلى إنما هو تكريم للإنسان عامة ، وإن خلقه وتصويره خلق وتصوير لذريته (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ، قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قَلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٦) .

● المستخلف له :

وكذلك لقد اختلف العلماء في ذلك على أقوال ، وهي :

(١) هود : ٦١ (٢) الأحزاب : ٧٢ (٣) الذاريات : ٥٦

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٣ ص ٢٦٠ ، ٤

الشوكاني : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٢ ص ١٩١

البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (مرجع سابق) ص ٢٣

(٥) الأعراف : ١٠ - ١١ (٦) الإسراء : ٧٠

١ - الملائكة :

فإن الخليفة يخلف الملائكة ^(١) الذين فى الأرض قبله ، لأنهم خُلِقُوا قبل آدم عليه السلام ، بدليل أن الله تعالى قد أعلن ذلك لهم قبل خلقه عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ... ﴾ ^(٣) .

٢ - الجن :

فإن الخليفة يخلف الجن الذين سكنوا الأرض قبله ^(٤) ، فإن الجن قد خُلِقُوا قبل آدم عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ^(٥) .

فإن تقديم الجن على الإنس إنما هو لتقدم وجودهم على الإنس .

كما أن إبليس - لعنه الله - من الجن على القول الراجح ، وقد اطلع على آدم عليه السلام قبل تمام خلقه ، لأنه داخل فى الأمر فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا

(١) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) ج ١ ص ٦٢

القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ١ ص ٢٢٥

الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) ج ١ ص ٢٧١

(٢) سورة ص : ٧١ - ٧٢ (٣) البقرة : ٣ .

(٤) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ١ ص ٢٢٥

الطبرى : تفسير الطبرى - تحقيق محمود محمد شاكر . دار المعارف بمصر ، ج ١ ص ٤٥ .

الحسين بن محمد الدامغانى : قاموس القرآن (مرجع سابق) ص ١٦٢

(٥) الذاريات : ٥٦

سَوِيَّتُهُ وَتَفَخَّتْ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَفَعُّوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿١﴾ .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء
الله أن يتركه ، فجعل إبليس يُطيف به ، ينظر ما هو ، فلما رآه أجوف عرف أنه
خَلِقَ خَلْقًا لَا يَتَمَالِكُ » (٢) .

٣ - آدم قبل آدم عليه السلام :

وإن هذا القول يعتمد على أساطير هندية عن آدم عليه السلام وأنه كان عبداً
عند سيد منهم فهرب إلى غرب الهند .

كما قال به بعض العلماء المحدثين في محاولة للجمع بين خلق آدم عليه
السلام والجماجم التي تم اكتشافها قريبة من جماجم الإنسان الحالي (٣) . ولقد
سبق مناقشتها في الباب الأول .

كما استدلوا بأقوال بعض الشعراء ، كأبو العلاء المعري (٤) :

جائز أن يكون آدم هذا قبله آدم على إثر آدم

ويؤكد ذلك في قوله :

وما آدم في مذهب العقل واحدٌ ولكنه عند القياس أوادم

ولقد جاءت الإشارة في القرآن الكريم إلى أن آدم عليه السلام
خلق جديد لم يسبقه مثله .

(١) الحجر : ٢٨ - ٣١

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة ، حديث ١١١ ، ج ٤ ص ١٦ .

(٣) البهي الخولي : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٢٤ - ١٢٦

عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء . مؤسسة الحلبي وشركاه ، ط ٢ ، ص ١١

(٤) طه حسين : من تاريخ الأدب العربي . دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٤ .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (١) .

كما أن هنالك « بعض الأساطير اليونانية والفارسية التي تقول بأن هنالك جنساً آخر قبل الإنسان على الأرض ، وهو ما يسمونه بـ « الطم » و « الرم » و « التيتان » والتي تعتبر من التعبير عن غير الموجود والمجهول كالغول وهيان ابن بيان .

وكذلك ما قيل عن مخلوقات أخرى سبقت الإنسان اسمهم « الحن » و « البن » فإنما هي من أوهام وأساطير القدماء » (٢) .

وعلى كل هذه الأقوال الثلاثة السابقة يكون لفظ « خليفة » على وزن « فعيلة » بمعنى « مفعول » أى يخلف ما كان قبله من الملائكة أو الجن أو المخلوقات أخرى سبقته عليه السلام .

٤ - الله تعالى :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٣) .

وإذا كانت الآية لم تذكر المستخلف له ، فإن ما يتبادر إلى ذهن السامع مباشرة ، هو أنه خليفة لله تعالى ، وليس هنالك ما يصرفه عن هذا المعنى من آيات قرآنية أو أحاديث نبوية صحيحة .

كقولك : إني جاعل في الدار خليفة . فالخليفة لك لا لغيرك .

وإن الأرض ملك لله تعالى ، وإن ما يملكه الإنسان إنما هو تملك مجازي كما سبق .

(١) سورة ص : ٧١ - ٧٢

(٢) محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير . الدار التونسية للنشر ، تونس ،

(٣) البقرة : ٣٠

١٩٨٤ ، ج ١ ص ٣٩٩ بتصرف

فقوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ^(١) أى خليفة له ، ومما يُقَوِّى هذا الرأى ما يأتى :

(أ) إن الأقوال السابقة تريد بكلمة « خليفة » معنى : خَلَفَ غيره بعده ؛ أى حل محل مخلوقات أخرى قبله دون أن يكون للمستخلف له أى قوامة على الخليفة ، وإنما هى خلافة زمانية ومكانية .

أما جعله خليفة لله تعالى فيُراد بكلمة « خليفة » معنى النائب أو المفوض ^(٢) ، وهو الذى حل محله فى إجراء أحكامه وتنفيذ إرادته فى عمارة الأرض ^(٣) ، وللمستخلف القوامة على خليفته ، وإن هذه الخلافة من الله تعالى للإنسان فيها تشريف له ، لتلتقى إرادته مع إرادة الله الشرعية فى إحلال النظام فى عمارة الأرض .

(ب) أن الله تعالى أعلن هذه الخلافة فى الملائكة الأعلى قبل ظهورها للحفاوة بالخليفة وتكريمه ^(٤) ، والإشارة إلى أنه ذو شأن عظيم كما تدل عليه « التاء » فى « خليفة » ^(٥) .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ^(٦) .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ^(٧) .

وليس من هذا التكريم والحفاوة شىء للملائكة ، أو للجن ، أو لبشر سبقوه . ولا نجد حكمة لذلك إلا أن تكون خلافة عن الله تعالى ^(٨) .

(١) البقرة : ٣٠ .

(٢) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) ج ٢٦ ص ١٩٩

(٣) مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ١٨٣

(٤) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٢٦ - ١٢٧

(٥) أيوب بن موسى الحسينى : الكلبيات (مرجع سابق) ص ٣٠٠

(٦) البقرة : ٣٠ (٧) سورة ص : ٧١ - ٧٢

(٨) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٢٧

(ج) إن من عناصر وخصائص التكوين للإنسان « الروح » والذي منحه قيس من صفاته تعالى كالإرادة ، والعلم ، والرحمة ، والعدل ... والتي يعلو بها الإنسان على المحسوسات إلى المعاني المجردة كالخير والشر والحق والباطل ... والتي تزدهر بها حياته الباطنية (١) ، والتي عن طريقها يمكن له إدراك ما لم تقع عليه الحواس عن طريق آثارها كما سبق .

قال تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مُهَيَّبٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ، قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

وإن الله تعالى لم يطلب من الملائكة التكريم والحفاوة بآدم عليه السلام قبل نفخ الروح فيه ، وإنما علّق ذلك بنفخ الروح فيه (٣) .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٤) .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ، طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا ، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ : أَذْهَبَ فَسَلَّمَ عَلَى أَوْلَئِكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسًا ، فَاسْتَمَعَ مَا يَحْيُونُكَ ، فَإِنهَا تَحْيِيكَ وَتُحْيِي ذَرِيَّتَكَ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فَقَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، فزادوه : وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، فَكُلٌّ مِنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ ، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الْآنَ » (٥) .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا تُقْبِحُ الْوَجْهَ ، فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى » (٦) .

(١) المرجع السابق : ص ١٣١

(٢) السجدة : ٧ - ٩

(٣) البهي الخولي : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٢٦

(٤) سورة ص : ٧١ - ٧٢

(٥) رواه البخاري في كتاب الاستئذان ، باب : بدء السلام ، ج ٧ ص ١٢٥

(٦) رواه الطبراني في صحيحه بإسناد رجاله ثقات . انظر :

ومن هذا الحديث السابق يترجح أن الضمير في « صورته » في الحديث الأول يعود إلى الله تعالى .

وبذلك يكون المعنى المراد - والله أعلم - بـ « الصورة » الصفة (١) ، وهي ما عبّر عنها بالقبس من صفاته تعالى كالحرية والإرادة والعلم والعدل والرحمة .. والتي منحها الله تعالى للإنسان كما سبق .

فإن عناصر وخصائص التكوين لآدم عليه السلام هي عناصر وخصائص التكوين لذريته ، وإن التكريم له فيه تكريم لذريته ، لأن خلقه وتصويره ، هو خلق وتصوير لذريته ، فالخلافة والتكليف وصف عام للإنسان (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ، قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قَلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (٣) .
ولذلك فمن الأولى أن يكون من انفرد بهذه الخصوصية ، وهذا القبس من صفاته تعالى خليفة له سبحانه .

(د) إن هذه المكانة التي حظى بها الخليفة عند الله تعالى ، وأن كل شيء في الأرض والكون مُسَخَّرٌ له ، وخلق من أجله ، فمن كانت هذه منزلته عند الله تعالى فمن الأولى أن يكون خليفة له سبحانه ، بمعنى النائب أو المفوض .

= ابن حجر العسقلاني : فتح الباري (مرجع سابق) ج ٥ ص ١٨٣

نور الدين الهيثمي : مجمع الزوائد ، دار الكتب ببيروت ، ط ٢ ، ١٩٦٧ م ، ج ٨ ص ١٠٦ .

ابن أبي عاصم : كتاب السنة ، ومعها ظلال الجنة في تخريج السنّة ، للألباني ، المكتب

الإسلامي ببيروت ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) ج ١ ص ٢٢٨ - ٢٢٩

(١) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري (مرجع سابق) ج ١١ ص ٣

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٣ ص ٢٦٠٤

الشوكاني : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٢ ص ١٩١

البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (مرجع سابق) ص ٢٠٠

(٣) الأعراف : ١٠ - ١١

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

(هـ) إن الجن والملائكة وغيرهما من المخلوقات يشاركون الإنسان في العبودية لله تعالى ، ولكن له خصوصية الروح ، وخصوصية حمل الأمانة ، وخصوصية الخلافة كما سيأتي .

ولذلك فمن الأولى أن يكون خليفة الله تعالى بمعنى النائب أو المفوض ، لا لغيره من المخلوقات بمعنى خلف غيره بعده في الزمان المكان .

(و) إذا لم يكن في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴾ تصريح بالمستخلف له ، فقد جاء في الأحاديث النبوية التصريح به .

عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ، ثم لا يصير إلى واحد منهم ، ثم تطلع الرايات السود من قبل الشرق ، فيقتلونكم قتلاً لن يُقتله قوم » ، ثم ذكر شيئاً لا أحفظه ، فقال : « فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج ، فإنه خليفة الله المهدي » (٣) .

(٢) الجاثية : ١٢ - ١٣

(١) لقمان : ٢٠

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب الفتن ، باب : خروج المهدي ، ج ٢ ص ١٣٦٧ ، وصححه الحاكم وابن كثير . انظر :

الحاكم : المستدرک علی الصحیحین (مرجع سابق) ج ٤ ص ٤٦٣

ابن كثير : كتاب الفتن والملاحم ، تحقيق إسماعيل الأنصاري . مؤسسة النور بالرياض ،

١٣٨٨ هـ ، ج ١ ص ٣١

وعن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ،
هُوَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، وَخَلِيفَةُ كِتَابِهِ ، وَخَلِيفَةُ رَسُولِهِ » (١) .

وعن سبيع بن خالد قال : أتيتُ الكوفةَ في زمن فتحت « تستر » أجلب منها
بغلاً ، فدخلتُ المسجدَ فإذا صدع من الرجال ، وإذا رجل جالس ، تعرف إذا
رأيتُه أنه من رجال أهل الحجاز ، قال : قلت : مَنْ هذا ؟ فتجهمني القوم ،
وقالوا : ما تعرف هذا ؟ هذا حذيفة صاحب رسول الله ﷺ ، فقال حذيفة : إن
الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، فأحذقه
القوم بأبصارهم ، فقال : إني قد أرى الذي تنكرون ، إني قلت : يا رسول الله :
أرأيتَ هذا الخير الذي أعطانا الله ، أيبكون بعده شر ، كما كان قبله ؟ قال : نعم ،
قلت : فما العصمة من ذلك ؟ قال : السيف . قلت : يا رسول الله : ثم ماذا
؟ قال : « إن كان لله خليفة في الأرض ، فضرب ظهره وأخذ مالك ، فأطعمه ،
وإلا فمت وأنت عاض بجذل شجرة ... » (٢) .

ولذلك يجب أن يكون المستخلف له فيما لم يُصرَّح به في الآيات القرآنية هو
المستخلف له في هذه الأحاديث النبوية ، كما أن المقتضى اللغوي يقتضى ذلك ،
لأنه هو الذي ينصرف إليه ذهن السامع .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً ﴾ (٣) أى إني جاعل في الأرض خليفة لى (٤) .

(١) السيوطي : الفتح الكبير ، نسخة مصورة عن مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٩٥ حديث ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ج ١ ص ٧٥٦

علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندي : كنز العمال ، ضبطه وفسر غريبه : بكري
حياني ، وصححه ووضع قهارسه : صفوة السقا . مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩ هـ ، ج ٣ ص ٧٥

(٢) رواه أبو داود وأحمد واللفظ لأبي داود في كتاب الفتن ، باب ذكر الفتن ودلائله - خليل
أحمد السهارنفوري : بذل المجهود في حلال أبي داود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج ١٧ ص
١٣٦ - ١٣٩ . - وصححه الحاكم في المستدرج - على الصحيحين (مرجع سابق) ج ٤ ص ٤٢٣

(٣) البقرة : ٣ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ١ ص ٢٢٥

كقولك : إني جاعل في الدار خليفة . أى خليفة لى .

وقال تعالى : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (١) .

أى : يا داود إنا جعلناك خليفة لنا فى الأرض (٢) .

كقولك : إنا جعلناك خليفة فى الدار . أى خليفة لنا فى الدار .

وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ، أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ ، قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

فـ « خلفاء » مضاف و « الأرض » مضاف إليه أى : خلفاء الأرض ذاتها ، ولذلك فالمعنى : خلفاء له فى الأرض ، بصرف النظر عما سبقوه عليها (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥) .

فـ « خلائف » مضاف و « الأرض » مضاف إليه أى : خلائف الأرض ذاتها ، ولذلك فالمعنى : خلائف له فى الأرض (٦) بصرف النظر عما سبقوه عليها .

وقال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَتَبَايَعُوا فِئْتَانًا مِنْ أُمَّةٍ قَدِ افْتَرَيْنَاهُنَّ فِى الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ

(١) سورة ص : ٢٦

(٢) الزمخشري : الكشاف (مرجع سابق) ج ٣ ص ٣٧٧

(٣) النمل : ٦٢

(٤) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٨٠

(٥) الأنعام : ١٦٥

(٦) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٢ ص ١٨٦

الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) ج ١٤ ص ١٥

أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٨٠

خَلَائِفَ وَأَعْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ، فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُنذَرِينَ ﴿ ١١ ﴾ .

أى : وجعلناهم خلائف لنا ... ولذلك تتضمن الآية أمرين وهما : الخلافة
للمؤمنين ، وإغراق الذين كفروا .

وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ
دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا
يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢) .

أى : يجعلهم خلفاء له فى الأرض ، كما جعل خلفاء له من قبلهم (٣) .

كقولك : استخلفتك فى الدار كما استخلفت الذى من قبلك .

أى : جعلتك خليفة لى فى الدار كما جعلت خليفة لى الذى من قبلك .

وقال تعالى : ﴿ قَالُوا أَوْدَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِينَا وَمَنْ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا ،
قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .

أى : يجعلكم خلفاء له فى الأرض ، فتتضمن الآية نعمتين وهما : إهلاك
عدوهم ، والخلافة عن الله تعالى فى الأرض .

وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ،
وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ، إِنْ رَأَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
حَفِيفًا ﴾ (٥) .

أى : ويجعل خلفاء له غيركم ...

وإذا تقرّر أن الإنسان خليفة لله تعالى ، فإن مقتضى القول فى الآيات
القرآنية التى صرّح فيها بالمستخلف له هو تطابق المعنيين لكلمة « خَلَفَ » ،
وتحققهما فى آن واحد (٦) كما سبق - وهما بإيجاز :

(١) يونس : ٧٣ (٢) النور : ٥٥

(٣) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٤ ص ٤٧

(٤) الأعراف : ١٢٩ (٥) هود : ٥٧

(٦) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٨٠

(أ) « خَلَفَ » بمعنى خَلَفَ غيره بعده ، وحل محله دون أن يكون للمستخلف أى قوامة على الخليفة ، وإنما هى خلافة زمانية ومكانية كالوارث والموروث .

(ب) « خلف » بمعنى النائب أو المفوض ، ويكون للمستخلف القوامة على خليفته ، كالوكيل والموكِّل .

كقولك : استخلفتك من بعد زيد . أى جعلتك خليفة لى بعد خليفتى زيد .

فالمتكلم هو الذى جعل المخاطب يخلف زيدا فى مكانه ومحلّه ، وهو الذى جعل المخاطب خليفة له .

وليس هنالك ما يمنع من انطباق وتحقيق المعنيين فى ذلك ، وهذا ما نشاهده فى الآيات القرآنية التالية (١) :

قال تعالى : ﴿ ... وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصُطَةً ، فَأذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .
أى : جعلكم خلفاء له مكان قوم نوح .

ولم يقل « خلفاء قوم نوح » إشارة إلى البعد الزمنى بينهما ، وخص قوم نوح هنا بالذكر لأخذ العبرة من مآلهم ومصيرهم الذى حل بهم ، حتى لا يغتر قوم عاد بما منحهم الله تعالى من زيادة فى الخلق ، ويسطة فيه ، مما لم يكن مثلهم فى زمانهم ، فهم خلفاء الله تعالى من جهة بمعنى النائب أو المفوض ، كما أنهم خلفوا قوم نوح فى الزمان والمكان ، أو فى الزمان فقط من جهة أخرى (٣) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ

(١) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٨٠ .

(٢) الأعراف : ٦٩ .

(٣) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) ج ٢ ص ٢٣٩ .

الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٢ ص ٢١٨ .

فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ، فَادْكُرُوا
آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١﴾ .

أى : جعلكم خلفاء له مكان قوم عاد (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

أى : جعلناكم خلفاء لنا مكانهم .

وقوله تعالى : ﴿ ... إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ
كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾ (٤) .

أى : يجعل آخرين خلفاء له مكانهم (٥) .

ففى كل من الآيات السابقة نجد أنها تتضمن « خَلَفَ » بمعنى « الخلف » ، و« خَلَفَ »
بمعنى « النائب » أو « المفوض » ، وأن المعنيين يتحققان ويتطابقان فى آن واحد .

ولقد جاءت الإشارة الصريحة فى القرآن الكريم إلى أن الإنسان مُسْتَخْلَفٌ من
قِبَلِهِ تعالى فى بعض نشاطاته وفعالياته .

قال تعالى : ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ
فِيهِ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (٦) .

ولا شك أن النشاط الاقتصادى جزء مهم من الفعاليات الإنسانية فى الحياة
على هذه الأرض .

وأن الكثير من نشاطاته الأخرى لا تقل أهمية عن نشاطه الاقتصادى .

ولذلك فمن باب أولى أن تكون فى حكمه .

* * *

(١) الأعراف : ٧٤

(٢) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) ج ٣ ص ٢٤٢

(٤) الأنعام : ١٣٣

(٣) يونس : ١٤

(٦) الحديد : ٧

(٥) الزمخشري : الكشاف (مرجع سابق) ج ٣ ص ٢١١

الفصل الثانى

الإنسان والخلافة

مما سبق يتضح أن الإنسان هو خليفة الله فى الأرض ، وأنها خصوصية له لم تكن لغيره من المخلوقات .

ولا شك أن لهذه الخلافة مقوماتها التى تتعلق بالخليفة ذاته ، وبما استُخْلِفَ فيه ، ولكل مقومٍ دور بارز فى تحقيقها ، وفيما يلى تفصيل ذلك :

١- الإنسان :

لقد سبق الحديث عن عناصر التكوين للإنسان ، وخصائصه التى يتمتع بها ، مما يفرض على أن أتجنب التكرار ، وأن أوجز فيما أضطر إلى إعادته .

إن الإنسان يتكوّن من عنصرين :

(أ) الجانب المادى :

وهو الجسد الذى يتكوّن من عناصر الطين (الماء + التراب) ، وإن هذا الجانب له حاجاته التى تتعلق بالدوافع الفطرية العضوية كالجوع ، والعطش ، والتنفس للهواء الطلق ...

وإن مقادير هذه العناصر تختلف حسب أهمية كل عنصر ، وإن نقص أى عنصر منها يُعتبر حالة مرضية ، وقد يصل بالإنسان إلى الموت كما سبق (١) .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ (٢) .

(١) د . خالص الجلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ج ١ ص ٢ ، ٤٧ .

البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٢٠ .

(٢) المؤمنون : ١٢

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ، وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ (٢) .

(ب) الجانب الروحي :

وهو ما منحه الله تعالى للإنسان ، فاتصف بقبس من صفاته سبحانه ، كالعلم ، والحرية ، والإرادة ... (٣) .

كما منحه دوافع نفسية واعية كحب التدين ، وحب التملك ، وحب الخلود ... (٤) .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (٦) .

وإن هناك علاقة وثيقة بين عنصرى التكوين ، وتأثيراً متبادلاً بينهما لا يمكن معها فصل أحدهما عن الآخر ، فهما يشكلان وحدة متمتزة ، وإن الإفراط أو التفريط فى أحدهما على حساب الآخر لا يتفق مع طبيعة الإنسان ، فالازدواجية

(٢) طه : ٥٥

(١) الأنعام : ٢

(٣) البهي المحولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٣٣ ، ٤٩ - ٥٠ .

أبو الأعلى المودودي : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٨٣

(٤) جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٦١٤

د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٣٥ ، ١٤٣ ، ١٤٤

فيشته : غاية الإنسان (مرجع سابق) ص ١٨٤ - ١٨٥

(٦) الحجر : ٢٨ - ٣٠

(٥) سورة ص ٧١ - ٧٢

ليست أمراً طارئاً عليه ، وإنما هي طبيعته التي خُلِقَ عليها ، واستحق بها
الخلافة لتحقيق التعادلة والاتزان بينهما (١) .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا
سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ
لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ
حَلَالًا طَيِّبًا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا
وَلَا تُسْرِفُوا ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ
لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج
النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا :
وأين نحن من النبي ﷺ ، قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم :
أما أنا فإنى أصلى الليل أبداً ، قال آخر : أنا أصوم الدهر ، ولا أفطر ، وقال
آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين

(١) د . مصطفى سوري : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣١

د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤١

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٧٦

(٣) النساء : ٢٨

(٢) سورة ص ٧١ - ٧٢

(٥) الأعراف : ٣١ - ٣٣

(٤) المائدة : ٨٧ - ٨٨

قلتم كذا وكذا ، أما والله إنى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » (١) .

وإن التقسيم للدوافع إلى دوافع فطرية نفسية ، ودوافع فطرية عضوية ، ودوافع نفسية مكتسبة ، إنما هو تقسيم يقتضيه المنهج العلمى فى دراستها وإلا فإنها تمتزج فى كيان واحد فى السلوك العلمى للإنسان .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٢) .

وحيث إن من عناصر التكوين للإنسان عناصر الأرض ، فإنه الأجدر والأقدر على التعامل معها ، لأنه مخلوق منها .

وإن حاجاته العضوية ترتبط بها ارتباطاً قوياً فلا يستطيع الفكاك منها ، لأنه دونها يفقد حياته .

كما أن المخلوقات الأرضية المرئية كالحیوانات ، والطيور ، والأسماك ، والنباتات ... تتكون عناصرها من عناصر الأرض ، وهى مما سُخِّرَ للإنسان للاستفادة منها ، وهو القادر على التعامل معها جميعاً ، لتفوقه عليها ، بما منحه الله من قُدرات عقلية ونفسية ، لم تكن لغيره من المخلوقات (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ

(١) رواه البخارى فى كتاب النكاح ، باب : الترغيب فى النكاح ، ج ٦ ص ١١٦

(٢) الشمس : ٧ - ١٠ .

(٣) الراغب الأصفهانى : تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتین ، دار مكتبة الحياة بیروت ،

(٤) الجاثية : ١٣

١٩٨٣ م ، ص ٦٢ - ٦٣

وَالْأَنْعَامَ مَا تَرْكَبُونَ * لَتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُونَ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، وَالنَّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٣) .

وأما الملائكة فإنهم خُلِقوا من عنصر آخر غير أرضي ، وهو النور .

عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ ، وَخُلِقَ الْجَانُ مِنْ مَرَجٍ مِنْ نَارٍ ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ » (٤) .

وليس للملائكة خصائص التكوين للإنسان ، كالحرية والإرادة والتعلم ...

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقْوُدْهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (٦) .

٧. (٣) الإسراء : .

(٢) النحل : ١٢ - ١٤

(١) الزخرف : ١٢ - ١٣

(٤) رواه مسلم في كتاب الزهد ، حديث ٦٠ ، ج ٤ ص ٢٢٩٤

(٦) البقرة : ٣١ - ٣٢

(٥) التحريم : ٦

وأما الجن فإنهم لم يُخلَقوا من عناصر الأرض كلها ، وإنما خُلِقوا من بعض عناصرها غير المرئية عن طريق التحول ، فهم إنما خُلِقُوا من مارج من نار .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُومِ ﴾ (١) .

ولقد ورد في السُّنَّة النبوية أن غِذاءهم من العظم والروث مما يُشير إلى أنه من عناصرها غير المرئية ، حيث إن كلاً منهما لا يفنى عن إدراكنا إلا بعض عناصرها غير المرئية ، لأن المواد الجيرية والفسفورية لها خواص نارية ، ولو كان غذاؤهم في عناصرها المرئية لتم رؤيتهم (٢) .

عن أبي هريرة رضى الله عنه « أنه كان يحمل مع النبي ﷺ أداة لوضوئه وحاجته ، فبينما هو يتبعه بها فقال : من هذا ؟ ، فقال : أنا أبو هريرة . فقال : أبغى أحجاراً أستنفض بها ولا تأتني بعظم ولا بروثة . فأتيته بأحجار أحملها بطرف ثوبي حتى وضعتها إلى جنبه ثم انصرفت حتى إذا فرغ مشيت معه فقلت : ما بال العظم والروثة ؟ قال : هما من طعام الجن » (٣) .

وكذلك فإن استغناء الجن عن الأوكجسين في الغلاف الجوى ، يدل على أنه ليس من عناصر تكوينهم .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴾ (٤) .

وأما الإنسان فإنه بحاجة عضوية لعناصر الأرض جميعها بما فيها الأوكجسين بنسبته الموجودة في الغلاف الجوى للكورة الأرضية كما سبق .

كما أن من عناصر التكوين للإنسان الروح ، الذى منحه قيس من صفاته تعالى ، والذى تزدهر بها حياته الباطنية والعقلية ، والذى كان له على أساسها دوافعه الفطرية النفسية ، والنفسية المكتسبة ، والذى تتصف جميعاً بأنها واعية ، بعكس الدوافع عند الحيوانات والنباتات ... التى تُعتبر عمياء كما سبق .

(١) الحجر : ٢٦ - ٢٧ (٢) محمد سلامة جبر : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ص ٧ .

(٣) رواه البخارى فى كتاب مناقب الأنصار ، باب : ذكر الجن ، ج ٤ ص ٢٤٠ - ٢٤١

(٤) الحجر : ١٦ - ١٨

ولقد أكرم الله تعالى الإنسان بحسن الخلق والخلق ، مما جعله فى قمة المخلوقات ، وجعل الله تعالى له المشاركة فى عمارة الأرض .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٣) .

وإن الإنسان إذا اتصف بصفات عالية ، فهى صفات له كإنسان ولعل أهمها :

(أ) التعلم :

إن الإنسان له قدراته وإمكانياته العقلية ، التى يستطيع بها أن يدرك ما تقع عليه حواسه ، والتى تُغذى حياته الباطنية بالمعانى المجردة التى تُوحى بها .

كما أن الإنسان يتمتع بالقدرة على إعطاء هذه المدركات وما تُوحى به المصطلحات اللغوية ، التى يستطيع بها أن يُعبّر عنها ، بالبيان ، والقراءة ، والكتابة ، فيستطيع أن يُدوّن معلوماته وخبراته له وللآخرين ، وأن تبادل هذه المعلومات والخبرات يُثرى الحياة فى مسيرتها العلمية والعملية ، فيصل الإنسان بها إلى مزيد من الرُقَى (٤) .

وأن للإنسان دافع حب الاستطلاع ، الذى يدفعه إلى تحصيل المعارف ، وكأنها هدفه ، فتزدهر حياته الباطنية والعملية ، فتزدهر الحياة فى تحقيق

(١) التين : ٤ (٢) الصافات : ١٢٣ - ١٢٥ (٣) الإسراء : ٧٠

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) - ج ١ ص ٥٧

محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتوير (مرجع سابق) ج ١ ص ٤٠٩ - ٤١٠

عبد الكريم الخطيب : الإنسان (مرجع سابق) ص ٢٥ - ٢٦

الأهداف الإنسانية ، عن طريق دوافع ذاتية للأفراد ، فالتقدم العلمي هدف أصيل في الحياة (١) .

وإن التعلم هو موضوع الامتحان بين آدم عليه السلام والملائكة في الملا الأعلى .

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٢) .

وإن الفوز في هذا الامتحان من قبل آدم عليه السلام يعنى أن دائرة التعلم - القدرات العقلية - عند الإنسان أوسع من دائرته عند غيره من المخلوقات ، وإن الإشارة إلى العلم في هذا المقام تدل على أنه قمة مقومات الإنسان للخلافة في الأرض .

وإذا كانت دائرة القدرات العقلية عند الإنسان أوسع من بقية المخلوقات فإن دائرة الاستثمار لها أوسع .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرْهُ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ ، إِنْ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٤) .

وإن هناك عوامل كثيرة تؤثر على العمليات العقلية في صحة أحكامها ، فمنها ما يتعلق بعوامل كامنة في الذات كقوة الذكاء وضعفه ، ودقة الحواس

(١) محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام (مرجع سابق) ص ٨٣

(٤) الحديد : ٢٥

(٣) هود : ٦١

(٢) البقرة : ٣١ - ٣٣

وضعفها ، ومنها ما يتعلق بعوامل خارجية تُؤثر عليها كالخبرات الانفعالية ،
التي لها أثر كبير في تسهيل أو عرقلة الإدراك كالحب والكُره ... (١)

عن عائشة عن النبي ﷺ قال : « رُفِعَ القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى
يستيقظ ، وعن الصغير حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل » (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ،
أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ، قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ ، وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ، أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا
عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوْ لَوْ كُنَّا آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٤) .

كما أن الحواس تقع في أخطاء في عملية الإدراك والذي يؤدي إلى أخطاء
في الحكم على المدركات كخداع البصر (٥) .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ
مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ، وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ ، وَاللَّهُ
سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٦) .

وإن القدرات العقلية محكم - أحياناً - على الإدراكات الحسية في صحتها
وخطئها عن طريق التجارب والخبرات السابقة ، لما للمحسوسات من اتفاقات
واختلافات توحى بمعقولاتها التي تحكم بها على الحواس .

(١) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤٥٠ - ٤٥١

أحمد يوسف : أسس التربية وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٦ - ٣٠ .

سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٥٠

(٢) رواه الدارمي في كتاب الحدود ، باب : رُفِعَ القلم عن ثلاثة ، ج ٢ ص ١٧١

(٣) فصلت : ٤٤ (٤) البقرة : ١٧٠

(٥) أبو علي أحمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، دار الحياة ببيروت ، ط ٢ ص ٣٢

(٦) النور : ٣٩

ولذلك فإن القدرات العقلية تعلق على الحواس ، وتحكم عليها ، فهي أعلى مرتبة منها (١) .

قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٢) .

وإذا كانت العمليات العقلية تعلق على الحواس فإن الإنسان يعلو بها في عملية إشباعها ، فالمعلومات والخبرات السابقة لديه ودرجة تشرُّبه بها تُوحى إليه بجوانب الخير ، وجوانب الشر ، وعن طريق الدوافع النفسية يلزم الطيبات ، وينبذ الرذائل .

قال تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ، أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (٣) .

وعن وابصة بن معبد الأسدي أن رسول الله ﷺ قال لوابصة : « جئت تسأل عن البر والإثم ؟ قال : نعم . قال : فجمع أصابعه فضرب بها صدره ، وقال : « استفت نفسك ، استفت قلبك يا وابصة - ثلاثاً - البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في النفس ، وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » (٤) .

وإن القرآن الكريم قد وضع الكون كله مكان تأمل وتفكير للإنسان ليخرج بإدراكاته العلمية للطبيعة ، وسُننها وقوانينها ، وخصائصها ، بدوافع ذاتية .

وإن القيمة الحقيقية لتلك الإدراكات الإنسانية تكمن في عملية الاستثمار لها ، وتوجيهها بما تُوحى إليه من معاني باطنية ، والتي ستصل به إلى مسائل

(١) أبو علي أحمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق (مرجع سابق) ص ٣٢

(٢) الحج : ٤٦ (٣) الحجرات : ٧

(٤) رواه الدارمي في كتاب البيوع ، باب : دع ما يربك إلى ما لا يربك ، ج ٢ ص ٢٤٥ - ٢٤٦

اجتماعية واقتصادية ... فيجب أن لا يأخذ منها إدراكاته الحسية فقط ، ولكن يجب أن يأخذ منها إدراكاته المعنوية ، التى هى قيمة الإنسان ، والتى تُحتم عليه أن يكون استثمارها ، وتوجيهها نحو العمل الصالح ، فليست قيمة العلم فى اكتشاف الجديد بقدر قيمته فى توجيه الاستثمار .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمَنْ كُلَّ الثَّمَرَاتِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأُ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

وبذلك ندرك مدى ضعف الإنسان أمام حجم المسائل التى تُحيط به ، وأن علمه يمكن أن تُحيط به الكثير من العقبات ، التى تجعله يخرج من كل علم بمسائل تُحيط به من آثارها ، ولا يمكن أن تكتمل أسلوب التوجيه والاستثمار لها إلا وفق أصول وقواعد ثابتة ، تتفق مع خصائص التكوين للإنسان ، لأنه يعيش فى مسائله بين العلم والجهل وما بينهما .

قال تعالى : ﴿ إِنْ عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ، فطَرَتَ اللَّهُ التِّي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

(ب) الإرادة :

لقد سبق الحديث عن الدوافع الإنسانية ، وأن له دوافعه الروحية التي هي قيس من صفاته تعالى ، وأن له دوافعه الفطرية العضوية التي تعتبر دوافع إلزامية في عملية إشباعها ، وأن له دوافعه الفطرية النفسية التي ترتبط بالدوافع العضوية كحب التملك وحب الخلود ... وأنها أقرب للإلزام منه للاختيار .

وأن للإنسان خبراته الانفعالية ، التي تُعتبر دوافع مكتسبة نفسه ، تُسهّل أو تُعرقل سلوكه ، والتي يكتسبها في حياته العملية من البيئة الخارجية ، وتعامله معها ، والتي تُوحى إليه بصفات إيجابية أو سلبية ليس له فيها اختيار ذاتي ، أو تُقلّل نسبة الاختيار .

ولذلك فإن سلوك الإنسان الذي تدفعه إليه خبرات انفعالية فقط كالحب والكُره .. والتي يتّصف بها من تعامله مع البيئة لا يستحق عليها ثواباً ، وإن كانت صالحة ، لأنها إرادة عن نزوات و رغائب ذاتية أو اجتماعية .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يُولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء » (١) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « تجدون الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا افقهوا ، وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية ، وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ويأتى هؤلاء بوجه » (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣) .

(١) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : ما قيل فى أولاد المشركين : ج ٢ ص ١٠٤

(٢) رواه البخارى فى كتاب المناقب ، باب قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات ١٣) ج ٤

(٣) المائدة : ٥

وحيث إن الإنسان إنما خُلِقَ لغاية عُلْيَا ، وهى العبادة لله تعالى ، والعبادة ليست استجلاب لعنصر غريب عن الإنسان ، وإنما له دافع التدين الذى يعتبر أقرب للاختيار منه للإلزام الذاتى (١) .

قال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ، إِنَّا اعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ... ﴾ (٢) .

وإن الإيمان الحق هو الذى يُشبع هذا الدافع ، وهو الذى تتجه إليه مقاصد السلوك الإنسانى ، فيعلو بالصفات الإيجابية ، ويتخلص من الصفات السلبية وفق أصول وقواعد وأحكام ثابتة .

وإن الإنسان له اختيار ذاتى فى رفع ذلك إلى الله تعالى ، ومجاهدة النفس فى ذلك ، ولكل مجاهدة ، ولكل أجر ، سواء فى إعلاء الصفات الإيجابية أو فى التخلص من الصفات السلبية ، والصفات الإيجابية التى يكتسبها الإنسان من البيئة نعمة تستحق الحمد فى إعلائها ، كما أن الصفات السلبية ابتلاء وامتحان تستوجب المجاهدة للتخلص منها .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) .

ولذلك فإرادة الفضيلة وسط بين أطراف كإرادة العفة التى هى وسط بين الشره فى الشهوة وجمود الشهوة ، والحياء بين الوقاحة والحرق أى شدة الحياء (٤) .

وإن هذا الإيمان الموافق للفطرة الإنسانية يجد أرضاً خصبة عند الإنسان ، ليكون دافعاً أقرب للإلزام منه للاختيار وهو ما عبّر عنه الرسول ﷺ بحلاوة الإيمان .

(١) محمد الغزالي : نظرات فى القرآن (مرجع سابق) ص ٦ .

(٢) الكهف : ٢٩ (٣) الأنعام : ١٦٥

(٤) أبو على أحمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق (مرجع سابق) ص ٣٧

عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار » (١) .

وبهذا الإيمان تتحقق التعادلة والاتزان فى إشباع الدوافع الإنسانية لتتصف بصفات إيجابية ، تعمل على تقوية الإرادة فى عملية توجيه السلوك وترشيده ، عن طريق الرعاية والاستجابة للنفس اللوامة ، لتصل به إلى النفس مطمئنة بوعد الله تعالى ، فلا يجد صعوبة فى الاستجابة لها فيما يدعو إليه من الحق والخير .

قال تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّاتِي ﴾ (٣) .

وإن لكل إنسان تفاعله الخاص مع عناصر تكوينه ، ومع البيئة التى يعيش فيها ، والذي لا يشاركه فيه غيره كالتعلم والإرادة والعمل ... فمن كان عمله أصدق واختياره أفضل ، وعمله أصح كان أكمل فى الإنسانية (٤) .

قال تعالى : ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا أَتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا * إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (٥) .

وإذا كان الإنسان فى طبيعة خلقه يتصف بالضعف فى العلم والإرادة ... لعوامل كثيرة تؤثر عليهما - كما سبق - فإن للعقيدة الإسلامية أسلوب علاجها مما يعتره من عيوب تخرق عملية الاتزان والتعادلية ، وهو التوبة الصادقة ،

(١) رواه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب : حلاوة الإيمان ، ج ١ ص ٩

(٢) القيامة : ١ - ٢ (٣) الفجر : ٢٧ - ٣٠

(٤) أبو على أحمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق (مرجع سابق) ص ٣٥ - ٣٦

(٥) مريم : ٩٣ - ٩٦

والندم عليها ، والعزم على أن لا يعود إليها (١) ، فإن التوبة تسمى بالإرادة من الضعف إلى القوة .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ وَكَمْ يَصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

ولقد عصى آدم وزوجه بإرادتهما ، فتعكّر صفوهما .
قال تعالى : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ (٣) .

كما تابا إلى الله تعالى بإرادتهما .

قال تعالى : ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٥) .

وإن ذلك من طبيعتهما التي أرادها الله تعالى للإنسان ، وهي مما يحتاج إليه في تقدير الذات ، لما للانفعالات من قيمة عظيمة في حياة الإنسان ، وإثرائها .
فإن للإنسان إرادة في توجيه سلوكه في عملية إشباع دوافعه الواعية لما منحه الله من دوافع روحية هي قبس من صفاته تعالى ، وهذه الإرادة المبنية على أسس من الحرية والاختيار ... ويترتب عليها المسؤولية في الانضباط والانتظام في إدارة السلوك وفق أصول وقواعد وأحكام تتناسب معه في تفاعله الداخلي ، وتفاعله مع البيئة .

قال تعالى : ﴿ وَتَنفُسٌ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٦) .

(١) ابن القيم : مدارج السالكين (مرجع سابق) ج ١ ص ٣١٤ - ٣١٥

(٤) البقرة : ٣٧

(٣) طه : ١٢١

(٢) آل عمران : ١٣٥

(٦) الشمس : ٧ - ١٠

(٥) الأعراف : ٢٣

وإن التفاوت فى القدرات والاستعدادات (الجسمية والعقلية والنفسية) له أثر كبير فى عملية تصنيف الناس إلى قدرات مختلفة فى المجتمع والى لها دور فى تحقيق التكامل فى عمارة الأرض (١) .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ أَهْمُ يَقْسُمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا ، وَرَحِمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٣) .

وإن التفاوت بين الناس إنما هو تفاوت فى النعم ، الذى يترتب عليه تفاوت فى التكليف .

قال تعالى : ﴿ لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ، رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ، رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا ، أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٤) .

وإن الإنسان عالم صغير بجسده أمام هذا الكون الفسيح ، وله فيه إدراكاته ، وحركته ، واتصاله ، ولكن يضل فى باب التأمل والتفكير له جوانبه الواسعة الخفية والغامضة ، كما أن للعالم الواسع جوانبه الخفية والغامضة (٥) .

ولقد منح الله تعالى الإنسان المواهب والقدرات للتأمل والتفكير فى العالمين .

(١) أبو على أحمد بن مسكويه : الفوز الأصفر ، دار مكتبة الحياة ببيروت ص ١٠٥ - ١٠٧ .
أبو على أحمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق (مرجع سابق) ص ٣٧
عبد القادر عودة : المال والحكم فى الإسلام ، المختار الإسلامى ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٣٩٧ هـ ،

ص ١٢ - ١٤

(٢) الأنعام : ١٦٥ (٣) الزخرف : ٣٢ (٤) البقرة : ٢٨٦

(٥) أبو على أحمد بن مسكويه : الفوز الأصفر (مرجع سابق) ص ٩٢

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٦٤ - ٦٥

قال تعالى : ﴿ سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١) .
 وقال تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ ، أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٢) .

٢ - الأرض والكون :

إن الاطلاع على الدراسات الحديثة عن الكون ، مما تم إدراكه من بعض المجموعات والمجرات الكونية ، وما لها من سنن وقوانين ثابتة ودقيقة ، تجعل الإنسان يرى بعينه الإبداع والقدرة على الخلق ، وأنه لا يزن جناح بعوضة بالقياس إلى هذا الكون في جانبه المادى .

وإن لهذه القوانين والسنن أهمية كبيرة في استمراره في الوجود ، واستقراره وأمنه ، وفي حياته ومعيشته على الأرض بجميع قواها ، وجميع جوانب ومساائل حياته الاجتماعية والاقتصادية ... (٣) .

وبذلك ندرك شيئاً من التسخير الذى جعله الله تعالى للإنسان من قبل هذا الكون فى حياته .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَكَتَبْتُغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٥) .

(١) فصلت : ٥٣

(٢) الذاريات : ٢٠ - ٢١

(٣) آلن هاينك : أسرار الكون ، ترجمة د . سيد رمضان هدارة ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة خاصة ص ٢٩ - ٤٥

(٤) الجاثية : ١٢ - ١٣

(٥) لقمان : ٢٠

وإن هذا التسخير العام لقوانين وسُنن الكون يصحبه تسخير خاص لقوانين وسُنن الأرض وما تحتوى عليه من خيرات ومنافع ، له استثمارها بما منحه الله تعالى من مواهب وقدرات موازية لها (١) .

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَأَتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَاءٍ سَائِطُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ (٤) .

وإن هذا التناسق والتناسب والإبداع فى الخلق يوحى للإنسان بأنه لم يُخلق عبثاً .

قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٥) .

وإن الإنسان ليس غريباً عن الأرض ، لأنه خُلِقَ منها ، وهو أولى بالخلافة فيها لما لديه من خصائص التكوين ، ولا يستطيع أن ينقطع عنها ، لأن بعض عناصره تتكوّن منها ، ففيها بقاؤه ، ولذلك يلزم اتصاله بها ، وهى المُسَخَّرة له لتناسبه .

(١) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٦٤ - ٦٥

صلاح عبد القادر البكرى : القرآن وبناء الإنسان ، مطبوعات تهامة ، جدة ، ط ١ ،

١٤٠٣ هـ ، ص ٥٤

عمر سليمان الأشقر : العقيدة فى الله (مرجع سابق) ص ٨٧

(٣) النحل : ١٤

(٢) إبراهيم : ٣٢ - ٣٤

(٥) المؤمنون : ١١٥

(٤) سورة ص : ٣٦

وإن هذه الأرض هي التي فهمتها الملائكة من قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴾ (١) .

وإن الكواكب الأخرى لها أسماء في الملا الأعلى غير الأرض لما يدل عليه التعريف بـ « ال » ، فهي المعهودة عند الملائكة ، ولا يمكن أن يكون للإنسان وجود حر منفصل عن هذه الأرض في أى كوكب آخر .

وإن هذه الكواكب مُسَخَّرَةٌ للإنسان بما يستفيد منها على الأرض كالليل والنهار ، والحجارة ، والبرودة ، والزراعة ، والملاحة ...

فالكون مُسَخَّرٌ لفعاليات الإنسان ونشاطه للقيام بمهمة الخلافة عن الله تعالى في الأرض (٢) .

وإن المُلْكُ للكون والأرض لله تعالى ، وهو ما لا يختلف فيه عاقلان ، وإن اختلفوا في تسميته سبحانه (٣) .

قال تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤) .

أما المُلْكُ بالنسبة للإنسان فإنه مُلْكُ حيازة محدودة في الزمان والمكان ، وهو حق انتفاع ورعاية يتضمن تحمل المسؤولية .

كما أن الله تعالى لم يخلق هذه القوانين والسُننَ والمنافع التي تُحيط بالإنسان لنفسه ، وإنما خلقها للإنسان (٥) .

(١) البقرة : ٣٠ .

(٢) د . حسن صعب : الإسلام والإنسان (مرجع سابق) ص ٨٥

(٣) البهي الخولي : الثروة في ظل الإسلام (مرجع سابق) ص ٦١

أبو الأعلى المودودي : الخلافة والملك ، ترجمة أحمد إدريس . دار القلم بالكويت ، ط ١ ، ١٣٩٨هـ ، ص ٩ - ١١ (٤) المائدة : ١٢ .

(٥) د . ابراهيم إبراهيم هلال : الدين وقيادة الدنيا ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ص ١١٦

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ، قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٣) .

وإن التسخير الذي يُحيط بالإنسان من كل جانب ، والقدرات والمواهب - الجسمية ، والنفسية ، والعقلية - الموازنة له تجعل الإنسان لديه القدرة على الكشف عن أسرار هذا الكون ومنافعه (٤) .

بل إن الطموح يدفع الإنسان إلى مزيد من التحسين والتفوق في الاستثمار ، ودوره ينتهي بنقطة بداية الطموح الآخر ... وهكذا إلى أن لا ينتهي دور العمارة (٥) .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ تَتَوَبَّوْا إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (٦) .

وإن هذا التسخير وهذه المواهب والقدرات نعمة وتكريم من الله تعالى للإنسان ، ومقدمة للاستخلاف ، تُعينه على القيام بمهمة العبادة لله تعالى (٧) .

(١) البقرة : ٢٩

(٢) الأعراف : ١٠

(٣) الحج : ٦٤

(٤) د . إبراهيم إبراهيم هلال : الدين وقيادة الدنيا (مرجع سابق) ص ١١٣

(٥) الراغب الأصفهاني : تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتين (مرجع سابق) ص ٥٢

(٦) هود : ٦١

(٧) البهي الخولي : الثروة في ظل الإسلام (مرجع سابق) ص ٦٩

د . إبراهيم إبراهيم هلال : الدين وقيادة الدنيا (مرجع سابق) ص ١١٣

ولذلك فإن العمارة المادية تكاد تكون إلزامية ، لارتباط النشاط الإنساني فيها بالدوافع العضوية والدوافع النفسية القريبة منها ، والتي تعتبر إلزامية لحركة ونشاط الإنسان .

ولكن هذه العمارة ليست مقصودة لذاتها ، وإنما لهدف أسمى وأشرف وهو العبادة لله تعالى ، والتي توافق خصائص تكوين الإنسان وليست غريبة عنه (١) .

قال تعالى : ﴿ وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلُقَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَا فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ، فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ، كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمَنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ (٤) .

ولذلك فإن مقام الإنسان في استثمار جميع خصائصه وما سُخِّرَ له عن اتزان وتعادلية ، وليس في استثمار بعضها دون بعض سواء أكانت مادية أو روحية .

وإن اختراق هذه التعادلية والاتزان ينزل بالإنسان من مقامه العالى ، مما لا تتصف به الحيوانات فى النزول من مقامها ، ولذلك فإن الإنسان بذلك يهبط إلى مستوى أقل منها .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ ﴾ (٥) .

(١) البهى الحولى : الثروة فى ظل الإسلام (مرجع سابق) ص ٦٧ - ٦٨

(٢) الأعراف : ٧٤ (٣) يونس : ١٣ - ١٤

(٤) الشعراء : ١٤٦ - ١٥٠ (٥) الأعراف : ١٧٩

ولقد أودع الله تعالى الإنسان خصائصه ، ومنحه التسخير للكون لاستثمارهما فى عمارة الأرض تكريماً له ، وعوناً له للقيام بمسؤولية العبادة لله تعالى وحده التى خُلِقَ من أجلها (١) .

ولذلك فإن الإنسان إما أن يقابل هذا التكريم بالحمد والشكر عن طريق الإيمان ، والقيام بالتكليف ، الذى يحقق له التعادلية والاتزان فى خصائصه .

وإما أن يقابل هذا التكريم بالكفر الذى يكون من عوامل كثيرة مؤثرة على الذات - كما سبق - وقد يصل إلى تأليه الإنسان لغروره بما مُنح من مواهب وقدرات وما سُخِّرَ له فى الكون (٢) .

ولذلك فإن الإنسان المؤمن المهتدى بمنهج الله تعالى أولى فى هذه العمارة ، لأنها تتفق مع جميع خصائصه ، ولأن جميع خصائصه تم استثمارها فى العمارة .

ولذلك فإن المنهج الإلهى له الهداية والقيادة والإنتاج والعمارة عن أمن وسعادة ، يمتدان فى حياة الإنسان فى الزمان والمكان لتحقيق الأمن والسعادة فى الدارين (٣) .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٤) .

٣ - التكليف :

إن التكليف لا يمكن أن يكون إلا لمن يملك خصائص فى التكوين كالخيرية والإرادة والاختيار ... والتى يترتب عليها تحمل المسؤولية .

(١) عمر سليمان الأشقر : العقيدة فى الله (مرجع سابق) ص ٨٧

(٢) محمد متولى الشعراوى : كيف نفهم الإسلام . دار العودة ببيروت ، ١٩٨٣ م ، ص ٢٦٢

- ٢٦٣

(٣) د . إبراهيم إبراهيم هلال : الدين وقيادة الدنيا (مرجع سابق) ص ١١٦

عبد القادر عودة : المال والحكم فى الإسلام (مرجع سابق) ص ١٨ - ١٩

(٤) الأنعام : ٨٢

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (١) .

لقد ورد لفظ الأمانة في القرآن الكريم خمس مرات ، وخصص في كل آية بمعنى (٢) وهي :

(أ) الوديعة وما في حكمها :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ، إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (٣) .

(ب) رعاية العهد والذمة :

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ (٤) .

(ج) القيام بالتكليف الإلهي :

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٥) .

وإن المعنيين الأولين يندرجان تحت هذا المعنى لأنهما قيام بمتطلباته ، فهما جزء من التكليف الإلهي .

وإن الله تعالى خلق الإنسان لغاية سامية ، وهي العبادة له سبحانه ولم تكن بالتسبيح والتقديس فقط ، لأن جميع المخلوقات تتصف بها (٦) .

(١) الأحزاب : ٧٢

(٢) الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٢٥

عباس محمود العقاد : الإنسان في القرآن (مرجع سابق) ص ٣٢ - ٣٤

(٣) النساء : ٥٨ ، وانظر البقرة : ٢٨٣

(٤) المؤمنون : ٨ - ١٠ ، وانظر الأنفال : ٢٧ - ٢٨ (٥) الأحزاب : ٧٢

(٦) محمد الظاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير (مرجع سابق) ج ١ ص ٤٠٤ - ٤٠٧

سيد قطب : في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ١٥ ص ٢٢٣ - ٢٢٣١

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١) .
 وقال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٢) .

ولكن العبادة عند الإنسان تتسع وتتفق مع خصائصه الروحية والمادية التي لم تكن لغيره من المخلوقات كالعلم والحرية والإرادة ...

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٤) .

وإن العبادة هي محور التكليف الذي يتسع مع اتساع خصائص الإنسان ، وما سُخِّرَ له ، وليست العبادة عنصراً جديداً تزكو به النفس الإنسانية ، وإنما هي مبنية على أسس من خصائصها كدافع التدين ، لأن إشباعه بالدين القيم يقيم التعادلية في إيجاد الحصانات والضوابط لبقاء الفطرة السليمة ، وتركيتها ، لتحافظ على صفاتها التي هي قبس من صفاته تعالى في جانب الإيجابية (٥) .

(٢) الإسراء : ٤٤

(١) الذاريات : ٥٦

(٤) الأحزاب : ٧٢

(٣) البقرة : ٣٠ - ٣٢

(٥) محمد الغزالي : نظرات في القرآن (مرجع سابق) ص ٦٠

البهي الخولي : الإسلام في حياة السلم ، مكتبة رهبنة ، ط ٢ ، ١٣٩٣ هـ ، ص ٢٤٨ - ٢٥٠

قال تعالى : ﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فطَرَتَ اللَّهُ التِّي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء » (٢) .

ولذلك فإن الإنسان لديه المواهب والقدرات التي يقابلها تسخير في الكون ، للقيام بمهمته كاملة ، ليكون مستثمراً لها أقصى ما يمكن أن تكون عليه عملية الاستثمار لعامة الأرض .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُواهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ ، وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ، وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ، وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (٥) .

فإن التكليف الإلهي للإنسان يُشكّل منهجاً عملياً له في عقيدته وأحكامه وأصوله وقواعده ، لأنه يتناسب مع خصائص الإنسان وما سُخِّرَ له .

(١) الروم : ٣٠

(٢) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : ما قيل فى أولاد المشركين ، ج ٢ ص ١٠٤

(٣) الإسراء : ٧٠ (٤) هود : ٦١ (٥) إبراهيم : ٣٢ - ٣٤

قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (١) .
وقال تعالى : ﴿ طَسَسَ ، تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ * تَلِكْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .
ولذلك فإن التكليف يُعين الإنسان على عمارة الأرض من قبَلِه بمنهج علمي ، يخلق لديه التعادلية ، التي تستثمر جميع خصائصه بطريقة إيجابية ، فالتكليف في سعته وشموله لم يترك مجالاً في فعاليات النشاط الإنساني إلا ونفذ إليه في توجيهاته وإرشاداته (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ ، مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ، ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (٥) .
كما أن المنهج الإلهي يُجَنَّبُ الإنسان الآثار السلبية التي يقع فيها دونه في إدراكاته ومعارفه ، وحركته ونشاطه ، على مستوى الفرد والمجتمع كاليأس والقنوط ، والبخل والجزع ، والحسد والأنانية ...

قال تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً ، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (٦) .

(٣) لقمان : ١ - ٥

(٢) النمل : ١ - ٢

(١) الزمر : ٢٢

(٤) محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام (مرجع سابق) ص ١١٩ *

محمد الغزالي : نظرات في القرآن (مرجع سابق) ص ٦٥

(٦) طه : ١٢٣ - ١٢٤

(٥) الأنعام : ٣٨

وقال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَهْبُوا فَتَحَسُّوْا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رُوْحِ اللّٰهِ ، إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوْحِ اللّٰهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَأْمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلِلّٰهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ (٤) .

فالتكليف يعمل على بناء الذات الإنسانية والمنهج الذى يتناسب معها للقيام بعمارة الأرض بأحسن ما يمكن أن تكون عليه العمارة لما يُوفره هذا التكليف من عوامل النجاح كالدوافع الذاتية للأفراد لرعايته وفق أسس صحية وليست مرضية ، والتي تُوجد لدى الإنسان الأمن والاستقرار ... لا القلق والحيرة والاضطراب (٥) .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللّٰهِ ، أَلَا بِذِكْرِ اللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٧) .

(٢) المعارج : ١٩ - ٢٦

(٤) الكهف : ٣٤

(٥) محمد باقر الصدر : اقتصادنا (مرجع سابق) ص ٢٣٥ ، ٢٨٧ - ٢٨٨

كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ١٠١ - ١٠٥

(٧) الأنعام : ٨٢

(١) يوسف : ٨٧

(٣) آل عمران : ١٨٠

(٦) الرعد : ٢٨

وإذا كان النظر فى مخلوقات الله تعالى يفيد طمأنينة فى الجملة ، فليس إفادتها للطمأنينة كإفادة ذكر الله تعالى ، وهذا وجه ما يفيد قصر الاطمئنان على الذكر (١) .

وإن الحرية للإنسان ذات مفهوم اجتماعى ، فلا بد من القواعد التى ترعاها بمبررات منها ، وإلا صارت ظلماً وجوراً ، فالحرية لكل إنسان فى المجتمع ، وإلا ذهبت الحرية والإنسان معاً .

ولذلك لا بد من السيطرة على النفس للمحافظة على حرية الجميع ، والحرية شعْب ، ولكل حرية حدودها ، التى ينبغى أن يكون احترامها مبنياً على أساس من الدوافع الذاتية الصحية وأن لا تكون عن نزوات ورغبات وشهوات .. (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٤) .

وكذلك يجب السيطرة على البيئة الاجتماعية لأن لها وحيها الخفى والجلي الذى يؤثر فى تشكيل الفرد من حيث لا يدرى كالتجارب الانفعالية والعادات والتقاليد ... الإيجابية والسلبية .

ولذلك فإن السيطرة على النفس والبيئة هى هدف أى رسالة جادة لامتلاك

(١) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٨١

(٢) محمد أبو زهرة : تنظيم الإسلام للمجتمع ، دار مكتبة العربى ، القاهرة ص ١٨١ - ١٨٢

د . أحمد حافظ نجم : حقوق الإنسان . دار الفكر العربى ، القاهرة ، ص ٦٣ - ٦٩

(٤) القصص : ٧٧

(٣) النازعات : ٤٠ - ٤١

الحياة العامة لصيانة الفرد والمجتمع في الحاضر والمستقبل ، فلا بد أن يقنن لهما قواعد العلاقة الخاصة والعلاقة العامة (١) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ، مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٤) .

ولذلك فإن التكليف أمر ضروري للمحافظة على الحرية والإنسان ، وهذا التكليف إما أن يكون تكليفاً إلهياً أو تكليفاً وضعياً .

(أ) التكليف الوضعي :

إن التكليف الوضعي يبنى على عدة أسس أهمها بإيجاز :

١ - الإدراكات والمعارف البشرية التي لا يمكن أن تُحيط بجميع المسائل التي تُحيط بالإنسان ، كما لا تُحيط بتأثيراتها القريبة والبعيدة في تعاملها مع فعاليات النشاط الإنساني .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٥) .

(١) محمد الغزالي : نظرات في القرآن (مرجع سابق) ص ٦٤ - ٦٥

د . زيدان عبد الباقي : أسس المجتمع الإسلامي والمجتمع الشيوعي . دار المعارف بمصر ص ١٨

(٢) آل عمران : ١١٠

(٣) النساء : ٥٩

(٤) الأحزاب : ٧٢

(٥) النساء : ١١٤

وقال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ * وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (١) .

٢ - إن كل مجتمع له خبراته الانفعالية كالحب والكراهة ... وله عاداته وتقاليده الإيجابية والسلبية ، فالتعامل معها يبنى على أساس من ذاتيات أفراد أو فئات أو طبقات (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلَهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ، فطرتَ الله التي فطرَ الناسَ عليَّها ، لا تبديلَ لخلقِ الله ، ذلكَ الدينُ القيمُ ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (٥) .

٣ - إن هذا التكليف يعتمد على الرقابة الخارجية - السلطة - بنسبة كبيرة ، فيقل الاحترام الذاتي له ، وقد يكون هناك صراع بين الأفراد والسلطة في التقيد به ، أو الصراع بين الأفراد أنفسهم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٦) .

(١) المائدة : ٥٠

(٢) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعي (مرجع سابق) ص ٣١

عبد الرحمن محمد عيسوي : علم النفس الفسيولوجي (مرجع سابق) ص ١٠٠

(٤) الفتح : ٢٦

(٣) البقرة : ١٧٠

(٦) القصص : ٤

(٥) الروم : ٣٠ - ٣٢

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ
أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيَذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ،
انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (١) .

وإذا كان هناك أشياء لها حق الاحترام عند أفراد المجتمع كالتجارب الانفعالية
والعادات ... المشتركة فإن فيها الإيجابي والسلبي .

ولذلك فإن هذا التكليف يعيش في العالم المحسوس ، والممكن القريب ،
والذي لا ثبات له ، والحياة ميدان رحب للخير والشر ، وخصائص الإنسان
تستجيب لهما ، والبيئة لها تأثيرها القوي الظاهر والخفي في تشكيل منهجه في
الحياة (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * قَالَهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ
أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ لَّرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ
هَوَاهُ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ
مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٤) .

وإن الإنسان ليس لديه القدرة على تحديد وتشكيل مسائله المحيطة به
وأبعادها ، فكيف يكون له القدرة على تقنينها ؟

وإن كل دين أو منهج فسدت به الحياة إنما هو جملة إدراكات بشرية ناقصة ،
وأكاذيب ، ونزوات وشهوات ، أو دين منسوخ مُحرفٌ تعدى حدوده القومية
والزمنية .

(١) الأنعام : ٦٥

(٢) أبو على أحمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق (مرجع سابق) ص ٣٦

د . ظفر الله خان : الإسلام والإنسان المعاصر (مرجع سابق) ص ٢٠١

(٤) الأعراف : ١٧٦

(٣) الشمس : ٧ - ١٠

قال تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ، وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ، فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ، لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمَنْهَاجًا ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ، فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ، إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٢)

وقال تعالى عن اليهود : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

(ب) التكليف الإلهي :

إن التكليف الإلهي يُشكّل منهجاً عملياً للإنسان يبنى على أساس من خصائصه وما سُخِّرَ له في الكون ، كما أن تأديته فيه الحمد والشكر للنعمة بتلك المواهب والقدرات والتسخير في الكون ، بل إن التكليف نعمة تستحق الحمد لله تعالى ، لأنه الحل الوحيد لمشكلة الإنسان .

ولذلك فإن التكليف له أسباب النجاح ، ولعل أهمها بإيجاز :

١ - إنه تكليف إلهي له حرمة عند أفراد المجتمع في عقيدته وأصوله وأحكامه ، ويتفق مع خصائص الإنسان وما سُخِّرَ له في عمارة الأرض ، فيعمل على تنظيمه في جانب الإيجابية ، لأن الله تعالى يعرف الحقيقة ، والهداية الصحيحة المسار (٤) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٥)

(٣) البقرة : ٧٥

(٢) المائدة : ٤٨

(١) القصص : ٥٠

(٤) البهي الخولي : الإسلام في حياة المسلم (مرجع سابق) ص ٢٤٩ - ٢٥٠

(٥) الأنفال : ٢

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ * وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿ (١) .

٢ - الرقابة الداخلية عند أفراد المجتمع فى الالتزام بالتكليف والإخلاص فى تآديته ، بل والعمل على الزيادة فيه من السنن والمستحبات مما يساعد على الانضباط الذاتى فى احترامه (٢) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ * وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿ (٤) .

وعن عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه على ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه قال : فأخبرنى عن الإحسان قال : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ... » (٥) .

٣ - الرقابة الخارجية التى يتمتع أفرادها بالرقابة الداخلية تلك فى احترام التكليف الإلهى ، وأن لها الاحترام والطاعة من قبَل الأفراد ، كما أن لهم حرمتهم وحقوقهم عليها .

(١) الملك : ١٢ - ١٤

(٢) ابن القيم : مدارج السالكين (مرجع سابق) ج ١ ص ٢١٣ - ٢١٧

الفخر الرازى : التفسير الكبير (مرجع سابق) ج ٢٦ ص ٢٤ - ٢٦

(٤) فاطر : ٣٢

(٣) النور : ٥١ - ٥٢

(٥) رواه مسلم فى كتاب الإيمان ، حديث ١ ، ج ١ ص ٣٦

ولأهمية السلطة فى المجتمع أفردتها كـمقـوم أساسى من مقـومـات تحقيق الخلافة .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (١) .

٤ - إن العلاقة بين الأفراد والسلطة علاقة تعاون ، مما يعينها ويضمن لها النجاح فى القيام بمهامها ، فهم يشاركونها ويتوازعون معها السلطة برقابة داخلية تعنى الانضباط الذاتى ، ومساعدتها فى القضاء على التقصير فى المجتمع (٢) .

قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ، مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٤) .

وإن هذه المشاركة وتلك الرقابة الذاتية تخفف العبء على السلطة للقيام بمهامها فى التوجيه والتنمية لأنها تقلل من تكاليف الإنتاج البشرية والمالية ، مما يجعل الدولة تستثمرهما فى قطاعات إنتاجية أخرى .

قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٥) .

(١) النساء : ٥٩

(٢) أبو الأعلى المودودى : الخلافة والملك (مرجع سابق) ص ٣٥ - ٣٦

محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير (مرجع سابق) ج ٤ ص ٤٨ - ٥٢

(٣) آل عمران : ١١٠ (٤) النساء : ١١٤ (٥) الأعراف : ٣١

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (١) .

وإن هذه البيئة الاجتماعية التي تعيش في جو هذا التكليف ، لها خصائصها في توحيد مشارب أفراد المجتمع ، لأن له مقوماته العامة التي تتفق مع جميع خصائصهم ، ويعمل على تنظيمهم في جانب الإيجابية كما يعمل على التوفيق بين المصالح الذاتية والمصالح الاجتماعية .

قال تعالى : ﴿ ... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ... ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٥) .

ولذلك فالتكليف الإلهي اختيار في سبيل الطاعة والإيجابية في الفعاليات الإنسانية ، فالحكم له وحده ، لا لغيره ، وهو موطن منافسة بين المؤمنين (٦) .

(٣) المائدة : ٥٤

(٢) المائدة : ٢

(١) الفرقان : ٦٧

(٥) الحشر : ٩

(٤) الفتح : ٢٩

(٦) سيد قطب : في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٣ ص ٣٨٥٩ - ٣٨٦٠

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكَ ، وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (١) .
وفى معية الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ، وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .
وفى ولاية الله سبحانه ..

قال تعالى : ﴿ ... وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣)
ولذلك فالمؤمن مقياس الصلاح .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .
وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ، كَبِيرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا ﴾ (٥) .

وإن الأمانة هي التكليف الإنهى ، وليست الحرية والإرادة (٦) لأنهما من خصائص الإنسان التي خُلِقَ عليها ، وعلى أساسها عُرِضَتْ عليه وتحملها ، فالتكليف يضبط حركة الإنسان ونشاطه في الخلافة في الأرض ، وهي كائنة له لا لغيره .
أما غيره ، فلم تكن له تلك الخصائص التي أهلتها للخلافة ، وتحمل الأمانة ،

(٣) الجاثية : ١٩

(٢) التوبة : ٣٦

(١) المطففين : ٢٢ - ٢٦

(٥) غافر : ٣٥

(٤) التوبة : ١٠٥

(٦) د . حسن صعب : الإسلام والإنسان (مرجع سابق) ص ٨٦

فالسماوات والأرض والجبال ... ليس لها خصائص العلم والحرية والإرادة ...
وإنما لها سُنن وقوانين ثابتة ، تؤدي وظيفتها وفقها ، ولذلك فالإنسان في قمة
المخلوقات (١) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ
فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا
جَهُولًا ﴾ (٢) .

وإن الإنسان كلما ازداد علمه أو استثماره لما سُخِّر له ، أو توسعت دائرة
سلطاته ازداد تكليفه إلى أن يصل الأمر إلى العلماء والأغنياء وولى الأمر (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ
بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ، فَسْتَلُوا
أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٥) .

عن أبي الدرداء قال : ... سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا
يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ الْمَلَائِكَةُ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا
رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيْسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ،
وَالْحَيْتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ
عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا
وَلَا دِرْهَمًا ، وَرَثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ » (٦) .

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ٢٢ ص ٢٨٨٤ - ٢٨٨٥

(٢) الأحزاب : ٧٢

(٣) د . أحمد رمضان أحمد : الخلافة في الحضارة الإسلامية ، دار البيان العربي بجدة ، ط ١ ،

١٤٠٣ هـ ، ص ٣٧

(٥) الأنبياء : ٧

(٤) الأنعام : ١٦٥

(٦) رواه ابن ماجه والترمذى وأحمد واللفظ لأبي داود في كتاب العلم ، باب : في فضل

العلم ، ج ١٥ ص ٣٢٧ - ٣٢٩

وقال تعالى : ﴿ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (١) .

وعن عبد الله بن عمر قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيته ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته » ، قال : وحسبتُ أن قد قال : « والرجل راع فى مال أبيه ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته » (٢) .

وإذا كان هناك تفاوت فى المواهب والقدرات والرزق ، فإن التكليف يُسوَّى بين الناس فى القيام بالرسالة الملقاة على عاتقهم ، فالحرية والعدالة والمواطنة للجميع دون تفریق ، فليس فى المجتمع الإسلامى فوارق عنصرية .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣) .

عن أبى نصره - قال : حدثنى مَنْ سمع خطبة رسول الله ﷺ فى وسط أيام التشريق فقال : « يا أيها الناس ! ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى » (٤) .

وإن الإنسان لم يُخلَق لنفسه ، ولم يُخلَق ليكون عبداً لعنصر من عناصر المخلوقات ، ولا ليطمئن كالحیوان ، لأن هذه عوامل تحط من خصائصه كالحرية والإرادة والاختيار ... (٥) .

قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٦) .

(١) الحديد : ٧

(٢) رواه البخارى فى كتاب الجمعة ، باب : الجمعة فى القرى والمدن ، ج ١ ص ٢١٥

(٣) الحجرات : ١٣ (٤) رواه أحمد ج ٥ ص ٤١١

(٥) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٧٧

(٦) المؤمنون : ١١٥

وإن الإنسان لم يُخلَق ليكون ملكاً ، وإنما ذا طبيعة مزدوجة تتنازع دوافعه في منهجية الحياة ، ويعتريها الكثير من عوامل الضعف في الالتزام بالتكليف (١) .

فالإنسان تحمّل الأمانة - التكليف - لما يتمتع به من خصائص في التكوين ، ولكنه جهل تبعياتها لحظة الأداء ، والتي تدير النشاط فالتحمل شيء ، والأداء شيء آخر (٢) .

وإن هذا الضعف من خصائص الإنسان التي أرادها الله تعالى ، لما له من أثر في إثراء الحياة الإنسانية وجمالها كالاتفاعلات .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم ، وجاء بقوم يُذنبون ، فيستغفرون الله ، فيغفر لهم » (٣) .

ولذلك فإن الضعف ليس مشلكة عند المؤمن ، لأن للتوبة باباً أوسع لحلها ، بالندم ، والعزم على التخلص منها ، والعمل الصالح الجاد المثمر فهو دائماً في حيوية ونشاط ، وتفاعل مع الحياة (٤)

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَكَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥)

وذلك أيضاً وفق خاصية من خصائص الإنسان ، وهى النفس اللوامة ، إذا تم تنميتها واستثمارها ، لأنها تعمل على معالجة ذلك بالسمو والإعلاء في حركته ونشاطه (٦) .

(١) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين (مرجع سابق) ج ٤ ص ٣ - ٨

(٢) محمد متولى الشعراوى : فى تربية الإنسان المسلم ، دار العودة ببيروت ، ١٩٨٢ م ، ص ٥٨

(٣) رواه مسلم فى كتاب التوبة ، حديث ١١ ، ج ٤ ص ٢١٠٦

(٤) ابن القيم : مدارج السالكين (مرجع سابق) ج ١ ص ٢٦٥ - ٢٦٨

(٥) آل عمران : ١٣٥

(٦) الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) : معانى القرآن (مرجع سابق) ج ٣ ص ٢٠٨

قال تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (١) .
وإذا كانت حركة ونشاط المؤمن فى عمارة الأرض بجانبها المادى والروحى
عبادة لله تعالى ، فهى تدعوه إلى مراقبة الله فى كل عمل .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُمْ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ ،
وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (٢) .

كما أن العبادات المحضة تغذى فى نفس المؤمن تلك الشحنة كالصلاة .

قال تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ، إِنَّ
الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تَصْنَعُونَ ﴾ (٣) .

فالله تعالى أراد أن تكون عبادته بما يحقق النفع لنا لا له سبحانه ، وما
يساعدنا على حل مشاكلنا ، فهى واجبة لحلها ، ولذلك أوجبها علينا (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ
الْعَالَمِينَ ﴾ (٥) .

بل إن الله تعالى حث على المزيد منها كالنوافل .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله قال : من عادى لى ولياً
فقد أذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه ،
وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى
يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ،
وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيزنه ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله
ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته » (٦) .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ يرويه عن ربه قال : « إذا تقرب العبد

(١) القيامة : ١ - ٢ (٢) سورة ق : ١٦ (٣) العنكبوت : ٤٥

(٤) عبد القادر عودة : المال والحكم فى الإسلام (مرجع سابق) ص ٢٣

(٥) العنكبوت : ٦

(٦) رواه البخارى فى كتاب الرقاق ، باب : التراضع ، ج ٧ ص ١٩٠

إلى شبراً تقربتُ إليه ذراعاً ، وإذا تقرَّب منى ذراعاً تقربتُ منه باعاً ، وإذا أتانى مشياً أتيتته هرولة « (١) .

فالزهد هدف أخلاقى يسمو بحركتنا ونشاطنا .

عن عبد الله بن عمر ، قال : قيل لرسول الله ﷺ : أى الناس أفضل ؟ قال : « كل مخموم القلب صدوق اللسان » . قالوا : صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ قال : « هو التقى النقى ، لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد » (٢) . وهذا حديث إسناده صحيح (٣) .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا هريرة ! كن ورعاً تكن أعبد الناس ، وكن قنعاً تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً ، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً ، وأقل الضحك ، فإن كثرة الضحك تُميت القلب » (٤) .

وهذا حديث إسناده حسن (٥) .

ومما سبق يتضح أن التكليف الإلهى هو الحل الوحيد لمشكلة الإنسان فى منهجه لعمارة الأرض ، وهو الذى يستطيع أن يتعامل مع الذات الإنسانية بجميع خصائصها ، لتحقيق السعادة فى الدارين .

ولذلك فهو غاية السامية للقيام برسالته فى عمارة الأرض بجانبها المادى والروحى ، فتلتقى خلافة الإنسان فى الأرض مع التكليف الإلهى ، أى بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية .

(١) رواه البخارى فى كتاب : باب ذكر النبى ﷺ وروايته عن ربه ، ج ٨ ص ٢١٢

(٢) رواه ابن ماجه فى كتاب الزهد ، باب : الورع والتقوى ، ج ٢ ص ١٤٠٩ - ١٤١٠

(٣) سنن ابن ماجه ، تحقيق د. مصطفى الأعظمى (مرجع سابق) ج ٢ ص ٤٢٩

(٤) رواه ابن ماجه فى كتاب الزهد : باب : الورع والتقوى ، ج ٢ ص ١٤١٠

(٥) سنن ابن ماجه ، تحقيق د. مصطفى الأعظمى (مرجع سابق) ج ٢ ص ٤٢٩

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) .

ولهذا فإن التفريط في التكليف الإلهي ، وفقدانه في عمارة الأرض يعنى انتهاء خلافة الإنسان في الأرض ، للارتباط بينهما في استمرارية وجوده .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ » . قال : كيف إضاعتها يارسول الله ؟ قال : « إِذَا أَسَدَ الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ » (٣) .

٤ - الدولة :

لقد سبق الحديث عن أن كل إنسان خليفة لله تعالى ، وأنه مُكَلَّفٌ للقيام بمهمته وغايته .

وإن الدولة تُعتبر محور تجمع فعاليات النشاط الإنساني ، فتدور حوله في عملية تنظيمية ، ليكون لذلك النشاط فعالية أقوى وأنجح

ولذلك لا بد من الأسس التي تقوم عليها الدولة لرعاية أهدافها ولعل أهمها :
(أ) الحاكمية لله تعالى :

لقد سبق القول بأن الإنسان لا يستطيع أن يحيط بجميع المسائل التي تحيط به ، وأبعادها ، لعوامل عقلية ونفسية .

ولذلك فإن الإنسان ليس لديه القدرة على تقنين منهج عملي يتناسب مع خصائصه .

(٢) الذاريات : ٥٦

(١) البقرة : ٣٠

(٣) رواه البخارى فى كتاب الرقاق ، باب : رفع الأمانة ، ج ٧ ص ١٨٨

قال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (١) .

وإن الله تعالى رحمة منه بعباده أنزل إليهم التقنين ، الذى يتناسب مع جميع خصائصهم المادية والروحية ، ليغضى جميع جوانب الحياة الذاتية من جهة ، والتشريعية ، والقضائية والتنفيذية من جهة أخرى ، لتتكافل فى بناء الذات والمجتمع ، لأن التكليف الإلهى نفذ إليها جميعاً بعقيدته وأحكامه وأصوله (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ، مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ، ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (٣) .

فالتشريع الإلهى يشتمل على ما فى الشرائع السماوية الصحيحة وآراء وقوانين الحكماء الوضعية من محاسن ، ويُعده عما تنطوى عليه من عيوب ، للاختلاف بين علم الله تعالى ، وعلم الإنسان ، الذى يترتب عليها اختلاف فى التقنين (٤) .

ولذلك فإن التشريع أمر يخص الله تعالى ، وهو داخل فى مفهوم العبادة له سبحانه .

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَلِلَّهِ أَذِنَ لَكُمْ ، أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ (٥) .

(١) المائدة : ٥٠

(٢) محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام (مرجع سابق) ص ١١٩

محمد الغزالي : نظرات فى القرآن (مرجع سابق) ص ٦٥

أبر الأعلی المودودى : نظرية الإسلام وهدیه ، دار الفكر ، ١٣٨٩ هـ ، ص ٤٦

(٣) الأنعام : ٣٨

(٤) محمد الطاهر بن عاشور : أصول النظام الاجتماعى فى الإسلام ، الشركة التونسية للتوزيع

- الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٩ م ، ص ٢١٤

(٥) يونس : ٥٩

وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ
ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

وإن أى دولة فى الأرض إنما هى فى الحقيقة تتحمل خلافة عن الله تعالى
فيها ، لعمارتها بقوانينه ، التى تلتقى مع خصائصهم وما سُخِّرَ لهم (٢) .

قال تعالى : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ
النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (٣) .

وأما إذا حُكِمَت الدولة بقوانين وضعية ، وأعرضت عن حكم الله تعالى ،
فهى كافرة بأنعم الله سبحانه الذى منح الإنسان خصائصه وسُخِّرَ له ما فى
الأرض والكون ، وأنزل التكليف الذى يتناسب معه فى فعالياته ونشاطه (٤) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ، يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ
الَّذِينَ اسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ
وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ، فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَالْأَخْشَاءَ وَلَا تَخْشَوْا بآيَاتِي
تَمَنَّا قَلِيلًا ، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٥) .

وكذلك إذا حُكِمَت بأحكام مختلطة بين التكليف الإلهى والقوانين الرضية
المعارضة للكتاب والسنة (٦) .

قال تعالى : ﴿ ... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ، فَمَا

(١) النساء : ٦٥

(٢) أبو الأعلى الموددى : الخلافة والملك (مرجع سابق) ص ٢٠ .

(٣) سورة ص : ٢٦

(٤) أبو الأعلى الموددى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١٨

القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) ج ٣ ص ٣١٨٧ - ٣١٨٨

(٥) المائدة : ٤٤

(٦) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) ج ١ ص ٨٧ - ٨٩

جَزَاءٌ مَّنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ .

ولذلك فإن الدولة فى كل من الحالتين ضالة ومُضلة .

وإن الحاكمية لله تعالى تعنى سيادة القانون على جميع أفراد المجتمع ، فلا تفرق بين قوى وضعيف ، أو حاكم ومحكوم .

عن عائشة رضى الله عنها أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا : مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، ومن يجترىء عليه إلا أسامة حبُّ رسول الله ﷺ ، فكلّم رسول الله ﷺ ، فقال : « أتشفع فى حد من حدود الله ؟ » ، ثم قام فخطب فقال : « يا أيها الناس ؛ إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت لقطع محمد يدها » (٢) .

كما تعنى الحاكمية لله تعالى أن كل فرد خليفة له سبحانه ، أنه مكلف بأداء واجبات تتطلب تمكينه من أدائها (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (٥) .

(١) البقرة : ٨٥

(٢) رواه البخارى فى كتاب الحدود ، باب : كراهية الشفاعة فى الحد إذا رُفِعَ إلى السلطان ،

ج ٨ ص ١٦

(٣) البهى الخولى : الإسلام فى حياة المسلم (مرجع سابق) ص ٢٩ .

أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهدية (مرجع سابق) ص ٥٠ .

(٥) الحج : ٤١

(٤) النور : ٥٥

وقال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَكُتِبَ عَلَيْكُمُ الْأَقْسَامُ أَنَّ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، لَكُنْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الْقَوْمِ الْمَتَّقِينَ ﴾ (١) .

(ب) ذات حزب واحد :

إن الدولة الإسلامية ذات حزب واحد ، وهو حزب المؤمنين ، فليس للكافرين نصيب فيها ، وإنما يدخلون فيها بحكم التبعية التي ترعاها الدولة لجميع أفرادها كالمواطنة ، والحياة ، والعدل ، والحرية (٢) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ
كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ
آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا
يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ
تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٦) .

(١) آل عمران : ١١٠ .

(٢) أبو الأعلى المودودي : نظرية الإسلام وهدية (مرجع سابق) ص ٤٧ - ٤٨

سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٨٩

(٤) المائدة : ٥٥ - ٥٦

(٣) النساء : ٥٩

(٦) النحل : ٩١

(٥) آل عمران : ١١٨

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « مَنْ قَتَلَ
معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد على مسيرة أربعين عاماً » (١) .

ولذلك فإن لغير المسلمين عقيدتهم ومبادئهم ودينهم وأحكامهم فى الأحوال
الشخصية - الزواج والطلاق - والقضاء فيما بينهم فيها (٢) .

قال تعالى : ﴿ ... فَإِنْ جَاءُوكَ فَاخُكُمُ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضُوا عَنْهُمْ ، وَإِنْ
تُعْرَضُوا عَنْهُمْ فَكَنْ يَضْرُوكَ شَيْئاً ، وَإِنْ حَكَمْتَ فَاخُكُمُ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ،
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ
اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) .

وأما المعاملات والجنايات فهم ملزمون بأحكام الإسلام . بصفتها القانونية ، لا
الدينية (٤) .

فالمؤمنون حزب الله ، حزب الحق ، فليس بينهم حزب للموافقين أو حزب
للمعارضين ... لأنهم جميعاً يراعون حاكمية الله ، كما يراعون حكم الحاكم فى
الأمر الاجتهادية التى لا تخالف الشرع ، والذى يلتزم به الجميع
عن طيب خاطر (٥) .

قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ

(١) رواه البخارى فى كتاب الجزية والعاهدة ، باب : إثم من قتل معاهداً بغير جرم ، ج ٤ ص ٦٥

(٢) سميع عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٨٩

أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهدية (مرجع سابق) ص ٤٨

ابن القيم : أحكام أهل الذمة ، تحقيق د . صبحى الصالح . دار العلم للملايين ببيروت ،

ط ٢ ، ١٤ ، ١ ، ج ١ ص ٣٧ ، ج ٢ ص ٧٨٩

(٣) المائدة : ٤٢ - ٤٣

(٤) سميع عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ٩٢ - ٩٣

(٥) د . زيدان عبد الباقي : أسس المجتمع الإسلامى والمجتمع الشيوعى (مرجع سابق) ص ١٨

أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهدية (مرجع سابق) ص ٦٠

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿ ١١ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ
دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾ ﴿ ٢٢ ﴾ .

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « مَنْ أطاعنى فقد أطاع الله ، وَمَنْ
يعصينى فقد عصى الله ، وَمَنْ يُطع الأمير فقد أطاعنى ، وَمَنْ يعص الأمير فقد
عصانى » (٣) .

(ج) بيعة ولى الأمر :

إن البيعة لولى الأمر من قبيل الشعب التزام بينه وبينهم فى رعاية أحكام الله ،
ورعاية مصالحهم ، فتفويضه من قبلهم إنما ليكون مركزاً لهم فى إدارة وتنظيم
شؤونهم ، وهم متضامنون معه فى رعاية جميع شؤون الدولة (٤) .

عن عبادة بن الصامت قال : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى
المنشط والمكره ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا
لا نخاف فى الله لومة لائم » (٥) .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ
على السمع والطاعة يقول لنا : « فيما استطعت » (٦) .

وعن معقل بن يسار قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما من أمير يلى
أمر المسلمين ، ثم لا يجهد لهم وينصح ، إلا لم يدخل معهم الجنة » (٧) .

(١) التوبة : ٧١ (٢) النساء : ١٤٤

(٣) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٣٢ ، ج ٣ ص ١٤٦٦

(٤) أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهدية (مرجع سابق) ص ٥٣ ، ٥٧

إبراهيم إبراهيم هلال : الدين وقيادة الدنيا (مرجع سابق) ص ١١١

(٥) رواه البخارى فى كتاب الأحكام ، باب : كيف يبايع الإمام الناس ، ج ٨ ص ١٢٢

(٦) رواه البخارى فى كتاب الأحكام ، باب : كيف يبايع الإمام الناس ، ج ٨ ص ١٢٢

(٧) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٢٢ ، ج ٣ ص ١٤٦

وعن عبد الله بن عمر قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « من خلع يداً من طاعة ، لقي الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة ، مات ميتة جاهلية » (١) .

فالتفويض للوالى لا يعنى أن الخلافة تخصه ، لأن المؤمنين جميعاً خلفاء الله ، وليست لفرد أو طبقة أو فئة ... فلا تفريق ولا امتيازات ولا عصمة ولا قداسة... فليس من حق الوالى أن ينتزع حقهم فى الخلافة ، بل يجب أن يعمل على تمكينهم من القيام بها ، لأن الكل مُكَلَّف (٢) .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٤) .

ولذلك يجب أن يكون اختيار الوالى من أتقى المؤمنين وأفضلهم وأكفئهم ، ليضمنوا رعاية هذا المنصب ، وأهميته فى تحريك دفة المجتمع (٥) .

عن عياض بن حمار المجاشعى أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم فى خطبته : « إن ربي أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم ... » إلى أن قال : « وأهل الجنة ثلاثة :

(١) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٥٨ ، ج ٣ ص ١٤٧٨

(٢) البهى الخولى : الإسلام فى حياة المسلم (مرجع سابق) ص ١٩٠

أبو الأعلى المودودى : الخلافة والملك (مرجع سابق) ص ٢١

أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٥٠ - ٥١

(٤) النور : ٥٥

(٣) الحج : ٤١

(٥) أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٥٧

ذو سلطان مُقسِّطٍ متصدِّقٍ مُوفِّقٍ ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قُربى
ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال ... » (١) .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم
القيامة ، ولا يُزكِّيهم ، ولهم عذابٌ أليم : رجل على فضل ماء بالطريق يمنع منه
ابن السبيل ، ورجل بايعَ إماماً لا يبايعه إلا لدنياه ، إن اعطاه ما يريد وكفى له ،
والإلم يف له ، ورجل يبايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف بالله لقد أعطى بها
كذا وكذا ، فصدَّقه ، فأخذها ولم يُعْطَ بها » (٢) .

وإن الولاية لا يُختار لها من يُرشِّح نفسه ، بل وأي منصبٍ آخر.

عن أبي موسى قال : دخلتُ على النبي ﷺ أنا ورجلان من بنى عمى ، فقال
أحد الرجلين : يا رسول الله ! أمرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل ، وقال
الآخر مثل ذلك ، فقال : « إننا والله لا نُؤلِّى على هذا العمل أحداً سألته ، ولا
أحداً حرص عليه » (٣) .

ولذلك فإن ترشيح الإنسان نفسه إلى منصب الولاية قد يُعاقب عليه ، فليس
فى المجتمع الإسلامى دعاية انتخابية (٤) .

عن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال لى رسول الله ﷺ : « يا عبد الرحمن ! لا
تسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكُلتَ إليها ، وإن أعطيتها عن غير
مسألة أعنتَ عليها ، وإذا حلفتَ على يمينٍ فرأيتَ غيرها خيراً منها ، فكفِّر
يمينك وائتِ الذى هو خير » (٥) .

(١) رواه مسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، حديث ٦٣ ، ص ٢١٩٧ - ٢١٩٨

(٢) رواه البخارى فى كتاب الأحكام ، باب : من بايع رجلاً لا يبايعه إلا للدنيا ، ج ٨ ص ١٢٤

(٣) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ١٤ ، ج ٣ ص ١٤٥٦

(٤) أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهدية (مرجع سابق) ص ٥٩

(٥) رواه البخارى فى كتاب الأحكام ، باب : من لم يسأل الإمارة أعانته الله ، ج ٨ ص ١٠٦

وعن عرفجة قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ أتاكم وأمركم جميع ، على رجل واحد ، يريد أن يشق عصاكم أو يُفرِّق جماعتكم ، فاقتلوه » (١) .
 وحيث إن الإنسان يجب أن يستغل كل قوته فى تحكيم كتاب الله بذاته ، أو عن طريق نصير له ، فإنه إذا طلب الولاية لضعف فى المجتمع ، وهو كفو لها لإقامة حكم الله ، فيجوز اختياره (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴾ (٣) .

وإن للوالى إسناد المناصب فى الوزارات ، والمؤسسات ، وولاية الأقاليم ... إلى من تتوفر فيهم التقوى ، والكفاءات المناسبة لها .

عن أبى ذر قال : قلتُ : يا رسول الله ؛ ألا تستعملنى ؟ قال : فضرب بيده على منكبى ، ثم قال : « يا أبا ذر ؛ إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها » (٤) .

كما يجب على الوالى محاسبة رجال الدولة فى احترام حرمة الوظيفة ، والقيام بالمهام التى أُلقيت على عاتقهم ، فهو رئيس للدولة ، ورئيس للحكومة .

ولذلك فإن التفويض من قِبَلِه للمناصب لا يُعفيه من المسئولية ، وإنما يجب مراعاة ومراقبة هذا التفويض ، والعمل به (٥) .

(١) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٦٠ ، ج ٣ ص ١٤٨ .

(٢) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١٩

الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٣ ص ٢٥٢

ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) ج ٣ ص ٥٨ - ٥٩

(٣) الإسراء : ٨٠ .

(٤) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ١٦ ، ج ٣ ص ١٤٥٧

(٥) محمد الطاهر بن عاشور : أصول النظام الاجتماعى فى الإسلام (مرجع سابق) ص ٢١٤ - ٢١٥ =

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ألا كللكم راع وكللكم مسئول عن رعيته ، فالإمام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده ، وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده ، وهو مسئول عنه ، ألا فكللكم راع وكللكم مسئول عن رعيته » (١) .

وعن معقل بن يسار قال : سمعتُ النبي ﷺ يقول : « ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنفحه إلا لم يجد رائحة الجنة » (٢) .

ولذلك فإن للوالى الطاعة فى ظل الحاكمية لله تعالى ، التى ترعى العلاقة الخاصة ، والعلاقة العامة ، وترقى الأخلاق والمعاملات فى رعاية حقوق الدولة ، فله الطاعة فيما سنّه من أنظمة وقوانين لا تخالف الشرع فى أحكامه وأصوله (٣) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٤) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة » (٥) .

= د . زيدان عبد الباقي : أسس المجتمع الإسلامى والمجتمع الشيوعى (مرجع سابق) ص ٧
 (١) رواه البخارى فى كتاب الأحكام ، باب قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ... ﴾ (النساء : ٥٩) ، ج ٨ ص ١٠٤
 (٢) رواه البخارى فى كتاب الأحكام ، باب : من استرعى رعية فلم ينصح ، ج ٨ ص ١٠٧
 (٣) أبو الأعلى المودودى : الخلافة والملك (مرجع سابق) ص ٢١ ، ٣٥ - ٣٦
 (٤) النساء : ٥٩

(٥) رواه البخارى فى كتاب الأحكام ، باب : السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ، ج ٨ ص ١٠٥

وأما إذا خرج الوالى عن حاكمية الله تعالى فى سن القوانين والأوامر فلا طاعة له ، لأن كل إنسان خليفة لله تعالى ، وليس له حق فى أن ينتزع حقه فى القيام بما أُلزم به .

عن ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال : « على المرء المسلم السمع والطاعة ، فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة » (١) .

وإذا كان الوالى من أهل المعاصى فيجب عزله من أهل الشورى إذا أمكنهم ذلك دون أن يُجرؤوا المسلمين إلى فتنة ، وإلا فيجب على المؤمنين أن يُظهروا عدم رضاهم عنه ممن يملكه ، وتركه بشرط أن يكون من المقيمين للصلاة .

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ رأى من أميره شيئاً يكرهه ، فليصبر ، فإنه مَنْ فارق الجماعة شبراً ، فمات فميتة جاهلية » (٢) .

وعن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال : « ستكون أمراء ، فتعرفون وتنكرون ، فمن عرف برىء ، ومن أنكر سلم ، ولكن من رضى وتابع » ، قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال : لا ، ما صلوا » (٣) .

وعن عوف بن مالك ، عن رسول الله ﷺ قال : « خياركم أئمتكم الذين تُحبونهم ويُحبونكم ، ويُصلُّون عليكم وتُصلُّون عليهم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » . قيل : يا رسول الله ؛ أفلا ننايذهم بالسيف ؟ فقال : « لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة ، وإذا رأيتم من ولائكم شيئاً تكرهونه ، فاكرهوا عمله ، ولا تنزعوا يداً من طاعة » (٤) .

(١) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٣٨ ، ج ٣ ص ١٤٦٩

(٢) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٥٥ ، ج ٣ ص ١٤٧٧

(٣) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٦٢ ، ج ٣ ص ١٤٨ .

(٤) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٦٥ ، ج ٣ ص ١٤٨١

(د) الشورى :

إن المجتمع الإسلامى مجتمع متكافل ومتضامن فى ظل رعاية حاكمية الله تعالى فى الأرض ، فكل فرد فى موقعه خليفه لله فى تطبيق أحكامه ، وليس لأحد أن ينتزع منه هذا الحق ، ويأتى فى قمتها تعيين الوالى ، ومنهجه فى إدارة شؤون الدولة ، لأنهم متضامنون معه فى المسؤولية (١) .

وإن المشورة واجبة بين الحاكم والمحكوم ، لما تحقّقه - غالباً - من كبير القدر الممكن من الصواب ، وهذه ميزة قد لا تتوفر فى رأى الانفرادى .

قال تعالى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَبْتَغِبُونَ كِبَاءَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٣) .

وليس معنى المشورة أن يلتزم ولى الأمر فى الأخذ برأى الأغلبية ، فله أن يخالفها باجتهاد لا يخالف الشرع ، إذا لم يكن عن هوى فى النفس ، وإنما عن تقوى ، وما يقره يكون ملزماً (٤) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

(١) د . زيدان عبد الباقى : أسس المجتمع الاسلامى والمجتمع الشيوعى (مرجع سابق) ص ٦

(٣) آل عمران : ١٥٩

(٢) الشورى : ٣٦ - ٣٨

(٤) أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهدية (مرجع سابق) ص ٥٨ - ٥٩

أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١٢٠ - ١٢١

سميح عاطف الزين : لن الحكم (مرجع سابق) ص ١٩١

وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿ (١) .

ولذلك فإن نظام التصويت ليس مقياساً للصواب والخطأ ، وإنما المشورة للعلماء ، وأهل الاختصاص حسب كل موضوع يتم عرضه ومداولته ، لأن رأى العالم فى مسألة وفى اختصاصه يرجح على رأى الأغلبية من ليس لهم علم فيها .

فيجب أن يكون التصويت مبنياً على أساس من المعرفة بموضوع التصويت ، وإلا فلا تصويت لا بالسلب ، ولا بالإيجاب .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٢) .

ولذلك فإن للعلماء والعارفين حرية النقد ، ممن يكون هدفهم إظهار الحق واتباعه ، والتعاون فى معرفته (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أذَاعُوا بِهِ ، وَكُودُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ، وَكُودُوا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لِاتَّبِعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ ... وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٥) .

(١) النساء : ٥٩

(٢) الإسراء : ٣٦

(٣) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٩٤

أحمد نجم حافظ : حقوق الإنسان بين القرآن والاعلان (مرجع سابق) ص ١٢٥ - ١٢٦

د . زيدان عبد الباقي : أسس المجتمع الاسلامى والمجتمع الشيوعى (مرجع سابق) ص ١٢

أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهدية (مرجع سابق) ص ٥٥

(٥) المائدة : ٢

(٤) النساء : ٨٣

كما يجب أن تتوفر الصراحة التامة بين أفراد المجتمع وولى الأمر ، والسماع والاحترام المتبادل بين جميع الفرقاء .

وعن معقل بن يسار المزنى ... قال : إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته ، إلا حرم الله عليه الجنة » (١) :

ولذلك يجب على الإمام وأهل الشورى أن تكون بطانة ولى الأمر ممن يكون أهلاً لها .

عن أبي سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « ما بعث الله من نبى ، ولا استخلف من خليفة ، إلا كانت له بطانتان ، بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، فالمعصوم من عصم الله تعالى » (٢) .

(هـ) الاجتهاد والاستنباط :

إن التشريع الإسلامى وضع الأحكام والقواعد والأصول الثابتة ، التى تتفق مع كل زمان ومكان .

ولذلك فإن الدولة يجب أن ترعى عملية الاجتهاد والاستنباط فى أحكام ما يستجد فى الحياة ، بحكم التغير الاجتماعى فى المعارف والإمكانيات ، مما يُحقِّق الصالح العام للفرد والمجتمع .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ، وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٣) .

وعن عبد الله بن عمرو عن رجال من أصحاب معاذ « أن رسول الله ﷺ بعث

(١) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٢١ ، ج ٣ ص ١٤٦ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الاحكام ، باب : بطانة الإمام وأهل مشورته ، ج ٨ ص ١٢١ .

(٣) النساء : ٨٣ .

معاذاً إلى اليمن فقال : كيف تقضى ؟ فقال : ألقى بما فى كتاب الله . قال : فإن لم يكن فى كتاب الله ؟ قال : فبِسُنَّةِ رسول الله . قال : فإن لم يكن فى سُنَّةِ رسول الله ﷺ ؟ قال : أجتهد رأياً . قال : الحمد لله الذى وَفَّقَ رسول رسول الله ... » (١) .

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال : « أكثروا على عبد الله بن مسعود ذات يوم فقال عبد الله : إنه قد أتى علينا زمان ولسنا نقضى ولسنا هنالك ، ثم إن الله عز وجل قدَّر علينا أن بلغنا ما ترون ، فمن عُرِضَ له منكم قضاء بعد اليوم فليقض بما فى كتاب الله ، فإن جاء أمر ليس فى كتاب الله فليقض بما قضى به نبيه ﷺ ، فإن جاء أمر ليس فى كتاب الله ولا قضى به نبيه ﷺ فليقض بما قضى به الصالحون ، فإن جاء أمر ليس فى كتاب الله ولا قضى به نبيه ﷺ ، ولا قضى به الصالحون ، فليجتهد رأيه ، ولا يقول : إنى أخاف ، وإنى أخاف ، فإن الحلال بيِّن ، والحرام بيِّن ، وبين ذلك أمور مشتبهات ، فدع ما يُرِيبك إلى ما لا يُرِيبك » (٢) .

وإن دائرة المباح واسعة ، والاجتهاد مطلوب فيها ، لتحقيق المصالح والمنافع للدولة والفرد . كالتنظيم الإدارى للدولة ، فقد أخذ عمر بن الخطاب رضى الله عنه من تجارب الأمم الأخرى فكرة الديوان (٣) .

ولذلك يجب أن يكون الاجتهاد ممن تتوفَّر فيه التقوى والمعرفة والإدراك لقواعده (٤) .

* * *

(١) رواه الترمذى فى كتاب الأحكام ، باب : ما جاء فى القاضى كيف يقضى ، ج ٢ ص ٣٩٤ ، ورواه أحمد ج ٥ ص ٢٤٢

(٢) رواه النسائى فى كتاب آداب القضاء ، باب : الحكم باتفاق أهل العلم - طبعة دار الكتب العلمية ببيروت - ج ٨ ص ٢٣ .

(٣) د . زيدان عبد الباقي : أسس المجتمع الإسلامى والمجتمع الشيوعى (مرجع سابق) ص ١٨

(٤) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١١٩ - ١٢٠ .

● أهداف الدولة :

يتضح مما سبق أن الدولة الإسلامية ترعى مجتمعاً له حياة الدنيا والآخرة ، حياة تستوجب السعادة والاستقرار والأمن ... ولكل فرد تعامله الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ... وأداء الواجبات أصل فى المجتمع ، مما يتطلب تكيينه من أدائها .

وإن الضعف فى رعاية ذلك فيه ضعف للدولة (١) .

قال تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ ﴾ (٢) .

ولذلك فإن الدولة مركز النشاط فى رعاية أهداف المجتمع ، فيجب أن تكون قوية فى الداخل والخارج ، وأن تعمل على صيانة نفسها والمجتمع من عوامل الضعف ، الذى لا يمكن تحقيقه إلا بإسناد مناصب الدولة إلى أهلها (٣) .

وبذلك تستطيع الدولة أن تنهض بمهامها ، لتحقيق أهداف المجتمع وتسيير أمور الخلافة المادية والروحية ، فينأط بها المسؤوليات التالية :

(أ) إقامة الحاكمية لله تعالى :

فهى أساس المنهج العلمى للدولة فى قيادة أمور الخلافة لله تعالى فى الأرض فى جميع شؤون الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ... وهذا يعنى سيادة القانون الإلهى كما سبق .

(ب) القوة الداخلية :

فالدولة تعمل على بناء التنظيمات والهياكل لإدارة شؤون المجتمع كالوزارات

(١) إبراهيم إبراهيم هلال : الدين وقيادة الدنيا (مرجع سابق) ص ١١٥

(٢) الرعد : ١١

(٣) صلاح عبد القادر البكرى : القرآن وبناء الإنسان (مرجع سابق) ص ١١١

والمؤسسات ... والتي تعمل على تحقيق المصالح والمنافع ، وتعمل على صيانة المكاسب .

ولتحقيق ذلك لا بد أن تعمل الدولة على بناء أفراد المجتمع على العقيدة الإسلامية ، التي تُشكّل دافعاً قوياً لضبط السلوك الفردي في المجتمع ، وفق المنهج الإلهي ، بل إن تأثير هذا الدافع يتعدى دائرته الفردية إلى دائرته الاجتماعية ، ليكون الفرد مصلحاً داخل المجتمع ، فيكون في جانب الإيجابية نحو نفسه ومجتمعه .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ، مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢) .

وبذلك تعمل الدولة والفرد على القضاء على أسباب الضعف في المجتمع ، كما تعمل على منع وقوعه .

وإن وضع الدولة الأجهزة والمؤسسات التي تقوم بذلك لا يعنى الفرد من القيام بواجبه ، وإن كان يجب أن يكون عن طريقها إذا تعدى أسلوب الأمر والنهي اللسان ، أو خيف أن يتعداه .

ولتسهيل ذلك يجب على الدولة أن تعمل على تحقيق المساواة الاجتماعية في الحرية والمواطنة والتابعة وتكافؤ الفرص ... فليس في المجتمع الإسلامي فوارق عنصرية ، أو فوارق لجاه أو نسب ، أو مال ...

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

وإذا كان يجب على الدولة أن تُمكن كل فرد من القيام بواجبه ، فإن عليها أن تعمل على تسهيل استغلال الطاقات والإمكانات الفردية والاجتماعية ، لتحقيق المصالح الخاصة والعامة ، لتشد أزر كل مجتهد ، ولكل أجر حسب إنتاجيته .

عن عبد الله بن عمر رضی الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ألا كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام الذي على الناس راع ، وهو مسئول عن رعيته ... » (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) .

كما ترعى الدولة حقوق الضعفاء والفقراء بما يجب لهم على المجتمع لتشد أزرهم ، ولتتجنب عواقبهم ، وما قد يتكون لديهم من خبرات انفعالية سلبية تجاه المجتمع .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (٤) .

ولذلك فإننا سنجد مجتمعاً يسوده العدل الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ...

فالمجتمع الإسلامى تربطه عقيدة واحدة ، ومنهج واحد ، ومشاعر إنسانية

(١) الحجرات ١٣

(٢) رواه البخارى فى كتاب الاحكام : باب : قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ... ﴾ (النساء : ٥٩) ج ٨ ص ١٠٤

(٣) الأنعام : ١٦٥

(٤) الحج : ٤١

نبيلة ، ليكون مجتمعاً متلاحماً ، ومتعاوناً على البر والتقوى والعمل الصالح ،
فيتحقق الأمن والاستقرار والاطمئنان ...

وإن هذه الكينونة تُخَفِّفُ على الدولة أعباء إدارة المجتمع ، كما تُقَلِّلُ تكاليف
الإدارة فيه البشرية والمالية ... لتستغلها فى قطاعات إنتاجية تعود بالصالح
العام على الفرد والمجتمع .

(ج) القوة الخارجية :

إن المجتمع الإسلامى مجتمع قوى بقوة إيمان أفرادهِ ، فهم قاعدته الأساسية
التي تعنى قوة فى أجهزته ووحداته للقيام بواجبها ، فقرة فى إنتاجياتها
واقتصادياتها .

ومثل هذا المجتمع يجب أن يكون قوياً فى علاقاته الخارجية مع الدول الأخرى ،
فيفرض وجوده ، ويحمى دولته ، ويُعلن الجهاد بكل قوة وعلانية وإصرار لإعلاء
كلمة الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ،
وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ
دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾ (٢) .

وإن الدعوة إلى الدين الإسلامى تبدأ بالحسنى ، وأساليبها واسعة ومتيسرة ،
وإن كثيراً من المجتمعات المعاصرة متيسرة لسماع هذه الدعوة ، وهى دعوة
أقرب إلى العقول والقلوب من أى دعوة أخرى .

ومما يدل على ذلك أن نسبة قبول الدعوة الإسلامية لدُعائها وإمكانياتهم تفوق نسبة قبول المسيحية بالنسبة لدُعائها وإمكانياتهم (١) .

وتلك مجموعة من العوامل التي يجب على المسلمين أن يستغلوها ويخططوا لها بكل جدية وعزيمة .

قال تعالى : ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ، قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ، فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥) .

أما إذا تعرضت هذه الدعوة إلى الصد ، فإنه يجب على المسلمين إعلان الجهاد في سبيل الله تعالى ، للقضاء على الحواجز ، وإعطاء الإنسان الحرية الحقيقية أمام هذه الدعوة في قبولها أو الإعراض عنها مع دفعه الجزية للدولة الإسلامية ، التي يعيش في ظل نعيمها دون أن يطلب منه أي حقوق غير الجزية لها (٦) .

(١) أحمد عبد الغفور عطار : إنسانية الإسلام ، دار الأندلس ، ط ٢ ، ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) ص ٦٢ - ٦٣

(٢) النحل : ١٢٥ (٣) الأعراف : ١٩٩ - ٢٠٠

(٤) فصلت : ٣٤ (٥) البقرة : ٢٥٦

(٦) أبو الأعلى المودودي : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١٠٠ - ١٠١

سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٨٩

قال تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (١) .

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : « اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، واغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهم ما أجاوبك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجاوبك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من ديارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجري عليهم حكم الله ، الذي يجرى على المؤمنين ، ولا يكون لهم في الغنيمة شيء ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن هم أبوا فسلهم الجزية ، فإن هم أجاوبك فاقبل منهم ، وكف عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله ، وقاتلهم ... » (٢) .

وإن على الدولة الإسلامية أن تصالح أعداءها إذا اقتضت المصلحة ذلك صلحاً متوازناً لا ركون فيه ، لأن الركون فيه إضعاف للدولة الإسلامية ، كما يجب أن تعاملهم بما ظهر منهم ، دون ما خفى ، ولو ظن بهم ظن السوء ، لأن اليقين لا يدفع به ، ولكن على المسلمين الحيطة بالقوة (٣) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ *

(١) التوبة : ٢٩

(٢) رواه مسلم في كتاب الجهاد ، حديث ٣ ، ج ٣ ص ١٣٥٧

(٣) الراغب الأصفهاني : تفصيل الشهاداتين وتحصيل السعادتین (مرجع سابق) ص ٤١

أبو الأعلى المودودي : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١١٥

فَأَمَّا تَنَفَّقْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ * وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ * وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ، إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ * وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ * وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ، هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿ ١١ ﴾ .

وما سبق يتضح أن للدولة أهمية كبيرة في قيادة المجتمع في مسيرة متوازنة بين خصائص الإنسان وما سُخِّرَ له في الكون من جهة ، وبين هذا التفاعل الإنساني والمنهج الإلهي من جهة أخرى ، وبمعنى آخر فإن الدولة تعمل على الالتقاء بين الإرادة الكونية لله تعالى والإرادة الشرعية في مسيرة الإنسان .

وإن السلطان يمثل قمة أو مركز الدولة الإسلامية ، الذي يدور حوله جميع فعاليات المجتمع في « الإسلام والسلطان أخوان توأمان ، لا يصلح (٢) واحد منهما إلا بصاحبه ، فالإسلام أس ، والسلطان حارث ، وما لا أس له يُهدم ، وما لا حارث له ضائع » (٣) .

وفي الأثر : « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن (٤) » (٥) .

* * *

● تحقيق الخلافة :

كما سبق تتضح مقومات الخلافة للإنسان في الأرض ، ودور كل مقوم في

(١) الأنفال : ٥٥ - ٦٢

(٢) لعل المراد به « لا يصلح ... » هو : لا يقوم واحد منهما إلا بصاحبه

(٣) رواه الديلمي عن ابن عباس . انظر : علاء الدين على المتقى حسام الدين : كنز العمال

(مرجع سابق) ج ٦ ص ١٠

(٤) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) ج ٣ ص ٥٩

(٥) وقال به الحسن وقتادة واختاره ابن جرير وابن كثير

الشوكاني : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٣ ص ٢٥٢

تحقيقتها ، وإن الخلافة حقيقة ثابتة للإنسان لما يتمتع به من خصائص فى التكوين - العقلية ، والنفسية ، والجسدية - ولما سُخِّرَ له فى الكون بصفة عامة ، وفى الأرض بصفة خاصة .

وإن الإنسان ليس له اختيار فى إيجاد خصائصه ، أو ما سُخِّرَ له فى الكون وفق سنن وقوانين ثابتة ، والتي له مجاراتها أو التغيير فيها لزيادة استثمارها (١) .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ (٣) .

ولا شك أن الله واحد ، وأنه تعالى أراد بـ « الخالقين » إشراك الإنسان بعمله الذى هو امتداد لخلق الله تعالى ، وهو خلق دون خلق .

وإن فى ذلك - أيضاً - تكريم للإنسان .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٤) .

وإن للإنسان خصائصه الإلزامية كالدوافع العضوية ، وخصائصه القريبة منها كدوافع نفسية فطرية مثل حب التملك والخلود ... وهذه الخصائص لها دورها فى الحياة ، وطواعيتها للتفاعل مع سنن الإنتاج والتنمية (٥) .

(١) حسن صعب : الإسلام والإنسان (مرجع سابق) ص ٨٥

صلاح عبد القادر البكرى : القرآن وبناء الإنسان (مرجع سابق) ص ٥٤

(٢) هود : ٦١ (٣) الصافات : ١٢٥ (٤) الإسراء : ٧٠

(٥) د. محمد ظفر الله خان : الإسلام والإنسان (مرجع سابق) ص ٣٨

الراغب الأصفهاني : تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتين (مرجع سابق) ص ٥٢

كما أن له خصائصه التي هي أقرب للاختيار منه للإلزام كدافع التدين والمعانى
المجردة كالحير والشر .

ولذلك فإن ميزة الإنسان فى استثمار خصائصه فى فعالياته المختلفة
الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ... عن تعادلية تنمى جميع خصائصه
وتستثمرها عن أمن واطمئنان واستقرار ...

وحيث إن الإنسان ذو طبيعة مزدوجة ، فهو يستجيب إلى هذه التعادلية ،
كما يستجيب إلى خرقها .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * قَالَهْمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ
أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (١) .

فالإنسان ليس لديه قدرة على تقييم ذاته وأبعادها ، كما أن ليس له إدراك
مسائله المحيطة به وأبعادها .

ولذلك يحتاج الإنسان إلى منهج يدرك خصائصه وأبعادها ، ويدرك مسائله
المحيطة به وأبعادها ، لتكتمل صورة التكريم له ، ولعمارة عالمه الباطنى
وعالمه الظاهرى عن انسجام .

وهذا لا يمكن أن يكون إلا ممن أدرك ذلك ، وهو الذى خلقه فأحسن خلقه
وخلقه .

قال تعالى : ﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٢) .

ولذلك فإن المنهج الإلهى هو الحل الوحيد لمشكلة الإنسان فى حياته على
الأرض لهدايته ، كما أنه وسيلته للحياة السعيدة فى الآخرة ، ودونه يتحقق ما
رأته الملائكة فى استخلاف الانسان فى الأرض .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً ، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (٣) .

والتكليف يحتاج إلى قاعدة صلبة ، وهي قاعدة الإيمان ، التي تعمر حياة الإنسان الباطنية قبل حياته الظاهرية ، وتبنى على أسس من خصائصه كدافع الدين ، ليكون الإيمان دافعاً قوياً وصحياً يقوده نحو التعادلية في خصائصه من جهة ، والإعلاء والسمو بها من جهة أخرى .

كما أن الإيمان يحتاج إلى ما يحفظه ويوقظه باستمرار ، وإلى ما يُقويه ، ولذلك لا بد من مقومات تحافظ عليه وتُنميه .

وحيث إن الإنسان خُلِقَ لغاية سامية ، وهي العبادة لله تعالى ، فإنه جل جلاله جعل عبادته مبنية على قاعدة الإيمان التي لها دورها في الالتزام بالمنهج الإلهي من جهة ، وفي فعاليات النشاط الإنساني في عمارة الأرض من جهة أخرى .

كما أن الله تعالى جعل عبادته بمنهج فيه حل لمشكلة الإنسان وإعانتته وهدايته في نشاطه وحركته للقيام بمهمة الخلافة في الأرض .

ولذلك تصطبغ الحياة الخاصة والحياة العامة بصبغة الإيمان والمنهج الإلهي ليكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً متكاملأً في بناء الفرد والمجتمع (٤) .

(٣) طه : ١٢٣ - ١٢٤

(٢) البقرة : ٣٨

(١) البقرة : ٣٠

(٤) د . زيدان عبد الباقي : أسس المجتمع الإسلامي والمجتمع الشيوعي (مرجع سابق) ص ١٨

ولهذه البيئة الاجتماعية دورها الخفى والظاهر فى بناء الدوافع النفسية المكتسبة كالحب والكراهة الإيجابيين ...

كما تجنبه الخبرات الانفعالية السلبية كالحقد والحسد ...

وإن فى ذلك إعانة للفرد لإصلاح نفسه بمجاهدته الذاتية ، كما أن له دوراً فى الإصلاح الاجتماعى .

فالإسلام يعتبر جميع فعاليات الإنسان الذاتية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ... عبادة إذا كانت مبنية على أساس قاعدة الإيمان .

ولذلك فإن الإسلام دين لم يدع مجالاً فى حياة الإنسان إلا ونفذ إليه فى توجيهاته وإرشاداته (٢) .

فالمنهج الإسلامى أوجب على الإنسان العلم والعمل ، وأسبابهما ، ليتمكن من استثمار خصائصه فيما سخر له ، للكشف عن أسرار الكون والاستفادة منها .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ (٣) .

كما أوجب على الإنسان التحصينات والضمانات لحماية مكاسبه عن طريق رسم التصورات العليا له كأركان الإيمان .. والمنهج الذى يهتدى به ، حتى لا تحطم يده اليسرى ما بنت يده اليمنى .

(١) محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام (مرجع سابق) ص ١١٩

محمد الغزالي : نظرات فى القرآن (مرجع سابق) ص ٦٥

(٢) لقمان : ٢٠ .

ولذلك فالمؤمن فى فعالياته قريب من الله دون واسطة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١) .
كما أن الله قريب من المؤمن .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٢) .
وقال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٣) .

وليس فى الإسلام ما يُعيق تقدم أمته فى بناء الفرد والمجتمع أو أن تحظى بالمعرفة والثروة والقوة ... ولكن له مقومات العزة فى كل ذلك (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (٦) .

فالعبادة المحضة ليست وسيلة صحيحة لعمارة الأرض وامتلاكها كما أن الكفر ليس مانعاً (٧) .

ولذلك فالإسلام ليس دين رهينة .

(٣) القصص : ٥٦

(٢) البقرة : ١٨٦

(١) الأنفال : ٢

(٤) عبد الرحمن عيسوى : لماذا أنا مسلم (مرجع سابق) ص ١٠

(٦) الأنبياء : ١٠٥

(٥) المنافقون : ٨

(٧) أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهدية (مرجع سابق) ص ١٦٨

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

ومما سبق نلاحظ أن العمارة المادية التي تعمرها الحضارة المادية تكاد تكون
إلزامية ، لأنها وسيلة لإشباع دوافع إلزامية - الدوافع العضوية - أو دوافع
قريبة منها عند الإنسان ، والتي لها دورها فى الحياة ، وطواعيتها للتفاعل مع
سُنن الإنتاج والتنمية (٢) .

وإن الإنسان المادى لا يؤمن إلا بجانبه المادى ، الذى تدركه الحواس ، وإنه
تفاعل كيميائى وكهربائى للجسد ، وجنس تطور من أجناس حيوانية تطوراً
تلقائياً محضاً ، وينتهى وجوده إلى الفناء الذى لا خلود بعده ، فهو حقير
وضئيل بالمقاييس الزمنية والمكانية للكون وإن ذهب بعضهم إلى تأليه الإنسان
لغروره بما يمتلكه من قدرات وإمكانيات ...

فهذا تقييم الماديين للإنسان والحياة ، وهذا ما يبنى عليه منهجهم .

ولذلك يعيش المادى لذاته ، ومتاع حياته ، فهو يدور حول نفسه (٣) .

وحيث إن الإنسان يتصف بالوعى الذى يرقى به إلى معانى مجردة
للمحسوسات ، كما أن له خصائصه الفطرية كدافع التدين وحب الخلود ... فإن
نفسه لا تقبل ذلك التفسير للذات والحياة ، مما يجعله يُصاب بالأمراض النفسية
كالقلق والحيرة والشك ...

(١) النحل : ١٤

(٢) محمد الفزالى : نظرات فى القرآن (مرجع سابق) ص ٥٩

د . حسن صعب : الإسلام والانسان (مرجع سابق) ص ٨٥

(٣) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٧٣ - ٨٥ ، ٧٧ ، ٧٩

ولا شك أن لهذه النظرة خبراتها الانفعالية السلبية كالأنانية ، وحب الشهوات والأهواء ، وحب السيطرة ، والطمع المادى .. (١) .

هذا الجانب من التكوين النفسى عند الماديين ، أما الجانب الآخر فهو ما يتعلق بالبيئة الاجتماعية ، لأن الإنسان اجتماعى بطبعه ، وتفاعله الاجتماعى يفرض عليه مبادئ وقيم وعادات ... مشتركة ، كما أن لهذا المجتمع قوانينه الوضعية التى تحكمه وتُسَيِّرُه .

ولا شك أن هذا التنظيم الاجتماعى متأثر بتلك النظرة الذاتية فى تقييم الذات والحياة ، والتى تُعتبر القاعدة الأولى فى تنظيم السلوك .

ولذلك فإن الرقابة الداخلية ضعيفة لرعاية المبادئ والقوانين ... لأنها لا يمكن أن تكون قوية بحيث تتغلب على تلك الدوافع الذاتية الأولية ، فالاحترام للتنظيم الاجتماعى نسبى بين الأفراد .

ولذلك ترعى تلك الأنظمة والقوانين رقابة خارجية بنسبة كبيرة ، فيكون لها آثار سلبية فى التكوين النفسى للأفراد كالكبت وحب الاعتداء والحقْد والحسد ... (٢) .

وإن لهذه البيئة وحيها الخفى والظاهر فى التكوين النفسى ، ليكتسب الفرد دوافع نفسية إيجابية وسلبية على السواء ، مما يجعل المجتمع بقدر ما يبني يهدم ، والعلاقات الاجتماعية مبنية على المصالح الذاتية أو التوفيقية غالباً ... (٣) .

ولذلك نشاهد أن هذه البيئة ترمى إلى حياة جاهلية كالتبعية والطائفية والوطنية والعنصرية والعنف ... (٤) .

(١) رينيه دوبو : إنسانية الإنسان (مرجع سابق) ص ١١ - ١٣

محمد متولى الشعراوى : فى تربية الإنسان المسلم (مرجع سابق) ص ٢٩

(٢) كلثون هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ١.١ - ١.٥

(٣) رينيه دوبو : إنسانية الإنسان (مرجع سابق) ص ١٤

(٤) عبد الرحمن عيسوى : لماذا أنا مسلم (مرجع سابق) ص ١٣ - ١٤ =

وإن الحضارة المادية حكمت على المسيحية التي تخضت حدودها القومية والزمانية بالفشل في بناء حضارة إنسانية متكاملة .

ولذا حددت دور الكنيسة في حدودها المكانية ، فلا تتعداه إلى السيطرة على الحياة العامة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ...

وذلك يرجع إلى أسباب موضوعية أهمها بإيجاز :

(أ) إن المسيحية ذات محدودية في القومية والزمنية ، فلم تكن ديانة عامة وإنما ديانة خاصة لبنى إسرائيل ، فليست ديانة صالحة بعد تعدي حدودها (١) .

وأول من جعلها ديانة عامة « بولس الرسول » حيث سمح للأمم الأخرى بالدخول فيها ، فانتقلت إلى الإسكندرية ثم إلى روما ... (٢) .

(ب) إن المسيحية لم تبين حضارة ، لأن همها إقامة الدين ومعالجة النزعة المادية عند اليهود ، حيث ركزت على الروحانية كالتسامح ، والتشف ، والسعى للأخرة ...

فهى لبناء الحياة الباطنية لبني إسرائيل (٣) .

(ج) إن المسيحية لم تُقم دولة ، فلم يحكم عيسى عليه السلام ولم تقم لها دولة إلا حينما أخذ بها الرومانيون وفرضها قسطنطين (٤) دين لأول دولة مسيحية بالحديد والنار ...

= رينيه دويو : إنسانية الإنسان (مرجع سابق) ص ٣٥ - ٣٦

(١) أحمد عبد الغفور عطار : إنسانية الإسلام (مرجع سابق) ص ٤ .

رينيه دويو : إنسانية الإنسان (مرجع سابق) ص ١٥

(٢) محمد عبد القادر الصحاوي : هذا هو الإسلام (مرجع سابق) ص ١١٢

(٣) عبد الرحمن عيسوي : لماذا أنا مسلم (مرجع سابق) ص ١٤٢

(٤) قسطنطين الكبير : أول امبراطور روماني مسيحي (٣١٢ - ٣٣٧ م)

منير البعلبكي : موسوعة المورد (مرجع سابق) ج ٣ ص ٨١

وهذه الدولة ليست مبنية على تشريعات مسيحية ، وإنما أخذت بالقوانين الرومانية ، لأن المسيحية لا تتضمن مثل ذلك (١) .

(د) إن المسيحية تعتمد على النظام الكهنوتي الذى يتولاه البابوات الذين يزعمون أنهم ممثلون لله فى الأرض ، فلمهم سيطرتهم الدينية فى التوجيه والإرشاد ، ولكنهم وسَّعوا دائرة سلطاتهم لتشمل الحياة كلها الفكرية والعلمية . لينفذوا إلى جميع جوانب الحياة لفرض آرائهم ، بل إن دائرة سلطاتهم تعدت الحياة الدنيا إلى الآخرة .

ولذلك فإنهم يُفسِّرون الأناجيل تفسيراً خاصاً بهم ، دون أن يكون للعقول الأخرى أدنى تفكير يتعارض معهم ، فحاربوا العلم والعلماء بل أعدموا المفكرين والعلماء ... (٢) .

(هـ) إن المسيحية احتوت بعد التحريف على مغالطات فكرية كبيرة ، لا تقبلها العقول الراجحة ، ولعل أهمها :

١ - إن غاية وجود الإنسان التكفير عن خطيئة آدم عليه السلام ، ليأكل بعرق جبينه كما يزعمون (٣) .

بالإضافة إلى أن المسيحية دين رهينة ، لا يمكن أن يبنى حياة تعمر الأرض .

٢ - إن المسيح عليه السلام إله - كما يزعمون - ولم يتزوج ، فهل يصلح أن يكون قدوة للبشر ؟ (٤) .

(١) محمد عبد القادر الصحاوى : هذا هو الإسلام (مرجع سابق) ص ١٠٢

(٢) عبد الرحمن عيسوى : لماذا أنا مسلم (مرجع سابق) ص ١٤٢ - ١٤٦

محمد عبد القادر الصحاوى : هذا هو الإسلام (مرجع سابق) ص ١٠٢ - ١٠٣

(٣) د . عبد الغنى عيود : الحضارة الإسلامية ، دار الفكر العربى ، ط ١ ، ١٩٨١ م ، ص ١٤١

(٤) أحمد عبد الغفور عطار : إنسانية الإسلام (مرجع سابق) ص ١١٠

أبو عبيدة الخزرجى : بين الإسلام والمسيحية ، تحقيق د . محمد شامة ، مكتبة وهبة ،

ص ٦١ - ٦٢ ، ١٧٨ - ١٨١

٣ - إن صلب المسيح عليه السلام - كما يزعمون - تكفير عن خطيئة آدم عليه السلام ، وهل يكون التكفير عن الخطيئة بصلب ابن الله - كما يزعمون - الوحيد ؟ ^(١) وما هي غاية الإنسان بعد التكفير ؟

وهل قيامة المسيح عليه السلام حدثت بعد غيبته حينما ظهر بعد صلبه ؟ وهل رُفِعَ إلى السماء ، ودخل في جهنم لمحاسبة الأنبياء السابقين كما يزعمون ؟ ^(٢) .

٤ - ما تنطوى عليه المسيحية المحرّفة من صفات وثنية .

٥ - إن المرأة جنس نجس أو شيطان - كما سبق - فهي سبب شقاء الإنسان، ونزوله إلى الأرض ، كما أن تفكيرها ليس عملية عقلية وإنما عملية غريزية ^(٣) .

وتلك بعض الأسباب التي جعلت الحضارة المادية تفصل نشاط الدولة في قيادة المجتمع عن وصاية رجال الكنيسة ، بل أن تبعد الكنيسة عن الحياة العامة ، لأن ليس لديها منهج حياة تقبله العقول .

ولكن هل يجوز أن يحكم إنسان في بلاد المسلمين على الدين الإسلامي بما حكم به الماديون على المسيحية ؟

وفيما سبق يكفي للرد على هذا التساؤل . وأنه قياس باطل ، يتصف صاحبه بالجهل على فرض حسن النية .

فالمسيحية ديانة مكملة للديانة اليهودية لمعالجة ما أصاب اليهود من نزعة مادية ، جعلتهم يتصفون بصفات سلبية كمبدأ القوة ، والأنانية والعنصرية ...

(١) رينيه دويو : إنسانية الإنسان (مرجع سابق) ، ص ١٥

(٢) أحمد عبد الوهاب : المسيح ، مكتبة رهبية ، ط ١ ، ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) ص ٣.٦ - ٣.٩

موريس بوكاي : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ترجمة نخبة من الدعاة ، دار الكندي ،

ط ١ ، ١٣٩٨ هـ ، ص ٩٧ - ٩٩

(٣) عباس محمود العقاد : المرأة في القرآن (مرجع سابق) ص ٧٦ - ٨٠ .

باسمة كبال : تطور المرأة عبر التاريخ (مرجع سابق) ص ٦٣ - ٦٥

محمود الجوهري : الأخت المسلمة (مرجع سابق) ص ٥٥ - ٥٦

وإن هذه النزعة دفعتهم إلى فكرة التجسيد لله تعالى ، والوثنية ووصف الله بالنقص ... تعالى الله عما يصفون ، رغم قولهم بالتوحيد (١) .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ ... ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ، غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ... ﴾ (٣) .

وقال تعالى : : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (٤) .

وإن اليهود أول من ابتدع العنصرية ، وبنوا تعاملهم وعلاقاتهم مع غيرهم على أساس أنهم شعب الله المختار ، وهى باقية معهم حتى الآن ، وأن غيرهم يجب أن يكون مُسخراً لهم (٥) .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدَّهُ إِلَيْكَ وَمَنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدَّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٦) .

وإن اليهودية تشارك المسيحية - كدينين مستقلين - فى اعتمادهما على النظام الكهنوتى فى العبادة ، فلا تجوز خارج المعبد ، كما لا تجوز دون وسيط ، وأنهما لم يتضمنا أسس دولة . وأن لهما حدودهما القومية والزمنية . وأن التوراة والإنجيل قد تعرضا للتحريف (٧) .

(١) أحمد عبد الغفور عطار : إنسانية الإسلام (مرجع سابق) ص ٣٧ ، ١٠٢ .

(٢) التوبة : ٣٠ (٣) المائدة : ٦٤ (٤) آل عمران : ١٨١

(٥) د . أحمد شلبى : مقارنة الأديان - اليهودية - مكتبة النهضة المصرية ، ط ٢ ، ١٩٦٧ م ،

ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٦) آل عمران : ٧٥

(٧) محمد عبد القادر العمارى : هنا هو الإسلام (مرجع سابق) ص ٩٢

أحمد عبد العزيز عطار : إنسانية الإسلام (مرجع سابق) ص ١٠٣

ومما سبق يتضح أن كل دين فاسد يفسد الحياة سواء أكان ديناً محرّفاً انتهى
أجله ، أو ديناً وضعياً كالبودية التى تدعو إلى خنق الشهوات ، والبعد عن
الشر .

وإن للإنسان مطالبه المادية والروحية التى يجب أن يكون إشباعها عن تعادلية
وإتزان .

ولذلك فإن للإنسان شهواته التى يجب الاستجابة لها ، وعدم فعل الشر لا
مزية له ، ولكن المزية فى فعل الخير ، وحياة دنيا الواقع وفق خصائص الإنسان
وما سُخِّرَ له عن تعادلية وإتزان (١) .

* * *

(١) أحمد عبد الغفور عطار : إنسانية الإسلام (مرجع سابق) ص ٤١ - ٤٢
د . أحمد شلبى : مقارنة الأديان - أديان الهند الكبرى - مكتبة النهضة المصرية ، ط ٢ ،
١٩٦٦ م ، ص ١٦٢ - ١٦٦

الخاتمة

عشتُ مع الروح أياماً عديدة هي عندي أحلى من الشهد ، وأجلى من نور الشمس في رابعة النهار ، ولو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ لعدتُ لكتابة البحث مرة أخرى ، لعله يُعيد لى الطاقة التي تمتعتُ بها مع المعجزات الإلهية في الآيات القرآنية ، وفي النفس البشرية ، وفي معالجة القرآن لقضايا الإنسان ... ولقد كانت معجزات بأبهى صورة ، وأجلى مظهر ... وإن الجمع بين النفس والكون في آيات قرآنية يُوحى بذلك .

وإن للإنسان دوافعه الواعية التي تدفعه إلى البحث عن كيفية وجوده ، مما يجعله يفرض الفرضيات التي يحاول عن طريقها سد هذه الفجوة في الكيان النفسى .

ولذلك احتوت المعارف الإنسانية على كثير من الفرضيات التي تعتمد على أسس أسطورية موروثية ليس لها أسس تقوم عليها إلا استغلال تلك الدوافع النفسية ، لملء هذا الفراغ ، ولكنها تملئه بالهواجس والأوهام والظنون ...

وإن الفرضية الحديثة في هذا الشأن ، هي فرضية التطور - النشوء والارتقاء - التي بُنيت على منهجية علمية ثبت مع الأيام خطأ القواعد التي تقوم عليها كخطأ قاعدة تحول المواد غير العضوية إلى مواد عضوية ، وكذا قضية وراثية الصفات المكتسبة

ولعل القاعدة الأساسية التي يتشبهت بها أنصار الفرضية هي بقايا الإنسان والحيوان التي تم اكتشافها ، ومحاولة تصنيفها على أساس مفهوم التطور وفق الشكل الظاهري لها ، ولكن لم يكن ذلك وفق العمر الزمني لأن بينها فروقات كبيرة ، وهذه الفروقات تثبت خطأ هذا التصنيف ، كما يثبت يوماً بعد يوم خطأ نسبهته إلى نوع واحد .

وإن لتلك الدوافع النفسية عند الإنسان لمعرفة وجوده ، وسيطرة مفهوم الفرضية ، ولما تمتاز به من رسم خيالى مقبول عنده ، يجعل هذه الفرضية باقية إلى أن يظهر إلى الوجود نظرة أخرى تحل محلها .

وإن هذه الفرضية ستبقى عند أهل الإلحاد ، لأنها تمثل قاعدة أساسية لهم فى مبادئهم وهى « التطور التلقائى المحض » .

ومما يُساعد هذه الفرضية - أيضاً - على البقاء تدرج أنواع المخلوقات من الأدنى إلى الأعلى فى التكوين .

وهكذا إنسان اليوم هو إنسان الأمس فى هذا المجال الذى لم تقع عليه حواسه للحكم ، وأنه إذا عاش خارجها عاش فى حكم الهواجس والأوهام والشكوك ... ولا شك أن مفهوم الإنسان لوجوده له أثر كبير فى بناء الذات الإنسانية ، ولذلك تشعبت الأمم إلى فلسفات مختلفة عن الوجود والحياة والموت ...

وإن مثل هذه التصورات لا يمكن للإنسان أن يهتدى إليها بحواسه لأنها تتعلق بتصورات عليا لغايات الوجود ...

ولذلك فإن الإنسان بحاجة إلى الوحي الإلهى الذى يمنحه هذه التصورات ... وبهذا يتضح أن قضية الإيمان أهم من قضية الوجود ، وإن كان الوجود يدل عليه ويؤكدده إذا اهتدى إليه .

فالوحي الإلهى لا يمنعه من البحث والدراسة للتأمل والتفكير فى مخلوقات الله ، والاستفادة منها ، وهذا لن يزيده إلا إيماناً بما منحه من أخبار ، لأن ليس فيها نقيضة للعقل .

ولذلك فالوحي الإلهى يحمل معه المعجزات التى تدل على صحته وصدقه فى أنه من لدن لطيف خبير .

ولقد تعرض كل من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة إلى قضية خلق

الإنسان ، وإن لها أثراً فى إعطائه بعض التصورات العليا لوجوده ، ولعلى أوجز بعض المعطيات فى النقاط التالية :

١ - إن آدم عليه السلام هو الإنسان الأول ، وخلق زوجه منه ، وبث الله منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، فخلق ذريتهما لم يكن كخلق زوجه عليه السلام ، كما أن خلق زوجه لم يكن كخلقه ، فنسلهما خُلِقُوا فى ظلمات ثلاث فى بطون أمهاتهم ، وأما آدم فلم يُخلق فى مثل ذلك .

٢ - إن المرحلة الأخيرة قبيل خلق الإنسان الأول - نفخ الروح فيه - مرحلة صلصال كالفخار ، مما يعنى انتفاء مظاهر الحياة عنها .

٣ - إن الإنسان خلق جديد لم يسبقه مثله ، خلقه الله تعالى بيده ، ونفخ فيه من روحه ، ومنحه خصائص فى التكوين لم تكن لغيره من المخلوقات ، وسجدت له الملائكة بعد خلقه مباشرة بأمره تعالى ، فالمقام مقام خفاوة وتكريم .

٤ - إن المؤمنين والمؤمنات يدخلون الجنة على صورة آدم وزوجه التى خُلِقَا عليها مما يشير إلى أنها صورة تتناسب مع المقام فى الجنة .

وإن ذريتهما تتناقص فى جمال هذه الصورة فى الحياة الدنيا ، وكيف لا ؟ وحواء أجمل من الحور العين .

٥ - إن آدم وزوجه عليهما السلام يعرفان أن مصيرهما فى الأرض التى استُخِلِفَا فيها ، وأن بقاءهما فى الجنة إلى أجل معلوم عند الله تعالى ، كما يعرف ذلك كل من الملائكة وإبليس .

٦ - إن الله تعالى رفع إليه بعض أنبيائه ، كما عرج بالنبى محمد ﷺ ، وآدم أبو البشر ، ونبى من أنبياء الله المكلمين ، وتمتع بخصائص فى الجنة لم تكن له أو لغيره فى الأرض .

ومما سبق يتضح أن آدم عليه السلام خُلِقَ انتزاعاً فى جنة فى المِلا الأعلى ، صنعه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه أمام كل من ملائكته وإبليس .

وإن هذه خصوصية لآدم عليه السلام لم تكن لغيره ، والمؤمنون يذكرونها فى

مقام الشفاعة يوم القيامة ، وأن لحواء خصوصية الخلق دون أم ، ولعيسى عليه السلام خصوصية الخلق دون أب .

وإن ذلك كله يتعلق بالأمر الإلهي في الخلق بـ « كن » فيكون .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (١) .

ولقد جرى الخلق انتزاعاً على أيدي الأنبياء .

قال تعالى : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، أَنِّي أَخَلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

وإن الإنسان هبط إلى الأرض للقيام بمهمته التي خلُق من أجلها ، فلم يُخلق للبقاء في الجنة ، ولكنه هبط بعد أن أخذ رصيذاً من التجارب ، عرف عن طريقها أين يكمن سر الهداية والنجاة .

فالمعصية التي وقع فيها هي من طبيعته التي أريدت له ، فكان نزوله بسببه ، فنزل مكرماً بتوبة صادقة تم قبولها ، وكانت استجابة لهدى الله ، فلم يكن في إنزاله إهانة ، وإنما أنزال كرامة وتشريف لمزاولة مهمته في عمارة الأرض .

ويتبع خلق آدم وزوجه خلق ذريتهما بعد هبوطهما ، ولهم صفاتهما الوراثة المتوازنة بينهما ، والقرآن الكريم أول من أشار إلى هذه الحقيقة ، كما احتوى على كثير من الحقائق العلمية التي لم تثبت في العلم البشري إلا بعد قرون من نزوله كمراحل خلق الجنين وتصويره

(٢) آل عمران : ٤٩

(١) آل عمران : ٥٩

وإن الإنسان يتكوّن من عنصرين وهما :

(أ) الجسد : وهو يمثل عناصر الأرض التى خُلِقَ منها .

(ب) الروح : وهو يمثل ما يمنحه الله تعالى لجسد الجنين من أمره بنفخ الملك فيه ، وليس هو سر الحياة ، أو التفاعلات الكيميائية والكهربائية للجسد ، لأن ذلك مما يتصف به قبل عملية النفخ - قبل مضى (١٢٠ يوماً) من عملية التلقيح بين الحيوان المنوى والبويضة - وفى عملية نفخ الروح يتحقق الإنسان .
ولقد تعرّض القرآن الكريم إلى الإنسان على أنه ذو طبيعة مزدوجة فى كينونة واحدة تتنازع فى حركته مجموعة من الدوافع الإلزامية ، والدوافع القريبة منها ، والدوافع الأقرب للاختيار منه للإلزام .

وإن الإنسان يتصف بالوعى فى حركته ونشاطه ، ويملك إرادة واختيار فى توجيه هذه الدوافع نحو السمو والإعلاء بها أو الانحطاط والتنازل بها .
ولذلك فإن الذات الإنسانية تستجيب إلى التعادلية فى الدوافع كما تستجيب إلى خرقها .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (١) .

وإن تفاعل الإنسان مع تلك الدوافع له مسافة طويلة بين الإيجابى جداً والسلبى جداً ، وهذا التفاعل هو الذى يُحدّد سلوكه .

ولقد حدّد القرآن الكريم ثلاث درجات عامة للمسلمين فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (٢) .

فالإنسان يتميز عن سائر المخلوقات المرئية فى الأرض بالوعى وهو يتأثر بتفاعلات كل من الجسد والنفس ، كما أن هناك تأثيراً متبادلاً بينهما .

(٢) فاطر : ٣٢

(١) الشمس : ٧ - ١٠

وإن معالجة القرآن لخصائص الإنسان لم تكن فيها معضلة للعقل المؤمن ، لأنها مبنية على أساس من وحدة النفس ، ووحدة القلب ، وسمو العقل على المحسوسات إلى معقولاتها .

ولذا نجد أن خصائص الإنسان تكمن فى الآيات القرآنية التى تتعلق بالنفس ، والقلب ، والعقل .

وإن الإنسان يتمتع بخصائص فى التكوين لم تكن لغيره من المخلوقات كالحرية والإرادة والاختيار ... كما أن الله تعالى سَخَّرَ له الكون والأرض بالقوانين والسُنن التى تتناسب مع خصائصه .

ولذلك تأهل الإنسان للخلافة عن الله تعالى فى الأرض لعمارتها بالتغيير والتبديل لما لديه من قدرات وإمكانيات ... وإذا لم يقدر على ذلك عمد إلى مجاراتها .

وإن الإنسان ليس لديه قدرة على تقييم ذاته وأبعادها أو ادراك مسائله المحيطة به وأبعادها .

ولذا كان الوحي الإلهى الذى يرسم التصورات العليا للإنسان والمنهج الذى يهتدى به فى فعالياته الذاتية والاجتماعية والاقتصادية ... لعامة عالمه الباطنى وعالمه الظاهرى .

وبهذا التكليف الإلهى تلتقى الإرادة الكونية مع الإرادة الشرعية لله تعالى على يد الإنسان لتحقيق الخلافة المتوازنة مع خصائص الإنسان .

* * *

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الأعلام .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الصفحات	رقمها	الآية
		{ سورة البقرة }
١٣٩	١	﴿ آلم ﴾
١٣٩	٢	﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين ﴾
١٣٩	٣	﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ﴾
٢٣٨ - ٣١٢	٨	﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله..... ﴾
٢٣٨ - ٣١٢	٩	﴿ يخادعون الله والذين آمنوا..... ﴾
٢٣٨ - ٣١٢	١٠	﴿ فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً... ﴾
١٨٣ - ٣١٢	١١	﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض... ﴾
١٨٣ - ٣١٢	١٢	﴿ ألا إنهم هم المفسدون ﴾
١٧٨	١٦	﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى... ﴾
١٧٨	١٧	﴿ مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً.... ﴾
٣٦٩	٢٩	﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ﴾
		﴿ وإذا قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة..... ﴾
٢١ - ١٧٨ - ٣٣٢	٣٠	
٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥		
٣٣٨ - ٣٤٠ - ٣٤١		
٣٤٥ - ٣٦٨ - ٣٧٣		
٣٩٢ - ٤١٧		
٢٤ - ٢٥ - ٢٩٥	٣١	﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾
٣٣٣ - ٣٥٤ - ٣٥٧		
٣٧٣		

الصفحات	رقمها	الآية
٢٥ - ٣٣٣ - ٣٥٤ - ٣٧٣ - ٣٥٧	٣٢	﴿ قالوا سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا ﴾
٣٣٣- ٢٥	٣٣	﴿ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم
٣٣٣	٣٤	﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
٢٧. - ٢٤	٣٥	﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾
٣٦٤- ٢٩	٣٧	﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾
٤١٧- ٣.	٣٨	﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً
٣.	٣٩	﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
١٥٧	٤٨	﴿ واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ﴾
٢٩٤	٤٩	﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون
٢٢٧ - ١٨٨	٧٤	﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك
٣٨١ - ٢٤٢	٧٥	﴿ أفنتطمعون أن يؤمنوا لكم
٣٩٤	٨٥	﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم
٢٢٦	٩٣	﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم
١١١	٩٧	﴿ قل من كان عدواً لجبريل
		﴿ من كان عدواً لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكائيل
٢١٦- ٢. ٩	١. ٩	﴿ وذو كثير من أهل الكتاب لو يردونكم ﴾
١٣٣	١١٧	﴿ بديع السموات والأرض
١١٦	١٢٥	﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس

الصفحات	رقمها	الآية
٢٦٢ - ٢٦.	١٥١	﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم ﴾ ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾
٣١٢ - ٢٦١	١٥٦	﴿ إن في خلق السموات والأرض ﴾
٢٨٠ - ٢٦٢ - ٢٤٤	١٦٤	﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً..... ﴾
٣١٩ - ٣٠٧ - ٢١٥	١٦٥	﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً..... ﴾
١٧٩	١٦٨	﴿ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء ﴾
١٧٩	١٦٩	﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ﴾
- ٣٥٨ - ٢٥٣ - ١٧٩	١٧٠	﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون ﴾
٣٧٩		
- ٢٥٦ - ٢٢٣ - ٢٠٨	١٧٩	﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ... ﴾
٣١٣		
٤١٩ - ١١٥	١٨٦	﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾
٣١٣	١٨٨	﴿ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة..... ﴾
٢٩٢	٢٠١	﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ﴾
٢٣٩ - ٢٣.	٢٠٤	﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾
٣٢٩	٢١٣	

الصفحات	رقمها	الآية
٣٢.	٢١٩	﴿ يسألونك عن الخمر والميسر ﴾
٢٣٤	٢٢٥	﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ... ﴾
١٥٧	٢٣٣	﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين ﴾
		﴿ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم
٩٩	٢٤٧	طالوت ملكاً ﴾
١١.	٢٥٣	﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾
١٥.	٢٥٥	﴿ الله لا إله إلا هو ، الحي القيوم ﴾
٤١٢	٢٥٦	﴿ لا إكراه في الدين ﴾
٥. - ١٤	٢٥٩	﴿ أو كالذي مر على قرية ﴾
		﴿ وإذا قال إبراهيم ربِّ أرني كيف تحيي
٢٢٨ - ٢.٦ - ١٩٧	٢٦.	الموتى ﴾
٣.٦ - ٣.٣ - ٢٩٩	٢٦٨	﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾
		﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي مَنْ
٢٩٩ - ٢٩٧	٢٧٢	يشاء ﴾
٣٢١	٢٧٨	﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾
٣٢١	٢٧٩	﴿ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله .. ﴾
٢٦٤	٢٨٢	﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين .. ﴾
٣٦٥	٢٨٦	﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾
		{ سورة آل عمران }
٤٨	٦	﴿ هو الذي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٣٢٨	٩	﴿ ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ﴾
٢٩٦ - ٢٧٦ - ٢٢١	١٤	﴿ زَيْنَ للناس حب الشهوات ﴾
٢٨٥	١٩	﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾
٤١١	٢٨	﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء .. ﴾
١٨٥ - ١٥٦	٣٠	﴿ يوم تجرد كل نفس ما عملت ﴾
٣٠٧	٣١	﴿ قل إن كنتم تحبون الله ﴾
١٢٥ - ١١٥	٤٥	﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم ﴾
		﴿ ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين ﴾
١١٦	٤٦	
٤٣٠ - ١١٦	٤٩	﴿ ورسولاً إلى بني إسرائيل ﴾
- ١٢٣ - ١١٦ - ١١	٥٩	﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ... ﴾
- ٢٦٠ - ١٣٤ - ١٢٥		
٤٣٠		
٢٤٥	٦٥	﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم ﴾
٤٢٥	٧٥	﴿ ومن أهل الكتاب ﴾
٣٠٩ - ٢٢٦	١٠٣	﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾
- ٣٧٨ - ٣٠١ - ١٩٠	١١٠	﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾
٤٠٩ - ٣٩٦ - ٣٨٣		
٣٩٦ - ٢٢٦	١١٨	﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة .. ﴾
٣٢١	١٣٠	﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا ... ﴾
٢١٢	١٣٣	﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٢١٢	١٣٤	﴿ الذين ينفقون في السراء والضراء... ﴾
١٨٧ - ٣٦٤ - ٣٨٥ -	١٣٥	﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ﴾
٣٩.		
١٥٧	١٤٥	﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله .. ﴾
٢٢٩	١٥١	﴿ سئلي في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾
١٥٨	١٥٤	﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة ﴾
		﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا ﴾
٢٢٩	١٥٦	
٤.٤ - ٢٢٧	١٥٩	﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾
٢٤١ - ٢٣٨	١٦٧	﴿ وليعلم الذين نافقوا ﴾
٣٧٦ - ٣.٣	١٨.	﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله ﴾
٤٢٥	١٨١	﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا ﴾
		{ سورة النساء }
١٢٥ - ٣٧ - ٣٥ - ١٧	١	﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾
٢٧١ - ٢.٥ - ١٣. -		
١٨٧	١٧	﴿ إنما التوبة على الله ﴾
٢١٥ - ٢.٩	١٩	﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم ﴾
- ٣٥٢ - ٢١٩ - ١٥.	٢٨	﴿ يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق الإنسان ضعيفاً ﴾
٣٨٨		

الصفحات	رقمها	الآية
١٥٨	٢٩	﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم ﴾
		﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة ﴾
٣٢.	٤٣	﴿ وأنتم سكارى ﴾
٢٤١	٤٨	﴿ إن الله لا يغفر أن يُشرك به ﴾
٢١٦	٥٤	﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم ... ﴾
٢٥١	٥٦	﴿ إن الذين كفروا بآياتنا ﴾
٣٧٢	٥٨	﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات ... ﴾
- ٣٩٦ - ٣٨٣ - ٣٧٨	٥٩	﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ﴾
٤.٤ - ٤.٢		
٣٩٤	٦٥	﴿ فلا وربك لا يؤمنون ﴾
٤.٦ - ٤.٥ - ١٤٩	٨٣	﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن ﴾
١٨٧	١١.	﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ﴾
- ٢٩. - ١٩٣ - ١٨٩	١١٤	﴿ لا خير في كثير من نجواهم ﴾
- ٣٧٨ - ٣.٦ - ٣.١		
٣٨٣		
		﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له ﴾
		الهدى ﴾
١٨٩	١١٥	﴿ إن الله لا يغفر أن يُشرك به ﴾
١٨٩	١١٦	﴿ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله ﴾
١٩٤ - ١٥١	١٢٥	﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين ﴾
١٩.	١٣٥	﴿ بالقسط ... ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
		﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء ﴾
٤١١ - ٣٩٨	١٤٤	
	١٥٧	﴿ وقولهم إننا قتلنا المسيح ﴾
	١٦٠	﴿ فبظلم من الذين هادوا ﴾
	١٦١	﴿ وأخذهم الربا وقد نُهوا عنه ﴾
٢٥٩ - ١٢٧	١٦٥	﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين ﴾
- ١٣٣ - ١٢٥ - ١١٥	١٧١	﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا ﴾
	١٣٤	
	١٧٢	﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ﴾
		{ سورة المائدة }
٤٠٥ - ٣٨٤ - ٣١٧	٢	﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تُحلوا شعائر الله ﴾
	٣	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الميتة والدم ولحم الخنزير ﴾
	٥	﴿ اليوم أحل لكم الطيبات ﴾
	٧	﴿ واذكروا نعمة الله عليكم ﴾
	٨	﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ﴾
	١٥	﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا ... ﴾
	١٦	﴿ يهdy به الله من اتبع رضوانه ﴾
٣١٠ - ١٧٧	٢٧	﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق ﴾
٣١٠ - ١٧٧	٢٨	﴿ لنن بسطت إلي يدك لتقتلني ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٣١. - ١٧٧	٢٩	﴿ إنني أريد أن تبيوا بإثمي وإثمك ... ﴾
٣١. - ١٨٦ - ١٧٧	٣٠	﴿ فطوّعت له نفسه قتل أخيه ﴾
١٨٦	٣١	﴿ فبعث الله غراباً يبحث في الأرض .. ﴾
١٥٨	٣٢	﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل ﴾
٢.٤	٣٦	﴿ إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض ﴾
٢.٤	٣٧	﴿ يريدون أن يخرجوا من النار ﴾
٣٩٧	٤٢	﴿ سمّاعون للكذب أكالون للسحت ﴾
٣٩٧	٤٣	﴿ وكيف يُحكّمونك وعندهم التوراة ﴾
٣٩٤	٤٤	﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ﴾
١٥٨	٤٥	﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾
٣٨١	٤٨	﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق ﴾
٣٧٩ - ٣٩٣	٥٠	﴿ أفحكّم الجاهلية يبيغون ﴾
		﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ﴾
٣٨٤ - ٣١٨	٥٤	﴿ إنما وليكم الله ورسوله ﴾
٣٩٦	٥٥	﴿ ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا ﴾
٣٩٦	٥٦	﴿ وقالت اليهود يد الله ﴾
٤٢٥	٦٤	﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ﴾
٣٥٢	٨٧	﴿ وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً ... ﴾
٣٥٢	٨٨	﴿ وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً ... ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٣٢. - ١٧٩	٩.	﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر ﴾
٣٢. - ١٧٩	٩١	﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم .. ﴾
١١.	١١.	﴿ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي ﴾
١٥٦	١١٦	﴿ وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت ﴾
١٣٢	١١٩	﴿ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾
٣٦٨	١٢.	﴿ لله ملك السموات والأرض ﴾
{ سورة الأنعام }		
٣٥١ - ١١	٢	﴿ هو الذي خلقكم من طين ﴾
٢٥١	٧	﴿ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس ﴾
٨٢	٨	﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ﴾
٨٢	٩	﴿ ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً ﴾
٣٩٣ - ٣٧٥ - ٨١	٣٨	﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر ... ﴾
١٤٩	٥٠.	﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ... ﴾
١٥٦	٥٤	﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا ﴾
٢.٤ - ١٦٣	٦٠.	﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ﴾
١٦٣	٦١	﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾
٣٨.	٦٥	﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم ﴾
٢٤٧	٧٤	﴿ وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر ﴾
٢٤٧	٧٥	﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٢٤٧	٧٦	﴿ فلما جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ... ﴾
٢٤٧	٧٧	﴿ فلما رءَا الْقَمَرَ بَازِغًا ﴾
٢٤٧	٧٨	﴿ فلما رءَا الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾
٢٤٧	٧٩	﴿ إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ ﴾
١٩٣ - ٣٧١ - ٣٧٦	٨٢	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾
١٦٣ - ١٦٠	٩٣	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ ﴾
١٦٣	٩٤	﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾
٣٥	٩٨	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾
٢٤٤ - ٨٢	٩٩	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾
١٦٨	١٠٤	﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾
٢٢٥	١١٠	﴿ وَنَقَلْنَا أَبْصَارَهُمْ ﴾
		﴿ وَإِنْ تُطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
١٨١	١١٦	﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾
١٨٣	١٢١	﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾
١٧٨	١٢٢	﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ ﴾
٢٠٤	١٢٥	﴿ وَرَبِّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ، إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾
٣٤٩	١٣٣	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ ... ﴾
٢٩٨	١٤١	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ... ﴾
٣٦٥ - ٣٦٢ - ٣٤٦	١٦٥	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ... ﴾
٤١٠ - ٣٨٦		

الصفحات	رقمها	الآية
		{ سورة الأعراف }
١٦٨	٩	﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا ﴾
٣٦٩ - ٣٤٣ - ٣٣٧	١٠	﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾
- ٣٣٧ - ١٢٩ - ٢٢	١١	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾
٣٤٣		
٢٢ - ١٢	١٢	﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾
		﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَّكِبَ فِيهَا ﴾
٢٣	١٣	﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾
٢٣	١٤	﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾
٢٣	١٥	﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾
٢٣	١٦	﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُنَا فِي بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾
٢٣	١٧	﴿ قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْهُوماً مَدْحُوراً ... ﴾
٢٣	١٨	﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ... ﴾
٢٤	١٩	﴿ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا ﴾
- ٢٨٩ - ١٧٧ - ٢٧	٢٠	﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ .. ﴾
٢٩٥		
٢٨ - ٢٧	٢١	﴿ فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾
٢٨ - ٢٧	٢٢	﴿ فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٢٩ - ٣٦٤	٢٣	﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾
٣١	٢٦	﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ... ﴾
٣١	٢٧	﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ... ﴾
٣٥٢ - ٣٨٣	٣١	﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾
٢٧٥ - ٢٨٨ - ٣٥٢	٣٢	﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾
٢٧٣	٣٣	﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ ﴾
٢٨٧	٥٨	﴿ وَالْبَلَدِ الطَّيِّبِ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ .. ﴾
٣٤٨	٦٩	﴿ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّنْ رَبِّكُمْ ... ﴾
٢١٨	٧٠	﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ﴾
١٣٥	٧٣	﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾
٢٤٨ - ٣٧٠	٧٤	﴿ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادَ ﴾
١٨١	١٠٢	﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ﴾
٣٤٧	١٢٩	﴿ قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِنَا ... ﴾
٩٨	١٤٨	﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمَ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حَلِيهِمْ عَجَلًا ﴾
٧٦	١٦٦	﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾
٣٣٠	١٦٩	﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ ﴾
٢٥ - ١٢٧	١٧٢	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٢٥	١٧٣	﴿ أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا ﴾
٣٨.	١٧٦	﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ﴾
٣٧. - ٢٢٢	١٧٩	﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ﴾
٢٢٢	١٨٠	﴿ ولله الأسماء الحُسنى فادعوه بها ... ﴾
٢٢٢	١٨١	﴿ ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾
٢٤٦	١٨٥	﴿ أو كم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ﴾
٣٥	١٨٩	﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾
		﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾
٤١٢	١٩٩	
٤١٢	٢٠٠	﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعد بالله ﴾
١٨٨	٢٠١	﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف ﴾
		{ سورة الأنفال }
		﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِرَ اللهُ وجلت قلوبهم ﴾
- ٣٨١ - ٢٨٨ - ١٨٨	٢	
٤١٩		
١٨٨	٣	﴿ الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم يُنفقون ﴾
١٨٨	٤	﴿ أولئك هم المؤمنون حقاً ﴾
٢٣٦ - ٢٢٧	١٠	﴿ وما جعله اللهُ إلا بُشرى ﴾
٢٣٦ - ٢٠٥	١١	﴿ إذ يُغَشِّبُكُمُ النعاسُ أمانةً منه ﴾
٢٢٩	١٢	﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٢٦٢	٢٢	﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾
٤١٣	٥٥	﴿ إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ﴾
٤١٣	٥٦	﴿ الذين عاهدت منهم ثم ينقضون ﴾
٤١٤	٥٧	﴿ فإما تثقفنهم في الحرب ﴾
٤١٤	٥٨	﴿ وإما تخافن من قوم خيانة ﴾
٤١٤	٥٩	﴿ ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا ، إنهم لا يُعجزون ﴾
٤١٤	٦٠	﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾
٤١٤	٦١	﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ﴾
٤١٤ - ٢٢١	٦٢	﴿ وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله ﴾
٢٢٦ - ٢٢١	٦٣	﴿ وألف بين قلوبهم ﴾
		{ سورة التوبة }
٢٢٩	١٤	﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ... ﴾
٢٣٠	١٥	﴿ ويذهب غيظ قلوبهم ، ويتوب الله على من يشاء ﴾
٣٠٧	٢٤	﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم ﴾
٤١٣	٢٩	﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ﴾
٤٢٥	٣٠	﴿ وقالت اليهود عزيز ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٣٨٥	٣٦	﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ﴾
٢٢٨	٤٥	﴿ إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله ﴾
٢٩٨	٦.	﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين ... ﴾
٣٩٧	٧١	﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾
٢٨٩	٧٢	﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات .. ﴾
٣٨٥ - ٢٩٩	١.٥	﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ﴾
٢.٩	١.٨	﴿ لا تقم فيه أبداً ، لمسجد أسس على التقوى ﴾
٢٩٢	١١١	﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ﴾
		﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا
١٨٦ - ١٥٩	١١٨	ضاقت عليهم الأرض ﴾
		﴿ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من
		الأعراب أن يتخلفوا .. ﴾
٣٢٧	١٢.	﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم ﴾
٢١١	١٢٣	﴿ وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض ﴾
٢٤.	١٢٧	
		{ سورة يونس }
١٩٩	٧	﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا ﴾
١٩٩	٨	﴿ أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾
١٥٢	٩	﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... ﴾
٣٧.	١٣	﴿ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٣٧. - ٣٤٩	١٤	﴿ ثم جعلناكم خلائف في الأرض ﴾
٢٨٤	٢٢	﴿ هو الذى يسيركم في البر والبحر ... ﴾
٣٨	٣٤	﴿ قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ﴾
٨٧	٣٦	﴿ وما يتبع اكثرهم الا ظناً ﴾
٣٩٣	٥٩	﴿ قل أرايتم ما أنزل الله لكم ﴾
٣٤٦	٧٣	﴿ فكذبوه فنجيناها ومن معه في الفلك ﴾
٢٣٩	٧٤	﴿ ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم .. ﴾
		﴿ وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملاؤه
٢٢٩	٨٨	زينة ﴾
٢٨٤	٩٠	﴿ وجاوزنا بني إسرائيل البحر ﴾
٢٨٤	٩١	﴿ والآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾
١٦٨	١٠٨	﴿ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق ... ﴾
		[سورة هود]
٣٨٨	١	﴿ آلر ، كتاب أحكمت آياته ﴾
		﴿ ألا تعبدوا إلا الله ، إنني لكم منه نذير
٣٨٨	٢	ويشير ﴾
٣٨٨	٣	﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ... ﴾
١٩٤	٧	﴿ وهو الذى خلق السموات والأرض .. ﴾
٢١٥	١٠	﴿ ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٢٩٢	١٥	﴿ مَنْ كَانَ يَرِيدَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا .. ﴾
٢٩٢	١٦	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ﴾
٣٤٧	٥٧	﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ ﴾
١٣٣	٥٨	﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا ﴾
- ٣١٧ - ٣٠٢ - ٢٨٨	٦١	﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾
- ٣٦٩ - ٣٥٧ - ٣٢٧		
٤١٥ - ٣٧٤		
		﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي ﴾
١٩٠	٨٨	
١٣٣	٩٦	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾
١٣٣	٩٧	﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾
١٣٢	١٠١	﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ... ﴾
١٨٧	١١٤	﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ ﴾
١٨٧	١١٥	﴿ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾
		{ سورة يوسف }
٢٧٧	٧	﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَلَدِّينِ ﴾
٣٠٩ - ٢٧٧	٨	﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا ﴾
٣٠٩ - ٢٧٧	٩	﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾
٢٧٧	١٠	﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
		﴿ قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه ﴾
١٧٧	٥١	
١٧٧	٥٢	﴿ ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب ﴾
١٥٩ - ١٧٧ - ١٨٠	٥٣	﴿ وما أبرئ نفسي ، إن النفس لأمارة بالسوء ﴾
٢٠٢		
٢١٥	٨٤	﴿ وتولى عنهم وقال يا أسفي على يوسف ﴾
٢٩٤ - ٣٧٦	٨٧	﴿ يا بني اذهبوا فتحسبوا من يوسف وأخيه ﴾
		﴿ ولما فصلت العير قال أبوهم إنني لأجد ريح يوسف ﴾
٢٥١	٩٤	
١٨١	١٠٣	﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾
		﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم ﴾
٢٤٦	١٠٩	
		{ سورة الرعد }
		﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب ﴾
٢٤٤	٤	
٤٠٨	١١	﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه ﴾
١٥١ - ١٩٥ - ١٩٦	٢٨	﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ﴾
٢٢٧ - ٣٠٨ - ٣١١		
٣٧٦		

الصفحات	رقمها	الآية
٣٠٨	٢٩	﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مئاب ﴾
١٨٣	٣٧	﴿ وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ... ﴾
		{ سورة إبراهيم }
٣٧٤ - ٣٦٧	٣٢	﴿ الله الذي خلق السموات والأرض ﴾
٣٧٤ - ٣٦٧ - ٢١٩	٣٣	﴿ وسخر لكم الشمس والقمر ﴾
- ٣٦٧ - ٢١٩ - ١٥٠ ٣٧٤	٣٤	﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾
		{ سورة الحجر }
		﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين ﴾
٣٥٥	١٦	
٣٥٥	١٧	﴿ وحفظناها من كل شيطان رجيم ﴾
		﴿ إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ﴾
٣٥٥	١٨	
		﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون ﴾
٣٥٥ - ١٤	٢٦	
٣٥٥	٢٧	﴿ والجآن خلقناه من قبل من نار السموم ﴾
١٢١ - ٢٢ - ١٦ - ١٣	٢٨	﴿ وإذا قال ربك للملائكة إني خالق بشراً ﴾
٣٥١ - ٣٣٨ - ١٢٤ -		

الصفحات	رقمها	الآية
- ١٢١ - ٢٢ - ١٦	٢٩	﴿ فَإِذَا سُوِّتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾
- ٣٣٨ - ١٣٤ - ١٢٤		
٣٥١		
- ٣٣٩ - ٢٢ - ١٦	٣٠	﴿ فَسَجِدِ الْمَلَائِكَةَ كُلَّهُمْ مَجْمُوعِينَ ﴾
٣٥١		
٣٣٩	٣١	﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾
		﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾
٣٣٥	٣٢	﴿ قَالَ لِمَ أَكُنْ لَأَسْجِدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِإٍ مَسْنُونٍ ﴾
٣٣٥	٣٣	﴿ قَالَ فَادْخُرْ مِنْهَا فإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾
٣٣٥	٣٤	﴿ وَإِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾
٣٣٥	٣٥	﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾
٣٣٥	٣٦	﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾
٣٣٥	٣٧	﴿ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾
٣٣٥	٣٨	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزِينَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾
٣٣٥	٣٩	﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴾
٢٩٤	٥٦	﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
		{ سورة النحل }
١١٧ - ١٩٤	٢	﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ... ﴾
٥٤	٣	﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ... ﴾
		﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نَظْفَةٍ فَبِإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مَبِينٌ ... ﴾
٥٤	٤	﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ، لَكُمْ فِيهَا دَفءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ... ﴾
٥٤	٥	﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ... ﴾
٧٦	٨	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ .. ﴾
٣٦.	١٠	﴿ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ ... ﴾
٣٦.	١١	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾
٣٦. - ٣٥٤	١٢	﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾
٣٦. - ٣٥٤	١٣	﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ ... ﴾
- ٣٦٧ - ٣٦. - ٣٥٤	١٤	
٤٢.		
٢٣٩ - ٢٣.	٢٢	﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ .. ﴾
٣٢٩	٣٨	﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ... ﴾
٣٢٩	٣٩	﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ ... ﴾
١١٧	٦٨	﴿ وَأَوْحَى رَيْبَكَ إِلَى النَّحْلِ ... ﴾
٣٧	٧٢	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾
- ٢٤٣ - ٢٣١ - ١٢٦	٧٨	﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾
٢٥.		

الصفحات	رقمها	الآية
٣٩٦	٩١	﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ... ﴾
١١١	١٠٢	﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾
٢٥١	١١٢	﴿ ضرب الله مثلاً قرية ﴾
٤١٢	١٢٠	﴿ إن إبراهيم كان أمةً قانتاً لله ... ﴾
{ سورة الإسراء }		
٢١٩	١١	﴿ ويدع الإنسان بالشر ﴾
٢٥٩ - ١٦٨	١٥	﴿ مَنْ اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ... ﴾
٢٢٠	١٦	﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية ﴾
٤٠٥ - ١٨٢	٣٦	﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾
٣٧٣ - ١٧٢	٤٤	﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ... ﴾
١٢	٦١	﴿ وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ... ﴾
- ١٤٨ - ١٤٠ - ٣	٧٠	﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر ﴾
- ٣٣٧ - ٣١٤ - ٢٨٨		
- ٣٧٤ - ٣٥٦ - ٣٥٤		
٤١٥		
٤٠١	٨٠	﴿ وقل رب أدخلني مدخل صدق ... ﴾
١٨٢ - ١١٨	٨١	﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل ﴾
١٨٢ - ١١٨	٨٢	﴿ ونُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ ﴾
١١٨	٨٣	﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض .. ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
١١٨	٨٤	﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾
١١٨ - ١١٩ - ١٣٢	٨٥	﴿ ويستلونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ﴾
١٤١		
١١٨	٨٦	﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ﴾
		﴿ إلا رحمة من ربك ، إن فضله كان عليك كبيراً ﴾
١١٨	٨٧	
١١٨	٨٨	﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن ﴾
		﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾
١٨٢	٨٩	
١٤٩	٩٤	﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا ﴾
١٤٩	٩٥	﴿ قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون ﴾
٢١٩	١٠٠	﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي ﴾
٢٢٢	١١٠	﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾
٢٢٢	١١١	﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ﴾
		{ سورة الكهف }
١٥٩	٦	﴿ فلعلك باخع نفسك ﴾
٢٣٦	١٤	﴿ وربطنا على قلوبهم إذ قاموا ... ﴾
١٨٨	٢٨	﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ﴾
١٧٦ - ٢٣٧ - ٣٦٢	٢٩	﴿ وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٣٧٦ - ٣٠٩ - ٣٠٣	٣٤	﴿ وكان له ثمر فقال لصاحبه ﴾
٣٠٤ - ٢٩٤	٣٥	﴿ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ﴾
٣٠٤ - ٢٩٤ - ٥١	٣٦	﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾
٥١	٣٧	﴿ قال له صاحبه وهو يحاوره ﴾
٥١	٣٨	﴿ لكننا هو الله ربِّي ولا أشرك بربي أحداً ﴾
٢٩٦	٤٦	﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾
١٥٨	٧٤	﴿ فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً ﴾
		{ سورة مريم }
٣٦	١	﴿ كهيعص ﴾
٣٦	٢	﴿ ذكر رحمت ربك عبده زكريا ﴾
٣٦	٣	﴿ إذ نادى ربه نداءً خفياً ﴾
٣٦	٤	﴿ قال رب إنني وهن العظم مني ﴾
٣٦	٥	﴿ وإنني خفت الموالى من ورائي ﴾
٣٦	٦	﴿ يرثني ويرث من آل يعقوب ، واجعله رب رضياً ﴾
١٢٥	٩	﴿ قال كذلك قال ربك هو علي هين ﴾
١٣٥ - ١١١	١٧	﴿ فاتخذت من دونهم حجاباً ﴾
٢٩٦	٤٠	﴿ إننا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٣٢٨	٥٩	﴿ فخلّفَ مِنْ بعدهم خَلْفًا أَضاعوا الصلاة ﴾ ﴿ إن كلَّ مَنْ في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ﴾
٣٦٣	٩٣	﴿ لقد أحصاهم وعدّهم عدداً ﴾
٣٦٣	٩٤	﴿ وكلّهم آتية يوم القيامة فرداً ﴾
٣٦٣	٩٥	﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾
٣٦٣	٩٦	
		{ سورة طه }
١٥٧	٤٠	﴿ إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم ﴾
١٥٧	٤١	﴿ واصطنعتك لنفسى ﴾
٣٥١ - ١٢	٥٥	﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ﴾
٢٣٤	٦٧	﴿ فأوحس في نفسه خيفة موسى ﴾
٩٨	٨٨	﴿ فأخرج لهم عجلاً ﴾
		﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجِدْ له عزماً ﴾
٣١	١١٥	
٢٣	١١٧	﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك ﴾
٢٠٤ - ٢٣	١١٨	﴿ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ﴾
٢٠٤ - ٢٣	١١٩	﴿ وأنت لا تظمؤا فيها ولا تضحي ﴾
- ١٨٣ - ١٧٧ - ٢٧	١٢٠	﴿ فوسوس إليه الشيطان ﴾
٢٩٥ - ٢٨٩ - ٢٠٦		

الصفحات	رقمها	الآية
٢٧ - ٢٨ - ١٧٧ - ١٨٥ - ٣٦٤	١٢١	﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما ﴾
٣ - ١٨٢ - ٣٧٥ - ٤١٧	١٢٣	﴿ قال اهبطا منها جميعاً ﴾
٣ - ١٨٢ - ٣٧٥ - ٤١٧	١٢٤	﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ﴾
		{ سورة الأنبياء }
٣٨٦	٧	﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نُوحِي إليهم ﴾
٩٨	٨	﴿ وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام ﴾
٢١٤	١١	﴿ وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة ﴾
٢١٤	١٢	﴿ فلما أحسُّوا بأسنا إذا هم منها يركضون ﴾
١.١	٣.	﴿ أو لم ير الذين كفروا ﴾
		﴿ بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم يُنظرون ﴾
٢٤٥	٥٢	﴿ إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل ﴾
٢٤٥	٥٣	﴿ قالوا وجدنا آبائنا لها عابدين ﴾
٢٤٥	٥٤	﴿ قال لقد كنتم أنتم وأباؤكم في ضلال مبين ﴾
٢٤٥	٥٥	﴿ قالوا أجبنا بالحق أم أنت من اللاعبين ﴾
٢٤٥	٥٦	﴿ قال بل ربكم رب السموات والأرض ﴾
٢٤٥	٥٧	﴿ وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تُوتوا مدبرين ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٢٤٥	٥٨	﴿ فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون ﴾
٢٤٥	٥٩	﴿ قالوا مَنْ فعل هذا بالهتنا إنه لمن الظالمين ﴾
٢٤٥	٦٠	﴿ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يُقال له إبراهيم ﴾
٢٤٥	٦١	﴿ قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ﴾
٢٤٥	٦٢	﴿ قالوا أنت فعلتَ هذا بالهتنا يا إبراهيم ﴾
٢٤٥	٦٣	﴿ قال بل فعله كبيرهم هذا فسنلوهم إن كانوا ينطقون ﴾
٢٤٥	٦٤	﴿ فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ﴾
٢٤٥	٦٥	﴿ ثم نُكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴾
٢٤٥	٦٦	﴿ قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ﴾
٢٤٥	٦٧	﴿ أف لكم ولما تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون ﴾
٢٤٥	٦٨	﴿ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ﴾
٢٤٥	٦٩	﴿ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٢٤٥	٧.	﴿ وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين ﴾
١٢٣ - ١٢١	٩١	﴿ والتي أحصنت فرجها فننفخنا فيها .. ﴾
١٦٨	١.١	﴿ إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى ﴾
		﴿ لا يسمعون حسيبها وهم في ما اشتتت
١٦٩	١.٢	أنفسهم خالدون ﴾
١٦٩	١.٣	﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة ﴾
٤١٩	١.٥	﴿ ولقد كتبنا في الزبور ﴾
{ سورة الحج }		
٤٩ - ٤٧ - ٤٠ - ١١	٥	﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث ﴾
		﴿ ذلك ومن يُعْظَم شعائر الله فإنها من تقوى
٢٣٦	٣٢	القلوب ﴾
٢٢٨	٣٥	﴿ الذين إذا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قلوبهم ﴾
- ٤.٩ - ٣٩٩ - ٣٩٥	٤١	﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا
٤١.		الصلاة ﴾
٣٥٩ - ٢٤١ - ٢٢٤	٤٦	﴿ أفلم يسيروا في الأرض ﴾
٣٦٩ - ٢٣١ - ١٥.	٦٤	﴿ له ما في السموات وما في الأرض ﴾
٣٤	٦٥	﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض ﴾
٧٢	٧٣	﴿ يا أيها الناس ضُربَ مثل فاستمعوا له ﴾
٧٢	٧٤	﴿ ما قدروا الله حق قدره ، إن الله لقوى عزيز ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٣٨٨ - ١٩٧	٧٨	﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ﴾
		{ سورة المؤمنون }
٣٧٢	٨	﴿ والذين هم لآماناتهم وعهدهم راعون ﴾
- ٥. - ٣٩ - ٣٥ - ١٢	١٢	﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾
- ٢٤٥ - ١.٦ - ١.١		
٣٥.		
- ٥. - ٣٩ - ٣٥ - ١٢	١٣	﴿ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴾
٢٤٥ - ١.٦		
- ٥. - ٣٩ - ٣٥	١٤	﴿ ثم خلقنا النطفة علقة ﴾
٢٤٥ - ١٤٨ - ١.٦		
٥.	١٥	﴿ ثم إنكم بعد ذلك لميتون ﴾
٥.	١٦	﴿ ثم إنكم يوم القيامة تُبعثون ﴾
٢٢٨ - ١٨٥	٦.	﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾
		﴿ أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾
١٨٥	٦١	
٢١٦	٧١	﴿ ولو اتَّبَعَ الحق أهواءهم ﴾
٢٤٩	٧٨	﴿ وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار ﴾
٢٤٤	٨.	﴿ وهو الذي يحيي ويميت ﴾
٢٨.	٨٤	﴿ قل لِمَنِ الأرض وَمَنْ فيها إن كنتم تعلمون ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٢٨.	٨٥	﴿ سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون ﴾
٢٨.	٨٦	﴿ قل من رب السموات السبع ﴾
٢٨.	٨٧	﴿ سيقولون لله ، قل أفلا تتقون ﴾
٢٨.	٨٨	﴿ قل من بيده ملكوت كل شيء ﴾
٢٨.	٨٩	﴿ سيقولون لله ، قل فأني تُسحرون ﴾
٢٨.	٩٠	﴿ بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون ﴾
٣٦٧ - ٣٨٧	١١٥	﴿ أفحسبتم أننا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا تُرجعون ﴾
{ سورة النور }		
		﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشیطان ﴾
١٨١	٢١	
١٧٢	٢٤	﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم ﴾
٢٧٥ - ١٨٣	٣٠	﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾
٢٧٥	٣١	﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ﴾
٢٧٣	٣٣	﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً ﴾
٢٢٨ - ٢٢٥	٣٧	﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع ﴾
٣٥٨ - ٢٥٠	٣٩	﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب ﴾
٨٢	٤٥	﴿ والله خلق كل دابة من ماء ﴾
٣٨٢	٥١	﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دُعوا ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٣٨٢	٥٢	﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ ... ﴾
٣٩٩ - ٣٩٥ - ٣٤٧	٥٥	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾
		{ سورة الفرقان }
٢٠٥	٢	﴿ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
١٧٩	٤٣	﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾
٢٦٣ - ١٧٩	٤٤	﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾
٣٦	٥٤	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا ﴾
٣٨٤ - ٢٩٧	٦٧	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا .. ﴾
		{ سورة الشعراء }
٢٣٥	٨٨	﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾
٢٣٥	٨٩	﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾
٣٧.	١٤٦	﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا ههنا آمِنِينَ ﴾
٣٧.	١٤٧	﴿ فِي جَنَاتٍ وَعَيْونَ ﴾
٣٧.	١٤٨	﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعها هُضِيمٌ ﴾
٣٧.	١٤٩	﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴾
٣٧.	١٥٠	﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾
١١١	١٩٢	﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
١١١	١٩٣	﴿ نزل به الروح الأمين ﴾
١١١	١٩٤	﴿ على قلبك لتكون من المنذرين ﴾
١١١	١٩٥	﴿ بلسان عربي مبين ﴾
		{ سورة النمل }
٣٧٥	١	﴿ طس ، تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴾
٣٧٥	٢	﴿ هدى وبشرى للمؤمنين ﴾
٢١١	١٠	﴿ وألق عصاك ، فلما رءاها تهتز ﴾
٢٩٧	١٧	﴿ وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس ﴾
٢٩٧	١٨	﴿ حتى إذا أتوا على واد النمل ﴾
٢٩٧	١٩	﴿ فتبسم ضاحكاً من قولها ﴾
٣٤٦	٦٢	﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ﴾
١٦٨	٩٢	﴿ وأن أتولوا القرآن ، فمن اهتدى ﴾
		{ سورة القصص }
٣٧٩	٤	﴿ إن فرعون علا في الأرض ﴾
١١٧	٧	﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ﴾
٢٠٥	١٠	﴿ وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً ... ﴾
٢٠٥	١١	﴿ وقالت لأخته قصِّه ، فبصرت به ﴾
٢٠٥	١٢	﴿ وحرّمنا عليه المراضع من قبل ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٢٠٥	١٣	﴿ فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ﴾
٣٨١ - ٢١٧	٥٠	﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ﴾
٤١٩	٥٦	﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾
١٨٧ - ٢٠١ - ٢٩٢ -	٧٧	﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة .. ﴾
٣٧٧		
٣٠٤	٧٨	﴿ قال إنما أوتيته على علم عندى ﴾
١٧٥	٧٩	﴿ فخرج على قومه في زينته ﴾
١٧٥	٨٠	﴿ وقال الذين أوتوا العلم ﴾
{ سورة العنكبوت }		
٣٩٠	٦	﴿ ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ﴾
١٩٤	٩	﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾
١٩٤	١٠	﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله ﴾
١٩٤	١١	﴿ وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ﴾
٣٨	١٩	﴿ أو لم يروا كيف يُبدىء الله الخلق ثم يُعيده ﴾
٢٥٥ - ٢٤٦	٢٠	﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا ﴾
٢٩٤	٢٣	﴿ والذين كفروا بآيات الله ولقائه ﴾
٣٩٠ - ٢٥٦ - ٢٢٢	٤٥	﴿ اتل ما أوحى إليك من الكتاب ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
		{ سورة الروم }
	٢٠	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾
٢٧ - ٣٦	٢١	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾
٣٧	٢٢	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾
٣٨	٢٧	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾
١٩٨ - ٢٠٦ - ٢٧٩	٣٠	﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾
٢٨٥ - ٣١٦ - ٣٦٠		
٣٧٤ - ٣٧٩ - ٣٨٨		
٣٧٩	٣١	﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾
٣٧٩	٣٢	﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْبًا ... ﴾
٢١٥ - ٣١٢	٣٦	﴿ وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ﴾
٣٢١	٣٩	﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَاً لِيُرِيُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ﴾
		{ سورة لقمان }
٣٧٥	١	﴿ أَلَمْ ﴾
٣٧٥	٢	﴿ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾
٣٧٥	٣	﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴾
٣٧٥	٤	﴿ الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ .. ﴾
٣٧٥	٥	﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾
٢١٧	١٨	﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾
٣٤٤ - ٣٦٦ - ٤١٨	٢٠	﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
		{ سورة السجدة }
- ٩. - ٥٢ - ٣٥ - ١٢ ٣٤٢-٣٣٦-١٧١-١٢١	٧	﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه ﴾
- ٩. - ٥٢ - ٣٥ - ١٢ ٣٤٢-٣٣٦-١٧١-١٢١	٨	﴿ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ﴾
- ١.٢ - ٩. - ٥٢ - ٣٥ - ٢٥. - ١٧١ - ١٢١ ٣٤٢ - ٣٣٦	٩	﴿ ثم سواه ونفخ فيه من روحه ﴾
	١٧	﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم ﴾
		{ سورة الأحزاب }
	٤	﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين ﴾
	٥	﴿ ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله ... ﴾
	١٠	﴿ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ﴾
	١١	﴿ هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً ﴾
	٣٧	﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه ﴾
	٧.	﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾
- ١٧٢ - ١٥١ - ١٤. - ٢٨٨ - ٢٧. - ١٧٩	٧٢	﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٣٣٧ - ٣٦ - ٣٧٢ -		
٣٧٣ - ٣٧٨ - ٣٨٦		
		{ سورة سبأ }
١٩٧	٣١	﴿ وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ﴾
١٩٧	٣٢	﴿ وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا ﴾
١٩٧	٣٣	﴿ قال الذين استضعفوا للذين استكبروا ﴾
١٩٨	٣٤	﴿ وما أرسلنا في قرية من نذير
٣٢٨	٣٩	﴿ قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ﴾
١٦٨	٥٠	﴿ قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي .. ﴾
		{ سورة فاطر }
١٥٩	٨	﴿ أفمن زين له سوء عمله
٣٦	١١	﴿ والله خلقكم من تراب
٢٩٦ - ١٥١	١٥	﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ... ﴾
٣٣	١٦	﴿ إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ﴾
٣٣	١٧	﴿ وما ذلك على الله بعزيز ﴾
٤٣١ - ٣٨٢ - ١٨٦	٣٢	﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا
٢.٤	٣٤	﴿ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ﴾
٢.٥	٣٥	﴿ الذي أحلنا دار المقامة من فضله

الصفحات	رقمها	الآية
		{ سورة يس }
٢٦٩ - ٨١	٣٦	﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها ﴾
١٧٤ - ٥٤	٧٦	﴿ فلا يحزنك قولهم ﴾
٥٤	٧٧	﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه ﴾
٥٤	٧٨	﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ﴾
١٢٣ - ١١٥	٨٢	﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً ﴾
		{ سورة الصافات }
١٣	١١	﴿ فاستفتهم أهم أشد خلقاً ﴾
٨.	٧٥	﴿ ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ﴾
٨.	٧٦	﴿ ونجيناه وأهله من الكرب العظيم ﴾
٨.	٧٧	﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾
٢٣٥	٨٣	﴿ وإن من شيعته لإبراهيم ﴾
٢٣٥	٨٤	﴿ إذ جاء ربه بقلب سليم ﴾
٣٥٦	١٢٣	﴿ وإن إلياس لمن المرسلين ﴾
٣٥٦	١٢٤	﴿ إذ قال لقومه ألا تتقون ﴾
٤١٥ - ٣٥٦	١٢٥	﴿ أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين ﴾
		{ سورة ص }
٣٩٤ - ٣٤٦ - ٢٣٣	٢٦	﴿ يا داود إننا جعلناك خليفة في الأرض . ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٩٨	٣٤	﴿ ولقد فتنا سليمان ﴾
٣٦٧	٣٦	﴿ فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ﴾
٩٧ - ٢٢ - ١٦ - ١٢	٧١	﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين ﴾
٣٣٦ - ١٧١ - ١٢١ -		
٣٤١ - ٣٤٠ - ٣٣٨ -		
٣٥٢ - ٣٥١ - ٣٤٢ -		
٩٧ - ٢٢ - ١٦ - ١٢	٧٢	﴿ فإذا سوتته ونفخت فيه من روحي ﴾
١٤٨ - ١٣٥ - ١٢١ -		
٣٣٨ - ٣٣٦ - ١٧١ -		
٣٤٢ - ٣٤١ - ٣٤٠ -		
٣٥٢ - ٣٥١ -		
٩٧ - ٢٢	٧٣	﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾
٢٢	٧٤	﴿ إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين ﴾
٢٢	٧٥	﴿ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد ﴾
		﴿ قال أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته
٢٢	٧٦	من طين ﴾
		{ سورة الزمر }
٩٠	٥	﴿ خلق السموات والأرض بالحق ﴾
٩٠ - ٥٥	٦	﴿ خلقكم من نفس واحدة ﴾
٢٩١	٩	﴿ أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
١٥١	١٧	﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت ﴾
١٥١	١٨	﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾
٣٧٥	٢٢	﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام ﴾
٢١٤	٢٣	﴿ الله نَزَّلَ أحسن الحديث كتاباً ﴾
١٦٣ - ١٦ - ١٣٨	٤٢	﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾
٢٢٦	٤٥	﴿ وإذا ذُكِرَ الله وحده ﴾
٣٢٩	٤٦	﴿ قل اللهم فاطر السموات والأرض ... ﴾
{ سورة غافر }		
١١٧	١٥	﴿ رفيع الدرجات ذو العرش ﴾
٢٣٤	١٧	﴿ اليوم تُجزى كل نفس بما كسبت ﴾
٣٨٥ - ٢٣٩ - ٢٣	٣٥	﴿ الذين يجادلون في آيات الله ﴾
٢٨٦	٤	﴿ ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ﴾
{ سورة فصلت }		
١٢٨	١١	﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾
١٧١	١٩	﴿ ويوم يُحشر أعداء الله إلى النار فهم يُوزَعون ﴾
١٧١	٢	﴿ حتى إذا ما جاءوها ﴾
١٧١	٢١	﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ﴾
٤١٢ - ٢١٣	٣٤	﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
١٤٩	٣٦	﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ ﴾
٣٢٧	٤١	﴿ إن الذين كفروا بالذِّكْرِ ﴾
٣٢٧	٤٢	﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾
٣٥٨-٣١١-٢٦-٢٥٤	٤٤	﴿ ولو جعلناه قرآناً أعجيباً ﴾
١٧٦	٤٦	﴿ مَنْ عمل صالحاً فلنفسه ﴾
٢١٧	٤٩	﴿ لا يستم الإنسان من دعاء الخير ﴾
٢٥٥-٢٤٦-١٧٣-١.٢	٥٣	﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ﴾
٣٦٦ - ٢٨٤ - ٢٦٢ -		
{ سورة الشورى }		
٢٥٤ - ١٢٢	١١	﴿ ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ﴾
٤.٤ - ٢١٢	٣٦	﴿ فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا ﴾
٤.٤ - ٢١٢	٣٧	﴿ والذين يجتنبون كبائر الإثم ﴾
٤.٤	٣٨	﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة ﴾
٢١٢	٤٠	﴿ وجزاءا سيئة سيئة مثلها ﴾
٣٧	٤٩	﴿ لله ملك السموات والأرض ﴾
٣٧	٥٠	﴿ أو يزوجهم ذكراً وإناثاً ﴾
١١٧	٥٢	﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا .. ﴾
{ سورة الزخرف }		
٣٥٣	١٢	﴿ والذي خلق الأزواج كلها ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٣٥٤	١٣	﴿ لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم ﴾
٢٥٣	٢٢	﴿ بل قالوا إننا وجدنا آباءنا على أمة ... ﴾
٢٥٣	٢٣	﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية .. ﴾
٢٦٥ - ٢٢١	٣٢	﴿ أهم يقسمون رحمت ربك ﴾
٣٢٨	٦.	﴿ ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة ﴾
١٥٨	٧١	﴿ يطاف عليهم بصحاف من ذهب ﴾
١١٤	٧٧	﴿ ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك ﴾
{ سورة الدخان }		
٢٧١	٥١	﴿ إن المتقين في مقام أمين ﴾
٢٧١	٥٢	﴿ في جنات وعيون ﴾
٢٧١	٥٣	﴿ يلبسون من سندس واستبرق متقابلين ﴾
٢٧١	٥٤	﴿ كذلك وزوجناهم بحور عين ﴾
{ سورة الجاثية }		
٣٦٦ - ٣٤٤ - ٣٤	١٢	﴿ الله الذي سخَّر لكم البحر ﴾
٣٦٦-٣٥٣-٣٤٤-٣٤	١٣	﴿ وسخَّر لكم ما في السموات وما في الأرض ﴾
٣٨٥	١٩	﴿ إنهم لن يُغنوا عنك من الله شيئاً ﴾
٢٦. - ٢٥٣ - ١٨٨	٢٣	﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
		{ سورة محمد }
		﴿ إن الله يُدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات ﴾
٣٨٨	١٢	
٢٥٣ - ٢١٧	١٤	﴿ أَمَّنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾
		{ سورة الفتح }
٢٢٨ - ١٥٢	٤	﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ﴾
٢٣٧	١٨	﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
٣٧٩ - ٢٣	٢٦	﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ﴾
٣٨٤ - ٣٠٨ - ٢١١	٢٩	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَاءُ ﴾
		{ سورة الحجرات }
٣٥٩-٢٣٨-٢٢٦-٢٢٣	٧	﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾
٣١٧ - ٣٠٢	١٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ﴾
٢٧١ - ١٢٥ - ٣٧	١٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾
٤١٠ - ٣٨٧ - ٢٨٦		
٢٣٨ - ٢٣٤	١٤	﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ﴾
		{ سورة ق }
٣٩٠ - ١٩٦	١٦	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلِمَ مَا تُؤَسُّوسُ بِهِ نَفْسَهُ ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٢٣٥	٣٢	﴿ هذا ما تُوعَدون لكل أوابٍ حفيظ ﴾
٢٣٥	٣٣	﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾
٢٢٤	٣٧	﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ... ﴾
		{ سورة الذاريات }
٣٦٦-١٧٣-١٦٩-١.٢	٢.	﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾
٣٦٦-١٧٣-١٦٩-١.٢	٢١	﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ ، أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾
٢٦٩ - ٢.٥	٤٩	﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾
- ٣٣٨ - ٣٣٧ - ٢٧.	٥٦	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ﴾
٣٩٢ - ٣٧٣		
		{ سورة النجم }
٣	٤	﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾
٢٩٣	٣٩	﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾
٢٩٣	٤٠	﴿ وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى ﴾
٢٩٣	٤١	﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجِزَاءَ الْأَوْفَى ﴾
		{ سورة القمر }
٢.٥	٤٩	﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾
		{ سورة الرحمن }
١٤	١٤	﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾
١٤	١٥	﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
		{ سورة الواقعة }
٣٨	٥٨	﴿ أفرايتم ما تُمنون ﴾
٣٨	٥٩	﴿ ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾
٣٣	٦٠	﴿ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين ﴾
		﴿ على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا
٣٣	٦١	تعلمون ﴾
		{ سورة الحديد }
١٥٠	٢	﴿ له ملك السموات والأرض ﴾
١٥٠	٣	﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾
٣٨٧-٣٤٩-٣...-٢٩٦	٧	﴿ آمنوا بالله ورسوله ﴾
٢٢٨	١٦	﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم . ﴾
٢٩٣	٢١	﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم ﴾
٢٦١	٢٢	﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ﴾
٣٥٧	٢٥	﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ﴾
٢٢٧	٢٧	﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا ﴾
		{ سورة المجادلة }
١٧٤	٧	﴿ ألم تر أن الله يعلم ما في السموات .. ﴾
٢٣٦ - ١١٤	٢٢	﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
		{ سورة الحشر }
٢٩٨ - ٣.١ - ٣.٦ -	٩	﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ﴾
٣٨٤ - ٣.٩		
٢٣.	١٠	﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ﴾
١٥٩	١٨	﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
٢٨٣	١٩	﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله
		{ سورة الممتحنة }
٢١١	٤	﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم . ﴾
		﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب
٢٩٣	١٣	﴿ الله عليهم
		{ سورة الجمعة }
٣٠٠	١٠	﴿ فإذا قُضِيََتِ الصلاة فانتشروا في الأرض ﴾
		{ سورة المنافقون }
٩٩	٤	﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم
		﴿ وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم
٢١٧	٥	رسول الله ﴾
٤١٩	٨	﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين

الصفحات	رقمها	الآية
		{ سورة التغابن }
١٧٤	٤	﴿ يعلم ما في السموات والأرض ﴾
١٥٢ - ٢٣٦ - ٢٦١	١١	﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله .. ﴾
		{ سورة التحريم }
٣٥٤	٦	﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾
٢٢٥	٨	﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله ... ﴾
١٢٤ - ١٢١ - ١١٥	١٢	﴿ ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها ﴾
		{ سورة الملك }
١٧٦ - ١.٨ - ٣٢	٢	﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ﴾
		﴿ إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ﴾
٣٨٢ - ١٣٩	١٢	﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به ، إنه عليم بذات الصدور ﴾
٤١٦ - ٣٨٢ - ١٧٤	١٣	﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾
٤١٦ - ٣٨٢	١٤	﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً ﴾
٣. . - ٢٩٦	١٥	﴿ أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى ... ﴾
٦٦	٢٢	﴿ قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار ﴾
٢٤٩	٢٣	﴿ ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
		{ سورة القلم }
٢١٨	٤	﴿ وإناك لعلي خلق عظيم ﴾
		{ سورة المعارج }
١١٣	٤	﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم ﴾
٣٧٦-٣.٤-٢٢٢-٢١٩	١٩	﴿ إن الإنسان خلق هلوعاً ﴾
٣٧٦-٣.٤-٢٢٢-٢١٩	٢٠	﴿ إذا مسه الشر جزوعاً ﴾
٣٧٦-٣.٤-٢٢٢-٢١٩	٢١	﴿ وإذا مسه الخير منوعاً ﴾
٣٧٦-٣.٤-٢٢٢-٢١٩	٢٢	﴿ إلا المصلين ﴾
٣٧٦-٣.٤-٢٢٢-٢١٩	٢٣	﴿ الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾
٣٧٦ - ٢٢٢	٢٤	﴿ والذين في أموالهم حق معلوم ﴾
٣٧٦ - ٢٢٣	٢٥	﴿ للسائل والمحروم ﴾
٣٧٦ - ٢٢٣	٢٦	﴿ والذين يصدقون بيوم الدين ﴾
٢٢٣	٢٧	﴿ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ﴾
		{ سورة الجن }
٢٧.	١	﴿ قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن ﴾
٢٧.	٢	﴿ يهدي إلى الرشد فأمنا به
١٣٢	٢٢	﴿ قل إني لن يجيرني من الله أحد
١٣٢	٢٣	﴿ إلا بلاغاً من الله ورسالاته

الصفحات	رقمها	الآية
		{ سورة القيامة }
١٨٤ - ٢٠٢ - ٢٨٥	١	﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾
٣٦٣ - ٣٨٩		
١٨٤ - ٢٠٢ - ٢٨٥	٢	﴿ ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾
٣٦٣ - ٣٨٩		
١٥٩ - ٢٨٣	١٤	﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ﴾
٢٨٣	١٥	﴿ ولو ألقى معاذيره ﴾
٤٠ - ٤٣ - ٤٥	٣٦	﴿ أيحسب الإنسان أن يُترك سدى ﴾
٤٠ - ٤٣ - ٤٥	٣٧	﴿ ألم يك نطفة من مني يمني ﴾
٤٠ - ٤٣ - ٤٥	٣٨	﴿ ثم كان علقة فخلق فسوى ﴾
٤٠ - ٤٣ - ٤٥	٣٩	﴿ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ﴾
٤٠ - ٤٣ - ٤٥	٤٠	﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾
		{ سورة الإنسان }
١٥ - ٥٣	١	﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر .. ﴾
٣٩ - ٥٣	٢	﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج .. ﴾
٥٣ - ١٧٦	٣	﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾
٢٩ - ٣٠٩	٨	﴿ ويطعمون الطعام على حبه .. ﴾
٢٩ - ٣٠٩	٩	﴿ إنما نطعمكم لوجه الله .. ﴾
٢٩	١٠	﴿ إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٢٠٣	١٢	﴿ وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً ﴾
٢٠٣	١٣	﴿ متكئين فيها على الأرائك ﴾
٢٦١	٣٠	﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾
		{ المرسلات }
٤٥	٢٠	﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين ﴾
٤٥	٢١	﴿ فجعلناه في قرار مكين ﴾
٤٥	٢٢	﴿ إلى قدر معلوم ﴾
٤٥	٢٣	﴿ فقدرنا فنعمم القادرون ﴾
		{ سورة النبأ }
١١٣ - ١١٩ - ١٢٠	٣٨	﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً ﴾
		{ سورة النازعات }
٢٣٤ - ٢٢٩	٦	﴿ يوم ترجف الراجفة ﴾
٢٣٤ - ٢٢٩	٧	﴿ تتبعها الرادفة ﴾
٢٣٤ - ٢٢٩	٨	﴿ قلوب يومئذ واجفة ﴾
١٧٥	٣٧	﴿ فأما من طغى ﴾
١٧٥	٣٨	﴿ وآثر الحياة الدنيا ﴾
١٧٥	٣٩	﴿ فإن الجحيم هي المأوى ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٣٧٧ - ١٨٧ - ١٧٥	٤٠	﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾
٣٧٧ - ١٨٧ - ١٧٥	٤١	﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾
		{ سورة عبس }
	٣٨ ١٧	﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ ﴾
	٣٨ ١٨	﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾
	٣٨ ١٩	﴿ مِنْ نَظْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴾
	٣٨ ٢٠	﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ﴾
	٣٨ ٢٢	﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾
		{ سورة التكوير }
	٢٦١ ٢٩	﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾
		{ سورة الانفطار }
	٤٨ ٦	﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾
	٤٨ ٧	﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾
	٤٨ ٨	﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾
		{ سورة المطففين }
	٢٤٠ ١٢	﴿ وَمَا يُكذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلٌّ مُعْتَدِثِيمٌ ﴾
	٢٤٠ ١٣	﴿ إِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرَ الْأُولِينَ ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
٢٤٠	١٤	﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾
٣٨٥	٢٢	﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾
٣٨٥	٢٣	﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾
٣٨٥	٢٤	﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾
٣٨٥	٢٥	﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴾
٣٨٥	٢٦	﴿ خَتَمَهُ مَسْكٌ ، وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾
		{ سورة الطارق }
٢٨٠ - ٢٤٤ - ٤٦ - ٤٥	٥	﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾
٢٨٠ - ٢٤٤ - ٤٦ - ٤٥	٦	﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾
٢٨٠ - ٢٤٤ - ٤٦ - ٤٥	٧	﴿ يُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ اصْطَبَاقٍ وَالتَّرَائِبِ ﴾
٢٨٠	٨	﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾
		{ سورة الغاشية }
٢٤٦	١٧	﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾
٢٤٦	١٨	﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾
٢٤٦	١٩	﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾
٢٤٦	٢٠	﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾
٢٤٦	٢١	﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
		{ سورة الفجر }
١٦ - ١٦٤ - ١٩٣	٢٧	﴿ يا أيها النفس المطمئنة ﴾
١٩٤ - ٢٩١ - ٣٦٣		
١٦ - ١٦٤ - ١٩٣ - ١٩٤	٢٨	﴿ ارجعي إلى ربك راضية مرضية ﴾
١٩٦ - ٢٩١ - ٣٦٣		
١٦ - ١٦٤ - ١٩٣	٢٩	﴿ فادخلي في عبادي ﴾
١٩٤ - ٢٩١ - ٣٦٣		
١٦ - ١٦٤ - ١٩٣	٣٠	﴿ وادخلي جنتي ﴾
١٩٤ - ٢٩١ - ٣٦٣		
		{ سورة البلد }
١٧٦	٤	﴿ لقد خلقنا الإنسان في كبد ﴾
١٧٦	٥	﴿ أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ﴾
١٧٦	٦	﴿ يقول أهلكت ما لا لبداً ﴾
١٧٦	٧	﴿ أيحسب أن لم يره أحد ﴾
١٧٦ - ٢٨٣	٨	﴿ ألم نجعل له عينين ﴾
١٧٦ - ٢٨٣	٩	﴿ ولساناً وشفقتين ﴾
١٧٦ - ٢٨٣ - ٢٠٨	١٠	﴿ وهديناه النجدين ﴾
		{ سورة الشمس }
٥ - ١٦٨ - ١٧٥	٧	﴿ ونفس وما سواها ﴾
١٧٨ - ١٨٦ - ٢٠٨		
٢٣٤ - ٢٣٧ - ٢٨٣		

الصفحات	رقمها	الآية
- ٣٨. - ٣٦٤ - ٣٥٣ ٤٣١ - ٤١٦		
- ١٧٨-١٧٥ -١٦٨-٥ ٢٣٧-٢٣٤-٢.٨-١٨٦ ٣٦٤ - ٣٥٣ - ٢٨٣ - ٤٣١ - ٤١٦ - ٣٨. -	٨	﴿ فآلهمها فجورها وتقواها ﴾
- ١٧٨-١٧٥- ١٦٨-٥ ٢٣٧-٢٣٤-٢.٨-١٨٦ ٣٦٤ - ٣٥٣ - ٢٨٣ - ٤٣١ - ٤١٦ - ٣٨. -	٩	﴿ قد أفلح مَنْ زكاها ﴾
-١٧٨ -١٧٥-١٦٨ -٥ - ٢٣٤ - ٢.٨ - ١٨٦ - ٣٥٣ - ٢٨٣ - ٢٣٧ ٤٣١- ٤١٦- ٣٨. - ٣٦٤	١٠	﴿ وقد خاب مَنْ دساها ﴾
		{ سورة الليل }
٣.٦ - ٢٩٨	٥	﴿ فأما مَنْ أعطى واتقى ﴾
٣.٦ - ٢٩٨	٦	﴿ وصدّق بالحسنى ﴾
٣.٦ - ٢٩٨	٧	﴿ فسنبسره لليسرى ﴾
٣.٦ - ٢٩٨	٨	﴿ وأما مَنْ يخل واستغنى ﴾
٣.٦ - ٢٩٨	٩	﴿ وكذّب بالحسنى ﴾
٣.٦ - ٢٩٨	١٠	﴿ فسنبسره للّعسرى ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
		{ سورة التين }
٣٥٦ - ١٧٨ - ١٤٨	٤	﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾
١٧٨	٥	﴿ ثم رددناه أسفل سافلين ﴾
١٧٨	٦	﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾
		{ سورة العلق }
٥٤	١	﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾
٥٤	٢	﴿ خلق الإنسان من علق ﴾
٥٤	٣	﴿ اقرأ وربك الأكرم ﴾
٥٤	٤	﴿ الذي علّم بالقلم ﴾
٥٤	٥	﴿ علّم الإنسان ما لم يعلم ﴾
		{ سورة القدر }
١١٣	٤	﴿ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ﴾
		{ سورة الزلزلة }
٢٨٧	٦	﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم ﴾
٢٨٧	٧	﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ﴾
٢٨٧	٨	﴿ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾

الصفحات	رقمها	الآية
		{ سورة العاديات }
٢١٩	٦	﴿ إن الإنسان لربه لكنود ﴾
٢١٩	٧	﴿ وإنه على ذلك لشهيد ﴾
٢١٩	٨	﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾
		{ سورة العصر }
١٨.	١	﴿ والعصر ﴾
١٨.	٢	﴿ إن الإنسان لفي خسر ﴾
١٨.	٣	﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... ﴾
		{ سورة الإخلاص }
١٥.	١	﴿ قل هو الله أحد ﴾
١٥.	٢	﴿ الله الصمد ﴾
١٥.	٣	﴿ لم يلد ولم يولد ﴾
١٥.	٤	﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾
		{ سورة الفلق }
٢١٦	١	﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾
٢١٦	٢	﴿ من شر ما خلق ﴾
٢١٦	٣	﴿ ومن شر غاسق إذا وقب ﴾
٢١٦	٤	﴿ ومن شر النفاثات في العقد ﴾
٢١٦	٥	﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾

فهرس الأحاديث النبوية { حرف الألف }

الصفحة	
٣١ - ٣٣٣	« آدم »
٣٣ - ٣٥٥	« أبغني أحجاراً أستفض بها ولا تأتي بعظم »
١٩١	« أبك جنون » ؟
٢٧٣	« أتجبه لأمك » ؟
٣٩٥	« أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة » ؟
٢٦٣	« أتعلمون بعقله بأساً ، تنكرون فيه شيئاً » ؟
١.٨	« أتقاكم »
١٨٩	« أتقاهم »
٢٧٣	« اتق الله حيثما كنت »
١٨٨	« ادن »
٣٩.	« إذا تقرب العبد إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً »
٢٣٣	« إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران »
٣٩٢	« إذا ضيَّعت الأمانة فانتظر الساعة »
٢١٣	« إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس »
٢٩٩	« إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة »
٥١	« إذا مر بالنطفة اثنتون وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً »
١٩١	« ارجعي »
١٣٦	« الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف »
١٨	« استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خلقت من ضلع »
١١٢ - ٢٨٢	« الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله »
٢٩. -	

الصفحة	
٤٠٢	« اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي »
٢٢٠	« الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى »
٤١٣	« اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ »
٢٧٧	« أفعلتَ هذا بولدك كلهم » ؟
٢٤٠ - ١٣٦	« اقبلوا البُشرى يا بنى تميم »
٣٨٧	« ألا إن ربكم واحد »
٤١٠ - ٤٠٢	« ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »
٢٧٧	« ألكَ بنون سواه » ؟
٢١٨	« اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق »
٢١٤	« اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك »
٤٢	« أما إن أحدكم إذا أتى أهله وقال : بسم الله »
٣٨٢	« أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم يكن تراه فإنه يراك »
١٥ - ١٢٦	« إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه »
١٣٠ - ١٣٧	
٣٩٩	« إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم »
٢١٣	« إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خُلِقَ من نار »
٣٤٥	« إن كان الله خليفة في الأرض فضرَبَ ظهرَكَ وأخذ مالك »
١٢٨	« إن الله - تبارك وتعالى - خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه »
١٢٩	« إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفي عام »
٣٩٠	« إن الله قال : مَنْ عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب »

الصفحة

- « إن الله - عز وجل - تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها » ٢٢٣
- « إن الله - عز وجل - خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض » ١١-١.٧
- « إن الله - عز وجل - لم يهلك قوماً ، أو يُعَذِّب قوماً فيجعل لهم نسلأ » ٧٧
- « إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان » ٢٣٣
- « أن من خياركم إلي أحسنكم أخلاقاً » ٢١٨
- « إنا والله لا نولي على هذا العمل أحداً سألته » ٤. .
- « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله » ٢٧٤ - ١٤٨
- ٣٥٢ -
- « إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير » ١٧٢-١٦١
- « أول ما خلق الله العقل » ٢٥٨
- « أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله » ١٦١
- « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلغائه » ١٩٦
- { حرف الباء }
- « باسمك اللهم أموت وأحيا » ١٦.
- « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في نفسك » ٢٣٢
- { حرف التاء }
- « تجدون الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام » ١.٨ - ٣٦١
- { حرف الثاء }
- « ثلاث مَنْ كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » ٣٦٣ - ٢٣٨

الصفحة

« ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيهم ولهم عذاب أليم » ٤٠٠

{ حرف الجيم }

٢٣١ - ١٥٢

« جنتَ تسأل عن البر والإثم ؟ »

٣٥٩-

{ حرف الحاء }

٢٣٤ - ١٨٣

« الحلال بينٌ والحرام بينٌ وبينهما مشبهات »

{ حرف الحاء }

١٩ - ٣٢-

« خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً »

٣٤٢ - ١١٢

٣٥٤

« خُلِقَت الملائكة من نور ، وخُلِقَ الجان من مارج من نار »

٤.٣

« خياركم أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم »

{ حرف الدال }

« دع ما يريبك إلى ما لا يريبك »

٢٣٢

{ حرف الراء }

« رُفِعَ القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ »

٢٦٣ - ٢٤٣

٣٥٨ - ٢٦٤

« الروح جند من جنود الله »

١١٤

{ حرف السين }

« ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون »

٤.٣

{ حرف الصاد }

« الصُّرعة كل الصُّرعة ، كل الصُّرعة ، الرجل يغضب فيشتد »

٢١٣

« غضبه »

الصفحة	
	{ حرف العين }
٤.٣	« على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره »
	{ حرف الفاء }
٢٩٢	« في الجنة »
٣٩٨	« فيما استطعت »
١٨٩-١.٨	« فيوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله »
	{ حرف الكاف }
١٤٧-١٢٧	« كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه »
٢.٧-١٩٨	
٢٨١-٢٥٢	
٣٧٤-٣٦١	
٣٨	« كلكم راع ومستول عن رعيته »
٣٨٧-٢٧٢	« كلكم راع وكلكم مستول عن رعيته »
٤.٧	« كيف تقضى » ؟
٣٩١	« كل مخموم القلب صدوق اللسان »
	{ حرف اللام }
٣١٧-٣. .	« لا تحاسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله القرآن »
٣٤٢	« لا تقبح الوجه فإن ابن آدم خُلِقَ على صورة الرحمن »
٢٢٥	« لا ومقلب القلوب »
٢٧٦	« لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذى محرم »
٢٣٣	« لا يزال الناس يتساءلون »
٢٨٥	« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن »

الصفحة

٢. « لروحة فى سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها »
- ٢٥ « لما خلق الله آدم مسح ظهره »
- ١٦ « لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس »
- ٢٥٨ « لما خلق الله العقل ، قال له : أقبل »
- ٢٥٨ « لما خلق الله العقل قال له : قم »
- ٣٣٩ - ١٥ « لما صور الله آدم فى الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه »
- ٢٩ « لو أنكم لم تكن لكم ذنوب يغفرها الله لكم »
- { حرف الميم }
- ٤.٦ « ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان »
- ٢٥٨ « ما خلقت خلقاً أكرم على منك »
- ٣٩٨ « ما من أمير يلى أمر المسلمين »
- ٤.٦-٤.٢ « ما من عبد يسترعيه الله رعيته »
- ٢٧٩ « ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه »
- ٢٨٧ « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير »
- ٤.١ « مَنْ أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد »
- ٢٧٤ « مَنْ استطاع منكم الباءة فليتزوج »
- ٣٩٨ « مَنْ أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن يعصنى فقد عصى الله »
- ٣٤٥ « مَنْ أمر بالمعروف ونهى عن المنكر هو خليفة لله فى الأرض »
- ٣٩٨ « مَنْ خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له »
- ٤.٣ « مَنْ رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر »
- ٣٨٦ « مَنْ سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة »

الصفحة

٣٩٧

« مَنْ قَتَلَ مَعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ »

١٨

« مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَلْيَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ »

٣٣ - ٣.٥

« مَنْ هَذَا » ؟

١٩١

« مَهْ يَا خَلْدُ ؛ لَا تَسْبِهَا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ »

{ حرف النون }

٣٤٥

« نعم »

٣١ - ٣٣٣

« نعم نبي مُكَلِّمٌ »

{ حرف الهاء }

١١٣

« هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِّحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ »

(حرف الواو)

١٥

« وَأَدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ »

٢٣٢

« وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ » ؟

٢٩ - ٣٨٩

« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تَذَنْبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ »

٢٧٦

« وَاللَّهُ إِنْ كُنْ لِأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ »

(حرف الياء)

٢٣٢

« يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ كَذَا » ؟

٤.١

« يَا أَبَا ذَرٍّ ؛ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ .. »

٣٩١

« يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؛ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ »

٤.٠

« يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ؛ لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْئَلَةٍ »

٢٦٤

« يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ »

١٧ - ٢٢

« يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُونَ لِذَلِكَ »

الصفحة

٣٤٤

« يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة »

« يقول الله - عز وجل - أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين

١٦٦

رأت »

* * *

٢٧٢

{ أحاديث الشمائل }

٢٧٢

« كان الرسول ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه »

« كان رسول الله ﷺ إذا أراد سफراً أقرع بين نسائه »

* * *

٣٩٨

١١٩

{ الأحاديث الفعلية }

٢٦٤

« حديث عبادة بن الصامت في المبايعة على السمع والطاعة »

« حديث ابن مسعود في سؤال اليهود عن الروح »

« قصة دخوله ﷺ على جابر وهو مريض »

* * *

فهرس الأعلام

أرقام الصفحات

{ حرف الألف }

آدم عليه السلام

٢. - ١٩ - ١٨ - ١٧ - ١٦ - ١٥
 - ٢٦ - ٢٥ - ٢٤ - ٢٣ - ٢٢ -
 ٣٢ - ٣١ - ٣٠ - ٢٩ - ٢٨ - ٢٧
 - ٧٧ - ٣٩ - ٣٨ - ٣٥ - ٣٣ -
 - ١٢٥ - ١٢٤ - ٩٠ - ٨٨ - ٧٩
 - ١٣٤ - ١٣١ - ١٣٠ - ١٢٧
 - ٢٠٦ - ١٨٥ - ١٧٧ - ١٣٧
 - ٢٩٥ - ٢٨٩ - ٢٧٠ - ٢٦٠
 - ٣٣٦ - ٣٣٤ - ٣٣٣ - ٣٣٢
 - ٣٤٢ - ٣٣٩ - ٣٣٨ - ٣٣٧
 ٣٧٣ - ٣٦٤

- ٢٤٥ - ٢٣٥ - ٢١١ - ٢٠٦
 ٢٤٧
 ١١٩
 ١١٩
 ١٩٣
 ٣٢٣ - ١٦٦ - ٨٣
 ١٢٨
 ٣٩٥

إبراهيم عليه السلام

إبراهيم بن الحكم

إبراهيم بن يزيد التميمي

أبى بن كعب

أرسطوطاليس

أرطاة بن المنذر

أسامة بن زيد

أرقام الصفحات

١١٩	الأعمش (سليمان بن مهران)
١٣١ - ١٦٤ - ١٦٦ - ١٩٩	أفلاطون
٢٧٣	أبو أمامة (صدق بن عجلان)
١٥ - ١٧ - ٢٠ - ٢٢ - ١٤٨ -	أنس بن مالك
٢٣٨ - ٢٧٤ - ٢٧٦ - ٣٢٢ -	
٣٣٩ - ٣٦٣ - ٣٥٢ - ٣٩٠ -	
٤٠٢	
٢٩	أبو أيوب الأنصاري (خالد بن يزيد)
	{ حرف الباء }
١٩١ - ٢٦٣ - ٤١٣	بريدة بن الحصيب الأسلمي
٤٢٢	بولس الرسول
١٢٩	البيهقي (أحمد بن الحسن الحافظ)
	{ حرف الثاء }
٣٤٤ - ٣٤٥	ثوبان مولى عثمان
	{ حرف الجيم }
٢٦٤ - ٢٩٢	جابر بن عبد الله
١٢٨	جعفر بن محمد بن هارون المصيصي
٢٣٢	أبو الجوزاء السعدي
٧٨	جوهانس هور ذمر
	{ حرف الحاء }
٢٥٧	أبو حاتم الرازي (محمد بن إدريس)

أرقام الصفحات

٥١	حذيفة بن أسيد الغفارى
٣٤٥ - ١٦.	حذيفة بن اليمان
٢٣٢	الحسن بن على بن أبى طالب
١١٩	الحسين بن محمد بن إبراهيم
٢١٣	ابن حصبة (أو أبو حصبة)
١١٩	الحكم بن عمرو الغفارى
٢. - ١٩ - ١٨ - ١٧	حواء
	{ حرف الحاء }
٢٥٧	الخطيب البغدادي (على بن ثابت)
٨٦	ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)
	{ حرف الدال }
٢٥٧ - ١٢٩	الدارقطنى (على بن عمر)
٩٢ - ٨٧ - ٨٢ - ٧٤	داروين، تشارلز روبرت
٢٥٨ - ٢٥٧	داود بن المحبر
٣٨٦	أبوالدرداء (عويمر بن مالك)
	ابن أبى الدنيا (عبد الله بن محمد
٢٥٨	ابن عبيد)
١٦٥ - ١٤٣	ديكارت (رينيه ديكارت)
	{ حرف الذال }
٤. ١ - ٣٣٣ - ٢١٣ - ١٨٨ - ٣١	أبو ذر (جندب بن جنادة)
٢٥٧ - ١٢٩	الذهبي (محمد بن أحمد)

أرقام الصفحات

١٢٣	ذو الرمة الباهلى (غيلان بن علقمة)
	{ حرف الزاى }
١٢٥	زكريا عليه السلام
	{ حرف السين }
٣٤٥	سبيع بن خالد
١٦٥	سبينوزا ، ماباروخ
١١٩	السدى (إسماعيل بن عبد الرحمن)
	أبو سعيد الخدرى (سعد بن مالك
٢٦٤ - ٤.٦	(ابن سنان)
١٦٦	سقراط
٤.٣	أم سلمة (أسماء بنت يزيد)
٩٨	سليمان عليه السلام
٤١٣	سليمان بن بريدة
٢٥٧	سليمان بن عيسى السجزي
	{ حرف الطاء }
١٦١ - ٣٢٢	أبو طلحة الأنصارى (زيد بن سهل)
	{ حرف العين }
١١٢ - ١٣٦ - ٢١٤ - ٢٤٣ -	عائشة بنت أبى بكر (أم المؤمنين)
٢٦٣ - ٢٧٢ - ٣٢٢ - ٣٥٤ -	
٣٩٥ - ٣٥٨	
٣٩٨	عبادة بن الصامت

أرقام الصفحات

٤٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٩ - ١٦١

١٧٢ - ٢٣٣ - ٢٧٦ - ٤.٣

٤٠٠

عبد الرحمن بن سمرة

٤٠٧

عبد الرحمن بن يزيد

٢٥٧

عبد العزيز بن أبي رجاء

٢٥٧

عبد الغنى بن سعيد

١١٩

عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة

١٩١ - ٢٦٣

عبد الله بن بريدة

٣٨ - ١١٢ - ٢١٨ - ٢٧٢ - ٣٤٢

عبد الله بن عمر

٣٨٧ - ٣٩٨ - ٤.٢ - ٤.٣

٤١٠

٧٧ - ١٢٦ - ١٣٧ - ٢٧٤ - ٤.٧

عبد الله بن مسعود

١٢٨

عتبة بن السكن

١٢٩

ابن عدى (عبد الله بن عدى)

١٩

العذراء (مريم بنت عمران)

٤.١

عرفجة بن شريح

٢١٣

عروة بن عبد الله الجعفى

٢١٣

عروة بن محمد

١٢٩

عطاء بن عجلان

٢١٣

عطية القرصى

١١٩

عقبة بن أبي معيط

أرقام الصفحات

٣٣٩	أبو العلاء المعري (أحمد بن عبد الله)
٢٧٤ - ٢٢٠ - ١١٩	علقمة بن وقاص الليثي
- ٢٨٢ - ٢٤٧ - ٢٢٠ - ١٢٨	عمر بن الخطاب
٤٠٧ - ٣٨٢ - ٢٩٠	
٢٤٠ - ١٣٦	عمران بن حصين
٢٧٧	عمرة بنت رواحة
٢٤٧ - ٢٣٣	عمرو بن العاص
١٢٨	عمرو بن عبسة
٤٠٣	عوف بن مالك
٣٩٩	عياض بن حمار المجاشعي
١٢٤ - ١٢٣ - ١١٥ - ١١١ - ١٩	عيسى ابن مريم عليه السلام
١٥٦ - ١٣٤ - ١٣٣ - ١٣١ - ١٢٥	

{ حرف الفاء }

٨٢	الفارابي (محمد بن محمد طرخان)
٨٠	فايد نرايش
٣١١ - ٣١٠ - ٢٦٧ - ٢٠٠ - ١٩٩	فرويد (سيجموند)
١٦٤ - ١٣١	فلوطين

{ حرف القاف }

٣١٠ - ١٧٧	قابيل
١٣٦	ابن قتيبة (أحمد بن عبد الله)
٤٦	القرطبي (محمد بن أحمد الأنصاري)

أرقام الصفحات

٨٣	القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود)
٤٢٢	قسطنطين
١١٩	ابن قيم الجوزية (محمد بن أبى بكر)
	{ حرف الكاف }
٧٤	كاترفاج
٧٤	كريسى موريسون
	{ حرف اللام }
٨٧	لامارك
٧٨	ليكى
	{ حرف الميم }
١١٩	أبو مالك
٧٤	مارك ، چان باتيست
٢٦٣	ماعز بن مالك الأسلمى
٢٦٨	ماكدوجال ، وليم
١١٤	مالك (خازن النار)
١٢٨	محمد بن صابر البخارى
٢١٣	محمد بن عطية
٢٥٧	محمد بن على الصورى
١٢٨	محمد بن المنذر بن سعد الهروى
٢٦٤	محمد بن المنكدر
	المسيح = عيسى ابن مريم

أرقام الصفحات

٤.٧	معاذ بن جبل
٤.٢ - ٤.٦	معتل بن يسار المزني
	المعلم الأول = أرسطوطاليس
١٢٨	ابن منده (محمد بن إسحاق)
٩٨ - ١٣٣ - ١٥٧ - ٢٣٤	موسى عليه السلام
١١ - ١.٧ - ٢٨٧ - ٤. .	أبو موسى الأشعري (عبد الله بن قيس)
٢٥٧	ميسرة بن عبد ربه
١١٤	ميكال عليه السلام

{ حرف النون }

١٣	النايعة الذبياني
١٨٣ - ٢٣٤ - ٢٧٧	النعمان بن بشير
١٢٨	نعيم بن ربيعة
٢٣٢	النؤاس بن سمعان
٨.	نوح عليه السلام

{ حرف الهاء }

١٧٧ - ٣١. .	هابيل
١٥ - ١٦ - ١٨ - ١٩ - ٢٥ - ٣٢	أبو هريرة (عبد الرحمن بن صخر)
٣٣ - ١.٨ - ١٤٧ - ١٦٦ -	
١٨٩ - ١٩١ - ١٩٦ - ١٩٨ -	
٢١٨ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٥٢ -	
٢٧٩ - ٢٨١ - ٢٩٩ - ٣. . -	

أرقام الصفحات

- ٣٦١ - ٣٥٥ - ٣٤٢ - ٣١٧
- ٣٩٢ - ٣٩١ - ٣٩٠ - ٣٨٩
٤٠٠ - ٣٩٨

٧١

هيجل

{ حرف الواو }

٢١٣

أبو وائل الصنعاني المرادي

٣٥٩ - ٢٣١ - ١٥٢

وابصة بن معبد الأسدي

٩٢ - ٨٧

والاس

{ حرف الياء }

٢٥٨ - ٢٥٧ - ١٢٩

يحيى بن معين

- ٣٠٩ - ٢٩٤ - ٢٧٧ - ١٧٧

يوسف بن يعقوب عليهما السلام

٣٧٦

١٢٨

يونس بن حلبس

* * *

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكرم .

{ حرف الألف }

- إبراهيم إبراهيم هلال : الدين وقياة الدنيا - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٨٠ م .
- إبراهيم محمد سرسبق : النفس الإنسانية في القرآن الكرم - تهامة - ط ١ - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .
- إبراهيم مذكور : في الفلسفة الإسلامية - دار المعارف ، القاهرة - ط ١ - ١٩٦٨ م .
- ابن الأثير : مجد الدين بن محمد الجزرى : النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوى - المكتبة الإسلامية - ط ١ - ١٣٨٢ هـ
- أحمد إبراهيم الشريف : دراسات في الحضارة الإسلامية - دار الفكر العربي - ط ٢ - ١٩٨١ م .
- أحمد أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية .. أصولها ووسائلها - دار الكتاب المصرى ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
- أحمد بهجت : أنبياء الله - دار الشروق ، القاهرة ، بيروت - ط ٧
- د . أحمد حافظ نجم : حقوق الإنسان بين القرآن والإعلان - دار الفكر العربي - ط ١ - ١٩٨٢ م .
- أحمد بن حنبل : المسند ، وبهامشه منتخب كنز العمال - المكتب الإسلامي - بيروت - ط ٤ - ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م)
- د . أحمد الخشاب : - التفكير الاجتماعي - دار النهضة العربية - ١٩٨١

- أحمد رضا : معجم متن اللّغة - دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٣٧٧ هـ
- د . أحمد رمضان أحمد : الخلافة في الحضارة الإسلامية - دار البيان العربي - جدة - ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م)
- د . أحمد زكي : مع اللّهُ في الأرض - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٩ م .
- د . أحمد شلبي : مقارنة الأديان .. أديان الهند الكبرى - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ط ٢ - ١٩٦٦ م .
- مقارنة الأديان .. الإسلام - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ط ٣ - ١٩٦٧ م .
- مقارنة الأديان .. اليهودية - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ط ٢ - ١٩٦٧ م .
- د . أحمد عبد العزيز سلامة : علم النفس الاجتماعي - دار النهضة العربية .
- د . أحمد عبد الغفور عطار : إنسانية الإسلام - دار الأندلسي - جدة - ط ٢ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .
- أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية - مكتبة وهبة ، القاهرة - ط ١ - ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) .
- د . أحمد فؤاد الأهواني : دار المعارف ، القاهرة .
- د . أحمد ماهر البقري : الإسلام والحق - المكتب الجامعي الحديث - الإسكندرية - ١٩٨٤ م .
- د . أحمد محمد العسال : الإسلام وبناء المجتمع - دار القلم - الكويت - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م)
- د . أحمد محمود صبحي : الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي - دار المعارف بمصر .

- أحمد موسى سالم : حقائق أساسية في الاسلام - روز اليوسف - ١٩٧٤ م .
- أحمد يوسف : أسس التربية وعلم النفس - مكتبة الأنجلو المصرية - ط ٣ - ١٩٥٨ م .
- أرسطوطاليس : السياسة - ترجمة : لطفي السيد - الدار القومية للطباعة والنشر ، مصر .
- د . أسعد أحمد علي : تفسير القرآن المرتب ، منهج ليسر التربوي - دار السؤال للطباعة والنشر ، دمشق - ط ١ - ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .
- أبو الأعلى المودودي : الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية - دار الفكر - دمشق .
- الحضارة الإسلامية .. أسسها ومبادئها - الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت
- الحكومة الإسلامية - المختار الاسلامي ، القاهرة - ط ١ - ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .
- الخلافة والملك - تعريب أحمد إدريس - دار القلم ، الكويت - ط ١ - ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) .
- موجز تاريخ الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم . دار الفكر الحديث ، لبنان - ط ٢ - ١٣٨٦ هـ (١٩٦٧ م) .
- نظرية الإسلام السياسية - دار الفكر - ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م)
- نظرية الإسلام وهديه - دار الفكر - ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م)
- الألباني (محمد ناصر الدين) - الأحاديث الضعيفة والموضوعة - المكتب الإسلامي ط ١ - ١٣٩٩ هـ .
- ظلال الجنة في تخريج كتاب السنَّة - المكتب الاسلامي ، بيروت - ط ١ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م)

ألن هانيك : أسرار الكون - ترجمة د . سيد رمضان هدارة - مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

أندريه بيرج : التربية الجنسية عند الولد - ترجمة : موريس شريك - منشورات عويدات ، بيروت ، باريس - ط ١ - ١٩٨٢ م .

أندريه كريسون : تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث - منشورات عويدات ، بيروت ، باريس - ط ٢ - ١٩٨٢ م .

أنور الجندي : قضايا العصر ومشكلات الفكر - مؤسسة الرسالة ، بيروت - ط ١ - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

أنور عبد العليم : قصة التطور - دار القلم ومكتبة النهضة - القاهرة .
أوجين شريدنر : البيولوجية الإنسانية - ترجمة : د . خليل الجر - المطبعة البوليسية - ١٩٧٨ م .

أ . ي . فنسك وآخرون : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي - الاتحاد الأمي للمجامع العلمية ، مطبعة بريل - ليدن - ١٩٦٢ م .

- مفتاح كنوز السنّة : ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي - إدارة ترجمان السنّة ، لاهور - باكستان - ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م)

{ حرف الباء }

باسمة كيال : أصل الإنسان وسر الوجود - دار مكتبة الهلال ، بيروت - ط ١ - ١٩٨١ م .

- تطور المرأة عبر التاريخ - مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م)

البخارى (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة) : الأدب المفرد - دار مكتبة الحياة - ١٩٨٠ م .

- صحيح البخارى ، رقم أحاديثه وأبوابه محمد فؤاد عبد الباقي - المكتبة الإسلامية ، إستانبول - تركيا - ١٩٨٣ م .

برتراند راسيل : - الفوز بالسعادة - ترجمة سمير عبده - دار مكتبة الحياة - بيروت .

برسيقال سيمونديز : الدروس التي تتعلمها التربية من علم النفس - ترجمة عبد الرحمن صالح عبد الله - دار الفكر ، بيروت - ط ٢ - ١٣٩٤ هـ
ألبير كامو : الإنسان المتمرد - ترجمة نهاد رضا - نشرات عويدات ، بيروت ، باريس - ط ٣ - ١٩٨٣ م .

د . بشير ناصيف وآخرون : كتاب الأمراض النسائية - كلية الطب - تونس - ط ١
البيغوي (أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء) : شرح السنّة - تحقيق زهير الشاويش ، شعيب الأرنؤوط - المكتب الإسلامي ، بيروت - ط ١ - ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) .

أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي : الكليات - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق - ١٩٨٢ م .

بكر بن عبد الله أبوزيد : التقنين والإلزام - رئاسة البحوث العلمية والافتاء والإرشاد - ط ٢ - ١٤٠٣ هـ .

البهبي الخولي : آدم عليه السلام - مكتبة وهبة - ط ٣ - ١٣٩٤ هـ .

- الثروة في ظل الإسلام - دار الاعتصام - ط ٣ - ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) .

د . البوطي (محمد سعيد رمضان) : الإنسان وعدالة الله في الأرض - مكتبة الفارابي - ط ٣

بول شوشار : فيزيولوجية الوجدان - ترجمة د . خليل الجر - المطبعة البوليسية ، ١٩٧٧ م .

بيسير ريسوفان وجان باتيست دوروزيل : مدخل إلى تاريخ العلاقات الدولية - منشورات بحر المتوسط وعويدات ، بيروت ، باريس - ط ٢ - ١٩٨٢ م .

البيهقي (أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي) : السنن الكبرى - دار الفكر .

{ حرف التاء }

- الترمذى (أبو عيسى محمد بن عيسى) : سُنن الترمذى - حققه :
عبد الرحمن محمد عثمان - دار الفكر بيروت - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .
- التفتازاني (سعد الدين) : شرح المقاصد - مطبعة إستانبول - ١٢٧٧ هـ .
توفيق الحكيم : التعاقدية والإسلام - مكتبة الآداب ، مصر .
- د . توفيق الطويل : فلسفة الأخلاق - دار النهضة العربية ، القاهرة - ط ٣ -
١٩٧٩ م .
- قصة الصراع بين الدين والفلسفة - دار النهضة العربية - ط ٣ - ١٩٧٩ م .
ابن تيمية (تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم الحارثي الدمشقي) : الإيمان -
دار الثقافة الإسلامية ، الرياض - المكتب الإسلامي ، دمشق - ١٣٨١ هـ .
- مجموع الفتاوى : جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - مكتبة
المعارف ، الرباط .

{ حرف الجيم }

- جان برنيس : المخيلة - ترجمة د . خليل الجر - المنشورات العربية -
المطبعة البوليسية - ١٩٧٧ م .
- الجزائري (أبو بكر جابر) : - منهاج المسلم - دار الفكر - ط ٨ - ١٣٩٦ هـ .
- ج . فولكوف : الإنسان والتحدى التكنولوجي - ترجمة سامي كعكي - دار
الطلیعة ، بيروت - ط ١ - ١٩٧٩ م .
- جماعة من أهل الاختصاص - فن الطبخ الصحيح - دار مكتبة الحياة . بيروت .
- جماعة من المختصين - الإنسان والمجتمع - دار مكتبة الحياة ، بيروت -
١٩٧٩ م .
- جمال الدين بوقلي حسن : قضايا فلسفية - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،
الجزائر - ط ٢ - ١٩٨١ م .

چنفياف رودبیس : ديكرات والعقلانية - ترجمة عبده اخلو - منشورات
عويدات ، بيروت - ط ۲ - ۱۹۸۲ م .

جهاد قلجعي : الإسلام أقوى - دار الكتاب العربي ، بيروت .

جون كارل فلوجل : الإنسان والأخلاق والمجتمع - ترجمة عثمان نويه .
د . سعد الغزالي - دار الفكر العربي .

جون كلوفر مونسا وآخرون : الله يتجلى في عصر العلم - مؤسسة فرانكلين
للطباعة والنشر ، القاهرة ، نيويورك - ط ۳ - ۱۹۶۸ م .

{ حرف الحاء }

ابن أبي حاتم (محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنبلي) : الجرح
والتعديل - دار الكتب المصرية ، ط ۱

الحارث بن أسد المحاسبي : العقل وفهم القرآن - تحقيق د . حسين القوتلي -
دار الكندي ، دار الفكر - ط ۳ - ۱۴۰۲ هـ (۱۹۸۲ م) .

الإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه : المستدرک علی
الصحيحين - حيدر آباد الدكن - الهند - ۱۳۳۴ هـ .

د . حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة) - عالم
الكتب - ط ۲ - ۱۹۷۲ م .

- علم النفس الاجتماعي - عالم الكتب ، القاهرة - ط ۴ - ۱۹۷۷ م .

د . حامد عوض الله : ضربان لا ثالث لهما - دار مكتبة الهلال - ۱۹۸۲ م .

- في الملا الأعلى - دار مكتبة الهلال ، بيروت - ط ۱ - ۱۹۸۲ م .

- من بعد آدم - دار مكتبة الهلال ، بيروت - ط ۱ - ۱۹۸۲ م .

ابن حبان (أبو حاتم محمد بن حبان البستي) : موارد الضمان - الطبعة
الفلسفية - ط ۱ .

ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي) : تقريب التهذيب - دار المعرفة ،
بيروت - ط ۲ - ۱۳۹۵ هـ .

ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي) : تهذيب، التهذيب - حيدرآباد
الدكن - الهند ، ١٣٢٥ هـ .

- فتح الباري - تحقيق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز وآخرون - رئاسة
إدارة البحوث بالرياض .

ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) : الأخلاق والسير في مداواة
النفوس - دار الكتب العلمية ، بيروت - ١٩٨٢ م (١٤٠٢ هـ) .

حسن أيوب : تبسيط العقائد الإسلامية - دار النصر للطباعة الإسلامية ،
القاهرة - ط ٣ - ١٣٩٨ هـ .

- السلوك الاجتماعي في الإسلام - دار البحوث العلمية ، الكويت - ط ٢
- ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

حسن الترابي : الإيمان - دار القلم ، الكويت - ط ٢ - ١٤٠٠ هـ (١٩٧٩ م) .

حسن زينو : التطور والإنسان - دار الدعوة ، بيروت - ط ١ - ١٣٩١ هـ
(١٩٧١ م) .

د . حسن شحاتة سعفران : أسس علم الاجتماع - دار النهضة العربية ،
القاهرة - ط ١ - ١٩٧٨ م .

د . حسن محمد باجوده : تأملات في سورة الأحزاب - مطابع الصفا ، مكة
- ١٤٠٣ هـ .

د . حسن محمد الشرقاوي : نحو علم نفس إسلامي - الهيئة المصرية العامة
للكتاب ، الإسكندرية .

د . حسن هويدى : الوجود الحق - المكتب الإسلامي ، بيروت - ١٣٩٨ هـ
(١٩٧٨ م) .

حمدى حنبلي : الإنسان العقائدى - مكتبة الأمل ، الكويت - ط ٢ -
١٣٨٨ هـ (١٩٦٩ م) .

{ حرف الخاء }

- خالد محمد خالد : أفكار في القمة - مكتبة وهبة - ط ٢ - ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م) .
د . خالص جلبي : الطب محراب الإيمان - مؤسسة الرسالة ، بيروت - ط ٢ - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .
الخزرجي (أبو عبيدة) : بين الإسلام والمسيحية - حققه د . محمد شامة - مكتبة وهبة ، القاهرة .
الخطابي (أبو سليمان أحمد بن محمد البستي) : معالم السنن - المكتبة العلمية - ط ٢ - ١٤٠١ هـ .
الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي) : تاريخ بغداد - مطبعة الخانجي ، القاهرة - ط ١ - ١٣٤٩ هـ .
ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد الحضرمي) : مقدمة ابن خلدون - إحياء التراث العربي ، بيروت - ط ٤
خليل أحمد السهارنفوري : بذل المجهود في حل أبي داود - دار الكتب العلمية ، بيروت (وهو المعتمد في التخريج عن أبي داود)

{ حرف الدال }

- الدارمي (أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام) : سنن الدارمي - دار الكتب العلمية ، بيروت .
داروين ، تشارلز : أصل الأنواع - ترجمة إسماعيل مظهر - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر .
الدامغاني (الحسين بن محمد) : قاموس القرآن - حققه : عبد العزيز سيد الأهل - دار العلم للملايين ، بيروت - ط ٤ - ١٩٨٣ م .
ابن أبي الدنيا (عبد الله بن محمد بن عبيد) : العقل وفضله - تحقيق : محمد زاهر الكوثرى - مكتب نشر الثقافة الإسلامية .

البروفسور دينكن ميتشيل : معجم علم الاجتماع - ترجمة د . إحسان محمد
الحسن - دار الطليعة - بيروت - ط ١ - ١٩٨١ م

{ حرف الذال }

الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) : سير أعلام النبلاء -
تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون - مؤسسة الرسالة ، بيروت - ط ٢ - ١٤٠٢ هـ .
- المغني في الضعفاء - تحقيق د . نور الدين عتر - دار المعارف ، حلب -
ط ١ - ١٣٩١ هـ .

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال - تحقيق علي محمد البجاوي - دار
المعرفة ، بيروت .

ذو الرمة (غيلان بن علقمة) : ديوان ذو الرمة - تحقيق وشرح :
د . عبد القدوس الأنصاري - دار الإيمان ، بيروت - ط ٢ - ١٤٠٢ هـ .

{ حرف الراء }

الرازي (الإمام محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشهور
بخطيب الري) : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب - دار الفكر ، بيروت - ط ١
- ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

راشد البراوي : القرآن والنظم الاجتماعية المعاصرة - دار النهضة العربية ،
القاهرة .

- القصص القرآني .. تفسير اجتماعي - دار النهضة العربية - ط ١ -
١٩٧٨ .

الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل) : تفصيل
النشأتين وتحصيل السعادتين - دار مكتبة الحياة ، بيروت - ١٩٨٣ م .

- المفردات في غريب القرآن - تحقيق محمد سيد الكيلاني - دار المعرفة ببيروت .
د . رشدي فكار - تأملات إسلامية في قضايا الإنسان والمجتمع - مكتبة
وهبة - ط ١ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

د . رشدي فكار : لمحات عن منهجية الحوار والتحدى الإعجازي للإسلام في هذا العصر - مكتبة وهبة - ط ١ - ١٤.٢ هـ (١٩٨٢ م) .
- نظرات إسلامية للإنسان والمجتمع - مكتبة وهبة - ط ١ - ١٤.١ هـ (١٩٨٠ م) .

د . رءوف عبيد - الجديد في التكوين الروحي وأسرار السلوك - دار الفكر العربي ، مصر - ١٩٨٢ م .

- مفصل الإنسان روح لا جسد - دار الفكر العربي - ط ٤ - ١٩٧٦ م .
- رمون بورون : مناهج علم الاجتماع - ترجمة : هالة شبزون الحاج - منشورات عويدات ، بيروت ، باريس - ط ٣ - ١٩٨٢ م .
- رمون رويه : نقد الأيديولوجيات المعاصرة - ترجمة : د . عادل العوا - عويدات ، بيروت ، باريس - ط ١ - ١٩٧٨ م .

رينيه ديكرات : تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى - ترجمة : د . كمال الحاج - منشورات عويدات ، بيروت ، باريس - ط ٣ - ١٩٨٢ م .
- رينيه رويو : إنسانية الإنسان - تعريب : د . نبيل صبحي الطويل - مؤسسة الرسالة - ط ١ - ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

{ حرف الزاى }

- د . زكريا إبراهيم : مشكلة الإنسان - مكتبة مصر .
- مشكلة البنية - مكتبة مصر .
- مشكلة الحرية - مكتبة مصر .
- مشكلة الحياة - دار مصر للطباعة .
- المشكلة الخلقية - مكتبة مصر - ط ٣ - ١٩٨٠ م .
- مشكلة الفلسفة - مكتبة مصر .

د . زكي نجيب محمود : في حياتنا العقلية - دار الشروق ، بيروت ،
القاهرة - ط ٢ - ١٩٨١ م (١٤٠١ هـ) .

الزركلي (خير الدين) : الإعلام - دار العلم للملايين ، بيروت - ط ٥ -
١٩٨٠ م .

الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر) : الكشاف - دار الفكر
- ط ١ - ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .

الزيلعي (جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الحنفي) : نصب الراية
لأحاديث الهداية - المجلس العلمي بدمشق - ط ٢

زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم
المنأوي القاهري : الإتحافات السنوية بالأحاديث القدسية - صححه وعلّق عليه
ونشره : محمد عفيف الزغبى - مؤسسة الرسالة .

{ حرف السين }

د . سعد المرصفي : معالم في السلوك الإسلامي - شركة الشعاع ، الكويت
- ١٤٠١ هـ .

أبو السعود محمد بن محمد العمادي : تفسير أبي السعود - دار إحياء
التراث العربي .

سعيد حوى : تربيتنا الروحية - دار الكتب العربية ، بيروت - ط ١ - ١٣٩٩ هـ .
سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان - سلامة موسى للنشر والتوزيع ،
القاهرة .

سميح عاطف الزين : الإسلام وأيديولوجية الإنسان - دار الكتاب اللبناني ،
بيروت ، دار الكتاب المصري ، القاهرة - ط ٢ - ١٩٧٨ م .

- طريق الإيمان - دار الكتاب اللبناني ، بيروت - ط ٢

- لمن الحكم - دار الكتاب اللبناني ، بيروت - ط ١ - ١٩٧٤ م .

- د . سهر فضل الله أبو واقية : الفلسفة الإنسانية في الإسلام - دار النهضة العربية ، القاهرة .
- د . سيد أحمد عثمان : علم النفس الاجتماعي التربوي - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٣٩٤ هـ .
- السيد سابق : عناصر القوة في الإسلام - مكتبة وهبة - ط ١ - ١٣٨٢ هـ (١٩٦٣ م) .
- السيد عبد الحافظ عبد ربه : الثورة الاجتماعية في الإسلام - دار الكتاب اللبناني ، بيروت - ١٩٧٢ م .
- د . سيد عبد الحميد مرسي : النفس البشرية - مكتبة وهبة ، القاهرة - ط ١ - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .
- سيد قطب : التصوير الفني في القرآن - دار الشروق - بيروت ، القاهرة - ط ٦ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .
- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته - دار الشروق - بيروت ، القاهرة - ط ٦ - ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .
- العدالة الاجتماعية في الإسلام - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - ط ٦ - ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م) .
- في ظلال القرآن - دار الشروق - بيروت ، القاهرة - ط ٥ - ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .
- السيد محمد خيرى وآخرون : علم النفس التجريبي - جامعة الرياض - سلسلة علم النفس - عدد ٧
- ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله) : أحوال النفس - تحقيق : د . أحمد فؤاد الأهواني - دار إحياء الكتب العربية - ط ١ - ١٣٧١ هـ .
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) : تدريب الراوي في شرح تقريب الراوي - حققه : عبد الوهاب عبد اللطيف - دار الكتب العلمية ، بيروت - ط ٢ - ١٣٩٩ هـ .

- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) : شرح سنن النسائي -
 دار الكتب العلمية ، بيروت (وهو المعتمد في التخريج عن النسائي) .
 - الفتح الكبير - نسخة مصورة عن مخطوطة دار الكتب المصرية - الهيئة
 المصرية العامة للكتاب .
 - اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة - المطبعة الأدبية - ط ١
 - ١٣١٧ هـ .

{ حرف الشين }

- الشعراوى (محمد متولي) : الله والكون - دار بوسلامة للطباعة والنشر
 والتوزيع ، تونس - ط ١
 - الله والنفس البشرية - دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس -
 ط ١ - ١٩٨٣ م .
 - الإسلام وحركة الحياة - المختار الإسلامي ، القاهرة .
 - في تربية الإنسان المسلم - دار العودة ، بيروت - ١٩٨٢ م .
 - كيف نفهم الإسلام - دار العودة ، بيروت .
 - شوقي أبو خليل - عزيزة... أم تقدير إلهي - دار الفكر ، دمشق - ط ١ -
 ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) .

- الشوكاني (محمد بن علي بن محمد) : فتح القدير - مكتبة ومطبعة
 مصطفى البابي الحلبي - ط ٢ - ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م) .

{ حرف الصاد }

- د . صبحي المحمصاني : أركان حقوق الإنسان - دار العلم للملايين ، بيروت
 - ط ١ - ١٩٧٩ م .
 د . صلاح مصطفى الفوال : المقدمة لعلم الاجتماع العربي والإسلامي - دار
 الفكر العربي - القاهرة - ١٩٨٢ م .

{ حرف الطاء }

- الطبري (محمد بن جرير) : تفسير الطبري = جامع البيان في تفسير القرآن - تحقيق : د . محمود شاكر - دار المعارف بمصر .

طبيبك الخاص - العدد ١٦٩ - السنة الخامسة عشرة - يناير ١٩٨٣ م .

{ حرف الظاء }

- ظفر الإسلام خان : التلمود تاريخه وتعاليمه - دار النفائس ، بيروت ، ط ١ - ١٩٧١ م

{ حرف العين }

- د . عائشة عبد الرحمن : الشخصية الإسلامية - دار العلم للملايين ، بيروت - ط ٣ - ١٩٨٠ م .

- القرآن وقضايا الإنسان - دار العلم للملايين ، بيروت - ط ٤ - ١٩٨١ م .
- عادل صادق : حكايات نفسية - كتاب اليوم الطبي - القاهرة - العدد ٢ - جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ .

- د . عادل العوا : الإنسان ذلك المعلوم - منشورات عويدات ، بيروت ، باريس - ط ٢ - ١٩٨٢ م .

- عاستون باشلار : تكوين العقل العلمي - ترجمة : د . خليل أحمد خليل - المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع - ط ٢ - ١٩٨٢ م .

- ابن عاشور محمد الطاهر : أصول النظام الاجتماعي في الإسلام - الشركة التونسية للتوزيع ، الدار العربية للكتاب - ١٩٧٩ م .

- تفسير التحرير والتنوير - الدار التونسية للنشر - ١٩٨٤ م .

- د . عاطف وصفي : الأنثروبولوجيا الاجتماعية - دار النهضة العربية ، بيروت - ط ٣ - ١٩٨١ م .

- عباس محمود العقاد : الإسلام في القرن العشرين - دار الكتاب العربي ، بيروت - ط ٢ - ١٩٦٩ م .

- عباس محمود العقاد : الإنسان في القرآن - دار الرشاد الحديثة .
- التفكير فريضة إسلامية - دار الكتاب العربي ، بيروت - ط ٢ - ١٩٦٩ م .
- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه - دار الكتاب العربي ، بيروت - ط ٣ - ١٣٨٦ هـ .
- الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام - دار الكتاب العربي ، بيروت .
- عقائد المفكرين في القرن العشرين - مكتبة غريب .
- الفلسفة القرآنية - دار الكتاب العربي ، بيروت - ط ٢ - ١٩٦٩ م .
- ما يُقال عن الإسلام - دار الكتاب العربي ، بيروت - ط ٢ - ١٩٦٦ م .
- د . عبد الله الخريجي : علم الاجتماع الديني - رامتان ، جدة - ط ١ - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .
- د . عبد الله شحاته : علوم القرآن والتفسير - دار الاعتصام ، القاهرة .
- د . عبد الله عزام : العقيدة وأثرها في بناء الجيل - مكتبة الأقصى ، عمان - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .
- عبد الله ناصح علوان : تربية الأولاد في الإسلام - دار السلام للطباعة والنشر ، بيروت .
- د . عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعي - مكتبة وهبة - ط ٨ - التنمية الاجتماعية - مكتبة وهبة .
- ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد الأندلسي) : التمهيد - حققه : مصطفى بن أحمد العلوي ، ومحمد عبد الكبير البكري - وزارة الأوقاف بالمغرب - ط ٢ - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .
- د . عبد الحليم محمود : الإسلام والعقل - دار المعارف ، القاهرة .
- د . عبد الحميد دياب وآخرون : مع الضب في القرآن الكريم - مؤسسة علوم القرآن ، دمشق - ط ٢ - ١٤٠٢ هـ .

- ابن عبد ربه (أحمد بن محمد الأندلسي) : العقد الفريد - تحقيق :
 د . مفيد محمد قمحه - دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- د . عبد الرحمن بدوي : الإنسان الكامل في الإسلام - وكالة المطبوعات ،
 الكويت - ط ٢ - ١٩٧٦ م .
- شخصيات قلقة في الإسلام - وكالة المطبوعات ، الكويت - ط ٣ - ١٩٧٨ م .
 - فلسفة الدين والتربية عند كنت - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،
 بيروت - ط ١ - ١٩٨٠ م .
- عبد الرحمن عبد العزيز القاسم - الإسلام وتقنين الأحكام - مطبعة المدني ،
 القاهرة - ط ١ - ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) .
- عبد الرحمن عزام : الرسالة الخالدة - دار ومطابع الشعب ، القاهرة .
- د . عبد الرحمن عيسوي : دراسات في السلوك الإنساني - منشأة المعارف ،
 الإسكندرية .
- علم النفس الفسيولوجي - دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٤ م .
 - علم النفس في الحياة المعاصرة - دار المعارف بمصر - ١٩٧٣ م .
- عبد الرحمن عيسوي : لماذا أنا مسلم - مكتبة وهبة - ط ٤
- عبد الرزاق نوفل : الإسلام والعلم الحديث - مكتبة الوعي العربي - ط ٢
 - الله والعلم الحديث - مكتبة مصر ، القاهرة .
- عبد السلام عبد الغفار : علم النفس الاجتماعي - دار النهضة العربية .
- عبد العزيز القوصي : علم النفس - مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .
- عبد العزيز بن ناصر الرشيد : التنبيهات السنوية على العقيدة الواسطية -
 مطبعة الإمام .
- د . عبد الغنى عبود : الإسلام والكون - دار الفكر العربي - ط ٢ - ١٩٨٢ م .
 - الله والإنسان المعاصر - دار الفكر العربي - ط ١ - ١٩٧٧ م .

د . عبد الغنى عبود : الإنسان في الإسلام والإنسان المعاصر - دار الفكر العربى - ط ١ - ١٩٧٨ م .

- الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة - دار الفكر العربى - ط ١ - ١٩٨١ م .
عبد القادر عودة : المال والحكم فى الإسلام - المختار الإسلامى ، القاهرة - ط ٥ - ١٣٩٧ هـ .

عبد الكريم الخطيب : الإنسان فى القرآن الكريم - دار الفكر العربى - ط ١ - ١٩٧٩ م .

- الخلافة والإمامة - دار الفكر العربى - ط ١
- الدين ضرورة حياة الإنسان - دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام بالرياض - ط ١ - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

- قضية الألوهية بين الفلسفة والدين : الله ... ذاتاً وموضوعاً - دار الفكر العربى ، القاهرة - ط ٢ - ١٩٧١ م .

عبد المجيد عبد الرحيم : تطور الفكر الاجتماعى - مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة .

- علم النفس التربوى - مكتبة النهضة المصرية - ط ٢ - ١٩٨١ م .

عبد المجيد النجار : العقل والسلوك فى البنية الإسلامية - منشورات مطبعة الجنوب ، مدين ، تونس - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

عبد المحسن صالح : الميكروبات والحياة - دار القلم بالقاهرة - ١٩٦٢ م .

عبد المنعم محمد خلّاف : أومن بالإنسان - دار مطابع الشعب - ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) .

عبد المنعم النمر : فى علوم القرآن - دار الكتاب المصرى - ط ١ - ١٣٩٩ هـ .

د . عبد الهادى على النجار : الإسلام والاقتصاد - المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت - ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) .

د . عبد الوهاب حمودة : القرآن وعلم النفس - دار القلم ، القاهرة - ١٩٦٢ م .

د . عثمان حسن المفتى وآخرون : خواص المادة - دار الشروق ، جدة .

د . عجيل جاسم النشمى : معالم فى التربية - مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت - ط ١ - ١٤٠٠ هـ .

العراقى (عبد الرحيم بن حسين) : تنزيه الشريعة - تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله الصادق - مطبعة عاطف ، مكتبة القاهرة - ط ١

د . عزت عبد العظيم الطويل : فى النفس والقرآن الكريم - المكتب الجامعى الحديث ، الاسكندرية - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .

د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية - دار النشر المغربية ، الدار البيضاء - ١٩٧٦ م .

عشرة من علماء الإسلام : الإسلام والأنظمة السياسية - دار الكتاب العربى ، بيروت .

- الإسلام والمعضلات الاجتماعية الحديثة - دار الكتاب العربى ، بيروت .

- الإسلام ومكارم الأخلاق - دار الكتاب العربى ، بيروت .

عطية صقر : الإسلام ومشاكل الحضارة - مؤسسة الصباح ، الكويت - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

عفيف عبد الفتاح طبارة : روح الدين الإسلامى - دار العلم للملايين ، بيروت - ط ٦

- اليهود فى القرآن - دار العلم للملايين - ط ٢ - ١٣٨٦ هـ .

علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندى البرهان فوزى : كنز العمال - ضبطه وفسر غريبه : الشيخ بكرى حيانى - مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

د . على جريشة : شريعة الله حاكمة - مكتبة وهبة - ١٣٩٧ هـ .

على رضا : المرجع فى اللغة العربية - دار الفكر .

د . على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام - دار المعارف ، القاهرة - ط ٨

- د . على السلمي : السلوك الإنساني فى الإدارة - مكتبة غريب .
- د . على عبد العظيم : فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم - مجمع البحوث الإسلامية - ١٩٧٣ م .
- د . على عبد الواحد وافى : عوامل التربية - دار نهضة مصر للطبع والنشر .
- د . عماد الدين خليل : العدل الاجتماعى - مؤسسة الرسالة ، بيروت - ط ٢ - ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .
- مع القرآن فى عالمه الرحيب - دار العلم للملايين ، بيروت .
- عمر عوده الخطيب : لمحات فى الثقافة الإسلامية - مؤسسة الرسالة ، بيروت - ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) .
- عمر فروخ : إخوان الصفا - دار الكتاب العربى ، بيروت - ط ٣ - ١٤٠١ هـ .
- د . عيسى عبده ، وأحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان - دار المعارف ، القاهرة .
- العينى (بدر الدين) أبى محمد محمود بن أحمد (: عمدة القارى شرح صحيح البخارى - دار الفكر .
- { حرف الغين }
- الغزالى (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد) : إحياء علوم الدين - عالم الكتب .
- { حرف الفاء }
- د . فاخر عاقل : علم النفس - دار العلم للملايين ، بيروت - ط ٨ - ١٩٨٢ م .
- فارس محمد ثابت : القرآن والشيطان - دار الفكر العربى .
- الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) : معانى القرآن - عالم الكتب ، بيروت ، ط ٢ - ١٩٨٠ م .

فرنسوا شاتلييه وآخرون : أيديولوجيا الإنسان - ترجمة : د . خليل أحمد خليل- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - ط ١ - ١٤.١ هـ (١٩٨١ م) .

فرويد ، سيجموند : الذات والغرائز - ترجمة : د . محمد عثمان نجاتي - مكتبة النهضة العربية - ١٩٦١ م .

فكتور فركس : الإنسان التقنى - تعريب : إميل صليل بيدس - دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

د . فؤاد البهى السيد : الأسس النفسية للنمو - دار الفكر العربى ، القاهرة - ط ٤ - ١٩٧٥ م .

- علم النفس الاجتماعى - دار الفكر العربى - ط ٢ - ١٩٨١/١٩٨٠ م .
الفيروز آبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب) : القاموس المحيط - دار الفكر ، بيروت - ١٤.٣ هـ (١٩٨٣ م) .

الفيلسوف الألمانى فيشته : غاية الإنسان - دارسة وترجمة : د . فوقية حسين محمود ومحمد بن عبد الله - الشركة العامة للتجهيز والتوزيع - ط ٢ - ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

فيكتور س . فيركيس : الإنسان التكنولوجى .. الأسطورة والحقيقة - ترجمة : د . زكريا إبراهيم ، يوسف ميخائيل أسعد - مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة - ١٩٧٥ م .

{ حرف القاف }

ابن قتيبة (أبو مسلم محمد بن عبد الله بن مسلم الدينورى) : الاختلاف فى اللفظ - مطبعة القدس - ١٣٤٩ هـ .

القرطبى (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى) : تفسير القرطبى - دار الشعب ، القاهرة .

القزوينى (زكريا بن محمد) : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات - مكتبة التقدم - مصر .

ابن قيم الجوزية (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر) : أحكام أهل الذمة - حققه : د . صبحى الصالح - دار العلم للملايين ، بيروت - ط ٢ - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

- إغاثة اللّهفان من مصيد الشيطان - تحقيق : محمد سيد كيلانى - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي - ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م) .
- الروح - دار الكتب العلمية ، بيروت - ط ١ - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .
{ حرف الكاف }

د . كامل عبود موسى : النهج السليم للقران الزوجى فى الإسلام - مؤسسة الرسالة ، بيروت - ط ١ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .
ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشى الدمشقى) : البداية والنهاية فى التاريخ - مطبعة المتوسط ، بيروت .
- تفسير القرآن العظيم - المكتبة التجارية الكبرى ، مصر .
- كتاب الفتن والملاحم - تحقيق : إسماعيل الأنصارى - مؤسسة النور ، الرياض - ١٣٨٨ هـ .

كرسى موريسون : العلم يدعو للإيمان - ترجمة محمود صالح الفلك - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٦٥ م .
ألكسيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول - ترجمة : شفيق أسعد فريد - مكتبة المعارف ، بيروت - ١٩٧٤ م .
كمال محمد عيسى : العقيدة الإسلامية سفينة النجاة - دار الشروق ، جدة - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

{ حرف اللام }

د . لبيب السعيد : العمل الاجتماعى - دار عكاظ - ط ٥ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين بإشراف م . روزنتال : الموسوعة الفلسفية - دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت - ط ٤ - ١٩٨١ م .

لهنتر ميد : الفلسفة .. أنواعها ومشكلاتها - ترجمة : د . فؤاد زكريا -
دار نهضة مصر - ١٩٦٩ م .

{ حرف الميم }

ابن ماجة (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني) : سنن ابن ماجه - حققه :
محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر (وهو المعتمد فى التخرىج) .

سنن ابن ماجه : حققه : محمد مصطفى الأعظمى - شركة الطباعة العربية
السعودية ، الرياض - ط ١ - ١٤.٣ هـ (١٩٨٣ م) .

مارسيل بوازار : إنسانية الإسلام - ترجمة : د . عفيف دمشقية -
منشورات دار الآداب ، بيروت - ط ١ - ١٩٨٠ م .

مارى مادلين دافتى : معرفة الذات - ترجمة : نسيم نصر - عويدات ،
بيروت ، باريس - ط ٣ - ١٩٨٣ م .

مالك (مالك بن أنس الأصبهى) : الموطأ - رواية يحيى بن يحيى الليثى
- إعداد : أحمد راتب عرموش - دار النفائس ، بيروت - ط ٦ - ١٤.٢ هـ
(١٩٨٢ م) . (وهو المعتمد فى التخرىج) .

مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية - ترجمة : د . عبد الصبور شاهين - دار
الفكر ، بيروت - ط ٣ - ١٩٦٨ م .

- مشكلة الأفكار فى العالم الإسلامى - ترجمة : د . محمد عبد العظيم
على - دار الفكر ، بيروت - ط ٢

الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى) :
الأحكام السلطانية والولايات الدينية - مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي
وأولاده ، مصر .

معجم اللغة العربية - معجم ألفاظ القرآن الكريم - دار الشروق .

د . محمد إبراهيم الفيومى : مقدمة فى علم الاجتماع الدينى - مكتبة
الأزهر - ط ١ - ١٩٧٤ / ١٩٧٥ م .

- محمد أحمد جاد المولى ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، على محمد البجاوى ،
السيد شحاتة : قصص القرآن - المكتبة التجارية الكبرى ، مصر - ط ١ .
- محمد أسد : الإسلام على مفترق الطرق - ترجمة د . عمر فروخ - دار
العلم للملايين - ط ٦
- محمد إسماعيل إبراهيم : قصص الأنبياء والرسل - دار الفكر العربى -
ط ٢ - ١٤.١ هـ (١٩٨١ م) .
- محمد باقر الصدر : اقتصادنا - دار الكتاب اللبنانى ، بيروت - ١٤.٣ هـ
(١٩٨٢ م) .
- د . محمد بدوى : الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع - دار المعارف ،
القاهرة - ١٩٨٠ م .
- محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح - حققه : لجنة من علماء العربية -
دار الفكر ، بيروت - ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) .
- د . محمد البهى : الإسلام فى حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة -
مكتبة وهبة - ط ٣ - ١٤.١ هـ (١٩٨١ م) .
- الإسلام فى حياة المسلم - مكتبة وهبة ، مصر - ط ٢ - ١٣٩٣ هـ .
- الإسلام فى الواقع الأيديولوجى المعاصر - دار الفكر - ط ١ - ١٩٧٠ م .
- الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة - مكتبة وهبة - القاهرة - ط ١ -
١٤.١ هـ (١٩٨١ م) .
- القرآن الكريم يقول : فى الإيمان .. والمؤمنين ، فى المادة .. والماديين ،
فى السلوك .. والمواقف - مكتبة وهبة - ط ١ - ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .
- القرآن .. والمجتمع - مكتبة وهبة - القاهرة - ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) .
- من أداء الواجبات تبتدىء سياسة الحكم فى الإسلام - مكتبة وهبة ،
القاهرة - ط ١ - ١٤.٠ هـ (١٩٨٠ م) .

- د . محمد البهى : منهج القرآن فى تطوير المجتمع - مكتبة وهبة - ط ٢ - ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .
- محمد التومى : نحو سيكولوجية إسلامية .. العقد النفسية وموقف الإسلام منها - الشركة التونسية لفنون الرسم - ١٩٧٩ م .
- د . محمد جلال شرف : الله والعالم والإنسان فى الفكر الإسلامى - دار النهضة العربية ، بيروت - ١٩٨٠ م .
- محمد جواد مغنية : الإسلام بنظرة عصرية - دار العلم للملايين ، بيروت ط ٣ - ١٩٨١ م .
- الإسلام مع الحياة .. دراسة فى ضوء العقل والتطور - دار العلم للملايين ، بيروت - ط ٣ - ١٩٧٩ م .
- د . محمد حمد ظفر : الإسلام وحقوق الإنسان - دار مكتبة الحياة ، بيروت - ١٩٨٠ م .
- محمد الحمدوى : فى نطاق التفكير الإسلامى - دار الثقافة ، الدار البيضاء - ط ١ - ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .
- محمد خليل الباشا : التقمص وأسرار الحياة والموت - دار النهار للنشر ، بيروت - ١٩٨٢ م .
- محمد الربيع : الوسوسة - دار أمل ، طنجة - ط ١ - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .
- محمد رشيد رضا : الوحي المحمدى - المكتب الإسلامى - ط ١
- د . محمد رياض : الإنسان - دار النهضة العربية ، بيروت - ط ٢ - ١٩٧٤ م .
- محمد أبو زهرة : تنظيم الإسلام للمجتمع - دار الفكر العربى .
- محمد سعيد العشماوى : رسالة الوجود - دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ودار الكتاب المصرى ، القاهرة - ط ١ - ١٩٧٧ م .
- د . محمد السيد غلاب : تطور الجنس البشرى - مكتبة الأنجلو المصرية - ط ٤ - ١٩٧٠ م .

- محمد شديد : منهج القرآن فى التربية - مؤسسة الرسالة ، بيروت - ط ١ - ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .
- د . محمد الشنلى : كتاب الأمراض النسائية - كلية الطب - تونس - ط ١
- د . محمد ظفر الله خان : الإسلام والإنسان المعاصر - ترجمة : د . محمد جلال شرف - دار النهضة العربية ، بيروت - ١٩٨١ م .
- د . محمد عاطف غيث : دراسات فى علم الاجتماع التطبيقي - دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية - ط ١ - ١٩٨١ م .
- علم الاجتماع - دار النهضة العربية ، بيروت - ١٩٧٤ م .
- د . محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق فى القرآن - ترجمة :
- د . عبد الصبور شاهين - مؤسسة الرسالة - ط ١ - ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) .
- الدين - دار القلم - الكويت - ط ٣ - ١٣٩٤ هـ .
- محمد عبد الله الشبانى : الخدمة المدنية على ضوء الشريعة الإسلامية - عالم الكتب ، القاهرة - ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .
- د . محمد عبد الرحمن مرجبا : من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية - منشورات عويدات ، بيروت ، ومنشورات بحر المتوسط ، باريس - ط ٢ - ١٩٨١ م .
- د . محمد عبد السلام محمد : دراسات فى القرآن الكريم - مكتبة الفلاح - ط ١ - ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) .
- د . محمد عبد القادر العماوى : مستقبل الإسلام - دار الفكر الحديث ، القاهرة - ١٩٧٣ م .
- هذا هو الإسلام - دار الفكر الحديث للطباعة والنشر ، القاهرة - ط ٣ - ١٩٧٣ م .
- محمد عبد المنعم خفاجى : الإسلام والحضارة الإنسانية - دار الكتاب اللبنانى ، بيروت - ط ١ - ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) .

- د . محمد عبد المنعم نور : الإنسان ومجتمعه - دار المعرفة ، القاهرة - ط ١ - ١٩٧٨ م .
- محمد عبده : الإسلام دين العلم والمدنية - تحقيق : طاهر الطناحي - دار الهلال .
- محمد عثمان نجاتي : علم النفس فى حياتنا اليومية - دار القلم ، الكويت - ١٩٨٠ م .
- القرآن وعلم النفس - دار الشروق ، بيروت ، القاهرة - ١٤٠٢ هـ - (١٩٨٢ م) .
- محمد عطية الأبراشى : التربية الإسلامية وفلاسفتها - دار الفكر العربي - ط ٣
- د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن - الدار السعودية للنشر والتوزيع - ط ٣ - ١٤٠٢ هـ (١٩٨١ م) .
- د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب فى القرآن والسنة - دار العلم للملايين ، بيروت - ط ١ - ١٩٨٠ م .
- د . محمد على محمد : دراسات تمهيدية فى علم النفس - دار الجامعات المصرية ، الإسكندرية - ١٩٧٤ م .
- د . محمد عماد الدين إسماعيل : المنهج العلمى وتفسير السلوك - مكتبة النهضة المصرية - ط ٢ - ١٩٧٠ م .
- محمد الغزالي : الإسلام المفترى عليه - دار البيان ، الكويت .
- عقيدة المسلم - دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
- نظرات فى القرآن - دار الكتب الحديثة ، القاهرة - ط ٥
- هذا ديننا - دار الكتب الحديثة ، القاهرة - ١٩٦٠ م .
- محمد غلاب : مذكرات فى الفلسفة الإسلامية - ١٩٣٨ م .
- د . محمد فاضل الجمالى : تربية الإنسان الجديد - الشركة التونسية للتوزيع - ١٩٦٧ م .
- محمد الفرحانى : الإسلام أولاً - مطابع النجوى ، بيروت - ١٣٨٦ هـ .
- محمد الفقى : قصص الأنبياء - مكتبة وهبة - ط ١ - ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

- د . محمد فؤاد حجازى : البناء الاجتماعى - مكتبة وهبة ، القاهرة - ط ١ - ١٣٩٩ هـ .
- النظرات الاجتماعية - مكتبة وهبة - ط ١ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .
- محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن - دار الشروق ، القاهرة - ١٣٧٨ هـ .
- مفتاح كنوز السنّة - إدارة ترجمان السنّة - باكستان - ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .
- محمد القاسمى : الإسلام كما فهمت - دار الفكر .
- محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام - ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) .
- دراسات فى النفس الإنسانية - دار الشروق ، جدة - ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) .
- فى النفس والمجتمع - دار الشروق - ط ٥ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .
- محمد المبارك : نظام الإسلام .. العقيدة والعبادة - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - ط ٢ - ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) .
- محمد مجدى مرجان : الله واحد أم ثلاث - دار النهضة العربية ، القاهرة .
- د . محمد زيدان : علم النفس التربوى - دار الشروق ، جدة - ط ١ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .
- محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى - دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .
- د . محمد نعيم ياسمين : الإيمان .. أركانه ، حقيقته ، نواقضه - مطابع التعاونية ، عمان - ط ٢ - ١٤٠٠ هـ .
- محمد نمر الخطيب : الإسلام دين هداية - دار مكتبة الحياة ، بيروت - ط ٢
- د . محمد يوسف موسى : الإسلام وحاجة الإنسانية إليه - الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة - ط ٢ - ١٩٦١ م .
- محمد الجوهري : الأخت المسلمة أساس المجتمع الفاضل - دار الأنصار - القاهرة .

- د . محمود السيد سلطان : دراسات فى التربية والمجتمع - دار المعارف ، القاهرة - ط ٣
- مفاهيم تربوية فى الإسلام - مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع ، الكويت - ١٩٧٧ م .
- محمود شلبى : حياة آدم - دار الجيل ، بيروت - ط ٢
- محمود شلتوت : من توجيهات الإسلام - دار القلم - ط ٣ - ١٩٦٦ م .
- د . محمد عبد المولى : تطور الفكر الاقتصادى والاجتماعى عبر العصور - الشركة التونسية للتوزيع - ١٩٧٩ م .
- د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد - دار النهضة العربية ، بيروت - ١٩٨٠ م .
- محمود قاسم : فى النفس والعقل - مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة - ط ٤
- د . محمود محمد بابلى : المال فى الإسلام - دارالكتاب اللبنانى ، ومكتبة المدرسة ، بيروت - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .
- محمود محمد طه : القرآن ومصطفى محمود والفهم العصرى .
- مسكويه (أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب الرازى) : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق - دار مكتبة الحياة ، بيروت - ط ٢
- كتاب الفوز الأصغر - منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .
- مسلم (أبو الحسين بن الحجاج القشيرى النيسابورى) : صحيح مسلم - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربى ، بيروت .
- د . مصطفى الرفعى : الإسلام نظام إنسانى - دار مكتبة الحياة ، بيروت - ١٩٥٨ م .
- د . مصطفى السباعى : من روائع حضارتنا - دار الإرشاد ، بيروت - ط ٢ - ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) .

- د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعي - مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة - ط ٥ - ١٩٧٨ م .
- مصطفى غالب : مفاتيح المعرفة - مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - ١٤.٢ هـ (١٩٨٢ م) .
- د . مصطفى محمود : التوراة - دار النهضة العربية ، القاهرة .
- حوار مع صديقي الملحد - مطابع روز اليوسف - ط ١ - ١٩٧٤ م .
- الروح والجسد - دار الكتاب العربي ، بيروت - ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) .
- القرآن .. محاولة لفهم عصرى - دارالشروق ، بيروت - ١٩٧٠ م .
- لغز الحياة - دار النهضة العربية ، مصر - ط ٤ - ١٩٧٣ م .
- ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن المكرم بن على) : لسان العرب المحيط - إعداد يوسف خياط - دار لسان العرب ، بيروت .
- معوض عوض إبراهيم : عناصر الإسلام وطرق هديه - دار القلم ، بيروت - ط ١ - ١٩٧٧ م .
- المكتب العالمى للبحوث : الإنسان والدين - منشورات المكتب العالمى ، بيروت ١٤.٣ هـ (١٩٨٣ م) .
- د . ملك أحمد أبو النصر : تحقيق الوجود الإنسانى فى التصور المعاصر - منشأة المعارف ، الإسكندرية .
- منير البعلبكي : موسوعة المورد - دار العلم للملايين ، بيروت - ط ١ - ١٩٨١ م .
- موريس بوكاى : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم - ترجمة : نخبة من الدعاة - دار الكندى ، بيروت - ط ١

{ حرف النون }

النايعة الذبياني : ديوان النايعة الذبياني - جمعه وكمله وعلق عليه : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، والشركة الوطنية ، الجزائر - ١٩٧٦ م .

د . نبيل محمد توفيق السمالوطي : الإسلام وقضايا علم النفس الحديث - دار الشروق ، جدة - ط ١ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

- بناء المجتمع الإسلامي ونظمه - دار الشروق ، جدة - ط ١ - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

- الدين والبناء الاجتماعي - دار الشروق ، جدة - ط ١ - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

- الدين والبناء العائلي - دار الشروق ، جدة - ط ١ - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

- المنهج الإسلامي ودراسة المجتمع - دار الشروق ، جدة - ط ١ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

الندوي (أبو الحسن علي الحسني) : ربانية لا رهبانية - دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت - ط ٢ - ١٣٨٨ هـ (١٩٦٩ م) .

- الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرة - مؤسسة الرسالة - ط ١ - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .

نديم الجسر : قضية الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن - المكتب الإسلامي ، بيروت - ط ٣ - ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) .

د . نظمي لوقا : الحقيقة عند فلاسفة المسلمين - مكتبة غريب ، القاهرة .

النوي (يحيى بن شرف) : شرح صحيح مسلم - دار الفكر ، بيروت - ط ٢ - ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م) .

{ حرف الهاء }

هـ . أ . ر . حبيب : الاتجاهات الحديثة فى الإسلام - ترجمة هشام الحسينى
- دار مكتبة الحياة ، بيروت .

الهروى (أبو عبيد القاسم بن سلام) : غريب الحديث - دار الكتاب العربى ،
بيروت - ١٣٩٦ هـ .

د . همام عبد الرحيم سعيد : قواعد الدعوة إلى الله - دار العروى ، عمان ،
الأردن - ط ١ - ١٤.٣ هـ (١٩٨٣ م) .

الهيثمى (نور الدين) : مجمع الزوائد - دار الكتب ، بيروت - ط ٢ -
١٩٦٧ م .

{ حرف الواو }

وليام أرنست حوكنج : معنى الخلود فى الخبرات الإنسانية - ترجمة : مترى
أمين - دار نهضة مصر للطباعة والنشر - ط ١ - ١٩٨٢ م .

د . وسيلة بلعيد بن حمده : مباحث فى علوم القرآن - دار الجوينى للنشر
- ط ١ - ١٤.٤ هـ (١٩٨٤ م) .

ويلدرد أولسون : تطور نمو الأطفال - ترجمة : د . إبراهيم حافظ وآخرون -
عالم الكتب - ١٩٦٢ م

ويليام بوين سارلز : علم الأحياء الدقيقة - ترجمة : د . صلاح الدين طه
وآخرون - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٦٢ م .

{ حرف الياء }

د . يسرى عبد الرزاق الجوهري : السلالات البشرية - دار المعارف ، القاهرة
- ط ٢ - ١٩٦٧ م .

يعقوب يوسف : لفتات علمية من القرآن - الدار السعودية ، دار النشر
والتوزيع ، جدة - ط ٢ - ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) .

- د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة - مكتبة وهبة ، القاهرة - ط ٢ - ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) .
- التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا : مكتبة وهبة ، القاهرة - ط ٢ - ١٤٠٢ هـ .
- الحل الإسلامى : مؤسسة الرسالة ، بيروت - ١٤٠١ هـ .
- الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا - مؤسسة الرسالة ، بيروت - ١٣٩١ هـ .
- الصبر فى القرآن - مكتبة وهبة ، القاهرة - ط ١ - ١٣٩٧ هـ .
- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة - دار المعارف ، القاهرة - ١٩٥٧ م .

* * *

فهرس الموضوعات

الصفحة

المقدمة ٣

الباب الأول : التكوين (٩ - ٩٤)

١١ الفصل الأول : آدم عليه السلام والتكوين
١١ - خلق آدم عليه السلام
١٧ - خلق حواء
٢٠ - فى الملا الأعلى
٣٠ - الهبوط إلى الأرض
٣٥ الفصل الثانى : خلق ذرية آدم عليه السلام
٣٨ - مراحل خلق ذرية آدم
٣٩ - مرحلة النطفة
٤٦ - مرحلة العلقة
٤٨ - مرحلة المضغة
٥٥ - فى ظلمات ثلاث
٥٩ الفصل الثالث : فرضية التطور والتكوين
٦٢ - أدلة التطوريين
٦٢ - الخلية
٦٣ - حياة الجنين
٦٤ - الأعضاء الأثرية
٦٥ - التشابه
٦٦ - الحفريات
٧٠ - نقد الفرضية
٧١ - الحياة
٧٢ - وراثه الصفات المكتسبة
٧٧ - الحفريات

- ٨١ التشابه -
 ٨٨ آدم والتكوين -
 ٩١ فرضية وليست حقيقة علمية -

الباب الثانى : عناصر التكوين (٩٥-١٥٢)

- ٩٨ الفصل الأول : الجسد
 ١١٠ الفصل الثانى : الروح
 ١١٠ المقصود بـ « الروح » فى القرآن الكريم -
 ١٢٤ خلق الروح بعد الجسد -
 ١٢٦ خلق الروح قبل الجسد -
 ١٣٦ إجماع المسلمين على أن الروح حادثة -
 ١٣٧ ليست الروح سر الحياة -
 ١٤١ الفصل الثالث : العلاقة بين الروح والجسد
 ١٤٢ فرضية التفاعل العلى المتبادل -
 ١٤٤ فرضية الأصل والفرع -
 ١٤٤ فرضية الموازاة -
 ١٤٤ الفرضية الذاتية -
 ١٤٥ الفرضية السلوكية الفلسفية -

الباب الثالث : خصائص التكوين (١٥٣-٢٦٤)

- ١٥٦ الفصل الأول : خصائص الحياة النفسية
 ١٥٦ المقصود بـ « النفس » فى القرآن الكريم -
 ١٦٩ وحدة النفس -
 ١٧٣ أحوال النفس -
 ١٧٦ النفس الأمارة بالسوء -
 ١٨٤ النفس اللوامة -
 ١٩٢ النفس المطمئنة -

٢٠١	- الدوافع
٢١٠	- الانفعالات
٢٢٤	الفصل الثاني : خصائص الحياة القلبية
٢٢٥	- القلب مكان الخيرات الانفعالية
٢٣٠	- القلب هو المؤشر للوجدان الباطنى
٢٣٣	- القلب مرتكز الذات الإنسانية
٢٤٠	- وحدة القلب
٢٤٢	الفصل الثالث : خصائص الحياة العقلية
٢٤٨	- الحواس والعقل
٢٥٢	- العوامل المؤثرة على العمليات العقلية
٢٥٥	- التشريع هداية للعقل
٢٦١	- العقل هو مناط التكليف

الباب الرابع : الإنسان والدوافع (٢٦٥-٣٢٤)

٢٦٩	الفصل الأول : الدوافع الفطرية
٢٦٩	- الدوافع الفطرية العضوية
٢٦٩	- الدافع الجنسى
٢٧٦	- دافع الأمومة
٢٧٨	- الدوافع الفطرية النفسية
٢٧٩	- دافع التدين
٢٨٨	- دافع الخلود
٢٩٥	- دافع التملك
٣٠٥	الفصل الثانى : الدوافع المكتسبة
٣١٤	الفصل الثالث : تعديل الدوافع
٣١٥	- الإعلاء
٣١٨	- الإبدال

الباب الخامس : الإنسان والخلافة
(٤٢٦-٣٢٥)

٣٢٧ الفصل الأول : الخلافة
٣٢٧ - التحليل اللفظي
٣٣٠ - المقصود بـ « الخلافة » في القرآن الكريم
٣٣٢ - الخليفة
٣٣٧ - المستخلف له
٣٥٠ الفصل الثاني : الإنسان والخلافة
٣٥٠ - مقومات الخلافة
٣٥٠ - الإنسان
٣٦٦ - الأرض والكون
٣٧١ - التكليف
٣٩٢ - الدولة
٤١٤ - تحقيق الخلافة
٤٢٧ الخاتمة

الفهارس
(٥٤٤-٤٣٣)

٤٣٥ فهرس الآيات القرآنية
٤٩١ فهرس الأحاديث النبوية
٤٩٩ فهرس الأعلام
٥٠٨ فهرس المصادر والمراجع
٥٤١ فهرس الموضوعات

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٥٦٧ / ١٩٩٠
الترقيم الدولي : ٥ / ٢٠٤ / ٣٠٧ - ٩٧٧